رسائل إخوان الصفاء

وخلان الوفاء

الجزء الرابع

عني بتصحيحه

خير الدين الزركلي

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد علي بمصر

لصاحبها : مصطفى محمد

المطبعة العربية بمصر

١٣٤٧ هـ – ١٩٢٨ م

الرسالة الاولى

فى الاراء والديانات

في العلوم الناموسية الالهية والشرعية

﴿ وهي الرسالة الثانية والاربعون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

﴿ فصل ﴾

وأما بيان البحث عن حدوث الهيولى

فنقول : أما المقرون بحدوث الهيولى من الحكماء القدماء فانهم لما أرادوا البحث عن ذلك ابتدأوا أولا بالنظر في العلوم الرياضية فاحكموها ، ثم بحثوا عن الامور الطبيعية فعرفوها معرفة صحيحة ، ثم تفكروا عند ذلك فى الامور الالهية وبحثوا عنها بحثاً شديداً بنفوس صافية وافهام زكية وعقول وافية فأدركوا ماطلبوا وتصوروا ما بحثوا عنها عن قوة معرفة صحيحة وسكنت صدورهم الى ذلك .

وقد بينا فى رسائلنا الالهية طرفاً من ذلك ولكن نذكر أيضاً فى هذا الفصل مثلا واحداً ليكون دليلا على صحة ماقلنا : وذلك أنهم لما أرادوا النظر فى حدوث العالم كيف كان بعد أن لم يكن وماذلك الصانع الذي صنعه : نظروا أولا إلى المصنوعات فتأملوها فوجدوها أربعة أنواع : فمنها مصنوعات بشرية نحو

مايعمله الصناع فى أسواق المدن ، ومنها مصنوعات طبيعية مكونة من الأركان الاربعة مثل أشخاص الحيوانات والنباتات والمعادن ، ومنها مصنوعات نفسانية كالافلاك والكواكب والأركان ، ومنها مصنوعات الهية كالعقل الفعال والنفس الكلية والهيولى الأولى والصورة المجردة .

ثم نظروا الى المصنوعات البشرية فوجدوا كل صانع من البشر محتاجاً في صناعته الى ستة أشياء ليتم بها صنعته : وهي الهيولى، والمكان، والزمان، والحركة والأدوات ، والآلة وكل صانع طبيعي محتاج إلى أربعة منها وهى الهيولى والمكان والزمان والحركة ، ووجدوا كل صانع نفساني محتاجاً الى اثنين منها وهي الهيولى والحركة فعند ذلك تبين لهم أن الباري تعالى غير محتاج الى شيء منها لان فعله وصنعته انما هي اختراع وابداع بلا حركة ولا زمان ولا مكان ولا أدوات : وذلك أن الله تعالى أول شخص اخترعه وأوجده — جوهراً شريفاً بسيطاً روحانياً — يسمى العقل الفعال ، ثم أبدع بتوسط هذا الجوهر جوهراً آخر دونه في الشرف يقال له النفس الكلية

ثم ابتدأ النفس الكلية بتوسط العقل الفعال فحركت الهيولى الأولى طولا وعرضا وعمقا، وكان منها الجسم المطلق ، ثم ركب من الجسم عالم الافلاك والكواكب والاركان الاربعة جميعاً ، ثم أدار الافلاك حول الاركان واختلطت بعضها ببعض ، وكان منها المولدات الكائنات من المعادن والنبات والحيوانات ، فتبارك الله رب العالمين . فقد تبين بهذا الاعتبار وبهذا القياس العلة الفاعلة ، والعلة الهيولانية والعلة الصورية

فأما الدليل على صحة ما قلنا وحقيقة ما وصفنا فلا يتبين الا بعد معرفة النفس ذاته فانه أشرف جوهراً من الجسم — وقد بينا طرفا من ذلك فى رسائلنا الرياضيات والطبيعيات والالهيات بما فيه كفاية ولكن نذكر في هذا الفصل طرفا منها بعون الله

﴿ فصل ﴾

فنقول أولا أن الجسم جوهر طويل عريض عميق ايجاب غير حي ولا متحرك ولا حساس سلم هذا باجماع من العلماء

فأما النفس فانها جوهر ليست بجسم وهى حية بذاتها علامة بالقوة فعالة بالطبع . والدليل على ذلك ما قدبان من تأثيراتها في الاجسام وذلك أنها هي المحركة للجسم المدبرة المكسبة له الحياة والقدرة وهى المصورة فيه الاشكال والنقوش المتحكمة عليه المتصرفة بحسب ما يتأتى فى شخص واحد من الاجسام الكليات والجزئيات أجمع ، وكفي بهذا دليلا على وجود النفس وشرف جوهرها

وأما الدليل على أن العقل أشرف من جوهر النفس فهو بين ظاهر لكل عاقل. وذلك أن الانسان لما كان أفضل من سائر الحيوانات التى تحت فلك القمر وكان فضله إنما هو من قبل عقله لا من جهة النفس لأن سائر الحيوانات لها نفوس أيضاً فكفى بهذا دليلا على أن العقل أشرف من النفس .

ولما تبين أن العقل أشرف الموجودات وأفضلها ، بعد الباري تعالى ، وكان العقل هو المقر على نفسه وعلى مادونه من الموجودات بأن كلها مبدعات محدثات مكونات وأنه عبد لربه وأن ربه علة لها وهو الذي أبدع الهيولى واخترعها بعد ان لم تكن فوجب الرجوع الى حكم العقل وقضيته ! فان قال قائل ان الذين قالوا بقدم الهيولى وأزليته فبقضيـة العقل حكموا فلم لايجب النزول على قضيتهم والرضى بحكمهم . فنقول ان عقل الانسان نوعان غريزى ومكتسب فأما الغريزى فيحصل للانسان بعد تأمله للمحسوسات ، وأما الغرض المكتسب فكل من كان أكثر تأملا للمحسوسات وأصفى نفسا وكان أعقل

وبهذا العقل يعلم أن العالم مصنوع مركب من هيولى وصورة اذا تأمل جزئياته من الافلاك والاركان والمولدات والمصنوعات ، وذلك أن في كل مصنوع آثار الصنعة باقية فيه يضطر العقل الغريزى الى الاقرار به ، وان لم يعلم متى عمل ؛ وكيف عمل ؛ ولم عمل ؟ ومن عمل ؟

وأما حدوث الهيولى فليس يعلم بهذا العقل الغريزي ، ولكن بالعقل المكتسب والعقلاء متفاوتو الدرجات في هذا العقل كتفاوتهم في العقل الغريزي «وفوق كل ذي علم عليم»

وذلك أن كل من كان أكثر تأملا وأكثر رياضات للمعقولات الغريزية المأخوذة أوائلها من المحسوسات وأصفى نفساً كان أعقل وأعلى درجة في المعارف

واذا تأملت يا أخي وجدت أكثر اختلاف العلماء في أحكام هذا العقل المكتسب : اما من أجل تفاوتهم في درجات عقولهم ، وأما من اجل اختلافات قياساتهم وفنون استعمالهم لها

وذلك أن منهم من يستعمل في البحث عن دقائق العلوم القياس الجدلي ، ومنهم من يستعمل القياس الخطابي أو البرهان الهندسي أو المنطقي أو العددي فتختلف نتائجها بحسب اختلافها وتختلف أحكام العقول بتفاوتها اختلافا كثيرا لا يحصي عددها إلا الله الواحد القهار . وقد ذكر في كتب المنطق طرف من ذلك بشرح طويل، ولكن نذكر لذلك مثالا واحدا ليكون دليلا على ما وصفنا فنقول :

اعلم أن العقلاء انما وضعوا القياسات العقلية ليستخرجوا بها المجهولات بالمعلومات فيما اختلفوا فيه بتحرز العقول - كما وضعوا الموازين والمكاييل والاذرع ليستخرجوا بها مقادير الاشياء المجهولة بالأشياء المعلومة لما اختلفوا فيه بالحذر والتخمين فيما يتعاملون، كما أن هذه الموازين مختلفة بحسب بلدانهم وسنن شرائعهم ، كذلك قياسهم العقلي يختلف بحسب مراتبهم في درجات العقول المكتسبة

والذين قالوا بقدم الهيولى أداهم الى هذا الحكم طريق القياس الذي استعملوه وذلك أنهم نظروا في هذه الهيولى كنظرهم في هيولى الصناعة وهيولى الطبيعة وهيولى الكل فقاسوا بها ، ومن هاهنا انحرفوا عن الصواب وأخطأوا القياس! وما مثلهم في ذلك الا كمثل أولئك الصبيان الاغبياء الذين ذكرناهم في رسالة المعارف ، وذلك أن هيولى الصناعة مصنوع الطبيعة فهي شيء موجود ، وهيولى

النفس هو مصنوع الباري تعالى مبدع مخترع لا من شيء آخر ، فلو انهم سلكوا في البحث عن حدوث العالم مسلك الفلاسفة الربانيين لما اختلفوا وذلك أن هؤلاء الحكماء الربانيون لما أرادوا البحث عن حدوث العالم والهيولى الاولى ابتدأوا أولا بالفكر في الأمور الرياضية فأحكموها ثم بحثوا عن الامور الطبيعية فعرفوها معرفة صحيحة ، ثم تفكروا في الامور الالهية وبحثوا عن حدوث العالم وحدوث الهيولى كيف كان فادركوا ما طلبوا ، وفهموا ما أدركوا ، وتصوروا ما بحثوا عنه ، وبحثوا عما تصور لهم وسكنت نفوسهم إلى ذلك . ونحن قد بينا طرفاً من ذلك في رسالة المبادىء العقلية

﴿ فصل ﴾

في بيان أقاويل العلماء في ماهية الهيولى

فنقول اعلم أن القائلين في ماهية الهيولى وحدوثها مختلفون في ماهيتها وكيفية حدوث الاجسام منها وهذا الخلاف هو من إحدى أمهات الآراء والمذاهب المفرعة عنها

وذلك أن منهم من يرى ويعتقد أنها أجزاء صغار لا تتجزأ فان ألفت ضرباً من التأليف كانت منها الاجسام المختلفة الاشكال — كما ذكرنا في رسالة الهندسة الحسية ؛ فانها مختلفة الكيفيات يعنون أن منها أجزاء نارية وأجزاء ترابية وأجزاء هوائية فاذا اختلطت ضروبا من الاختلاط كانت منها المولدات الكائنات من المعادن والنبات والحيوان وسائر الأفلاك والكواكب ، والذي أداهم الى هذا الرأى اعتقادهم للأمور وقياسهم هيولى الصناعة ، وذلك أن منهم لما رأوا هيولى الصنائع مختلفة الكيفيات ، فاذا ألفت كانت منها جزئيات من المصنوعات المختلفة كالسرير والباب المؤلف من الخشب

وهكذا حروف الكتابة ونغمات الألحان وأصوات الموسيقار وعقاقير الاطباء وأصباغ المصورين وحوائج الطباخين والحلاويين وما شاكلها فانها كلها مختلفة

الـكيفيات ، اذا اجتمعت وألفت وركبت كانت منها ضروب المصنوعات كما بينا في رسالة نسب الموسيقى — فبهـذا الاعتبار والقيـاس حكموا على تلك الاجزاء التى زعموا انها لاتتجزأ بكيفيات مختلفة الصور ، والى هذا الموضع كان علمهم واليه أداهم اجتهادهم .

ومنهم من كان أدق نظراً من هؤلاء وأشـد تمييزاً وبحثاً فزعموا أن تلك الاجزاء كلها متماثلة فيسد بعضها مسد بعض وينوب منابه .

فاذا الفت ضروبا من التأليف وشكلت ضروبا من الاشكال واختلطت ضروبا من الاختلاط حدثت منها اعراض ثم كيفيات وهيئات وصفات وألوان وطعوم وروائح وماشا كلها والذي أداهم الى هـذا الرأي والاعتقاد اعتبارهم هيولات الصنايع فانها متماثلة الاجزاء ، فاذا صورت ضروبا من الاشكال اختلفت أسماؤها وأفعالها كما بينا طرفا في رسالة الهيولى والصورة .

مثال ذلك قطعتان من حديد صورت احداهما بشكل تسمى سكيناً والاخرى منشاراً ، وفعل السكين خلاف فعل المنشار والحديد واحد ، لان الذي عمل من هذه كان جائزاً أن يعمل من تلك الاجزاء متماثلة والمؤلف المركب مختلف ، وإلى هذا الموضع كان مبلغ علمهم ودقة نظرهم .

ومنهم من كان أدق نظراً وأشد بحثاً وألطف — وقالوا ان الهيولى إنما هي جوهر بسيط روحاوني معرى من جميع الـكيفيات قابل لها على النظام والترتيب الأول فالأول — كما بينا في رسالة المباديء العقلية .

فقد تبين بما ذكرنا وشرحنا أن العالم مصنوع يعلم ذلك بالعقل الغريزي إذ اعتبر هذا الاعتبار ، ويعلم أن الهيولى مبدع مخترع بالعقل المكتسب اذا اعتبر هذا الاعتبار ، ويعلم أن الهيولى على ماذكرنا .

ولما تبين لهؤلاء الحكماء ماالعلة الفاعلة ، وما العلة الهيولانيـة ، وما العلة الصورية ، بحثوا عن العلة التمامية التى هي الغرض الاقصى الذي من أجله يفعل

الفاعل فعله ، وهذه المسألة أيضاً من إحدى أمهات المباحث التي منها تتفرع سائر الآراء والمذاهب :

والذي أداهم الى هذا البحث هو نظرهم الي الصنائع البشرية وذلك انهم وجدوا لكل صانع بشري في فعله غرضاً والغرض هو الغاية التي يسبق اليها فهم الفاعل أولا وهو من أجله يفعل الفاعل فعله ، فاذا فعله وبلغ اليه قطع ذلك الفعل . وهما طائفتان : فمنهم من يرى ويعتقد أن الباري تعالى خلق العالم لعلة ما والاخرى تعتقد وترى أنه لا لعلة .

والذي أداهم الى الرأي هو نظرهم وبحثهم واعتبارهم على هذا الوجه الذي نقرره نحن : وهو انهم قالوا لاتخلو تلك العلة من أن تكون هي الله تعالى أو غيره فان كانت غيره وجب القول بالمثنوية ، وقد قام البرهان على فساد هذا الرأي ، وان كانت ليس غيره فهذا الذي قلنا والى هذا كان علمهم وإلى ههنا كان اجتهادهم

والذين قالوا بالعلة التمامية طائفتان : إحداهما ترى وتعتقد أن تلك العلة هي ارادة الباري تعالى ومشيئته ، ومنهم من يرى ويعتقد انها علمه السابق والقائلون بالارادة طائفتان فمنهم من يري ويعتقد انها علمه السابق وأن إرادة الله صفة من صفاته ، ومنهم من يرى ويعتقد انه فعل من أفعاله ، والذين قالوا انه صفة من صفاته طائفتان ، فمنهم من يرى ويعتقد أنها صفة ذاتية ، ومنهم من يرى أنها صفة عرضية ، والذين يرون انها صفة عرضية ، فمنهم من يرى انها قائمة به ، ومنهم من يرى أنها قائمة بغيره ، ومنهم من يرى أنها قائمة بنفسها .

وبين هؤلاء منازعات ومناقضات يطول شرحها مذكورة في كتب جدالهم وخصوماتهم .

والذين قالوا ان تلك العلة هي علمه السابق طائفتان : فمنهم من يرى ويحتج بأنه خلق العالم لأنه كان عالماً بأنه سيخلق ، فلو لم يخلق لكان مخالفاً للعلم والمخالف للعلم جاهل ، وهو تعالى منزه عن امثال الخلق .

ومنهم من يرى انه سيخلق لأن خلقه للعالم حكمة وفعل الحكمة عند الحكيم

واجب ، فاذا لم يفعل الحكيم الحكمة يكون سفيهاً ، فلو لم يخلق اذاً العالم لكان تاركا للحكمة ، وتارك الحكمة سفيه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وهذا أرجح الاقاويل وأحق الصواب .

﴿ فصل ﴾

في بيان قول القائلين إن أسباب الشرور فى العالم بالعرض لا بالقصد

وأما القائلون بان الشرور هي عارض فى العالم من قبل الهيولى الذي هو جوهر منفعل ناقص القبول للفضائل فطائفتان : أحداهما ترى وتعتقد قدمها فيما مضى دهراً طويلا وهي عادمة للصورة والاشكال والكيفيات أجمع .

ثم ان الباري تعالى قصد وصور فى تلك الهيولى عالم الاجسام ذا الثلاثة الابعاد وجعلها على أشكال كريات مستديرات محيطات بعضها ببعض كما ذكر فى كتاب المجسطى وكتاب بانياس الحكيم فى تركيب الافلاك وأطباق السموات وجعلها مسكناً لعبيده ومأوى لجنوده وهي النفوس السارية فى العالم من أعلى الفلك المحيط الى منتهى مركز الارض وهى أجناس الملائكة وقبائل الجن واحزاب الشياطين وأرواح بنى آدم والحيوانات أجمع ، وهم سكان سمواته وقاطنو أرضه العامرون عالمه ، المديرون أفلاكه المسيرون كواكبه المعيشون حيوانات أرضه المربون نباتها والمكونون معادنها ، كل ذلك باذن الله تعالى وتقدس . « ولله جنود السموات والارض» « ولكن أكثرهم لا يعلمون»

ومن أجلهم خلق السموات ومن أجلهم بسط الارض وبهم تدبير العالم ، كل ذلك ليبلغهم أقصى درجات غاياتهم التى هي البعث والخلود فى النعيم أبد الآبدين ، وقالوا هذا كله حكمة وجود وفضل ونعم واحسان وخيرات ، والله تعالى خالقها وجاعلها وعلتها ومبقيها ومتممها .

فأما الشرور فهي عدم هذه الخيرات عن الهيولى ونقصانها عنه : وذلك أنها لو خليت بطبيعتها لرجعت الى حالتها الاولى وخلعت الصورة عن ذاتها وبطل نظام العالم واضمحل وجود الخلائق ، وكان من ذلك بوار الكل والفساد وهو الشر

المحض ، ولكن من حكمة الله لايقتضى تركها لان تصويره الهيولى ايجاد وتركيب العالم منه حكمة والنشوء وجود منه وتفضل عليهم ورحمة لهم ، والعدم بعد الوجود شر ونقض الحكمة سفه واسترجاع الفضل لؤم وترك الرحمة قساوة ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

ثم اعلم يا أخي أن ليس مما حكي هؤلاء من أحوال الهيولى ووصفوا من أسباب الشرور ونسبوها الى الهيولى بمنكر عند خصمائهم ، غير قولهم بقدمها ! وان كانوا أرادوا بقولهم قدم الهيولى الاولى أنها أقدم من الشيء الموضوع المصنوع منها ، فهذا قول صحيح . وان أرادوا أنها ليست مبدعة ولا مخترعة فالمنازعة في هذه الحكومة وقعت ـ فقد بينا فى رسالة المبادىء حقيقتها وكيف هي مبدعة ومخترعة

ثم اعلم أن كثيراً من أهل العلم ومن تكلم فى حقائق الأشياء لا يعرفون الفرق بين الشيء المخلوق والمصنوع ، وبين المخترع المبدع . وهذا أحد أسباب الخلاف بين العلماء في آرائهم ومذاهبهم في قدم العالم وحدوثه

ثم اعلم أن الخلق هو تقدير كل شيء من شيء آخر ، والمصنوع ليس هو بشيء غير كون الصورة فى الهيولى

وأما الابداع والاختراع فهو ايجاد شيء لامن شيء ، وهذه المعرفة . وتصور هذه الحكومة يبعد عن كثير من المرتاضين بالرياضات الحكمية فكيف على غيرهم

ثم اعلم أن الذين قالوا بقدم الهيولى إنما دعاهم الى هذا النظر والرأى نظرهم الى الموجودات الجزئيات التى دون فلك القمر ، واعتبارهم هذه الكائنات الفاسدات من المعادن والنبات والحيوان ، وذلك أنهم وجدوا كل مصنوع بشري وطبيعي مركبا من هيولى ساذج لا شكل فيه قبل تصوير الصانع له بذلك الشكل ، واذا خلا ذلك المصنوع زماناً طويلا اندرس واضمحل وانخلعت الصورة عنها ورجعت الى حالتها الأولى ترابا .

مثال ذلك البنايات المتخذة في المدن والقرى : وذلك أنهم رأوا صناعها جمعوا التراب والخشب وبنوها ثم يحفظونها بالمرمات لتدوم زماناً ، فاذا خلت زمانا طويلا تهدمت واندرست واضمحلت وصارت ترابا وحجارة ، كما كانت بديا . وهكذا حكم النبات والحيوان والمعادن التي هي مصنوعات طبيعية فانها تصير كلها يوما ترابا وان طال الزمان .

فعلى هذا القياس والاعتبار حكموا على الهيولى الاولى وصنعة الباري فيها العالم وحفظه على ما هو عليه الآن من النقش والتصاوير والاشكال والهيئات المختصة بفلك فلك ، وكوكب كوكب ، وركن ركن ، وأجناس الحيوانات أجمع ، والنبات والمعادن واحداً واحداً .

وأما الهيولى التي لا كيفية فيها فليست هي محتاجة في وجودها الى صانع وفاعل — بزعمهم — فهذا كان اعتبارهم والى هذا الموضع كان مبلغ اجتهادهم فأما الذين قالوا بحدوث الهيولى فانهم نظروا أدق نظر من أولئك وتأملوا أجود من تأملهم وبحثوا أشد بحثاً منهم — كما بينا فيما تقدم ذكر ذلك فاطلبه من هناك

فصل

فى بيان كمية أنواع الخيرات والشرور في هذا العالم

فنقول اعلم أن الخير والشر على أربعة أنواع : فمنها ماينسب الى سعود الفلك ونحوسه ، ومنها ماينسب الى الامور الطبيعية من الكون والفساد وما يلحق الحيوانات من الآلام والأوجاع ، ومنها ما ينسب الي ما فى جبلة الحيوانات من التآلف والتنافر والمودة والتباغض وما فى طباعها من التنازع والتغالب ، ومنها ماينسب الى مايلحق النفوس التي تحت الأمر والنهي فى أحكام النفوس من السعادة والمنحسة في الدنيا والآخرة جميعاً .

ثم اعلم أن لهذه الأنواع من الخيرات والشرور التي ذكرناها أسبابا وعللا يطول شرحها — وقد ذكرنا طرفاً فى رسالة العلل والمعلولات — ولكن نذكر

في هـذا الفصل منها ما لا بد منه فنقول : إن الخيرات التى تنسب الى سعود الفلك هي بعناية من الله تعالى وقصد منه لاشك فيه ، وأما الشرور التى تنسب الى نحوس الفلك فهو عارض لا بالقصد .

مثال ذلك إشراق الشمس وطلوعها على بعض البقاع تارة وتسخينها المـاء مدة ، ومغيبها عنها تارة أخرى كيما تبرد تلك البقاع مدة ما ، فهو بعناية من الله تعالى وواجب حكمته لما فيه من الصلاح والنفع للعموم كما قال تعالى : « قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون » وقال : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » . وانما ذكر الله تعـالى إنعامه على عباده وإحسانه اليهم وأفضاله عليهم .

فأما التى تعرض لبعض الحيوانات ولبعض النبات من الحر المفرط والبرد المتلف فى بعض الاوقات وفى بعض الاحايين وفى بعض البقاع فليس ذلك بالقصد الأول .

وهكذا أيضاً حكم الأمطار فانما يرسلها لكيما يحيى بها البلاد ويصلح بها شأن العباد ، فان عرض من ذلك أذية لبعض الحيوانات أو تلف النبات أو تحزنت به العجائز فليس ذلك بالقصد الأول

وعلى هذا القياس حكم جميع ما ينسب الى نحوس الفلك من الأمور العارضة للحيوان والنبات والمعادن ومواليـد الناس ، وما يحكم في تحاويل من السـنين وأحكام القرانات وما شا كل ذلك ، وما ينسب الى نحوس الفلك من الشرور والفساد جميعاً عارضاً بالقصد الأول

وأما الخيرات التى تنسب الى الامور الطبيعية فهي كون الحيوان والنبات والمعادن والأسباب المعينة لها على النشوء المبلغة الى أتم حالاتها وأكمل نهاياتها ، فهي كلها بقصد من الله تعالى وعناية من تفضله وإنعامه

وأما الشرور التى هي الفساد والبلى الذي يلحقها بعد الكون والفساد

والاسباب التي تعوقها عن البلوغ الى التمام والكمال فهي عارض لا بالقصد الاول ولكن بالقصد الثاني وذلك أن هذه الكائنات التي هي دون فلك القمر لما لم يكن أن تبقى أشخاصها في الهيولى دائماً في هذا العالم تلطفت الحكمة الالهية والعناية الربانية أن يكون بقاؤها بصورها وان كانت الاشخاص في الذوبان والسيلان دائما

والمثال في ذلك صورة الانسانية التي هي خليفة الله في أرضه فانها باقية منذ خلق الله تعالى آدم أبا البشر الى يوم القيامة وان كانت الاشخاص في الذهاب والمجيء فهكذا حكم سائر الحيوانات والنبات والمعادن وأنواعها باقية بصورها وان كانت الاشخاص في السيلان والذوبان .

وإنما كان ذلك بواجب الحكمة لأن في القوة فضائل وخيرات بلا نهاية لا يمكن خروجها من القوة الى الفعل والظهور دفعة واحدة في وقت واحد ، لأن الهيولى لا تتسع لقبولها الأشياء هيئاً بعد شيء على التدرج وممر الاوقات والزمان دائما أبداً

والمثال فى ذلك : أنه لو خلق الله بنى آدم كلهم — من مضى منهم ومن هو موجود الآن ومن يحيا من بعد الى يوم القيامة في وقت واحد لم تكن تسعهم الارض برحبها فكيف حيواناتهم ونبات غذائهم وأمتعتهم وما يحتاجون اليه فى ايام حياتهم ، فمن أجل هذا خلقهم قرنا بعد قرن وأمة بعد أمة لأن الارض لا تسعهم والهيولى لا تحملهم دفعة واحدة . فقد تبين مما ذكرنا أن النقصان ليس من قبل الله تعالى ، وعلة أخرى أيضا لأسباب الشرور

وذلك أنه لما كانت هذه الكائنات يبتدىء كونها من أنقص الوجود وأضعف القوى مترقية الى أتم الحالات وأكمل الغايات بأسباب معينة لها على النشوء والنمو ومبلغة الى أكمل غاياتها بعناية من الله تعالى سميت تلك الأمهات خيرات، وكذلك كل سبب عارض بلوغها عن ذلك يسمى شرا وهي عارضة لا بالقصد الاول . والمثال في ذلك ما تقدم ذكره من أمر الشمس والمطر

فصل

في بيان الفرق بين القصد الأول والقصد الثاني على قول الحكماء

فنقول أما الخيرات التي تنسب الى جبلة الحيوانات وما في طباعها واخلاقها وأفعالها بقصد منها وإرادة فهي بالقصد الثانى لا بالقصد الاول

ثم اعلم أن معنى قول الحكماء : القصد الأول والقصد الثانى أن الفرق بينهما هو أن ماكان من قبل الباري تعالى من الابداع والايجاد والاختراع والبقاء والتمام والكمال والبلوغ وما شاكل ذلك من الأوصاف يسمى القصد الاول ، والقصد الثاني هو كل ماكان من قبل نقص الهيولى إنه لم يجيء منها الا هذا ولم يقبل إلا هذا وما شاكل ذلك من الأوصاف

وأما بيان أنواع الشرور والمنسوب الى بعض الحيوانات والى الجبلة المركوزة فيها فنقول : ان الشرور التي تنسب الى جبلة الحيوانات وما في طباعها هي ثلاثة أنواع : فمنها الآلام التي تعرض لها دون سائر الموجودات — ومنها العداوة التي في جبلتها ، ومنها أفعالها التي بقصد منها وإرادة

فأما آلامها فتكون من ثلاثة أوجه أحدها ألم الجوع والعطش عند حاجة أجسادها إلى المادة والغذاء ، والثانى ألم الضرب والصدم والكسر المضر بأجسادها المتلف لها كلها ، والثالث ألم الأمراض والأسقام المفسدة لمزاج أجسادها وأخلاط أبدانها

فأما الآلام التي تعرض لنفوسها عند الجوع والعطش فان ذلك بالقصد الثاني. وذلك أنه لما كانت هذه الاشخاص كل واحد منها مركب من جسد جسماني ونفس روحاني ، وكانت الأجسام مركبة من الاخلاط المركبة المتضادة وهي دائمة في الذوبان والسيلان ومحتاجة في بقائها إلى المادة والغذاء جعلت لنفوسها آلام عند حاجتها الى الغذاء والمادة لتكون تلك الآلام باعثة لنفوسها لتنهض بأجسادها في طلب الغذاء ، فلو لم تكن تعرض لها تلك الآلام لتهاونت بها وتركتها بلا غذاء

وكانت تذوب وتضمحل كلها وتبطل لأقرب مدة وأهون سعي ، وكانت تبقى تلك النفوس إما بأجساد أو بلا أجساد ناقصة غير تامة ولا كاملة ، وكانت تعوقها المآرب التى هي مقصودة بها كما بينا في رسالة البعث والقيامة وجعل لها أيضا عند تناول الغذاء لذة وشهوة

أما الشهوة فلأن لا تتناول من الغذاء ما لا يصلح لها ، وأما اللذة فلأن تأكل وتشرب ما دامت الطبيعة محتاجة لها ، واذا اكتفت زالت اللذة ، فهذه كلها بقصد من الله الواحد القهار ، ومن أجل النقص الذي في الهيولى كيما تتم النفوس وتكمل ، وأما الضرب والكسر والصدم والجرح والحر والبرد والامراض والاسقام

وبالجملة كل أمر مضر بالجسد مفسد فانما جعل للنفوس ألماً لكيما تحثها تلك الآلام على حفظ أجسادها وصيانة هياكلها إذ كانت الأجساد لا حيلة لها فى جر منفعة ولا دفع مضرة عنها

ومن الدليل على صحة ما قالوه ما تبين منها أنها كيف تنتبه من حال النوم ، وكيف تتيقظ من حالة الغفلة ، وكيف تحس وتشعر بالأشياء المؤذية المفسدة من الجسد ، وكيف تدفع تلك الاشياء عن جسدها إما بالفرار والانقباض عنها وإما بالقوة والجلادة والمجاهدة ، وإما بالحيلة والمداراة ، ولو لم تفعل ذلك لهلكت الاجساد في أقرب مدة وأهون سعي قبل التمام والكمال . فاذا جاءتها المقادير والوقت المعلوم والاسباب الغالبة القاهرة فانظر كيف تسلمها اليها ، وكيف تفارقها على غير اختيار منها

فأما ما دام له طمع في دفع تلك الآلام الواردة المؤذيات فهي في العلاج والجهاد رجاء للصلاح وحرصا على البقاء ومحبة على الوجود على أتم ما يمكن اذ كان هذا هو الخير وكراهية منها للفناء على هذا النقص إذ كان هو الشر لأن العدم المطلق ليس للأجسام ولا للنفوس ما دام العالم موجوداً فقد تبين من ذلك أن الآلام أيضا بقصد وعناية واقتضاء الحكمة

فصل

في بيان الشرور التى في جبلة الحيوانات المختلفة الصور والاشكال هي بالقصد الثاني

فنقول أما الخيرات التى في جبلة الحيوانات وأخلاقها التى هي الالف والمحبة والشرور التى هي العداوة والغلبة والقهر فهي أيضا بالقصد الثاني . وذلك أنه لما كانت الحيوانات مختلفة الصور والاشكال والطباع والعادات والاخلاق والافعال لاسباب يطول شرحها — وقد بينا طرفا فى رسالة العلل والمعلولات — جعل بين بعضها وبعض الفة ومحبة ومودة لكيما يكون ذلك سببا لاجتماعها واتفاقها لما فى ذلك من صلاح الكل والنفع على العموم ، وجعل أيضا بين بعضها وبين بعض نفوراً وعداوة ليكون سبباً لتباعدها وتفرقها لما فى ذلك أيضا صلاح الكل والنفع على العموم

مثال ذلك الف بعض الحيوانات للانسان وانقيادها للطاعة كالبقر والغنم والخيل والبغال والحمير والجمل والفرس لما فى ذلك صلاح ونفع للناس المعروف المشهور — ولا حاجة الي تفصيل كيفية ذلك — ولما لها أيضا من النفع في مراعاة الناس بالعلف والسقى والسكن من الحر والبرد ومنع السباع عنها ومداواتها من الآفات العارضة وما شاكل ذلك، ومثال نفور بعض الحيوانات من الانسان وتباعدها عن طاعته مثل السباع والحيات وجملة الحيوانات القليلة النفع الكثيرة الضر لما فيه من صلاح الكل والنفع للعموم

وعلى هذا القياس حال سائر الحيوانات بعضها مع بعض فيما بينها من الالف والمحبة والبغض والعداوة لما فيها من النفع والصلاح

وأما الشرور التى تنسب الى بعض أفعال الحيوانات بالقصد منها والارادة فنها أيضا عارضة من أجل الهيولى التى هي مادة لاجسادها وقوام لهيا كلها : وذلك أن المنافع لما كانت مشتركة بين الجميع وكان فى جبلتها طلب المنافع ودفع المضار بالقصد الأول من الله تعالى ـ كما تقدم ذكره ـ وقعت بينها هذه المنازعة في طلب تلك المنافع ودفع تلك المضار بالعرض لا بالقصد

وأما علة كون الحيوانات بعضا آكلة وبعضها مأكولة فقد بينا طرفا منها في رسالة الحيوانات

فصل

في بيان أنواع الشرور التي تنسب الى الانفس الانسانية من جهة أحكام الناموس

فنقول اعلم أن الخيرات والشرور التي تنسب الى الانفس الانسانية الجزئية من جهة أحكام الناموس هي نوعان: فمنها ما هي اعمالها واكتساب منها ومنها ماهي جزاء لاعمالها ومكافأة لها

فأما التي هي الاكتساب فهي خمسة أنواع: منها ماهي علوم ومعارف، ومنها ماهي اخلاق وسجايا، ومنها ماهي آراء واعتقادات، ومنها ماهي كلام وأقاويل ومنها ماهي اعمال وحركات، وهذه الخصال الخمس تسمى خيرات وشرور من وجهين: إما عقلية، وإما وضعية، والوضعية منها هو كل شيء أمر به الناموس أو حث عليه أو مدحه، فيسمى ذلك خيراً وكل شيء نهى عنه أوزجر عنه يسمى ذلك شراً.

أما العقلية من هذه الخصال فهي كل شيء اذا فعل منه ماينبغي على الشرائط التي تنبغي في المكان الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي من أجل ماينبغي، يسمى ذلك خيراً ومتى نقص من هذه الشرائط واحد يسمى ذلك الامر شراً، ومعرفة هذه الشرائط ليس في وسع كل انسان في أول مرتبته إلا بعد ماتتهذب نفسه وترقى في العلوم والآداب.

ومن أجل هذا يحتاج كل انسان الى معلم ومؤدب أو استاذ في تعلمه وتخلقه وأقاويله واعتقاده وأعماله وصنايعه.

ثم اعلم أن أصحاب الناموس هم المعلمون والمؤدبون والاستاذون للبشر كلهم ومعلمو أصحاب النواميس هم الملائكة، ومعلم الملائكة هو النفس الكلية ومعلمها العقل الفعال، والله تعالى معلم الكل

وإنما طولنا الخطاب في الكشف عن الخيرات والشرور لان هذه المسألة من احدى مسائل أمهات الخلاف بين العلماء المتشعبة منهم الآراء والمذاهب الكثيرة كل ذلك لقلة معرفة من يتكلم منها وهو لايدري ما الخير — على الحقيقة — وما الشر وما السبب العارض.

وإذ قد تبين مما ذكرنا علل اختلاف العلماء في الآراء والحكمة وحدوث العالم وقدمه نريد أن نذكر أيضاً طرفاً من عبادة الاصنام التي هي أقدم الديانات وأغلبها من الكل.

فصل

في بيان طباع الناس في الرغبة في الدنيا والآخرة

فنقول اعلم يا أخي أن الناس، وان كان أكثرهم مطبوعين على الرغبة في الحياة الدنيا والحرص على طلب شهواتها والميل الى التمتع بلذاتها، غافلون عن أمر الآخرة ونعيمها وسرور أهلها ودوام لذاتها، وان كثيرا من الناس أيضاً كلهم مجبولون على التدين والورع والخير والزهد في الدنيا وترك شهواتها والرغبة في الآخرة وطلب نعيمها وكثرة التفكر في أمر المعاد بعد الموت والرغبة في معرفته وحقيقة الحال في المنقلب، وهم في دائم الاوقات يسألون الله الرحمة والمغفرة ويطلبون منه حسن التوفيق وخير الآخرة، ويتقربون اليه بالصلاة والصوم والتسبيح والقرآن والدعاء وفنون العبادات، كل ذلك بحسب ما يمكنهم ويؤدي اليه اجتهادهم ويحسن في عقولهم ويتحقق في نفوسهم.

ثم اعلم أن الله تعالى ما بعث الرسل والانبياء عليهم السلام الى الناس إلا لتأكيد لما في نفوسهم من أمر الدين بطلب الآخرة إرشاداً لهم الى ما هو أصلح مما اختاروه بعقولهم وأقرب مسلكا وأفضل سيرة وأحسن طريقة فيما أداهم اليه اجتهادهم وتحقق في نفوسهم بآرائهم. والدليل على صحة ما قلنا قوله تعالى لنبيه عليه السلام: «قل أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم». وذلك أن القوم الذين بعث اليهم النبي عليه الصلاة والسلام والتحية والرضوان كانوا يتدينون

بعبادة الاصنام وكانوا يتقربون الى الله تعالى بالتعظيم لها والسجود والاستسلام والبخورات ، وكانوا يعتقدون أن ذلك يكون قربة لهم الى الله وزلفى ، والاصنام هي أجسام خرس لا نطق لها ولا تمييز ولا حس ولا صورة ولا حركة ! فأرسلهم الله ودلهم على ما هو أهدى وأقوم وأولى مما كانوا فيه : وذلك أن الانبياء عليهم السلام وان كانوا بشراً فهم أحياء ناطقون مميزون علماء مشاكلون للملائكة بنفوسهم الزكية ، يعرفون الله حق معرفته والتقرب الى الله تعالى بهم أولى وأهدى وأحق من التوسل بالاصنام الخرس التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنك شيئا

ثم اعلم أنا نبين ها هنا بدء عبادة الاصنام فنقول بأن بدء عبادة الامم للاصنام أولا كان عبادة الكواكب ، وبدء عبادة الكواكب كان عبادة الملائكة وسبب عبادة الملائكة كان التوسل بهم الى الله تعالى وطلب القربة اليه : وذلك أن الحكماء الاولين لما عرفوا بذكاء نفوسهم وصفاء أذهانهم أن للعالم صانعاً حكيما ، وذلك لتأملهم عجائب مصنوعاته وتفكرهم في غرائب مخلوقاته واعتبارهم تصاريف أحوال مخترعاته ، ولما تحققت في نفوسهم هويته ، أقروا له عند ذلك بالوحدانية ووصفوه بالربوبية وعلموا أن له ملائكة هم صفوته من خلقه وخالص عباده من بريته — طلبوا عند ذلك الى الله القربة وتوسلوا اليه بهم وطلبوا الزلفى لديه بالتعظيم لهم كما يفعل أبناء الدنيا ويطلبون القربة الى ملوكهم بالتوسل اليهم باقرب المختصين بهم ، وكان من الناس من يتوسل الى الملك بأقاربه وندمائه ووزرائه وكتابه وخواصه وقواده وبمن يمكنه بحسب ما يتأتى له — الأقرب فالأقرب والأدني فالأدني — كل ذلك طلبا للقربة اليه والزلفى لديه .

فهكذا وعلى هذا المثال فعلت الحكماء وأهل الديانات ومن عرف الله وآمن به وأقر به فانهم طلبوا القربة اليه والزلفى عنده : كل واحد بحسب ما أمكنه وتأتى له وأدى اليه اجتهاده وتحقق في نفسه .

فلما مضى أولئك الحكماء والربانيون العارفون بالله حق معرفته وانقرضوا خلفهم قوم آخرون لم يكونوا مثلهم في المعرفة والعلم ولم يعرفوا مغزاهم في دياناتهم ،

فأرادوا الاقتداء بهم في سيرتهم واتخذوا أصناما على مثل صورتهم وصور وتماثيل على مثل مافعلت النصارى في بيعهم من التماثيل والصور مثل أشباه المسيح عليه السلام ومثل روح القدس وجبرائيل ومريم عليها السلام ، وكذلك أحوال المسيح في متصرفاته ليكون ذلك تذكاراً لهم بأحواله كيف ما يمحو تلك التصاوير والتماثيل

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم يا أخي أن من الناس من يتقرب الي الله بأنبيائه ورسله وبأئمتهم وأوصيائهم أو بأولياء الله وعباده الصالحين أو بملائكة الله المقربين والتعظيم لهم ومساجدهم ومشاهدهم والاقتداء بهم وبأفعالهم والعمل بوصاياهم وسننهم ، على ذلك بحسب ما يمكنهم ويتأتى لهم ويتحقق في نفوسهم ويؤدي اليه اجتهادهم .

فأما من يعرف الله حق معرفته فهو لايتوسل اليه بأحد غيره ، وهذه مرتبة أهل المعارف الذين هم أولياء الله .

وأما من قصر فهمه ومعرفته وحقيقته فليس له طريق الى الله تعالى الا بأنبيائه ومن قصر فهمه ومعرفته بهم فليس له طريق الى الله تعالى الا بالائمة من خلفائهم وأوصيائهم وعباده الصالحين ، فان قصر فهمه ومعرفته بهم فليس له طريق الاتباع آثارهم والعمل بوصاياهم والتعلق بسننهم والذهاب الى مساجدهم ومشاهدهم والدعاء والصلاة والصيام والاستغفار وطلب الغفران والرحمة عند قبورهم وعند التماثيل المصورة على أشكالهم لتذكار آيائهم وتعرف أحوالهم من الاصنام والاوثان وما يشاكل ذلك طلباً للقربة الى الله والزلفى لديه .

ثم اعلم أنه على كل حال من يعبد شيئاً من الاشياء ويتقرب الى الله تعالى بأحد فهو أصلح حالا ممن لايدين شيئاً ولا يتقرب الى الله البتة !! وذلك أن قوما قد رزقوا من الفهم والتمييز قدراً نخرجوا بذلك من جملة العامة ولم يحصلوا في جملة الخاصة ، فهم لايعرفون الله حق معرفته ولا يتحققونه بصفات وحدانيته ولايعرفون الآخرة علماً واستبصارا ولا يرضون الدين تقليداً وايماناً فهم مذبذبون بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ! فاحذر أنت يا أخي أن تكون من جملتهم فانهم جنود

إبليس واخوان الشياطين « يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً » يعيبون الديانات ويزرون على أهلها ويهلكون أنفسهم ولا يشعرون

ثم اعلم أنهم أسوأ حالا من عابدي الاصنام على كل حال لان عابدي الاصنام يدينون بشيء ويتقربون الى الله ويخافونه ويرجونه . فأما هؤلاء فلا دين لهم ولا يعتقدون شيئا ولا يعبدون ولا يخافون ولا يرجون شيئاً .

ثم اعلم أن علة تركهم الدين أصلا من أجل أنهم لما تأملوا بعقولهم اختلاف أهل الديانات وجدوا دين كل قوم معيوباً عند قوم آخرين فلم يجدوا مذهباً ولا ديناً بلا عيب تركوا الدين جملة من أجل هذا ولم يتأملوا ولا فكروا بأن كون العاقل بلا دين أعيب وأقبح من كل عيب

ثم اعلم أن في ذكر أهل الديانات عيوب بعضهم بعضاً حكمة جلية قد بيناها في رسالة العلل والمعلولات ! وليس ذلك بأن الدين معيوب ، ولكن كانت مفروضات واضعي الشريعة وسننهم مختلفة لاغراض شتى ، والاغراض يطول شرحها وتكون تلك السنن عند قوم محمودة صالحة لسبب نشوئهم عليها ودربتهم في طول الزمان وجريان عاداتهم عليها ، ويكون الدين معيوباً ومنكراً عند قوم آخرين لانهم نشأوا على غيرها واعتادوا سواها وألفوا خلافها ، لا بان الدين معيوب وسنن الديانات قبيحة

ثم اعلم انه لما كانت طباع الناس مختلفة وأخلاقها متغايرة وارادانها مفتنة ، والنفوس يعرض لها أمراض مختلفة بحسب الزمان والامكنة والطباع والأمزجة والعادات ، وكان واضعو النواميس هم أطباء النفوس ومنجموها كقول النبي ﷺ : « إن مثل أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » وغرض كلهم اكتساب الصحة وحفظ السلامة عليها من الآفات العارضة .

فمن أجل هذا اختلفت مفروضاتهم وتغايرت سننهم حسب مايليق بأمة أمة وطائفة طائفة من الناس والامم من المداواة لنفوسهم والحمية لها من المحرمات

عليهم كما يفعل أطباء الاجسام في العلاجات المختلفة بالبلدان المختلفة لاجل الامراض المختلفة في الازمان المختلفة ، من تغيير الاشربة وتبديل الادوية وتقليل الاوزان وتكثيرها بحسب اختلاف الازمنة والامكنة ، ولاسيما بحسب اختلاف أمزجة الانسان ومراعاة العادات : وذلك أن غرضهم حفظ الصحة الحاصلة واسترداد الصحة المفقودة

فهكذا أفعال الاطباء من النواميس واختلاف سننهم وترتيب أوضاعهم وأمرهم واجازتهم في شيء ونهيهم وتحريمهم عن شيء تشبه بعينها أفعال أطباء الأجسام ومداواتهم قطعاً .

ولايخفى عليك أيها الأخ مداواة المسيح لاقوام شتى واحياء الموتى وابراء الأكمه والابرص حتى نجت نفوس قوم ضالين من امراض الجهالة المزمنة العسرة الزوال بشربات الاسرار والحكم ومعاجين التوحيد والتمجيد ومسهلات الحلم والاستغفار ، وحسن تحمية ترك الشهوات وبرحلة الشتاء والصيف من غليان نار الغضب وبرد البلادة .

وكذلك إبراء الأكمه بالمداواة اللائقة بالعين إذ العمى عمى القلب لاعمى العين ، كما ان الغنى غنى القلب لاغنى المال .

وكيف داوى الاكمه فيا عجباً كل العجب إنه أبرأ الأكمه باكتحال الجواهر الروحانية وبتأليف الاسرار الربانية وبذر البذورات المفردات الهيولانية وبسائط الاركان الناموسية والمائعات التي أنزلت من السماء فسالت أودية بقدرها فلاجرم انه يحي الموتى ويبريء الأكمه والأبرص بهذه المدواة باذن الله وتوفيق الله !!!

فانتبه ياأخي من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ولاتظن بالله ظن السوء واطلب أولياء الله الكرام ومجالسة واضعي النواميس لتنجو بشفاعتهم وتنال ببركاتهم سروراً ونعيما في دار القرار .

﴿ فصل ﴾

في بيان علة الاختلافات التى بين أهل الديانات النبوية بعضها في الأصول وبعضها فى الفروع

وذلك لاسباب شتى نحتاج الى أن نذكرها ، ولكن من أجل أن كثيراً ممن ينظر في الآراء ويتكلم في المذاهب لايعرف الفرق بين ذلك لكنا نذكر ههنا طرفاً فنقول :

ان معنى الدين في لغة العرب هو الطاعة من جماعة لرئيس واحد ، ولما كانت الطاعه لا تتبين إلا بالأوامر والنواهى والامر والنهى لايعرفان الا بالأحكام والحدود والشرائط في المعلومات ، سميت هذه كلها شريعة الدين وسنن أحكامه.

فلما كان الانسان هو جملة مركبة من جسد جسماني ظاهر جلى ومن نفس روحانية باطنة خفية صارت أحكام الدين والاسلام وحدود الشريعة على وجهين ظاهر وباطن : والظاهر هو اعمال الجوارح والباطن هو اعتقادات الاسرار في الضمائر وهو الأصل كما قال عليه السلام الاعمال بالنيات ولكل امرىء مانوى[1]

ثم اعلم أن الانبياء عليهم السلام لايختلفون فيما يعتقدون من الدين سراً وعلانية ولافي شيء منه البتة ، كما قال تعالى « أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه » وقد بينا أنها اثنتا عشرة خصلة يعتقدها الانبياء وأصحاب النواميس الالهية أجمعين لا يختلفون فيها — كما بينا في رسالة النواميس

وأما الشرائع التى هي أوامر ونواهي وأحكام وحدود وسنن ، فهم فيها مختلفون كما قال تعالى « ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » . وقال « لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه »

ثم اعلم أن اختلاف الشرائع ليس بضار إذ كان الدين واحداً لأن الدين هو طاعة وانقياد للرئيس الآمر فيما يأمر وينهي المرؤوسين بحسب ما يليق بواحد

(١) المعروف أن الحديث يبدأ لفظه بقوله عليه الصلاة والسلام : (إنما الاعمال بالنيات) الخ راجع كتب الحديث كالاربعين النووية وغيرها

واحد ، وما يرى أنه يصلح له ويصلح فيه لأن أوامر أصحاب النواميس ونواهيهم مماثلة لامر الطبيب الرفيق الشفيق فيما أمر العليل من الحمية فى الصيف من تناول الاشياء الحارة بالطبع ، واجازته شرب المبردات فى البلدان الحارة وفيما يرى ويأمر له .

فمن أجل هذا اختلفت شرائع الانبياء عليهم السلام . وكذلك إن اختلفت سنن الدين وقواعد النواميس لأنهم أطباء النفوس ومنجموها : وذلك أن في الأدوار والقرانات والألوف قد تعرض للنفوس من أهل كل زمان أمراض واعلال مختلفة من الاخلاق الرديئة والعادات الجائرة والآراء الفاسدة من الجهالات المتراكمة ، كما يعرض للاجساد من الأمراض والأعلال من تغييرات الزمان والاهوية والاغذية ، فبحسب ذلك يجب أن يكون اختلاف علاجات الاطباء ومداواتهم .

فهكذا شرائع الانبياء واختلاف سننهم بحسب أهل كل زمان وما يليق بهم أمة أمة وقرنا قرنا مثل شريعة نوح عليه السلام في زمانه ، وشريعة ابراهيم عليه السلام بعده في زمان آخر وقوم آخرين ، وشريعة موسى عليه السلام في زمان آخر وقوم آخرين ، وشريعة المسيح بعده في زمان آخر وقوم آخرين ، وشريعة سيد الانبياء محمد عليه الصلاة والسلام والتحية والرضوان في زمان آخر وقوم آخرين ، كما قال تعالى : « شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا اليك » فهؤلاء كلهم دينهم واحد وان كانت شرائعهم مختلفة ، وانما ذكرنا فى هذا الفصل من هذه الاشياء لان الذين أنكروا نسخ الشرائع من هذا الباب لم يعرفوا الفرق بين الدين والشريعة .

وأما الاختلافات التى وقعت بين شريعة واحدة بعضهم مع بعض كالذي بين طوائف اليهود فيما بينهم وبين طوائف النصارى ، وكما بين طوائف المسلمين كذلك فهي خمسة أنواع : منها اختلاف فى ألفاظ التنزيل كالذي بين القراء ، ومنها اختلاف المعانى كالذى بين المفسرين ، ومنها اختلاف فى أسرار الدين وحقائق معانيه

الخفية كالذى بين المقلدين والمستبصرين ، ومنها اختلاف فى الأئمة الذين هم خلفاء الانبياء كالذى بين الشيعة ، ومنها اختلاف فى أحكام الشريعة وسنن الدين كالذي بين الفقهاء .

فعلة اختلاف القراء هي من أجل الالفاظ المشتركة المعانى والمترادفة والمتباينة والمتواطئة والمشتقة — كما بينا معانى هذه الخمسة الانواع فى رسالة المنطق — وانما يستعمل صاحب النواميس هذه الالفاظ فى تنزيله وخطبه لأن كلامه على العموم للناس الخاص والعام ، وفى المخاطبين نساء وصبيان ، وعلماء وجهال ، وعقلاء وأغبياء ، ما بين ذلك الا لكي يعقل ويكمل كل انسان منهم معانى ألفاظه بحسب فهمه وذكائه وصفاء جوهره فلا يخلو أحد منهم من فائدة إذا سمعوا قراءة التنزيل ، وهذا هو من أجل المعجزات فى كتب الانبياء وخاصة القرآن منها ، ومن أجل هذا قال النبى ﷺ وعلى آله وسلم : « نزل القرآن على سبعة أحرف[1] كلها شاف كاف كل آية لها ظاهر وباطن » .

أما سبب اختلاف المفسرين المقرئين في معاني ألفاظ التنزيل فهو من جهتين أحداها احتمال الالفاظ لتلك المعاني ، والاخرى من جهة مراتبهم في المعارف وصفاء جوهر نفوسهم وذكاء أفهامهم فيسنح لكل واحد شيء خلاف ما يسنح للآخر اذا نظر في معانى كتب الانبياء عليهم السلام بحسب اجتهاده وفهمه ودقة نظره ومبلغ علمه كما قال تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » وقال : « وفوق كل ذي علم عليم »

وهكذا حكم اختلاف العلماء والفقهاء الذين أصلوا الآراء والمذاهب في فقه الدين والأحكام والحدود : فمنها معان أخذوها من ظاهر ألفاظ التنزيل ، ومنها معان أخذوها من أقاويل المفسرين ، ومنها قياسات واجتهادات ، ومنها أخبار

(١) المعروف أن لفظ الحديث هو : (نزل القرآن على سبعة أحرف) وأما شاف كاف فزيادة لعلها وردت في رواية أخرى . راجع الاتقان في علوم القرآن للسيوطى فقد ذكر ، أو بعبارة أوضح روى ، لهذا الحديث واحدا وأربعين تفسيرا ليس من بينها ما ذهب اليه اخوان الصفا

وروايات أخذوها من طريق السمع ، واجتهاد كل واحد منهم بحسب قوة نفسه وصفاء جوهره واجتهاده وبحثه ، سنح له شيء خلاف ما سنح لصاحبه ، فتعلقوا واجتهدوا واحتجوا على صحتها

وهذا الذي كلف عباده معنى الاجتهاد في الطلب كما قيل: لكل مجتهد نصيب يعنى في اجتهاده . وكما قال : « لا يكلف الله نفساً الا وسعها »

وأما سبب اختلافهم في الأئمة الذين هم خلفاء الانبياء عليهم السلام في أممهم بعدهم ، فمن أجل أن صاحب الناموس يحتاج في وضعه للناموس وتتميمه وتكميله الى نيف واربعين خصلة من الفضائل البشرية والملكية جميعاً — كما بينا في رسالة لنا — فاذا أحكم صاحب الناموس أمر الشريعة وسنن الدين ومنهاجه وبين المنهاج وأوضح الطريق ومضى لسبيله ، بقيت الخصال وراثة في أصحابه وأنصاره الفضلاء من أمته ، ولكن لا تكاد تجتمع كلها أجمع وراثة في واحد منهم ، ولا يخلو أحد من شيء منها

فاذا اجتمعت تلك الأمة بعد وفاة نبيها وتعاونت وتعاضدت وتناصرت مع ائتلاف القلوب كما أمرها صاحبها وأوصى بها بقوا هادين راشدين منصورين على أعدائهم سعداء في الدنيا والآخرة جميعا

ثم اذا مضى أولئك على منهاج الذين تقدموهم خلفهم من بعدهم قوم آخرون من ذرياتهم وتلامذتهم متمسكين بسننهم في أي بلد كانوا وأي منازل نزلوا هادين راشدين، كما قال عليه السلام «إن مثل أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم». فاذا ما تنازعوا وتخاصموا وتقاطعوا وتركوا وصية نبيهم وتفرد كل واحد برأيه معجباً بنفسه شتت شمل ألفتهم وتفرقت جماعتهم وضعفت قوتهم فأفسد عليهم أمر دينهم وشمت بهم حسادهم وظفر بهم عدوهم اذا تفرقوا فى البلدان النائية وشرع كل واحد لنفسه مذهباً واعتقد رأياً وتفرد به ، وربما دعى الناس اليه ، فبهذا السبب تصير الامة بعد نبيها فرقاً وأعداء وخوارج . ولكن من أجل أن هذه المذاهب انما هي فروع على الدين تفرعها أصحاب الناموس على أصله تكون

تلك الملة واحدة بذلك السبب والمذاهب مختلفة ، والى هذا أشار تعالى : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله »

ثم اعلم أن فى اختلاف العلماء في الآراء والمذاهب فوائد كثيرة تخفى على كثير من العقلاء ، فن أجل ذلك تجد الى العقول بتفاوتها اختلافات كثيرة لا يحصى عددها الا الله الواحد القهار . وقد ذكرنا ـ في كتب المنطق طرفاً من ذلك بشرح طويل ـ ولكن نذكر لذلك مثالا واحداً ليكون دليلا على ما وصفنا .

فنقول : اعلم أن العقلاء كما وضعوا القياسات الى كل من أحدث مذهبا واعتقد رأيا من الآراء فان ذلك يصير داعيا الى طلب الحجة عندخصمائه وعذراً عند العقلاء ، ويكون سببا لغوص النفوس في طلب المعانى الدقيقة والنظر الى الاسرار الخفية ووضع القياسات واستخراج النتائج ، واتساعاً في المعارف . وتكون سبباً ليقظة النفوس من نوم الجهالة وانتباها لها من السهو والغفلة وخصلة أخرى من الفوائد في اختلاف العلماء

وذلك أنه لما كان الانسان لا يخلو من محاسن وفضائل ولا ينفك عن مساوىء ورذائل أيضا في أخلاقه وسيرته ومذهبه وافعاله ، وكان أكثر الناس تجدهم يتزينون بمحاسنهم ويفتخرون بفضائلهم ويغفلون عن رذائلهم وينسون عيوبهم ومساوئهم صار يدعوهم اختلافهم في الآراء والمذاهب الى كشف عيوب بعضهم وذكر مساوىء بعضهم لبعض ويكون ذلك تنبيها للجميع على ترك الرذائل وحثا لهم على اكتساب الفضائل ، ويكون فى ذلك صلاح الكل اذا فعلوا ما يؤمرون به وتركوا ما يعابون عليه

ومن أجل هذا قيل : اختلاف العلماء رحمة . وخصلة أخرى من فوائد العلماء فى الاختلاف فى أحكام الدين وشرائعها وفنون المذاهب وهو أن لا يكون أمر الدين ضيقا حرجا لا رخصة فيه ولا تأويل كما قال تعالى : «ماجعل عليكم في الدين

من حرج » وقال عليه السلام « ادرأوا الحدود بالشبهات » . فبهذا الوجه أيضا اختلاف العلماء رحمة واختلاف أهل الديانات فى أمر الدين وسنن أحكامه حكمة جلية لا يعرفها الا المحققون المستبصرون

فصل

في بيان أنه لا يمكن وصول الانفس الجزئية الى الآخرة الا بعد الورود الى الدنيا

فنقول : اعلم أيدك الله أن الله تعالى لما خلق الانسان وجعل أقصى غرضه بلوغه الى دار الآخرة وكان لا يمكن أن يصل الى هناك الا بعد أن يمكث في الدنيا زمانا كما لا يمكن أن يمكث فى الدنيا على أتم الحالات الا بعد أن يمكث فى الرحم زمانا .

ولما كان الغرض من المكث فى الرحم هو تتميم بنية الجسد وتكميل الصورة حتى اذا خرج الى الدنيا من الرحم كاملا تاما انتفع فى الحياة الدنيا والتمتع بلذاتها و نعيمها فلهذا كان الغرض من الكون فى الدنيا والمكث فيها زمانا ما هو لتتميم صورة النفس وتكميل فضائلها ، ولم تكن تتم فضائلها الا بهذا الجسد المملوء من آثار حكمة الله ـ كما بينا فى رسالة تركيب الجسد ورسالة الانسان عالم صغير

ثم اعلم ان النفس ان لم تتم صورتها مادامت مع الجسد ولم تكمل فضائلها مع الجسد مادامت فى الدنيا لم تنتفع فى الدار الآخرة بعد الموت على التمام والكمال، كما انه إن لم تتم بنية الجسد فى الرحم ولم تكمل هناك صورته ، لم ينتفع الانسان في الحياة الدنيا .

واعلم أن الله تعالى جعل الدين طريقاً من الدنيا الى الآخرة ، وجعل فى قوام الدين صلاحا للدنيا والآخرة جميعاً : وذلك ان الدين له ظاهر وباطن ، وقوامه بهما جميعاً . فمن الناس من لا يريد بتمسكه بالدين إلا صلاح الدنيا ومنافعها فيحرص فى احكام الدين وشريعته من الصلاة والصوم وما شاكلها ويرائي الناس

وبذلك يطلب منافع الدنيا فيكون في حفظه ظاهر أحكام الدين قوام له! كما قيل: « ان الله ينصر هذا الدين باقوام لاخلاق لهم » ! ومن الناس من يريد الدنيا لطلب الآخرة وصلاح المعاد فهم يزهدون في الدنيا ويتركون الشرور ويؤدون الامانات سراً واعلاناً ويعاملون الناس بالصدق والورع من غير غش ولادغل ، وفى ذلك صلاح أمر الدنيا والآخرة جميعاً .

ثم اعلم أن كل من أحدث في شريعة أصحاب النواميس حدثاً من تغيير فى أحكامها وتبديل في حدودها وطلب بذلك عرض الدنيا فان صاحب الناموس هو خصمه يوم القيامة ، ومن فعل شيئاً من ذلك وأراد به صلاح ذات البين — ولكن دخلت عليه شبهة من غير عناد وتمني أو طلب في سبب عرض الدنيا — فان ذلك يغفر له ولا يؤاخذ به .

فصل

في بيان سبب العلماء في اختلاف الأمامة

فنقول اعلم أن مسألة الامامة هي أيضاً من إحدى أمهات مسائل الخلاف بين العلماء قد تاه فيها الخائضون الى حجاج شتى وأكثروا فيها القيل والقال وبدت بين الخائضين فيها العداوة والبغضاء وجرت بين طالبيها الحروب والقتال وأبيحت بسببها الاموال والدماء وهي باقية الى يومنا هذا لم تنفصل بل كل يوم يزداد الخائضون المختلفون فيها خلافاً على خلاف وتتشعب فيها ومنها آراء ومذاهب حتى لايكاد يحصى عددها الا الله ، فنحتاج أن نذكر أولا ما الاصل المتفق عليه بين أهلها — ثم نذكر أسباب الخلاف في فروعها فنقول :

اعلم أن الامة كلها تقول إنه لابد من امام يكون خليفة لنبيها في أمته بعد وفاته : وذلك لاسباب شتى وخصال عدة أحدها هو أن يحفظ الامام الشريعة على الامة ويحي السنة في الملة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتكون الامة تصدر عن رأيه .

وقوم آخرون يكونون خلفاءه في سائر البلدان للمسلمين بالنيابة عنه في جباية الخراج وأخذ الاعشار والجزية وتفريقها على الجند والحاشية ليحفظ بهم ثغور المسلمين ويحصن بهم البيضة ويقهر الاعداء ويحفظ الطرقات من اللصوص والقطاع فيمنع الظالم ويردع القوي عن الضعيف المظلوم وينصف ويعدل بين الناس فيما يتعاملون به وما شا كل هذه الخصال التى لا بد للمسلمين من قيم بها فى ظاهر أمور دنياهم ، وخصلة أخرى هي أن يرجع فقهاء المسلمين وعلماؤهم عند مشكلاتهم فى أمر الدين اليه وعند مسائل الخلاف فيحكم هو بينهم فيما هم فيه يختلفون من الحكومة فى الفقه والاحكام والحدود والقصاص والصلوات والجمعات والأعياد والحج والغزو وتولية القضاة والعدول وفتوى الفقهاء ويصدرون كلهم عن رأيه وتدبيره وأمره ونهيه فهذا هو الأصل المتفق بينهم فى حاجتهم الى الامام

وأما من ينبغي أن يكون الامام ومن هو فهم فيه مختلفون على رأيين ومذهبين فمنهم من يرى ويعتقد انه لاينبغي إلا أن يكون أفضلهم كلهم بعد نبيها وأقربهم اليه نسبة ويكون قد نص عليه ، ومنهم من يرى بخلاف ذلك .

ولهم في هذين الرأيين منازعات وخصومات يطول شرحها مذكورة في كتبهم ولكن نحتاج الى أن نذكر علة اختلافاتهم من أين كان بدؤها ومن أين أشكل الأمر عليهم فيه .

واعلم أن الامامة إنما هي خلافة ،والخلافة نوعان : خلافة النبوة ، وخلافة الملك والكلام فى خصال الامامة وتعديد شرائطها قبل معرفة خصال النبوة وتحصيل شرائطها وقبل معرفة خصال الملك وشرائطه والفرق بينهما ، كلام على غير أصله . وكل كلام على غير أصل هذيان لاتحقيق له !! ونحتاج الى أن نذكر أولا خصال النبوة قبل خصال الملك فنقول :

أن أول خصال النبوة الوحى والانبياء من الملائكة ، ثم اظهار الدعوة فى الامة ، ثم تدوين الكتاب المنزل بالالفاظ الوجيزة وتبيين قراءته في الفصاحة، ثم ايضاح تفسير معانيه وبلوغ تأويله ، ثم وضع السنن المركبة ومداواة النفوس

المريضة من المذاهب الفاسدة والآراء السخيفة والعادات الرديئة والاعمال السيئة والافعال القبيحة .

ثم نقلها من تلك العادات وتلك الاراء ومحوها عن ضمائرها بذكر عيوبها ومداواتها من أسقام تلك العادات بالحمية لها من العود اليها واشفائها بالرأي الرصين والعادات الجميلة والاعمال الزكية والاخلاق الحميدة بالمدح والترغيب فى جزيل الثواب ليوم المآب .

وأيضا من خصال النبوة معرفة كيفية سياسة النفوس الشريرة عن قصد سبيل الرشاد وردها عن سلوكها في وعور طريقة البغى بالتمادي ومعرفة كيفية سياسة النفوس الساهية والارواح اللاهية من طول الرقاد ونسيانها ذكر المعاد بالتذكار لها يوم المعاد ، لئلا يقولوا : ماجاءنا من بشير ولا نذير ولا كتاب

ومن خصال النبوة أيضا اجراء السنة فى الشريعة وايضاح المنهاج فى الملة وتبيين الحلال والحرام وتفصيل الحدود والاحكام فى أمور الدنيا جميعا ، ثم التزهيد فى الدنيا وذم الراغبين فيها وتفصيل أحكام الخاص والعام وما بينهما من سائر طبقات الناس وما شاكل هذه الخصال المعروفة بين أهل العلم الموجود وضعها فى الكتب المنزلة من التوراة والانجيل والقرآن وصحف الانبياء عليهم السلام

فأما خصال الملك فأولها أخذ البيعة على الاتباع المستجيبين ، وترتيب الخاص والعام مراتبهم ، وجباية الخراج والعشر والجزية من الملة ، وتفريق الارزاق على الجند والحاشية ، وحفظ الثغور وتحصين البيضة وقبول الصلح والمهادنة من الملوك والرؤساء من الامور المستحبة والهدايا لتأليف القلوب وشمل الالفة وما شاكل هذه الخصال المعروفة بين الرؤساء والملوك

ثم اعلم أنه ربما تجتمع هذه الخصال فى شخص واحد من البشر فى وقت من الزمان ، فيكون هو النبى المبعوث وهو الملك ، وربما تكون فى شخصين اثنين : أحدهما النبى المبعوث الى تلك الامة والآخر المسلط عليهم

واعلم أنه لا قوام لأحدهم الا بالآخر كما قال ملك الفرس ازدشير فى

وصيته ان الملك والدين اخوان توأمان لا قوام لأحدهما الا بالآخر ، وذلك أن الدين أس الملك والملك حارسه ، فما لا أس له مهدوم ، وما لا حافظ له ضائع ولا بد للملك من أس ولا بد للدين من حارس

ثم اعلم ان الله تعالى قد جمع لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام والتحية خصال الملك والنبوة جميعا ، كما جمعها لداود وسليمان عليهما السلام ، وكذلك جمع ليوسف الصديق عليه السلام . وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أقام بمكة في أول مبعثه نحواً من اثنى عشرة سنة يدعو الناس ويعلمهم معالم الدين حتى استوفي خصال النبوة وأحكمها ، ثم هاجر بعد ذلك الى المدينة وأقام بها نحواً من عشر سنين فى ترتيب أمر الامة وتحذير الاعداء وجباية الخراج والعشر ومصالحة الاعداء والمهادنة وقبول الهدايا وحملها والتزويج منهم واليهم حتى أحكم أمر الملك

ثم اعلم ان الله تعالى لما أضاف الى نبوته الملك لم يضفها لرغبته فى الدنيا وحرصه عليها ولكن اراد الله تعالي أن يجمع لامته الدين والدنيا جميعا ، وكان القصد الاول هو الدين ، والملك عارض لأسباب شتى : احدها انه لو كان الملك فى غير أمته لم يكن يؤمن ان يردهم عن دينهم او يسومهم سوء العذاب من كان مسلطا عليهم مثل ما كان يفعل فرعون ببنى اسرائيل

والخصلة الاخرى ما قال ازدشير ان « الملك والدين اخوان توأمان » . وخصلة اخرى هي ان الناس فى طباعهم وجبلتهم لا يرغبوا إلا فى دين الملوك ولا يرهبوا إلا منهم ، وبهذه الخصال وخصال أخرى يطول شرحها جمع الله الملك والنبوة لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام والتحية والرضوان . ولما أشكلت هذه المسألة على اليهود والنصارى ارتدوا وشكوا فى نبوته لما رأوا ان الملك والنبوة لمحمد عليه السلام . فلما انزل الله عز وجل قصة داوود وسليمان ليحاج بها اليهود والنصارى اذ كانوا مقرين بنبوتهما وقد جمع الله لهما من الملك والنبوة ولم يكن الملك قادحا فى نبوتهما ، فهكذا كان حكم محمد عليه السلام فان الملك لم يكن قادحا فى نبوته

واعلم يا أخي أن الله تعالى قد جمع لمحمد عليه السلام الملك والنبوة وأيده بروح منه حتى إنه قام بواجب حقهما لما خصه الله به من الجبلة القوية والقوة المتينة ، كما قال تعالى : « وانك لعلى خلق عظيم » . وقل من يكون كذلك ، لأن النبوة تتم بنيف وأربعين خصلة من فضائل البشرية والملك يحتاج الى شرائط أخر غيرها

﴿ فصل ﴾

فاعلم أن في بعض أخلاق الملوك مضادة لخصال النبوة ، وذلك ان الملك أمر دنيوى والنبوة أمر أخروي والدنيا والآخرة كأنهما ضدان ، واكثر الملوك يكونون راغبين في الدنيا حريصين عليها تاركين لذكر الآخرة ناسين لها والانبياء عليهم السلام من خصالهم التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة يأمرون بها ويحثون عليها ، فعلى هذه الدرجة يكون بعض حال الملوك مضاداً لحال النبوة ، ولكن الانبياء عليهم السلام الذين جمع الله لهم الملك والنبوة لم يكونوا شديدي الرغبة في الدنيا ولا حريصين على شهواتها كما حكى الله تعالى عن يوسف الصديق عليه السلام حين قال : « رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث » الآية فهذا يدل على أنه كان من الزاهدين في الدنيا . فهكذا كان داود عليه السلام وسليمان عليه السلام

ولقد ذكر الله تعالى في قصة داود عليه السلام أنه كان أوابا حليما ، وفى قصة سليمان ، هذا من فضل ربي ليبلونى ، « أأشكر أم أكفر » وهكذا كان النبى عليه السلام زاهداً فى الدنيا راغبا فى الآخرة . وقد روي فى الخبر أن جبريل عليه السلام عرض عليه مفاتيح خزائن الارض فقال خذها ولا ينقصك ما عند الله شيئاً فقال عليه السلام : «لاحاجة لي فى شيء من ذلك حلالها حساب وحرامها عذاب » . وانما جعل ذلك اشفاقا على أمته لئلا يرغبوا فيها ويحتجوا اليها بقول الله تعالى « يريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة » . وقوله : « بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى » . وقال . « والآخرة خير لك من الاولى»

فصل

في مسئلة الجبر

فنقول اعلم أن مسئلة الجبر هي أيضا من احدى مسائل الخلاف بين الناس المنبثة منها الآراء والمذاهب : وذلك أنه منذ كان العلماء وأهل الجدل هم فيها مختلفون فيما مضى من الازمان والدهور وهم طائفتان : الجبرية والقدرية ، فأما الجبرية فان الذي أداهم الى ما يعتقدون فى هـذه المسألة هو نظرهم واعتبارهم عواقب الامور وخواتيمها ، وذلك أنهم لما تبين لهم أن الامور كلها التى تخرج الى الـكون والفساد والوجود والعدم فعلى ماقى مقدور الله وسابق علمه لايكون خلاف ذلك شيء وزعموا عند ذلك وظنوا أنهم لايقدرون على شيء من الافعال التى تظهر على أيديهم ولا يستطيعون الامتناع عن شيء من ذلك ولا الترك لها بالحقيقة ونسبوها كلها الى القضاء والقدر .

وأما خصماؤهم ومخالفوهم فكان نظرهم واعتبارهم في هذه المسألة الاوامر والنواهي والمدح والذم والوعد والوعيد المتوجهة على الانسان العاقل المستطيع ورأوا أنه محجوج بها مزاح العلة فيها ، وليس له أن يحتج على أحد لا عند الله ولا عند الناس بالقضاء والقدر ! وعلم الله السابق في الكائنات لانه لايدري أحد فى مبـدأ أمره وأول أفعاله قضاء الله وقدره وعلمه السابق ، وانما تبين له ذلك بعد فراغه مما قد فعل أو ترك ما أمر الله به ، وهذا النظر نظر أولئك واعتبارهم فلا جرم أن المسألة قائمة بحالها والخلاف باق والحكومة لم تنفصل الى يومنا هذا ، بل كلما ازدادوا فيها نظراً واعتباراً وبحثاً وجدالا ازدادوا خلافاً على خلاف الى يوم القيامة . « والله يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون »

ثم اعلم أن ليس أحد من المخـلوقين بقادر على شيء من الاشياء ولا عمل من الاعمال الا ما أقدره الله تعالى عليه وقواه ويسره له .

واعلم أن إقدار الله القادرين وتقويته الاقوياء وتيسير الامور ليس بمجبر لاحد منهم على فعل من الافعال ولا عمل من الاعمال ولا تركه .

واعلم أن كل قدرة في أحد من القادرين أو قوة في أحد من الاقوياء على فعل من الافعال وعمل من الاعمال فهو بتلك القدرة وتلك القوة بعينها التى يقدر بها على الفعل ويقدر أيضاً على ترك الفعل بعينه

مثال ذلك القوة التى جعلت في لسان المتكلم على الكلام فهو بتلك القوة بعينها يقدر على السكوت ، وبالقوة التى فى الرجلين كذلك ، وفي العينين على فتحهما كذلك ، فانه بتركه ذلك الفعل أيضاً قادر

وعلى هذا القياس حكم سائر القوى التى يقدر على الافعال بها ، ولكن رب فعل تركه أسهل من أخذه ، ورب فعل أخذه أسهل من تركه . ويوجد ذلك بحسب الاسباب الداعية الى الامور المسيرة بها

مثال ذلك اللص وسرقته بالليل فان النوم على الفراش الوطيئة على كل حال أسهل من الذهاب في ظلم الليالى الى المواضع البعيدة الشاقة ونقب الدور وتسلق الحيطان العالية مع الخوف والوجل ولكن الحرص والرغبة وشدة الحاجة وطول الامل وشهوات النفوس وترك النظر في العواقب والغرور بالاماني ووساوس الشيطان وماشا كل هذه من الاسباب تدعوهم الى فعل ماهو أصعب وعمل ماهو أشق وترك ماهو أيسر وأسهل !

وعلى هذا المثال حكم سائر الاعمال الصعبة والافعال الشاقة التى يفعلها الفاعلون فان تركها أسهل من أخذها ، ولكن قيل : « كل ميسر لما خلق له » فمن الناس من تيسر له أخذ الفعل ومنهم من تيسر له تركه .

فلا تظن يا أخي أنه قد يقع من أحد فعل ولا ييسر له عمل ولا ترك شيء مما هو مندوب اليه الا ماقد سبق له في علم الله الذي يسمى القضاء المبرم والقدر المحتوم اللذان هما موجبات أحكام النجوم وتأثيرات الاشكال الفلكي — كما بينا فى رسالة الايمان فليعرف من هناك

فصل

ثم اعلم أن أحكام النجوم هي أيضاً من احدى أمهات الخلاف بين الناس مذ كانوا

والعلماء في حكمها على ثلاثة أقاويل: فمنهم من يرى ويعتقد أن الاشخاص الفلكية دلالة على الكائنات قبل كونها في هـذه الاشخاص السفلية ولها أيضاً فيها أفعال وتأثيرات، ومنهم من يرى ويعتقد أن لها دلالات ولكن ليس لها فعل ولا تأثيرات ومنهم من يرى ويعتقد أنه لا تأثير لها ولا دلالة البتة ولكن حكمها حكم الجمادات والاحجار المطروحة في البراري والقفار. وانما قالوا هذا وأنكروا دلالاتها وأفعالها لتركهم النظر في علم أحكام النجوم واغفالهم عن تعليمها وإعراضهم عن البحث عنها.

وأما الذين قالوا بان لها دلالات فانما عرفوا ذلك وتبين لهم صحته لطول التجارب وكثرة الاعتبار في مرور الايام والشهور والسنين الكثيرة أمة بعد أمة وقرناً بعد قرن — كما تبين ذلك في كتب الاحكام

وأما الذين قالوا ان لها دلالات وأفعال وتأثيرات وأنهم أحياء ناطقون وهم ملائكة الله وملوك أفلاكه وسكان سمواته، فان ذلك عرفوه بعد النظر في العلوم الالهية وأحكامها، والعلوم الالهية عرفوها بعد النظر في العلوم الطبيعية وأحكامها والعلوم الطبيعية عرفوها بعد النظر في علوم الرياضة وأحكامها، وعلوم الرياضة عرفوها بعد التعلم لها والتدرب بطول الزمان من الدهور والايام، فسموا المؤثرات روحانيات الكواكب في الكائنات.

ثم اعلم أن العلماء لا يشكون في علم وأدب قد تعلموه وفكروه بقول المنكرين له والجاهلين به، وهكذا العقلاء مجبولون على أن لا يترك أحدهم دينا ومذهباً قد نشأ عليه وأنس به وقد اعتاد التعبد بطول الزمان على سنته وأخذه عن آبائه وشيوخه وأستاذيه من غير أن يتبين له بطلانه وينكشف له عوار، وهكذا لا يرغب أحد منهم في الدخول في دين أو مذهب لم تتبين له صحته ولم تصح له حقيقته ولا قامت عنده حجته فلا تلم الناس على تمسكهم بدين آبائهم ومذاهب أسلافهم

فاعلم أن الحق في كل دين موجود وعلى كل لسان جار، وأن الشبهة دخولها على كل انسان جائز ممكن! فاجتهد يا أخي أن تبين الحق لكل صاحب دين ومذهب مما هو في يده أو مما هو متمسك به وتكشف عنه الشبهة التي دخلت عليه إن كنت تحسن هذه الصناعة والا فلا تتعاطاها ولا تدعها إن كنت لا تحسنها ولا تمسك

بما أنت عليه من دينك ومذهبك واطلب خيرا منه فان وجدت فلا يسعك الوقوف على الأدون ، ولكن واجب عليك الاخذ بالاخير الافضل والانتقال اليه ، ولا تشتغلن بذكر عيوب مذاهب الناس ولكن انظر هل لك مذهب بلاعيب .

واعلم أن الانسان العاقل قد تخفى عليه عيوب مذهبه كما تخفى عليه مساويء أخلاقه وقبائح أفعاله وسيئات أعماله وتسنح له عيوب غيره ومساويء أخلاقه وقبيح أفعاله كما قيل في المثل : «يا ابن آدم لك مخلان : أحدهما فيه عيوب نفسك وفي الآخر عيوب غيرك وأنت قد جعلت التي فيها عيوب غيرك قدام وجهك ولا تزال تطلع عليها ، والتي فيها عيوب نفسك تجعلها خلف ظهرك فلا تلتفت اليها» قال حكيم اليونانيين : «الانسان يعمى ويصم عن عيوب نفسه لان نفسه أحب الاشياء وحب الشيء يعمي ويصم»

ثم اعلم أن العلوم أجناس كثيرة ولكل جنس أنواع متفننة وكل نوع منها بحر زاخر ، وأهل كل علم متفاوتو الدرجات فيها مبتدء متعلم وعالم راسخ وما بينهما من الطبقات ولاهل كل علم ومذهب أدلة قد نصبها لهم الباري تعالى فهم يصيبون ويخطئون في أحكامهم والاستدلال بها ، فقل ومكثر .

كل ذلك بحسب قوى نفوسهم وطول دربتهم ودقة نظرهم فيها ، ولا يظن أن الصناعة تبطل أو تكون الادلة غير صحيحة من أجل خطاياهم وزلاتهم في الاستدلالات ! فعلم النجوم وأدلتها صحيحة وحق وهي الأشخاص الفلكية التي نصبها الباري تعالى وأجراها مجاريها وان كان المنجمون يخطئون في بعض استدلالاتهم أو في أكثرها فلا تبطل صناعة علم النجوم من أجل ذلك وهو علم جعله الله تعالى معجزة لادريس النبي - آمن به ملك زمانه وله قصة يطول شرحها - كذلك الطب صناعة فان دلالته صحيحة وقد يصيب الاطباء ويخطئون في قضاياهم باستدلالاتهم التي نصبوها في أكثرها فلا تبطل صناعة الطب من أجل ذلك والادلة التي نصبها الباري سبحانه وتعالى هي اختلاف حركات النبض وأصباغ البول وتغير أحوال المريض للعلل ، وهكذا أيضاً الفقهاء والحكام والمفتون في أحكام الدين من الحلال والحرام قد يصيبون ويخطئون في قضاياهم واستدلالاتهم

التي نصبها لهم الباري من آيات كتبه المنزلة وسنن أحكام الشريعة ومفروضات النواميس الالهية تخطؤهم وزللهم لا يبطل العلم والصناعة والأدلة المنصوبة ، ولكن التقصير والعجز موكولان بالانسان لنقصه عن التمام

ثم اعلم أن مسئلة الوعيد هي أيضاً احدى أمهات مسائل الخلاف بين العلماء وذلك أن منهم من يرى ويعتقد أنه واجب في حكم الله وعدله أن يفي بوعيده كما وفى بوعده ، لأنه إن لم يفعل كان كاذباً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . ومنهم من يرى ويعتقد أنه لا يكون كاذباً لأن الكذب هو الخبر بأنه قد فعل ولم يكن فعل . أو يقول ما فعلت وقد كان فعل ، فأما إذا قال سأفعل ثم لم يفعل فيكون مخالفاً والمخالف في الوعد يكون مذموماً غير وفي ، فأما في الوعيد فربما كان الخلاف عفواً وصفحاً ورحمة وتحنناً وإشفاقاً وكرماً وسماحة وإنعاماً ، وكذلك هذه الخصال ممدوحة محمودة تليق بفضل الله ورحمته وكرمه وإحسانه . ومنه قول بعض العرب :

وإني إذا أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

فان اخلاف الوعيد مكرمة افتخر بها ،وذلك أن وعيد الله تعالى لعبيده مماثل لوعيد الأب الشفيق الطبيب العالم للولد الجاهل العليل يقول : لا تأكل ولا تشرب كيت وكيت وافعل كيت وكيت ، فانك ان لم تفعل ولم تقبل نصيحتي ضربتك وحبستك وعاقبتك ، فان لم يفعل الولد ولم يقبل نصيحة والده ولم يأتمر له ولم ينته عما نهاه عنه وأكل وشرب ما نهاه عنه وترك ما كان مأموراً به بقي عليلا سقيما وفاتته الصحة والانفع والأصلح وبقي متألماً وجيعاً فان الأب الشفيق يشفق عليه أن يفي بوعيده فيضربه ويزيده ألماً وعذاباً . فهكذا حكم عذاب الله ووعيده لعباده وهذا أليق به وبرحمته وجوده وكرمه وإحسانه

وأما وقت وفاء الوعد لثواب المحسنين متى يكون وكيف يكون ؟؟ فان هذه المسائل هي من غوامض العلوم ودقائق الأسرار ، وقد أكثر العلماء فيها القال والقيل وتحيرت فيها عقول كثير من الناس أولى الألباب

فمنهم من يرى ويعتقد أنها في الدنيا قبل الممات ، ومنهم من يرى أنها تكون في الآخرة بعد الممات ، وأما كثير من الناس فينكرون أمر الآخرة فلا يعرفونها ولا يقرون بها ، وأما المقرون بها فختلفون أيضاً فيها وفي ماهيتها وكيفيتها وأبنيتها على مذاهب شتى : فمنهم من يرى ويعتقد أن الآخرة ودار الجزاء إنما تكون بعد خراب السماء وفناء الخلق أجمعين ، ثم إن الله تعالى يعيدهم مرة ثانية خلقاً جديداً فيثيبهم ويجازيهم ما كانوا يعملون في الدنيا من خير أوشر أوعرف أو نكر ، وهذا جيد للعامة ولمن لايعرف من الأمور شيئاً ويرضى الدين تقليداً وإيماناً ، وأما الخاص ومن قد نظر في بعض العلوم الرياضية والطبيعية ، فان هذا الرأي لايصلح لهم ! وذلك أن كثيراً من العقلاء الحكماء ينكرون خراب السموات ويأبون ذلك إباء شديداً والجيد لهم إذن أن يعتقدوا أمر الآخرة أن لها وجوداً متأخراً عن الكون في الدنيا ، كما كان في الدنيا موجوداً متأخراً عن الكون في الرحم وكما كانت أيام الشيخوخة متأخرة عن أيام الشباب وأيام العقل والتمييز والحكمة والكمال كانت متأخرة عن أحوال الجهل ، وهي أحوال تطرأ على النفس بعد مفارقتها الجسد إذا هي انتبهت من نوم غفلتها في الدنيا واستيقظت من رقدة جهالتها قبل الممات ونظرت الى الدنيا واعتبرت أحوالها وتصاريف أمورها ليكون ذلك دلالة على معرفة الآخرة ، فاذا لم تفعل وماتت ميتة جاهلية بعمائها فتكون بعد بأمر الآخرة أعمى وأضل سبيلا . وقد بينا في رسالة الآلام واللذات طرفاً في كيفية ثواب المحسنين وجزاء المسيئين بعد الممات وطرفا أخر منهـا بيناها في رسالة البعث والقيامة ، ونريد أن نذكرها هنا طرفا أخر

فصل في جزاء المحسنين

فنقول : اعلم يا أخي أن جزاء المحسنين يتفاضل فى الآخرة بحسب درجاتهم فى المعارف واجتهادهم فى الاعمال الصالحة ، والناس متفاوتو الدرجات فى أعمالهم كل على شاكلته وأجود أحوال العامة والجهال كثرة الصوم والصدقة والصلاة

والقراءة والتسبيح وماشاكل ذلك من العبادات المفروضة والمسنونة فى الشرائع المشغلة لهم عن فضول وبطالة ومالاينبغى لهم كيلا يقعوا فى الآفات .

وأفضل أعمال الخواص التفكر والاعتبار بتصاريف أمور المحسوسات والمعقولات وبخاصة مايتعلق بالدين . وقد قيل أفضل أعمال الخير خصلة واحدة وهى التفكر . قال الله تعالى : « قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا »

ثم اعلم أن الانسان إذا عقل الأمور المحسوسة وعرفها وتفكر في الأمور العقلية وبحث عنها وعن عللها استقبلته عند ذلك طريقتان : إحداهما ذات اليمين تؤديه الى الهداية والرشاد والأخرى ذات الشمال تؤديه الى الغي والضلال . وذلك أن أمور العالم نوعان : كليات وجزئيات لاغير ، فاذا أخذ الانسان يفكر في كلياتها ويعتبر أحوالها وتصاريفها ويبحث عن الحكمة فيها بانت له وأمكنه أن يعرفها بحقائقها وأرشد اليها ، فكلما تقدم فيه زاد هداية ويقيناً ونوراً واستبصاراً وتحققاً وازداد من الله قرباً وكرامة

وإذا أخذ يتفكر في جزئياتها والبحث عنها وعن عللها خفيت وانغلقت مناحيها وكلما ازداد تفكراً ازداد تحيراً وشكوكا ومن الله بعداً وكان قلبه من أجل ذلك في عذاب أليم .

مثال ذلك أنه اذا ابتدأ الانسان أولا وتفكر في نفسه ونظر الى بنية هيكله ونفسه وكيفية تركيب جسده وكيف كان أولا في صلب أبيه ماء مهيناً ثم كيف صار نطفة في قرار مكين ، ثم كيف صار مضغة ، ثم كيف كسا العظام لحما ثم كيف صار جنيناً بعد أطوار متعاقبة ، ثم كيف قبلت فتيلة جسده نور شعاع فيض روح القدس الالهي ، ثم كيف أخرج من الرحم الذي هو عالم كونه إلى الدنيا التى هي عالم آخرته ، ثم كيف صار طفلا حساساً ، ثم كيف تربى وهوطفل صبى جاهل ، ثم كيف نشأ وصار شاباً عالماً أوجاهلا ، ثم كيف صار رجلا عالما فيلسوفا حكيمامدبراً متملكا على ماملك ، ثم كيف صار زاهداً عابداً ، ثم إن طال عمره كيف يرجع كما

كان بديا ضعيفا ذاهب القوة ، ثم كيف ظهر بمد الشباية والقوة والضعف والشيبة « الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق مايشاء »

فاذا فكر الانسان في هذه الحالات التى ينقل فيها من أدونها إلى أتمها ومن أفضلها الى أكملها فيعلم بالضرورة ويشهد له عقله أن له صانعا حكيما هو الذي اخترعه وأنشأه وأنماه ، فاذا تحقق عنده ماوصفنا من هذه الحالات جعل نفسه عند ذلك مقياسا على سائر أبناء جنسه فعلم علما يقينا أنه قد فعل بهم مثل مافعل به . وهكذا سائر الحيوانات وكلما ازداد تفكراً في هذا الباب ازداد بربه يقينا وبأوصافه معرفة

واعلم أن الله تعالى حي عالم قادر عليم حكيم محسن جواد كريم مشفق رحيم ولو نظر فى التشريح أو في كتاب منافع الاعضاء أو كتاب الحيوان أو كتاب النبات أو كتاب المعادن أو كتاب الآثار العلوية أو كتاب تركيب الأفلاك وماشا كلها من الكتب والعلوم والمعارف من وصف مصنوعاته وعجائب مخترعاته ، فانه كلما ازداد فيها نظراً ازداد بالله علما وبأوصافه اللائقة به معرفة واستبصاراً وإليه قربة والى لقاء الله اشتياقا ، فهذا هو الطريق ذات اليمين المؤدي سالكه الى الله تعالى والى نعيم جنانه

وأما الطريق الآخر ذات الشمال المؤدي إلى الشكوك والحيرة والضلالة والعمى فهو أن يبتدىء الانسان قبل النظر في العلوم والآداب والرياضيات وقبل أن يحسن أخلاقه ويهذب نفسه بالكشف عن الأمور الجزئية الخفية المشكلة على الحذاق من العلماء والفلاسفة فضلا عن غيرهم نحو معرفة ألم الأطفال وطلب معرفة مصائب الأخيار والبحث عن الأنبياء وتيسير أمور الأشرار ولم زيد الحازم فقير ؟ وعمرو العاجز غنى ؟ ولم جعفر الغبى أمير ؟ وعبد الله الحكيم حقير ؟ ولم هذا الرجل ضعيف والآخر قوي صحيح ؟ ولم هذه الدودة صغيرة وهذا الجمل كبير ؟ ولم الفيل مع كبر جثته له أربع قوائم والبق مع صغر جثته

له ست أرجل وجناحان ؟ ولماذا يصلح البق والذباب والقردان والبراغيث وأي فائدة في خلق الخنازير والوزغ ؟ وأي حكمة في خلق العقارب والحيات وماشاكل ذلك من المسائل التى لايحصى عددها إلا الله ولايعلم سواه عللها . فأما الانسان فانه لايعرف الحكمة في عللها إلا بعد النظر في العلوم الالهية ، وهو لايعرف إلا بعدالنظر والتفكر فى الأمور الطبيعية ، وهو لايعرف إلا بعد النظر فى الامور المعقولة ، وهو لايعرف الا بعد النظر والتفكر فى الأمور المحسوسة . فمن لم يكن مرتاضا بهذه العلوم والمعارف ولامتأدبا بها ولاصافى النفس ولاصالح الاخلاق فيبتدىء أولا بطلب الأمور المشكلة التى تقدم ذكرها فلايدركها ولايعقلها فيرجع عند ذلك خاسراً متفكراً متحيراً غافلا بنفسه وسواسا فى قلبه فينظر عند ذلك الى أمر العالم مهملا والكائنات باتفاق لابعناية حكيم ولاصنع صانع عليم أو نظر الى أن رب العالمين غافل عن أمر عالمه حتى يجري فيه ما لايليق بالحكمة أو يظن أنه لايعلم مايجرى فيه أو أنه لايفكر فى هذه الأمور الجزئية ولايهمه أو يظن انه قاس قليل الرحمة والنظر لضعفاء الخلق أو انه جائر في قضائه وأحكامه متعب لخلقه مفرط في تقديره غير عدل ولاحكيم في كثير من أفعاله لايرحم الضعيف وماشا كل هذه من الظنون والشكوك والحيرة والضلال الذي قد تاهت في طلب معرفته عقول كثير من العقلاء المتقدمين المرتاضين بالعلوم الحكمية فكيف غيرهم ممن ليست له رياضة ولامعرفة بحقائق الاسرار المعروفة . وقيل ان حكيم الفرس بزرجمهر لما تفكر في هذه الأمور المشكلة ولم يعرف عللها قال عند ذلك احتجاجا لنفسه اذ قد تبين له بأن الله حكيم عدل : « إن مصائب العباد إذا لعلل لايعرفها » إقراراً على نفسه بالعجز عن معرفة هذه الأمور المشكلة .

ويقال إن نبياً اجتاز مرة عيناً من الماء في سفح جبل فتوضأ منها ثم ارتقى الى جبل ليصلي فبينما هو كذلك اذ نظر الى فارس قد أقبل على تلك العين فشرب منها الماء وسقى فرسه، ثم ركب فمضى ونسى عند العين صرة فيها دراهم ، ثم جاء

من بعده راعي الغنم ورأى الكيس فأخذه ومضى ، ثم جاء بعده شيخ حطاب عليه أثر البؤس والمسكنة على ظهره حزمة من الحطب ثقيلة حملها فحط هناك حزمته واستلقى يستريح مما به من شدة الضعف والتعب والريق والانبهار : ففكر النبي وقال في نفسه : لو أن هذا الكيس مكانه لكان هذا الشيخ الضعيف أولى بأخذه من ذلك الراعي الشاب الغني القوي ! فما كان الا قليلا حتى إن الفارس قد رجع الى مكانه الذي شرب الماء منه وطلب الكيس فلم يجده فطالب الشيخ فأبى الشيخ وقال : ما عندي خبر هذا فضربه وعذبه حتى قتله ومضى الفارس

فقال عند ذلك : يارب ما وجه الحكمة في هذه القضية وأين هذا من العدل؟ فأوحى الله تعالى اليه أن أبا الشيخ قتل في الزمان الماضي أبا الفارس وكان على أبي الفارس دين لأبي الراعي بمقدار ما في الكيس فأخذت القود ورددت الدين وأنا حكيم عادل

وكذلك يحكى أن نبياً من أنبياء الله تعالى اجتاز نهراً فيه صبيان يلعبون وبينهم صبي مكفوف وهم يغوصونه في الماء ويولعون به وهو يطالبهم ولا يظفر بهم ففكر النبي في أمره ودعا ربه أن يرد بصره ويساوي بينه وبين الصبيان ، فلما رد الله بصره فتح عينيه فقرب الى واحد من اولئك الصبيان فتعلق به وغوصه في الماء ولم يفارقه حتى قتله ، وطلب آخر كذلك وهرب الباقون ، فدعا النبي حين ذلك ربه أن يكفيهم شره فأوحى الله تعالى اليه وقال : إني قد فعلت ولكن لم ترض بحكمي وتعرضت في تدبيري لخلقي فتبين للنبي أن كلما يجري في العالم من أمثال هذه الأمور فلله تعالى فيه سر وتدبير وحكمة لا يعلمها إلا هو

وقد أخبر الله تعالى في القرآن من حديث نبيين وما جرى بينهما من الخطاب في هذا المعنى أحدهما موسى عليه السلام وهو صاحب شريعة وأمر ونهي وحدود ورسوم وأحكام ، والآخر الخضر عليه السلام وهو صاحب سر وغيب وكتمان وكيف تعرض له موسى عليه السلام فيما يفعله بواجب حكمة وكيف اعتذاره اليه لما لم يستطع معه صبراً ، وانما ذكرنا هذه الحكايات في هذا الفصل لأن أكثر

الآراء والمذاهب تتشعب فى هذه الامور المشكلة التى فكر فيها العلماء وطلبوا عللها ، فلما لم تبلغ أفهامهم كيفية معرفتها تفرقت بهم الآراء والمذاهب عند ذلك إلا من عصمه الله وهدى قلبه وعرفه . كما قال : «ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء» وقالت الملائكة : «لا علم لنا الا ما علمتنا» وقوله : «ربنا وسعت كل كل شيء رحمة وعلما»

فصل

ثم اعلم أن الأمور المشكلة كثيرة لا يحصى عددها الا الله تعالى ولكن يجمعها كلها ثلاثة أنواع ، فمنها ما هي أمور جسمانية طبيعية محسوسة ، ومنها ما هي أمور روحانية معقولة ، ومنها ما هي أمور رياضية متوسطة بين الجسمانية والروحانية فأما الأمور الجسمانية فثلاثة أنواع : منها ما هي ظاهرة جلية ، ومنها ما هى لطيفة دقيقة ، ومنها ما هي بين ذلك ـ وقد ذكرنا طرفاً من هذه الامور فى رسائلنا الطبيعية وتكلمنا عليها في كل رسالة حسب ما يليق به ويقتصر غرضها

وأما الأمور الروحانية فهي تنقسم ثلاثة أنواع : فمنها ما هي قريبة من الاوهام ومنها ما هي بعيدة لا يمكن الأفكار تصورها والأوهام تخيلها ، ومنها ما بين ذلك . وقد ذكرنا طرفاً من الامور الرياضية والالهية فى رسائلنا العقليات

وهكذا حكم الامور الرياضية فانها ثلاثة أنواع : فمنها ما هي قريبة من الأوهام يكفي أدنى تأمل فيها ، ومنها ما هي بعيدة جداً تحتاج الى تأمل شديد وبحث دقيق في تصورها ، ومنها ما هي بين ذلك . وقد ذكرنا طرفاً منها في رسائلنا الرياضيات

فهذه تسعة أنواع لا يخرج عنها شيء من الامور المشكلة المختلفة فيما بين العلماء . فأما فروعها فكثيرة لا يحصى عددها الا الله تعالى

ثم اعلم أن الله تعالى خلق لكل نوع من هذه العلوم والآداب أمة من الناس وجعل فى جبلة نفوسهم محبة معرفتها ومكنهم من طلبها وتعلمها والبحث عنها والنظر فيها لتكون العلوم والاداب محفوظة عليهم لا تنقرض ، كما خلق لكل

صناعة وتجارة أمة من الناس وجعلها سبب معاشهم طول حياتهم فى دنياهم لتكون كلها محفوظة باقية لحاجة الانسان اليها فى الدين والدنيا جميعاً

ثم اعلم أن العلوم والآداب تتفاضل كما أن الصنائع والتجارات والأعمال تتفاضل ، وأن أهلها يتفاضلون فيها . وأفضل كل أهل علم هم الراسخون فى العلم العارفون بأصوله وفروعه كما أن أفضل أهل الصناعة والتجارة هم الحذاق بها الاستاذون فيها

ثم اعلم أنه ليس كل علم وأدب يليق بكل إنسان أن يتعلمه ويتعاطاه ، ولكن أولى العلوم بكل انسان أن يتعلمه ما لا يسعه جهله وواجب عليه طلبه

فانظر ياأخي أولا بعقلك وميز ببصرك واختر من العلوم والآداب ما لابد لك منه ، كما تختار من الاعمال والصنائع والتجارات مالابد لك منها

ثم اعلم أن الناس على طبقات كثيرة فى أحوالهم من الصنائع والاعمال والاخلاق والآراء والمذاهب والعلوم والمعارف لا يحصى عددها ولكن يحصرهم كلهم ثلاث طبقات : فمنهم العامة من النساء والصبيان والجهال ، ومنهم الخاصة من العلماء والحكماء البالغين فيها الراسخين ، ومنهم متوسطون بين ذلك .

ولكل طائفة من هؤلاء علم هو أولى بهم واليق : فالتى تصلح للخاصة لا تصلح للعامة والتى تصلح للعامة لا تصلح للخاصة ، ولكن الذى يصلح للخاص والعام وما بينهما من سائر الطبقات جميعاً من العلوم والمعارف والآداب هو علم الدين وآدابه وما يتعلق به من الاعمال .

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم أيدك الله أن علم الدين وآدابه وما يتعلق به نوعان : فمنها ظاهر جلى ومنها ماهو باطن خفى ، ومنها ماهو بين ذلك .

وأولى مايصلح للعامة من حكم الدين وآدابه ما كان ظاهراً جلياً مكشوفاً مثل علم الصلاة والصوم والزكاة والصدقات والقراءة والتسبيح والتهليل وعلم

العبادات ، ومثل علم الاخبار والروايات والقصص وماشا كلها تعليما وتسليما وإيمانا وأولى علوم الدين بالمتوسطين بين الخاصة والعامة هو التفقه في احكامها والبحث عن السيرة العادلة والنظر في معاني الالفاظ مثل التفسير والتنزيل والتأويل والنظر في المحكمات والمتشابهات وطلب الحجة والبرهان وأن لا يرضى من الدين تقليداً إذا كان يمكنه الاجتهاد ودقة النظر .

والذي يصلح للخواص البالغين فى الحكمة الراسخين في العلوم من علم الدين أن يطلبوه ويليق بهم أن ينظروا فيه ويبحثوا عنـه هو النظر في أسرار الدين وبواطن الامور الخفية وأسرارها المكنونة التى لا يمسها الا المطهرون من ادناس الشهوات وارجاس الكبر والرياء وهي البحث عن مرامى أصحاب النواميس في رموزهم وإشاراتهم اللطيفة المأخوذة معانيها عن الملائكة وما تأويلها وحقيقـة معانيها الموجودة في التوراة والانجيل والزبور والفرقان وصحف الانبياء عليهم السلام من الاخبار عن بدء كون العالم وخلق السموات والارض في ستة أيام، ثم استوى على العرش وخلق آدم الاول الترابى و أخـذ الميثاق عليه وعلى ذريته ، وعتاب الملائكة لربها ومراجعتها اياه في الخطاب وسجودهم لآدم عليه السـلام وعصيان أبليس واستكباره عن السجود ، وماشـجرة الخلد والملك الذي لا يبلى وما شا كل هذه الاشارات والمرامى عن أمور قد مضت مع الزمان وانقضت مع الايام ، وما ينتظر فى المستقبل كالمكث في البرزخ والبعث والقيامة والحشر والنشر والميزان والوقوف على الاعراف والجواز على الصراط ودخول الجنة وما نعيمها وكيفية لذاتها وماهية دركات النيران وعذاب أهلها وماشا كل هذه الامور المذكورة في كتب الانبياء عليهم السلام.

وأما حقائق معانيها فقـد بينا طرفا من هـذه العلوم والمعارف في رسائلنا الناموسية الالهية.

ثم أعلم أن رجال هذه الطبقات الثلاث المقدم ذكرها متفاوتو الدرجات فى علومهم ومعارفهم ، فان استوى أن تكون في أعلى المراتب وأعلى الدرجات فلا ترضى

لنفسك بالدون واجتهد في الطلب فان الذين هم فوقك قد كانوا وليست هذه مراتبهم ، ثم اجتهدوا في الطلب وبلغهم الله كما وعد فقال : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا »

فصل

ثم اعلم أن أشرف العلوم وأجل المعارف هي معرفة الله وصفاته اللائقة به وأن العلماء قد تكلموا في ماهية ذاته وأكثروا القيل والقال في حقيقته وصفاته وتاه أكثرهم في العجاج عن المنهاج ، والفلج والعلة في ذلك هو من أجل أن هذا المطلب من أبعد المرامي إشارة وهو أقرب المذاهب وجداناً كما قال تعالى ، وضرب لهذه المعاني مثلا فقال : « كسراب بقيعة يحسبه الظمأن ماء الآية .

ثم اعلم أنه لم يفت من فاته وجدانه من أجل خفاء ذاته ودقة صفاته وكتمانها ولكن من شدة ظهوره وجلالة نوره وإنما ذهب على من ذهب معرفة ذاته وحقيقة صفاته من أجل أنهم طلبوه كطلبهم سائر الاشياء الجزئية المحسوسة وبحثوا كبحثهم عن سائر الموجودات الكليات المبدعات المخترعات المصنوعات الكائنات من الجواهر والاعراض والصفات الموصوفات المحتوية عليها الاماكن والازمان والأكوان من الاشخاص والانواع والأجناس .

وذلك أن كل واحد من هذه الموجودات يطلب فيه ويبحث عنه بتسعة مباحث : وهي هل هو ؟ وماهو ؟ وكم هو ؟ وكيف هو ؟ وأي هو ؟ وأين هو ؟ ومتى هو ؟ ولم هو ؟ ومن هو ؟

ثم اعلم أن مبدع الهويات ومهي الماهيات وموجد الكميات ومكيف الكيفيات ومميز الأينيات ومرتب الانيات وعلة اللميات لا يقال له ماهو ولا يسأل عنه كيف هو ؟ وكم هو ؟ وأي هو ؟ وأين هو ؟ ومتى هو ؟ ولم كان ؟ وانما يجوز ويسوغ فيه وعنه من هذه المباحث وسؤالات اثنان حسب وهما : هل هو ؟ ومن هو ؟ كما يقال هو الذي فعل كيت وكيت ، هو الذي وضع كيت وكيت ،

ومن أجل هذا أجاب موسى عليه السلام فرعون إذ سأله مارب العالمين فلم يجبه موسى عن جواب (ما) بل أجاب عن جواب (من) الذي يليق به وبربوبيته فقال « رب السموات والارض ومابينهما » فلم يرض فرعون الجواب فقال لمن حوله من الناس المتكلمين : « ألا تستمعون ؟ » أسأله (ماهو ؟) ويجيبني (من هو ؟) وكذا سأل مشركو قريش ومجادلوهم النبي عليه السلام فقالوا نعبد أصنامنا وآلهتنا ونحن نراها ونشاهدها ونعرفها فأخبرنا عن إلهك الذي تعبده ماهو ؟! فأنزل الله تعالى قوله : « قل هو الله أحد » فقالوا : لايفهم ولايعرف! يريدون ماهية ذاته أجوهر هو أم عرض ؟ أنور هو أم ظلمة ؟ أجسم هو أم روح ؟ أداخل هو أم خارج ؟ أقائم هو أم قاعد؟ أفارغ هو أم مشغول ؟ وماشا كل هذه المباحث والمطالب التي لاتليق بربوبيته ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم أن مسئلة الخلاف للذات والصفات هي أيضاً من إحدى المسائل الخلافية بين العلماء في الآراء والمذاهب ، وذلك أن كثرة الظنون والتخيلات العارضة للأفهام إذا تفكرت النفوس فى ماهية الله وكيفية صفاته اللائقة فلاتهتدى الظنون ولاتقر الافهام عن الجولان ولاتسكن النفوس اليه ولاتطمئن القلوب له حتى يعتقد الانسان رأياً من الآراء وتسكن نفسه اليه ويطمئن قلبه به

فمن الناس من يرى ويعتقد أن الله تعالى شخص من الاشخاص الفاضلة ذو صفات كثيرة ممدوحة وأفعال كثيرة متغايرة لايشبه أحداً من خلقه ولايماثله سواه من بريته ، وهو منفرد من جميع خلقه في مكان دون مكان . وهذا رأى الجمهور من العامة وكثير من الخواص

ومنهم من يرى ويعتقد أنه فى السماء فوق رءوس الخلائق جميعاً

ومنهم من يرى أنه فوق العرش في السموات وهو مطلع على أهل السموات

والارض وينظر اليهم ويسمع كلامهم ويعلم ما في ضمائرهم لا يخفى عليه خافية من أمرهم

واعلم أن هذا الرأي والاعتقاد جيد للعامة من النساء والصبيان والجهال ومن لا يعلم شيئاً من العلوم الرياضية والطبيعية والعقلية والالهية ، لأنهم اذا اعتقدوا فيه هذا الرأى تيقنوا عند ذلك وجوده وتحققوا وعلموا وصاياه التى جاءت بها الانبياء عليهم السلام من الاوامر والنواهي وعلموا علمها وعملوا بها خوفاً ورجاء من الوعد والوعيد وتجنبوا الزور والشرور وعملوا الخير والمعروف وكان في ذلك صلاح لهم ولمن يعاملهم ويعاشرهم من الخاص والعام وليس يضر الله شيئاً مما اعتقدوه .

ومن الناس طائفة أخرى فوق هؤلاء فى العلوم والمعارف ترى بأن هذا الرأى باطل ولا ينبغى أن يعتقدوا فى الله تعالى أنه شخص يحويه مكان بل هو صورة روحانية سارية في جميع الموجودات حيث ما كان لا يحويه مكان ولا زمان ولا يناله حس ولا تغيير ولا حدثان ، وهو لا يخفى عليه من أمر خلقه ذرة في الارضين والسموات يعلمها ويراها ويشاهدها في حال وجودها وكان يعلمها قبل كونها وبعد فنائها .

ومن الناس طائفة أخرى فوق هؤلاء فى العلوم والمعارف والعقل ترى وتعتقد أنه ليس بذى صورة لان الصورة لا تقوم الا فى الهيولى بل ترى أنه نور بسيط من الانوار الروحانية « لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار »

ومن الناس ممن فوق هؤلاء فى العلوم والمعارف والنظر والمشاهد يرى ويعتقد أنه ليس بشخص ولا صورة بل هوية وحدانية ذو قوة واحدة وأفعال كثيرة وصنائع عجيبة لا يعلم أحد من خلقه ماهو ، وأين هو ، وكيف هو ، وهو الفائض منه وجود الموجودات وهو المظهر صور الكائنات في الهيولى المبدع جميع الكيفيات بلا زمان ولا مكان ، بل قال : كن فكان ، وهو موجود في كل شيء

من غير المخالطة ، ومع كل شيء من غير الممازجة ، كوجود الواحد في كل عدد . كما وصفنا في رسالة المبادىء

ثم اعلم أن الله تعالى جعل بواجب حكمته في جبلة النفوس معرفة هويته طبعاً من غير تعلم ولا اكتساب لتكون تلك المعرفة داعية لها ومؤدية إلى طلب ماهيته ومعرفة آنيته ، وليكون طلبها في هذه المعارف داعية لها ومؤدية إلى أحكام جميع العلوم والمعارف الالهية والطبيعية والرياضية والعقلية والحسية حتى إذا أحكمت هذه العلوم والمعارف عرفه عند ذلك حق معرفته وسكنت إليه واطمأنت وثبتت معه ونالت السعادة القصوى التى هى سعادة الآخرة

ثم اعلم أن السعادة نوعان : دنيوية ، وأخروية والسعادة الدنيوية هى أن يبقي كل شخص في هذا العالم أطول ما يمكن على أحسن حالاته وأكمل غاياته ، والسعادة الاخروية أن تبقي كل نفس بعد مفارقتها الجسد إلى أبد الآبدين على أتم حالاتها وأكمل غاياتها

ثم اعلم أن أحسن حالات النفوس أن تكون عالمة بالامور الالهية عارفة بالمعارف الربانية ملتذة بها مسرورة فرحانة منعمة أبد الآبدين خالدة سرمدية كما قال الله تعالى « فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون » وقال عليه السلام « فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »

فصل

ثم اعلم أن مسئلة الصفات هى أيضاً من احدى مسائل الخلاف بين العلماء ولكن من المسائل ماهى فروع مبنية على أصل : فمن ذلك قول القائلين بخلق القرآن فان هذا الحكم مبنى على أن الكلام إنما هو حروف وأصوات يحدثها المتكلم فى الهواء فعلى هذا الاصل يجب أن يكون القرآن مخلوقاً ، وأما على أصل من يرى أن الحروف والاصوات إنما هى سمات وآلات والكلام انما هو تلك المعانى التى في أفكار النفوس ، فعلى هذا الاصل يجب أن لا يكون القرآن مخلوقاً

لان الله تعالى لم يزل عالما بتلك المعاني التي هي في علمه ، وتلك المعـاني لم تزل معلومة له . ومنهم من يرى أن كلام كل متكلم فهو إفهامه غيره معنى من المعاني بأي لغة وأي عبارة وأي إشارة كانت ، فكلام الله لجبريل عليه السلام هو إفهامه تلك المعاني ، وكذلك جبريل عليه السلام لمحمد ، وكذلك محمد لأمته ، وأمته بعضهم لبعض وكلها مخلوقة

فاما افهام الله لجبريل عليه السلام فليس مخلوق لان افهام الله ابداع منه ، والابداع غير المبدع ، كما أن العلم غير العالم وغير المعلم . وكثير من هؤلاء المجادلة لا يعرفون الفرق بين المخلوق وبين المبدع ولا بين الخالق والابداع

ثم اعلم أن الخلق هو إيجاد الشيء من شيء آخر كما قال الله تعالى « خلقكم من تراب »

وأما الابداع فهو ايجاد الشيء من لاشيء ، وكلام الله هو إبداع أبدع به المبـدعات كما قال : « انما قولنا لشي إذ أردناه أي أبدعنـاه — أن نقول له كن فيكون »

والمكونات انما تتكون بقوله ، كن فكن بأى شيء يتكون ان كان مخلوقا على زعم هؤلاء المخالفين

ثم اعلم ان اختلاف العلماء في معلومات الله لم تزل أيضاً من احـدى أمهات المسائل للخلاف .

وذلك أن منهم من يرى ويعتقد أن معلومات الله لم تزل هي أشياء في القدم جواهر أو أعراض ، لان الشيء عندهم هو الذي يخبر عنه ويعلم : فقد علم الله الاشياء قبل أن أخرجها من العدم الى الوجود واخترعها . وهـذا رأي بعض القدماء وبعض متكلمي أهل هذا الزمان

ومن العلماء من يرى ان الله لم يزل عالماً بانه لاشيء سواه وكان عالماً بانه سيخلق الاشياء ويجعلها جواهر أو أعراضاً ، ويؤلفها على ماهي عليه الآن ثم فعل كما علم .

وأما مسألة المشيئة والارادة فهي أيضاً من إحدى مسائل الخلاف وأمهاتها

بين العلماء : وذلك أن منهم من يرى أن في علم الله تعالى أشياء لا يريدها هو ولا يشاؤها البتة وهى الشرور والعصيان والمنكر .

ومنهم من يرى ويعتقد بانه لا يجوز أن يكون فى علم الباري أشياء لا يريدها هو مع قدرته على تغييرها وعلمه بكونها شراً كان أو خيراً .

ومنهم من يرى أن الله تعالى لا يوصف بالارادة والمشيئة الا على سبيل المجاز وانما يوصف الباري تعالى بالعلم ، وماعلمه بأنه سيكون فلابد من كونه ، كونه هو أو كونه غيره .

وماعلم بانه لايكون فلا يكونه هو وعباده ، فالارادة لايحتاج اليها ولا معنى لها لان الارادة يوصف بها من لايدري هل يكون الشيء أم لا ، فان اختار أراد أن يكون ، وإن لم يختر فلا يريد أن يكون .

فعلى هذا الأصل كانا الطائفتين الخائضتين فى إرادة الله ومشيئته على غير تحقيق ، بل على سبيل المجاز .

وأما احتجاج من يزعم ويقول : اذا كان لايقع من العباد ما أمروا به ونهوا عنه إلا بما قد سبق العلم به أن يكون أو لا يكون فالامر والنهي والوعد والوعيد والمدح والذم لماذا ؟ وما وجه الحكمة فيها فليعلم قائل هذا القول بأن اللوم والذم ليس يلزم العبد من أجل وقوع المعلوم منه بل من أجل تركه الاجتهاد بما أمر به أو نهى عنه .

فاذا اجتهد العبد ووقع المعلوم منه فهو ممدوح مستوجب للوعد والثناء عليه واذا اجتهد العبد ولم يقع المأمور به أو وقع المنهي عنه فهو معذور يستحق العفو والغفران من اجل اجتهاده

ثم اعلم أن الله تعالى أمر أيضاً بالتوبة والندامة والاستغفار ، وهي أيضاً طاعة الله والدين . ويستحق العبد الثواب والجزاء . والتوبة والندم والاستغفار لايكون إلا بعد الذنب .

وقد روي عنه عليه السلام أنه قال : « لولا أن بني آدم إذا أذنبوا تابوا فيغفر لهم الله لخلق الله تعالى خلقاً جديداً أذنبوا وتابوا فيغفر لهم »

ثم اعلم أن الله تعالى انما يمن ويتفضل على عبيده بالعفو والمغفرة إذا أذنبوا كما من عليهم بالعصمة والتوفيق واللطف في الطاعة كما قال تعالى : « قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله » تعالى وقال : انه لاييأس من روح الله (١) » وقال : « ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ».

ثم اعلم أن من أفقه الفقهاء وأحكم الحكماء من كان يحسن أن يعظ الناس ويدعوهم الى الله ويهديهم اليه ويزهدهم في الدنيا ويرغبهم في الآخرة ويخوفهم سخط الله فلا يؤيسهم من روحه ويحذرهم الله ولايقنطهم من رحمة الله ويحسن أن يصف لهم فضل الله واحسانه ورحمته ولا يرخص لهم معصيته ولاترك طاعته لان ذلك يكون استجراء على الله لااتكالا على رحمته ، بل يقيمهم بين الرجاء والخوف وبين الرغبة والرهبة الى يوم يلقونه فيفعل بهم مايشاء ويحكم فيهم مايريد لاراد لحكمه ولامعقب لقضائه، فعال لما يريد.

واعلم ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه أن من الآراء والمذاهب والاعتقادات ماهي مؤلمة لنفوس معتقديها معذبة لقلوبهم وهي الآراء الفاسدة والاعتقادات الرديئة ، ومنها ماهي ملذة لنفوس معتقديها مفرحة لقلوبهم وهي الآراء الصالحة والاعتقادات الجيدة

ثم اعلم أن الآراء الفاسدة كثيرة لايحصى عددها — ولكن نذكر منها طرفاً ليعرف القياس بها ويحذر منها ومن أمثالها .

فمن ذلك رأى من رأى واعتقد أن العالم قديم لا صانع ولا مدبر له وأن هذا الرأي مؤلم لنفوس معتقديه معذب لقلوبهم ، وذلك انه لايخلو من أن يكون صاحب هذا الرأي سعيد أهل الدنيا أو من أشقيائهم، فان كان من سعدائهم فانه

(١) تتمة الآية : الا القوم الكافرون

لايدري من أين له هذا وما هو فيه ولا يدرى من أعطاه ذلك ليشكر له ويطلب منه المزيد ويرجو منه خيراً مما أعطى اما من الدنيا واما في الآخرة ؛

وقد علم يقينا أن الذى هو فيه من النعمة ورغد العيش لايدوم له وانه مفارقه على رغمه مع شدة محبته للبقاء فيما هو فيه من النعمة ورغد العيش ومع شدة شهواته لدوام تلك النعمة عليه ، كلما ذكر الموت والفناء تغص عليه شهواته ويمر الموت عليه لذاته فيعيش طول عمره خائفاً من الموت وجلا من الفناء مشفقاً من الهلاك ، ثم يموت على رغم وحسرة وندامة لايرجو بعد الموت خيراً ، ولا يؤمل بعد الفراق معاداً ولا ثواب عمل ولا جزاء احسان

فهذه حاله فى الدنيا فأما فى الآخرة فالحسرة والندامة والويل الطويل والخسران المبين وتمنى الرجعة وقد حيل بينه وبين مايشتهي .

وان كان من أشقيائها فهو أسوأ حالا وأمر عيشاً وأشر سيرة من غيره ، وذلك أنه يفنى عمره كله بجهل وعناء وتعب وشقاء فى طلب مالم يقدر له وهو لايدري أن طلبه لايزيد فى رزقه شيئا أولا يدرى أن الذى أعطاه ماأعطاه ومنعه مامنعه من هو ! فيطلب منه فيسأله ويرجوه ويؤمل منه خيراً عوضاً عما فاته فى وقت آخر ! فهو بجهله بربه يعيش طول عمره مغتما حزيناً ضجراً لما رأى أنه فاته ماوجد غيره ، ثم يموت بحسرة وغصة وندامة لايرجو بعد الموت خيراً ولا بعد الفراق ثواب عمل ولا جزاء احسان « خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين »

ومن الآراء الفاسدة والاعتقادات الرديئة المؤلمة لنفوس معتقديها المعذبة لهم رأى من رأى واعتقد أن للعالم صانعين : أحدهما خير فاضل ، والآخر شرير رذل ، وهما متجاوران مختلطان أو متباينان متنازعان كل واحد مخالف للآخر فى شيء أو أشياء . طول الدهر كل واحد فى جهد وعناء وبلاء من صاحبه يريد غلبته والخلاص منه ، فمن يعتقد مثل هـذا الرأى فهو لا يدرى أين ذلك الخير الفاضل فيطلبه ويأوى اليه ويصيره فى خيره ؟ وأين ذلك الشرير فيعرفه ويهرب

من عذابه ويتخلص من شره وينجو من جوره ؟ فهو يعيش طول عمره حيران متبلبلا مؤلمة نفسه معذبا قلبه وجلا خائفا لا يدرى كيف وجه الخلاص مما هو فيه ولا كيف وجه النجاة من المنقلب .

ومن الآراء الفاسدة الرديئة المؤلمة لنفوس معتقديها رأى من يرى ويعتقد أن العالم محدث مصنوع وله صانع واحد حكيم ، ولكن لا يرى البعث والنشور والقيامة ولا الحشر والحساب ولا لقاء ربه ! فمن يعتقد هذا الشأن فهو يرجو الوصول الى الآخرة ولا يؤمل ثواب العمل ولا جزاء الاحسان ، فيكون حال من يعتقد هذا الرأى وحكم نفسه فى آلامها وعذابها وعذاب قلبه كحكم من يعتقد بان العالم قديم ولا صانع له — كما تقدم ذكره ، واليه أشار بقوله تعالى : « ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا » رداً عليهم قولهم .

ثم اعلم أن أسوأ الناس حالا ورأيا وأشرهم اعتقاداً من لا يؤمن بيوم الحساب ولا يرجو الآخرة ولا يخاف العاقبة ، وذلك أنه يفنى عمره كله فى طلب الدنيا واصلاح أمر المعاش لجر منفعة الى جسده أو دفع مضرة عنه أو نيل شهوته أو الوصول الى لذة متمنيا للخلود فى الدنيا مع علمه ويقينه أنه لا يدرك فيها ولا يبقى هو له وأنه لا بد من الموت ثم لا يرجع ولا يرجو بعد الموت ثواب عمل ولا جزاء احسان بل يموت بحسرة وندامة آيساً مما يرجوه المؤمنون قنوطا مما يؤمله العارفون من الخيرات والنعيم واللذات .

ثم اعلم أن الله تعالى ، بواجب حكمته ، جعل في طبع النفوس محبة الوجود والبقاء أبداً سرمداً وجعل فى جبلتها كراهية العدم وبغض الفناء ، ثم منعها ذلك فى الدنيا لكي تركن اليها وتسكن فيها وتطمئن بها لا لكون النفوس فى هذه الدنيا حال نقص دون التمام ، وكونها فى الآخرة حال تمام وكمال ، والبقاء على حال التمام والكمال أفضل وألذ وأشرف ، كما أن حال الأجساد فى الأرحام حال نقص من التمام ، وحالها بعد الولادة حال تمام وكمال ، لا يخفى هذا على العقلاء .

ثم اعلم أنه لا يمكن الوصول الى حال التمام والكمال فى الدنيا الا بعد تقدم

حال النقص فى الرحم والجواز عليه ، فهكذا حال النفوس فى الدنيا يشبه حال الأجساد فى الأرحام وحال النفوس بعد مفارقتها الاجساد يشبه حال الاجساد بعد مفارقتها الأرحام ، لان الموت ليس شيء سوى مفارقة النفس الجسد ، كما أن الولادة ليس شيء سوى مفارقة الجسد الرحم — كما بينا فى رسالة حكمة الموت

فصل

ثم اعلم أن العلماء إذا قالت قولا على حكومة ما فهي مقدمة لها نتيجة فقولهم إن الطبيعة لم تفعل شيئاً باطلا يعنون بهذا القول أنه ليس شيء من الأشياء الموجودة فى العالم إلا بحكمة ما عرفت أو لم تعرف ، فشهوة النفوس البقاء أبداً وكراهيتها الفناء ليست إلا بحكمة ما ، فلو لم يكن للنفوس بقاء بعد مفارقة الاجساد لكان وجود هذه الشهوة فى جبلتها وكراهية الفناء فى طباعها باطلا لأن البقاء في الدنيا أبداً ليس بموجود لشخص من الاشخاص الحيوانية البتة — فاذاً البقاء بعد الفناء .

ثم اعلم أن ذكرنا هذه الحكومة فى هذا الفصل هو من أجل أنه ليس من علم بعد معرفة الباري تعالى أشرف وأجل وأنفع للنفوس من معرفة حقيقة أمر المعاد والنشأة الآخرة ، فليس للنفوس طريق أفضل وأجود الى معرفة أمر المعاد من معرفتها ذاتها وعلمها بجوهرها وصفاتها اللائقة بها : وهو أن تعلم كل نفس بأنها جوهرة روحانية حية بذاتها علامة بالقوة فعالة بالطبع وأنها باقية بعد مفارقة الجسد إما ملتذة مسرورة فرحانة وإما مغتمة خاسرة — كما بينا فى رسائلنا وكما ذكر الله تعالى في نحو من تسع مائة آية في القرآن

فصل

وأيضاً من الآراء الفاسدة والاعتقادات المؤلمة لنفوس معتقديها رأي من يرى أن بارئه وإلهه روح القدس الذي قتلته اليهود وصلبت ناسوته وذهب لاهوته لما رأى ما نزل بناسوته من العذاب فتركه مخذولا

ثم اعلم أن هذا الرأي والاعتقاد يكسب صاحبه غيظاً على القاتل وحنقاً وعلى المقتول حزناً وغماً ثم يبقى طول عمره متألمة نفسه معذباً قلبه مشتهيا للانتقام من عدوه ثم لا يظفر بشهوته ويموت بحسرته وغصته . وهكذا أيضاحكم من يرى ويعتقد أن الامام الفاضل المنتظر الهادي مختف لا يظهر من خوف المخالفين .

واعلم أن صاحب هذا الرأي يبقى طول عمره منتظراً لخروج إمامه متمنيا لمجيئه مستعجلا لظهوره ثم يفنى عمره ويموت بحسرة وغصة لا يرى إمامه ولا يعرف شخصه من هو كما ذكر الشاعر :

ألم تراني مذ ثلاثين حجة * أروح وأغدو دائم الحسرات

ثم اعلم أن أمثال هذه الآراء الفاسدة والمذاهب والاعتقادات كثيرة لا يحصى عددها الا الله ، وانما ذكرنا منها طرفا ليعلم أنها كلها مؤلمة لنفوس معتقديها وهو جزاءها وعقوبة لاشتغالهم بغير الله وتركهم لذكر الله ، كما قال تعالى : « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » . يعني تركوا ذكر الله وتركوا طاعته واشتغلوا بذكر غيره وطاعة من سواه فتركهم معهم معذبة قلوبهم ومؤلمة نفوسهم كما ذكر الله تعالى « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين »

ثم اعلم ان هذه الآراء الفاسدة والاعتقادات الرديئة في الله تعالى وصفاته وأحكامه وآدابه نيران ملتهبة فى نفوس معتقديها وحرقات مشتعلة في قلوبهم مؤلمة لها الى وقت معلوم ومعذبة لها الى أجل معدود ، كما قال : « نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة »

ثم اعلم أنه لا يصل الى معرفة الله تعالى أحد من الناس الا بعد جوازه على الآراء الفاسدة إما في أيام صباه أو بعد ذلك ثم الله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم من نفي الشرك وينجيه منها كما وعد فقال « وان منكم الا واردها » .

واعلم أن أهل الآراء الفاسدة والاعتقادات الرديئة طائفتان : أحداهما شياطين الانس ، فشياطين الانس هم أهل الآراء الفاسدة الظاهرة التى ألفوها وأنسوا بها ، وشياطين الجن هم أهل الآراء الفاسدة الباطنة التى أسروها واستجنوا

بها واخوانهم وأتباعهم وتلامذتهم وشيعتهم الذين يقتفون آراءهم ويسلكون مناهجهم .

واعلم أنه كلما مضت طائفة منها وانقرضت وبليت أجسادهم ألحقت نفوسها بنفوس من مضى قبلها من رؤسائها ومعلميها وأستاذيهم من القرون الماضية ، ثم خلفتها أخرى على سننها ومنهاجها . وهكذا دأبهم الى يوم القيامة كما قال تعالى « حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله » يسألهم ملك الموت وأعوانه « قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس » واخسئوا بالعذاب وعلموا أنهم كانوا ظالمين

فعند ذلك قالت أخراهم لأولاهم يعنى أتباعهم وتلامذتهم المتأخرين لأولاهم يعنى لرؤسائهم المتقدمين ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار وآيات كثيرة فى حق هؤلاء، وخطاب بعضهم بعضا كيف يكون في جهنم وهي طبقات النيران ودركاتهم

ثم اعلم أن في النفوس لمعتقدي الآراء الفاسدة وعذاب قلوبهم حكمة جليلة وخصال عدة فنها أن تكون تلك الآلام والعذاب كفارة لذنوبهم وتمحيصا لسيئاتهم ، وأخرى أن تكون رياضة لنفوسهم وترقية لها من الحالات الادون الى الأتم والأكمل ، لأن الدنيا دار رياضة وبلوى ومحنة وتجربة واعتبار ، والأخرى أن يتبين لهم فضل الله ونعمته ورحمته واحسانه اذ نجاهم منها وهداهم الى صراط مستقيم ، كما فرض على أهل الدين دين الاسلام فى كل يوم وليلة سبع عشر مرة أن يقولوا : « اهدنا الصراط المستقيم » الى آخره — وكما حكي عنهم قولهم لما اهتدوا « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله »

ثم انظر وتأمل كيف نسبوا هم الهداية اليه ونسب هو الخير والثواب والجزاء الى أعمالهم

فصل

واعلم ان الله جعل فى جبلة الانسان وطبيعته ألا يأتمر أحد من العقلاء لغيره ولا يطيعه الا رغبة أو رهبة

واعلم أن المرغوب والمرهوب نوعان عاجل وحاضر ، وآجل غائب ، والعاجل الحاضر هو ما تشاهده الحواس ، والآجل الغائب هو الذي لا تشاهده الحواس ، ولكن قد تصوره الأوهام بالوصف والنعت

واعلم ان الغائب الآجل لا تقع الرغبة والرهبة اليه ومنه إلا بالوعد والوعيد الصادق من العالم القادر ، وكلما كان المرغوب أشد عند الراغب وأقرب تحقيقاً كانت الرغبة اليه أوكد وأشد ! وهكذا حكم المرهوب منه . وقد رغب الله تعالى خلقه من الجن والانس فى نعيم الجنان وجعل الوعد للمؤمنين ، ورهبهم أيضاً من عذاب النيران ، وجعل الوعيد أيضا للكافرين والاشرار وجعل ميعادهم يوم يلقونه . إما في الدنيا قبل الممات وإما فى الآخرة بعد الممات والفراق وبعث اليهم الرسل والشهداء والانبياء الصادقين وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وذكر فيه الوعد والوعيد وضمن وأقسم وحلف كما قال الله تعالى « بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين » وقال « وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات » ثم أقسم تعالى وحلف على تحقيق وعده فقال « فورب السماء والارض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون » ثم قرب فقال « وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب »

ولكن من أجل أن موعده غائب عن ادراك الحواس صار أكثر الناس له منكرين وفيه شاكين وفى ماهيته وآنيته ومتى وقته متحيرين ، كما أخبر عنهم بقوله : «هيهات هيهات لما توعدون» «لقد وعدنا نحن وآباءنا من قبل ».

وأما المؤمنون فهم مقرون بمواعيده منتظرون لها ولكن من الآراء الفاسدة والاعتقادات الرديئة ربما ترد على قلوب المقرين شكوك وحيرة وانكار ! من

ذلك من يرى ويعتقد أنه لا يجازى ولا يكافأ على احسانه وسيئاته الا في الآخرة بعد الموت ، أو يرى ويعتقد أنه لا تكون الآخرة الا بعد خراب الأرضين والسموات .

وهذا الرأى والاعتقاد يبعد عن صاحبه طريق الآخرة ويقلل رغبته فى ثواب أعماله وجزاء احسانه ويقلل رهبته وخوفه من عقوبات سيئاته — واليه أشار بقوله : « إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً » . وبقوله : « أولئك ينادون من مكان بعيد » . وهكذا رأى من يعتقد أن الجنة التى وعد المتقون ليست بموجودة ، وكذلك النار التى حذر الله عباده منها ليست بموجودة ، ومثل هذه الآراء والاعتقادات وأمثالها تشكك معتقديها فى الوعد وتقلل رغبتهم فيه ، وهكذا حكمهم في الوعيد والرهبة منه ، وهكذا أيضا رأى من يرى ويعتقد أن أولياءه وأمناءه ورسله وأهل جنته لا يرونه ولا يدرون رتبته ، وماهو أن هذا الرأى يؤيس من روح الله ، وهكذا رأى من يعتقد أن الله لا يغفر الذنوب ولا يعفو عن السيئات والخطأ ، وهذا يقنط من رحمة الله تعالى ، وهذا أيضاً وما شاكل هذه الآراء المقللة للرغبة والرهبة في نعم الجنان وعذاب النيران .

ومن الآراء الفاسدة أيضاً رأى من يعتقد الترخيص في الشبهات والاباحة فى المحظورات المحرمات فان صاحب هذا الرأى يكسبه اعتقاده جرأة على الله وتعديا لحدوده وارتكاباً لمحارمه ويكون صاحبه فى السر مخالفاً لابناء جنسه ومنافقاً مرائياً لا يصدق في معاملته ولا يفى بعهده ولا ينصح في أمانته ، وفي مثل هذه الخصال فساد الدين والدنيا جميعاً .

ومن الآراء الفاسدة أيضاً رأى من يرى ويعتقد من يعتقد أن الله الرحيم الرؤوف الحنان يعذب الكفار والعصاة في خندق في النار غيظا عليهم وحنقا ، وكلما احترقت أجسادهم وصارت فحما ورماداً عادت فيها الرطوبة والدم لتحرق مرة ثانية .

واعلم يا أخي أن هذا الرأى يسيء ظن صاحبه بربه ويعتقد فيه قلة الرحمة وشدة القساوة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ومن الآراء الفاسدة أيضاً أنه يرى بأن أهل الجنة أجسادهم لحمية وأجسامهم طبيعية مثل أجساد أبناء الدنيا قابلة للتغيير والاستحالة متعرضة للآفات . فاذا تأمل ماوصف الله تعالى في صفات أهل الجنة لا يمسهم فيها نصب ولا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وانهم خالدون وما شاكل هذه الأوصاف المذكورة في القرآن التى لاتليق بالاجساد اللحمية والاجسام الطبيعية

واعلم أنه لا يليق بالعقلاء أن يعتقدوها فضلا عن عقول الحكماء بل النساء والجهال والصبيان جيدلهم ، فان هذا الرأى يليق بأفهامهم ويصلح لهم ويقرب من عقولهم ماوعدوا به ويوعدون من نعيم الجنان ، ورهبتهم من عذاب النيران ويزيدهم خوفا من سوء أفعالهم فيتركونها ويقوى رجاؤهم لثواب أعمالهم . وعليكم بدين العجائز لائق في هذا المقام لا فى مقام آخر .

وأما من رزقه الله قليلا من التمييز والعقل والفهم ونظر في علوم الحكمة فان هذا الرأى لا يصلح له ولا يليق به لأنه اذا عرضه على عقله أنكره عليه فيقع عند ذلك في شك وحيرة وسوء ظن وتخيلات فاسدة .

ثم اعلم أن أسوأ الناس مذهبا وأشنعهم رأيا من يعتقد أمراً ويكون عقله منكرا عليه ونفسه مرتابة وظنه سيئا بربه كما قال : « ذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين » الآية .

ومن الآراء الفاسدة من يعتقد أن الله خلق خلقا ورباه وأنماه وأنشأه وسلطه وقواه على عباده متمكنا فى بلاده ، ثم ناصبه بالعداوة والبغضاء وهو إبليس وجنوده من الشياطين وهم يفعلون مايريدون على رغم منه ! وهو الجاعل لهم المشيئة والارادة والعداوة والاستطاعة وطول العمر والمهلة وسعة الرزق والنعمة .

فان صاحب هذا الرأى اذا فكر فى أمر ابليس وجنوده وما نسب اليه من

السرور وما يعتقده من مخالفتهم لله وعداوتهم ، فانه امتلأ منهم غيظاً وحقداً عليهم وناصبهم العداوة والبغضاء حتى إنه لو أمكنه قتلهم كلهم أو قدر على قطع أرزاقهم فعل من شدة غيظه عليهم ، وإذا لم يقدر على ذلك بقي طول عمره مغتاظاً مغتماً متألماً نفسه معذباً قلبه حتى إنه ربما فكر في خلق الله لهم وتربيته إياهم وسعة رزقه عليهم وتمكينه لهم فيما يفعلون وإمهاله لهم ، عاتب ربه في الضمير وخاصمه في السر ويقول : لم خلقتهم ولم ربيتهم ورزقتهم ولم مكنتهم وسلطتهم ولماذا ولم وكيف؟ وماشاكل هذه الوساوس والظنون الموبقة المؤلمة لنفوس المعترضين على الله في تدبير خلقه وانفاذ مشيئته وإجرائه المعلوم على ما كان في سابق علمه

فصل

واعلم أن ذكرنا لهذه الآراء الفاسدة والاعتقادات الرديئة المؤلمة لنفوس معتقديها لتعرف وتكون دليلا على أن هاهنا رأيا ملذاً لنفوس معتقديه مفرحا لقلوبهم مبشرا لارواحهم وهو رأي أولياء الله واعتقاد الخواص من عباد الله الصالحين ومذهب الربانيين الذين أسلموا لربهم ولم يشركوا معه غيره لا سرا ولا علانية وهم الذين صفت قلوبهم عن درن الشهوات الجسمانية وطهرت أخلاقهم من العادات الرديئة واضمحلت عن ضمائرهم الآراء الفاسدة وصانوا جوارحهم عن الاعمال السيئة وألسنتهم عن الفحشاء والمنكر وأخلصوا سرائرهم مع الله ولم يعترضوا عليه في شيء من تدبير خلقه سرا وعلانية فأصلح الله قلوبهم وزكى نفوسهم وطهر أخلاقهم فهم لا يضمرون لاحد من خلق الله سوءا ولا يرون لهم على أحد فضلا ، صالحوا الخلق سرا وجهرا كما وصفهم الله تعالى بقوله : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » الآية فهم يمشون على الارض بأجسادهم ونفوسهم متعلقة بالمحل الاعلى

ذلك أنهم لما عرفوه تركوا كل شيء سواه واشتغلوا به وبذكره ، وأحسنوا إن الله لمع المحسنين « وما على المحسنين من سبيل » وسئل النبي عليه السلام ما

هذا الاحسان فقال « أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » كيف لا يراه أولياء الله ولا يشاهده أصفياؤه وهم معتقدون متحققون بقوله : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم » الآية وبقوله «ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد» وقوله : « واصبر لحكم ربك فأنك بأعيننا » وقوله « انني معكما أسمع وأرى » وقوله « وهو معكم أينما كنتم »

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم أنه ليس من لذة النفوس ولا سرور الارواح ولا فرح القلوب ألذ وأروح من روح نور ترد اليقين في قلوب أولياء الله بما وعدهم من يوم يلقونه من نعيم الجنان وما يرجونه من نيل الثواب وجزيل العطاء من الآخرة وما يجدونه في نفوسهم من شدة الشوق الى رؤيته لشدة محبتهم اياه وكثرة ذكرهم احسانه كما قيل جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها . وقال « والذين آمنوا أشد حبا لله » . وقد وبخ الله من يحب غيره وذمهم بقوله «ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله »

ثم اعلم أن هذه اللذة التى وصفنا أن قلوب أولياء الله تجدها في دار الدنيا إنما هي ثمرة بعض سعيهم ومقدمة بعض ثواب أعمالهم عجلت لهم في الدنيا لانهم لما عرفوه حق معرفته تركوا كل شيء سواه واشتغلوا به وبذكره سراً وإعلاناً « لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله » فعند ذلك اضمحلت الآراء الفاسدة عن ضمائرهم وانحلت الاعتقادات الرديئة عن أفكار نفوسهم فوجدوا روحاً وراحة وريحاناً ولذة يقصر الوصف عنه

وإذ قد تبين في المباحث الحكمية أن بعض اللذات إنما هو خروج من الآلام فاعلم أن الله تعالى جعل هذه اللذة والسرور بشرى لأوليائه في الحياة الدنيا : فأما التى في الآخرة فهي عند الله خير وأبقى ، كما قال تعالى : « قل من حرم

زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » الآية لايشاركهم فيها غيرهم

واعلم أن علة انحلال الآراء الفاسدة واضمحلالها عن قلوب أولياء الله عند معرفتهم بربهم هو من أجل أنهم اعتقدوها في طلب معرفته ، فلما تبين لهم الحق وعرفوا الله حق معرفته انحلت واضمحل ما كان منها فاسداً أو زوراً أو بهتاناً كما حكي عن ابراهيم عليه السلام في أول مبدئه في طلب معرفة الله تعالى « فلما جن عليه الليل » الى قوله « وما أنا من المشركين » . وهكذا كان بدء معرفة الانبياء عليهم السلام بربهم في أول نظرهم وعلومهم بصفاته اللائقة من الأولين والآخرين من ذرية آدم ونوح وابراهيم وممن هداه الله واجتباه كما قال تعالى « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً » وقال « وعلمتم مالم تعلموا » وقال لنبيه عليه السلام ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان وقال له : « قل ربي زدنى علماً » وقال : «أفمن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى» الآية وقال: « هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون» الآية وقال «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » الآية وقال : «هم درجات عند ربهم » يعنى العلماء وقال : « انما يخشى الله من عباده العلماء » وآيات كثيرة في مدح العلماء وحسن الثناء عليهم وذم الجهال

ثم اعلم أن نفوس الجهال كلها موتى بالقياس الى نفوس العلماء وذلك أن قلوب العلماء مفتوحة وصدورهم منشرحة متسعة ممتلئة من نور الهدى وروح المعارف وزهرة العلوم ، وقلوب الجهال حرجة منغلقة وصدورهم من الوسواس والخيالات ضيقة مظلمة وأوهامهم هائمة وأفكارهم تائهة في ظلمات الجهالات المتراكمة ونفوسهم ممتلئة من الوساوس والخيالات كما قال الله تعالى في عدة آيات من القرآن مثل قوله : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام » الى قوله الذين لايؤمنون . ومثل قوله : « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الى آخر الآية أو

كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور »

واعلم ان حياة النفوس ويقظتها هي المعارف والعلوم كما ان حياة الاجساد ويقظتها بالحس والحركة ، وأن لكل جنس من الحيوانات ضروبا من المأكولات هي غذاء لاجسادها من نبات الارض وثمار الشجر وأوراقها تشتهيها بطباعها وتلتذ بها بنفوسها ، كل ذلك بحسب امتزاجها وتركيب اجسادها وعاداتها في تناولها .

وهكذا أيضاً حكم شهوات النفوس ولذاتها في مأكولاتها ومشروباتها واختلاف ألوانها وفنون طعومها تشتهي هذا وتلتذ هذا بما لا يلتذ به هذا ، وتشتهي وتلتذ في وقت ولا تشتهي في وقت آخر بل تكرهه وينفر طبعها منه ويتأذى .

وهكذا حكم لذاتها وشهواتها في المعارف والعلوم والصنائع والتجارات والاعمال والحرف وتصاريفهم في الامور : وذلك أن من الناس من تكون نفسه مطبوعة على محبة الصنائع والحرف في تعليمها مشتهياً لها مستلذاً بها .

ومنهم من يكون مطبوعا على محبة التجارات والبيع والشراء مشتهياً لذلك ملتذة به نفسه ، ومنهم من تكون شهواته وعشقه في جمع المال والأثاث والامتعة والادخار لها ومنهم من تكون شهوته ولذته في انفاق المال واتخاذ المنازل وانشاء العقار وبنائه وعمارته الأرض والحرث والنسل وربط الدواب وتربيتها والاستكثار منها

ومنهم من تكون شهوته ولذته في الاكل والشرب وعشق النساء والغلمان واللهو واللعب والغناء ولعب النرد والقمار والافتخار بها والمباهاة والعصبية والخصومات وما شاكل ذلك من المبارزة في الحرب والقتال والغارات والنهب والفتن والشرور والعداوة .

ومنهم من تكون محبته للصوم والصلاة والصدقات والقراءة والتسبيح والخشوع والبر والتقوى والعبادة وماشا كل هذه من أعمال الخيرات وتكون نفسه مشتهية لها ملتذة بها .

ومنهم من تكون محبته في لقاء أهل العلم واستماع كلام العلماء وطلب العلوم والأدب ومعرفة الاخبار والروايات والآثار .

ومنهم من تشتهي نفسه علم النحو والشعر والخطب والفصاحة والأقاويل والكلام وما شا كل هذه ويلتذ بها

ومنهم من يشتهي علم الحساب والهندسة والنجوم والطب والمنطق والرياضيات الحكمية وماشا كلها ويلتذ بها، ومنهم من تشتهي نفسه علم العزائم والرقى والسحر والكيمياء والحيل وماشا كلها وتلتذ بها .

ومنهم من يشتهي النظر في علوم الطبيعيات والالهيات والبحث عنها وعن حقائق الموجودات الكائنات الفاسدات والباقيات المخلدات كل ذلك على ماتوجبه أحكام النجوم في أصول مواليدهم وعاداتهم عند نشوئهم على سنن آبائهم واستاذيهم ومعلميهم ومن يصحبونه في الطلب طول أعمارهم من اخوانهم وأصدقائهم

فانظر ياأخي بعقلك وميز ببصيرتك واختر لنفسك من هذه المشتهيات مايليق بها وترضى لها به

واعلم أن من الامور ماهي جبلة مركوزة في النفس ومنها ماهو عادة جارية والفة معتادة إذا دام عليها الانسان صارت جبلة وطبيعة ثانية.

فصل

واعلم يا أخي أن حسن الخلق والسيرة العادلة هما من أخلاق الملائكة ، ولكن بعضها في جبلة النفوس مركوزة فيها وبعضها عادة جارية معتادة ، وهكذا أيضاً حكم الخلق السوء والسيرة الجائرة هما من أخلاق الشياطين بعضها جبلة مركوزة في النفس وبعضها عادة جارية وهي التي نشأ عليها الصبيان من الصغر يتربون من الصبى عليها أو يأخذها الناس ممن يصحبه ويتربى معه من الآباء والأمهات والاخوة والاخوات والجيران والمعلمين والاستاذين

واعلم أنه ربما لا يتفق للانسان هذه الأمور المحمودة من الصغر على حسب ما ينبغي ، ولكن يجب على العاقل أن يتفقد أحواله وأخلاقه وسيرته وعاداته واعتقاداته ويستبصر فيترك ما كان فاسداً رديئاً ولا يتكل على العادات الجارية ولا يحتج بالطبع المركوز بل يجتهد وينظر ويميز ويبحث فان الله تعالى ما بعث الحكماء والرسل والأنبياء إلا لاصلاح الامور الفاسدة النابتة مع الطبائع الرديئة والعادة الجارية

وقد ذكر العلماء والحكماء في كتب السياسات أنه ينبغي لكل انسان أولا أن يبتديء باصلاح أخلاق نفسه وعاداته ، فاذا عدلها واستوت فعند ذلك رام أن يصلح غيره . وقال عليه السلام : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » . وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم »

ثم اعلم أن أكثر الناس قد تركوا وصية ربهم ونصيحة نبيهم فيما أمرهم به من اصلاح ذات بينهم وما فيه نجاة نفوسهم من العذاب الأليم بما رسمه لهم من التعاون والتعاضد والتناصر والتحاب والتودد والألفة فيما بينهم ، واشتغلوا بما نهوا عنه من ذكر عيوب بعضهم بعضاً وشنعة بعضهم على بعض وصاروا فرقاً ومذاهب وشيعاً وتوقدت بينهم نيران العداوة والبغضاء الى يوم القيامة . وذلك أنهم يعيب بعضهم بعضاً بحرقة قلوبهم وألم نفوسهم وهم في العذاب مشتركون ، أولهم مع آخرهم كما ذكر تعالى : « كلما دخلت أمة لعنت أختها » التى خالفتها . وقالوا : لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار ، وقالوا : ربنا هؤلاء أضلونا ، يعنى من كان موافقاً لهم ، وقيل لهم ذوقوا عذاب النار بما كنتم تكسبون لما تركتم وصية ربكم ونصيحة نبيكم !! وقال « وماظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» فكانوا هم الظالمين بتركهم الوصية .

فصل

واعلم أن الآراء الفاسدة كثيرة وفيما حكينا كفاية للمعتبر المتفكر وأن أهلها جم غفير لا يعرفون ولا يطاقون ولا يؤمن من غوائلهم وهم جنود ابليس أجمعون،

وهم الأشرار والكفار والفساق والمنافقون وأهل البدع والضلالات ، ولكن أشرهم على أهل الدين والورع وأضرهم على العلماء وأشدهم على عداوة الحكماء هذه الطائفة الظلمة المجادلة المخاصمة الكفرة الفجرة الذين يخوضون في المعقولات وهم لا يعلمون في المحسوسات ويتعاطون البراهين والقياسات وهم لا يحسنون الرياضيات ، ويتكلمون في الالهيات وهم يجهلون في الطبيعيات ، ويتصدرون في المجالس ويتجادلون في أشياء لا تفيد في الدين علما ولا تنتج في الحكمة فائدة مثل كلامهم في التعديل والتجويز والجزء الذى لا يتجزأ وماشا كلها من المسائل المموهة المزخرفة التى لا حقيقة لها ولا وجود الا في الاوهام الكاذبة ولا يصح للمدعي فيها حجة ولا السائل عنها برهان ،وهم خائضون فيها في مجالسهم مضيعون فيها أوقاتهم بالخصومات والجدالات والمعارضات والمناقضات ، واذا سئلوا عن أشياء هي موجودة مقدرة بين الناس ومعروفة مشهورة عند الحكماء لايحسنون أن يجيبوا عليها

فاذا استعصى عليهم بالسؤال والبحث أنكروها وجحدوها ويأنفون أن يقولوا لا ندرى . أو يقولوا : الله ورسوله أعلم ، بل يخوضون فى طغيانهم وجهالاتهم ويدعون فيها المحالات وربما يضعون فى ابطالها المقالات المزخرفة ويعارضون بها الحكماء والعلماء ويشنعون بها عليهم مثل قولهم : إن علم الطب والنجوم باطل ، وان الكواكب جمادات وان الافلاك لا وجود لها ، وان علم الطب لا منفعة فيه ، وان علم الهندسة لا حقيقة له . وان علم المنطق والطبيعيات كفر وزندقة ، وان أهلها ملحدون ، ويدعون عليهم المحالات ويحكون عنهم الخرافات ويقولون هذا كلامهم ومذهبهم ورأيهم واعتقادهم ، ولعل القوم لا يقولون قليلا ولا كثيراً ولا يعتقدونها وان كان الاعتقاد لهم ورأيهم فلا يسمع منهم أحد ذلك ، ويموتون مع اعتقاداتهم واندراس مذاهبهم فلايعلم ولايحس به أحد أولئك كالانعام بل هم أضل سبيلا

وأما هؤلاء المجادلة فيظهرون بها فى أهل الجادل ويوردون تلك الاعتقادات

الفاسدة والمذاهب الرديئة بفصيح العبارات ويبينون عنها بأوضح الاحتجاجات ويكتبونها بأصح الخطوط وأجود ورق ، ينسبونها الى أقوام قد عرفوا بالعلم والحكمة وجودة الرأى وصحة التمييز على سبيل الشنعة عليهم والوقيعة بهم بسخيف الرأى ويسمونها الاحداث ويصورونها فى قلوبهم ويمكنون فى نفوسهم تلك الآراء الفاسدة والمذاهب الرديئة . ويحيرونهم ويشتتونهم فى الحقائق

فلو أن أهل تلك الآراء والمذاهب اجتهدوا بجهدهم وأنفقوا الاموال فى اظهار مذاهبهم والاحتجاج على آرائهم والايضاح عن اعتقاداتهم لما بلغوا عشر العشر مما قد بلغ هؤلاء المجادلة فى تملكها فى أكثر النفوس

ومع هذه البلية كلها يدعون أنهم بهذا الفعل ينصرون الاسلام ويقرون الدين ! والى يومنا هذا ما روى أن يهودياً تاب على يد واحد منهم ، ولا نصرانيا أسلم ولا مجوسياً آمن بآرائهم (١) متمسكين باعتقاداتهم محتفظين ، بل يزدادون باعتقادهم ومذاهبهم احتفاظا اذا نظروا الى هؤلاء المجادلة فرأوا خصوماتهم فى أحكام الدين وكثرة خلافهم ومنازعاتهم بعضهم لبعض ، وعداوة بعضهم مع بعض ، ويلعن بعضهم بعضا فاعتبروا أن مثل هؤلاء المجادلة فيما هم فيه ومن يدخل فى مذاهبهم الا كما ذكر الله تعالى « كلما دخلت أمة لعنت اختها » «وقالوا لامرحباً بهم» فهذا حكم المجادلة فيما هم فيه من الخصومات والعداوات فى الدين

ثم اعلم أنك اذا تأملت طبقات الناس وجماعاتهم في أحوالهم من الدين والمذاهب والعلوم والصنائع والتجارات والحرف لم تجد بينهم من العداوة والبغضاء والطعن واللعن عشر العشر مما تجد بين أهل هذه الطبقة المجادلة

وذلك أنك تراهم يكفر بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض ، ويرى كل واحد منهم حل أخذ مال مخالفيه ويشهد عليهم بالكفر والزندقة والخلود فى

---

(١) يلاحظ أن في السياق اضطرابا منشؤه أن الجار والمجرور في قوله (بآرائهم) متعلق بقوله (آمن) وعليه وجب أن يقال بعد هذا (بل نراهم) حتى يستقيم اعراب ما بعده على صيغة المفعول

النار أبد الآبدين ، فلا جرم قد بغضوا العلماء الى الناس وزهدوهم عن تعلم العلم والادب وطلب المعارف

وذلك أن الناس اذا نظروا اليهم وهم بهذه الاوصاف فلا هم يتعلمون ولا يتركون غيرهم يتعلم ، وما مثالهم فى ذلك الا مثل الكلب ينام فى المعلف وهو لا يأكل ولا يدع الخيل تأكل حتى يموت هو وهي ضراً وهزالا

يحكى عن الحسين بن علي عليه السلام أنه كان يقول : ياعلماء السوء جلستم على باب الجنة فلاأنتم تعملون فتستوجبون الجنة ولاتركتم غيركم يجوزكم فيدخل الجنة !! وذلك أنهم إذا نظروا اليهم وما هم فيه من هذه الأوصاف التى ذكرنا ـ فاحذرهم فانهم أعداء أهل العلم ومخالفون لأهل الورع مضادون لاخوان الصفا ، لأن أحوالهم وأخلاقهم أخلاق الشياطين ، وقوتهم قوة الدجالين : ذلقو اللسان عميان القلوب ، فصحاء الألفاظ جاهلون بالمعاني ، قد نصبوا أنفسهم للمجادلة مع العلماء ومناقضة الحكماء ومماراة السفهاء ، لاالحكمة يعرفون ولاأحكام الشريعة يتحققون ، ويحاجون بآيات كتب إلهية وهم فيها شاكون ! يتبعون المتشابهات ويتركون العلم بالمحكمات كما وصفهم الله تعالى بقوله : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب » الآية .

ثم اعلم أن الله تعالى يتلطف ويتكرم مع أوليائه ، وانظر الى حكم الله لخاصته من أوليائه وتلقينه لهم وحكاياتهم وأقاويلهم ودعائهم واقتدائهم ، فان أردت أن تكون هادياً مهدياً مؤيداً رشيداً بالدين الحنيفي والمنهاج السلفي فاعمل بأحكام الشريعة والوصايا النبوية وإشارات الحكماء واترك الخصومات والأخلاق الرديئة والأعمال السيئة والأفعال القبيحة ، واجتنب الآراء الفاسدة ، وتعلم العلم : أى علم كان حكمياً أو شرعياً رياضياً أو طبيعياً أو الهياً فانها كلها غذاء للنفس وحياة لها في الدنيا والآخرة جميعاً ولاتتبع سبيل الذين لايعلمون ، وهم الذين وصفهم الله بقوله : « ومن الناس من يجادل في الله بغير علم » الى آخر الآية

وقد عملنا فى هذه العلوم والآداب إحدى وخمسين رسالة كل واحدة منها في فن من العلوم ونوع من الآداب فاطلبها واقرأها تجدها سهلة من غير تعب وكد . وفقك الله وإيانا وجميع اخواننا الى طريق السداد وهداك وإيانا وجميع إخواننا سبيل الرشاد إنه رؤوف رحيم بالعباد والصلاة والسلام على النبى محمد وآله أجمعين

(تمت رسالة الآراء والديانات ويليهارسالة في ماهية الطريق الى الله عز وجل)

الرسالة الثانية

من العلوم الناموسية والشرعية

في ماهية الطريق الى الله عز وجل

﴿ وهي الرسالة الثالثة والاربعون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

اعلموا أيها الاخوان أيدكم الله وإيانا بروح منه أن الله تبارك وتعالى خلق الخلق وسواه ودبر الأمور وأجراها ثم استوى على العرش وعلاه ، فكان من فضل رحمته وكمال جوده وتمام إحسانه أن اختار طائفة من عباده واصطفاهم وقربهم وناجاهم وكشف لهم عن مكنون علمه وأسرار غيبه ، ثم بعثهم الى عباده ليدعوهم اليه والى جواره ويخبروهم عن مكنون أسراره لكيما ينتهوا عن نوم الجهالة ويستيقظوا من رقدة الغفلة ويحيوا حياة العلماء ويعيشوا عيش السعداء ويبلغوا الى كمال الوجود في دار الخلود ، كما ذكر في كتبه ووصف على ألسنة أنبيائه صلوات الله عليهم فقال : « خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش » ثم قال : « ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين » ثم قال : « بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب » ثم قال : « والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم » .

واعلموا أيها الاخوان أيدكم الله وايانا بروح منه أنه لايمكن الوصول الى هناك الا بخلتين : احداهما صفاء النفس ، والاخرى استقامة الطريقة . فأما صفاء

النفس فلأنها لب جوهر الانسان ، فان اسم الانسان انما هو واقع على النفس والبدن . فأما البدن فهو هذا الجسد المرئي المؤلف من اللحم والدم والعظام والعروق والعصب والجلد وماشاكله ، وهذه كلها أجسام أرضية مظلمة ثقيلة متغيرة فاسدة . وأما النفس فانها جوهرة سماوية روحانية حية نورانية خفيفة متحركة غير فاسدة علامة دراكة لصور الأشياء ، وان مثلها في ادراكها صور الموجودات من المحسوسات والمعقولات كمثل المرآة فان المرآة اذا كانت مستوية الشكل مجلوة الوجه تتراءى فيها صور الاشياء الجسمانية على حقيقتها وإذا كانت المرآة معوجة الشكل أرت صور الأشياء الجسمانية على غير حقيقتها ، وأيضاً إن كانت المرآة صدئة الوجه فانه لايتراءى فيها شيء ألبتة .

فهكذا أيضا حال النفس فانها اذا كانت عالمة ولم تتراكم عليها الجهالات ، طاهرة الجوهر لم تتدنس بالاعمال السيئة ، صافية الذات لم تتصدأ بالاخلاق الرديئة وكانت صحيحة الهمة لم تعوج بالآراء الفاسدة فانها تتراءى في ذاتها صور الاشياء الروحانية التي في عالمها فتدركها النفس بحقائقها وتشاهد الامور الغائبة عن حواسها بعقلها وصفاء جوهرها كما تشاهد الاشياء الجسمانية بحواسها اذا كانت حواسها صحيحة سليمة .

وأما اذا كانت النفس جاهلة غير صافية الجوهر ، وقد تدنست بالاعمال السيئة أو صدئت بالاخلاق الرديئة أو اعوجت بالآراء الفاسدة واستمرت على تلك الحال بقيت محجوبة عن ادراك حقائق الاشياء الروحانية وعاجزة عن الوصول الى الله تعالى ، ويفوتها نعيم الآخرة كما قال الله تعالى : « كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون »

واعلموا أيها الاخوان أيدكم الله وايانا بروح منه أن حجابها عن ربها إنما هو جهالتها بجوهرها وعالمها ومبدئها ومعادها ، وأن جهالتها إنما هي من الصدإ الذي تركب على ذاتها من سوء أعمالها وقبح أفعالها — كما قال تبارك وتعالى : « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » .

وأما اعوجاجها فهو من أجل آرائها الفاسدة وأخلاقها الرديئة كما قال الله تعالى : « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم » .

واعلموا أيها الاخوان أيدكم الله بروح منه أن النفس مادامت على هذه الصفات فانها لاتبصر ذاتها ولا يتراءى فى ذاتها تلك الاشياء الحسنة الشريفة اللذيذة الشهية التى فى عالمها — كما وصف الله فقال : « فيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون » وقال : « لاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » .

واعلموا أيها الاخوان أيدكم الله بروح منه أن النفوس ما لم تشاهد تلك الاشياء لاترغب فيها ولا تطلبها ولا تشتاق اليها وتبقى كأنها عمياء — كما قال الله تعالى : « فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

واعلموا أيها الاخوان أيدكم الله بروح منه أن النفس اذا عميت عن أمر عالمها وتوهمت أنه لاوجود لها إلا على هذه الحال التى هى عليها الآن فى دار الدنيا ، فتحرص عند ذلك على البقاء فى الدنيا وتتمنى الخلود فيها وترضى بها وتطمئن اليها وتيأس من الآخرة وتنسى أمر المعاد — كما ذكر الله تعالى : «ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها» . وقال : «يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور»

ثم أنها اذا ذكرت بوصية الله التى جاءت على ألسنة أنبيائه عليهم السلام لاتذكر شيئاً كما قال الله تعالى : «واذا ذكروا لا يذكرون» . ثم إنها تبقى فى عمياتها وجهالتها وطغيانها الى الممات مصرة مستكبرة كأن لم تسمعها . فاذا جاءت سكرة الموت التى هي مفارقة النفس الجسد وترك استعمال الجسم ، وفارقته على كره منها وبقيت عند ذلك فارغة من استعمال البدن وادراك المحسوسات ، تراجعت الى ذاتها لتنهض فلا يمكنها النهوض من ثقل أوزارها ومن أعمالها السيئة وعاداتها الرديئة كما قال الله تعالى : «يحملون أوزارهم على ظهورهم» . فعند ذلك يتبين لها أنها قد فاتتها اللذات المحسوسات التى كانت لها بتوسط البدن ولم تحصل لها اللذات

المعقولات التى فى عالمها . فعند ذلك تبين لها أنها قد خسرت الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين . وقد انقضى

الفصل الاول

في الحث على تهذيب النفس واصلاح الاخلاق

وأما الخلة الاخرى التى هي استقامة الطريق فان كل قاصد نحو مطلوب من أمور الدنيا فانه يتحرى في مقصده نحو مطلوبه أقرب الطرقات وأسهلها مسلكا لانه قد علم أنه إن لم يكن له طريق قريب فانه يبطىء فى وصوله الى مطلوبه ، وأيضاً فانه إن لم يكن الطريق سهل المسلك فربما يعوق البلوغ اليه أو يتعب في سلوكه . وان أقرب الطرقات ما كان على خط مستقيم وأسهلها مسلكا هو الذى لاعوائق فيه ، فهكذا ينبغي أيضاً للقاصدين الى الله تعالى بعد تصفية نفوسهم والراغبين في نعيم الآخرة في دار السلام ، والذين يريدون الصعود الى ملكوت السماء والدخول فى جملة الملائكة بان يتحروا فى مقاصدهم أقرب الطرقات اليه كما قال الله تعالى : «أولئك تحروا رشداً» . وقال سبحانه : «إن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به» . وقال تعالى : «قل أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم» . ونحن نريد أن نبين ما الطريق المستقيم الذى وصانا به وأمرنا باتباعه على ألسنة أنبيائه صلوات الله عليهم ، ونصف أيضا كيف ينبغي أن نسلكه حتى نصل الى ما وعدنا ربنا — كما قال الله تعالى: «انا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم» . ولكن لايمكننا بيان ذلك بالحقيقة الا بكلام موزوز وقياس صحيح ودلائل واضحة على مثل بيان الله تعالى وسنة أنبيائه صلوات الله عليهم بالوصف البليغ لسائر آيات الله فى الآفاق وفى أنفسنا حتى يتبين لهم أنه الحق — كما قال الله تعالى : «وفى الارض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون» . واذا فعلنا ذلك تفتحت أبواب العلوم المخزونة والاسرار المكنونة التى لايمسها الا المطهرون .

واعلموا أيها الاخوان أيدكم الله تعالى وأيانا بروح منه أنه لا ينبغي أن يتكلم

أحد في ذات الباري تعالى ولا في صفاته بالحزر والتخمين ، بل ينبغي له ألا يجادل فيه إلا بعد تصفية النفس ، فان ذلك يؤدى الى الشكوك والحيرة والضلال ـ كما قال الله تعالى : « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » ونحن نبتديء أولا قبل كل شيء فنبين كيف ينبغى أن نصفى النفس من الاخلاق الرديئة التى اعتدنا عليها من الصبا ، ونجعل لوصفنا ذلك فى رسائلنا الرياضية أبوابا شتى ، ونذكر فى كل باب ضروبا من الامثال لكيما يكون أوضح للبيان وأقرب للفهم وأبلغ فى الموعظة ، ثم بعد ذلك نصف فى هذه الرسائل ابوابا أخر يتبين فيها ما الطريق المستقيم الى الله عز وجل ، وكيف ينبغى ان نتبع بكلام(١) موزون ودلائل واضحة ليكون منهاجاً للقاصدين وارشادا للمريدين ، ثم نبتديء بعد هذين الجهتين بالكشف عن الامور الالهية الحية والاسرار المخزونة مما قد عرفناه بالهام الله تعالى ، أو مما قد استنبطنا من تفاسير كتب أوليائه وتنزيلات أنبيائه عليهم السلام ، ومما قد جرى على السنة الحكماء فى اشاراتهم ورموزاتهم ومن سبب بدء كون العالم بعد أن لم يكن ، ووقوع النفس وغرورها وخلق آدم الاول وسبب عصيانه ، وحديث الملائكة وسجودهم لآدم ، وقصة إبليس والجان واستكباره عن السجود ، وشجرة الخلد والملك الذي لا يبلى ، وسبب أخذ الميثاق إلى ذرية آدم وأخبار القيامة والنفخ فى الصور والبعث والنشور والحساب ، وفصل القضاء ، والجواز على الصراط ، والنجاة من النار والدخول الى الجنة ، وزيارة الرب تبارك وتعالى ، وماشا كل هذا من الاخبار المذكورة في كتب الانبياء صلوات الله عليهم وماحقائق معانيها لان في الناس أقواماً عقلاء مميزين متفلسفين اذا فكروا في هذه الاشياء وقاسوها بعقولهم لا تتصور لهم معانيها الحقيقية ، واذا حملوها على مايدل عليه ظاهر ألفاظ التنزيل لا تقبله عقولهم فيقعون عند ذلك في الشكوك والحيرة ، وإذا طالت تلك الحيرة بهم أنكروها بقلوبهم — وان كانوا لا يظهرون ذلك باللسان مخافة السيف

(١) تتبع ماتقدم ، أو تتبع بياننا وأبحاثنا او ما شئت فقدر مفعول (نتبع) ليتم الكلام

وفي الناس أقوام دونهم في العلم والتمييز يؤمنون ويعلمون أنها الحق وأقوام آخرون يأخذونها تقليداً ولا يتفكرون فيها ، وفي الناس طائفة اذا سمعوا مثل هذه المسائل نفرت نفوسهم منهـا واشمأزوا عن ذكرها وينسبون المتكلم أو السائل عنها الى الكفر والزندقة والتكلف لما لا ينبغي

فأولئك أقوام قد استغرقت نفوسهم في نوم الجهالة فينبغي للمذكر لهم أن يكون طبيبا رفيقا يحسن أن يداويهم بأرفق ما يقدر عليه من التذكار لهم بآيات الكتب الالهية وما في أيديهم من أخبار أنبيائهم ، وما في أحكام شرائعهم من الحدود والرسوم والامثلة ، فان ذلك كله اشارات للنفس بتذكيرها ما قد غفلت عنه من أمر معادها ومبدئها مثل مقادير الفروض على أعداد مخصوصة ، ومثل احكام النبيين على شرائط معلومة ، ومثل تأديتها في أوقات معروفة ، ومثل التوجه الى جهات مختلفة ، ومثل التعبد على فنون متباينة ان كان هؤلاء من أهل التوراة أو من أهل الانجيل أو من أهل القرآن ، فان تعلقهم بظاهر أحكام شرائعهم وحرصهم وعنايتهم بقراءة كتب أنبيائهم واقرارهم بصواب ما فيها من الاحكام للدين والدنيا حجة للمذكرين لهم بعد ما جهلوه من أمر عالمهم وما قد نسوه من أمر معادهم ومبدئهم وشاهد عليهم بما قد جحدوه من معاني هذه المسائل التي ذكرناها ، وان كان هؤلاء القوم المنكرون لمعاني هذه المسائل من عبدة الاوثان والاصنام والنيران والشمس والكواكب وما شاكلها فان في كتب نواميسهم وصورهيا كلهم وأحكام سننهم أمثلة أيضا لذلك واشارات اليها مثل ما في الشرائع والاديان النبوية . لكن يحتاج أن يكون المذكرون لهم عارفين بها

وان في الناس طائفة اذا سمعوا مثل هذه المسائل تطلعت همم نفوسهم الى أجوبتها ورغبت في معرفة معانيها . فاذا سمعوا الجواب عنها قبلتها بلا حجة ولا برهان . ولكن على التقليد .

أولئك قوم نفوسهم سليمة بعد لم تتعوج بالآراء الفاسدة ولم تستغرق بعد في نوم الجهالة فيحتاج المذكر الى أن يسلك بهم طريقة التعليم الى التدريج —

كما وصفنا فى الرسالتين الاولين اللتين وضعناهما للمتعلمين والمريدين ، فاذا تهذبت نفوسهم وصفت أذهانهم وقويت أفتكارهم أطلقت لهم أجوبة من هذه المسائل ببراهينها ـ كما بينا فى الرسائل الخمس التى صورناها على صورة الانسان وأوضحنا دلائلها بالمثالات التى في صورة الانسان ـ وفى الناس طائفة من أهل العلم قد نظروا في بعض العلوم وأقروا بعض كتب الحكماء أو سمعوا من المتكلمين فى مناظراتهم ومن المتفلسفين والشرعيين جميعا قد تكلموا فى مثل هذه المسائل وأجابوا عنها بجوابات مختلفة ، ولم يتفقوا على شيء واحد ولاصح لهم فيها رأى واحد ، بل وقعت بينهم فى ذلك منازعات ومناقضات !! كل ذلك لانهم لم يكن لهم أصل واحد صحيح ولا قياس واحد مستو يمكن أن يجاب به عن هذه المسائل كلها من ذلك او على ذلك القياس ولكن كانت أصولهم مختلفة وقياساتهم متفاوتة غير مستوية

واعلموا أيها الاخوان أيدكم الله وايانا بروح منه أن الجواب على أصول مختلفة والحكم بقياسات متفاوتة تكون متناقضة غير صحيحة ، ونحن قد أجبنا عن هذه المسائل كلها وأكثر منها مما يشا كلها من المسائل على أصل واحد وقياس واحد ، وهو صورة الانسان ، لان صورة الانسان أكبر حجة لله على خلقه ولانها أقربها اليهم ودلائلها أوضح وبراهينها أصح ، وهي الكتاب الذى كتبه بيده وهى الهيكل الذى بناه بحكمته ، وهى الميزان الذى وضعه بين خلقه ، وهي المكيال الذى يكيل لهم به يوم الدين ما يستحقونه من الثواب والجزاء ، وهي المجموع فيها صور العالمين جميعا ، وهي المختصر من العلوم التى في اللوح المحفوظ ، وهي الشاهد على كل جاحد ، وهي الطريق الى كل خير ، وهى الصراط الممدود بين الجنة والنار .

وينبغي لمن يدعي الرياسة في العلوم الحقيقية ويقول إنه يحسن أن يجيب عن هذه المسائل التى تقدم ذكرها أن يطلب منه الجواب على أصل واحد وقياس واحد ، فانه لايمكنه إلا أن يجعل أصله صورة الانسان من بين صور جميع

الموجودات من الافلاك والكواكب والاركان والحيوان والنبات وغير ذلك وان جعل أصله أشياء غير صورة الانسان فلا يمكنه أن يقيس بها سائر الموجودات ويجيب عن هذه المسائل الا بمثل ماقسنا عليه نحن وأجبنا عنه ، واذا فعل ذلك اتفق الجميع على رأى واحد ودين واحد ومذهب واحد وارتفع الخلاف واتضح الحق للجميع ويكون ذلك سببا لنجاة الكل .

ونحن لا نرخص لاحد بالنظر فى مثل هذه الاشياء ولا السؤال عنها الا بعد تهذيب نفسه بمثل ماقلناه ووصفناه فى هذين الكتابين — اقتداء بسنة الله تبارك وتعالى كما أخبر وقال : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر » وذلك أن موسى عليه السلام قام لياليها وصام نهارها حتى صفت نفسه فناجاه الله تعالى عند ذلك وكلمه .

ويروي عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « من أخلص العبادة لله اربعين يوما فتح الله قلبه وشرح صدره وأطلق لسانه بالحكمة ولو كان أعجمياً غلفاً » .

فمن أجل هذا وجب على الحكماء اذا أرادوا فتح باب الحكمة للمتعلمين وكشف الاسرار للمريدين أن يروضوهم أولا ويهذبوا نفوسهم بالتأديب كيما تصفوا نفوسهم وتطهر اخلاقهم لأن الحكمة كالعروس تريد لها مجلساً خالياً فانها من كنوز الآخرة ، وان الحكيم اذا لم يفعل ماهو واجب فى الحكمة من رياضة المتعلمين قبل أن يكشف لهم أسرار الحكمة فيكون مثله في ذلك كمثل حاجب ملك أذن لقوم بله بالدخول على الملك من غير تأديب ولا ترتيب ، فانه يستحق العقوبة عليه إن فعل ذلك ، فاذا هو فعل ماقد يجب من تأديبهم ثم لم يفعلوا هم ولاقبلوا منه فقد برىء الحكيم من اللوم ولزمهم الذنب لانك اذا قدمت الطعام والشراب الى الجائع فقد أشبعته ، فاذا هو لم يأكل حتى مات جوعا فهو المأخوذ بدمه « ومن قتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه »

وفقك الله أيها الاخ البار الرحيم وإيانا للرشاد وسددك وإيانا وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد انه رؤف بالعباد

﴿ تمت رسالة ماهيـة الطريق الى الله عز وجل وكيفية الوصول اليه ويليها رسالة في بيان اعتقاد اخوان الصفاء ﴾

الرسالة الثالثة

من العلوم الناموسية والشرعية

في بيان اعتقاد اخوان الصفا ومذهب الربانيين

﴿ وهي الرسالة الرابعة والاربعون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

اعلم أيها الأخ أيدك الله وإيانا بروح منه أنا قد فرغنا من بيان ماهية الطريق الى الله تعالي وكيفية الوصول إلى معرفته وهي الغاية القصوى ، فنريد الآن أن نذكر في هذه الرسالة بيان اعتقاد إخوان الصفا ومذهب الربانيين ، وبيان أن النفس تبقى بعد مفارقتها الجسد التى عبر عنها بالموت الطبيعي بطريق مقنع لابطريق البرهان فنقول :

اعلم أنه في الزمان السالف ذكروا أنه كان رجل من الحكماء رفيقاً بالطب دخل إلى مدينة من المدن فرآى عامة أهلها بهم مرض خفي لايشعرون بعلتهم ولايحسون بدائهم الذى بهم ، ففكر ذلك الحكيم في أمرهم كيف يداويهم ليبرئهم من دائهم ويشفيهم من علتهم التى استمرت بهم ، وعلم أنه إن اخبرهم بما هم فيه لايستمعون قوله ولايقبلون نصيحته ، بل ربما ناصبوه بالعداوة واستعجزوا رأيه واستنقصوا آدابه واسترذلوا علمه ، فاحتال عليهم في ذلك لشدة شفقته على أبناء جنسه ، ورحمته لهم وتحننه عليهم وحرصه على مداواتهم طلباً لمرضاة الله عز وجل بأن طلب من أهل تلك المدينة رجلا من فضلائهم الذين كان بهم ذلك المرض

فأعطاه شربة من شربات كانت معه قد أعدها لمداواتهم وسعطه بدخنة كانت معه لمعالجتهم ، فعطس ذلك الرجل من ساعته ووجد خفة في بدنه وراحة في حواسه وصحة في جسمه وقوة في نفسه

فشكر له وجزاه خيراً وقال له : هل لك من حاجة أقضيها لك مكافأة لما اصطنعت إلي من الاحسان في مداواتك لي ؟ فقال : نعم، تعينني على مداواة أخ من اخوانك ، قال : سمعاً وطاعة لك . فتوافقا على ذلك ودخلا على رجل آخر ممن رأوا أنه أقرب إلى الصلاح فخلوا به من رفقائه وداوياه بذلك الدواء فبرأ من ساعته . فلما أفاق من دائه جزاهما خيراً وبارك فيهما وقال لهما : هل لكما حاجة أقضيها لكما مكافأة لما صنعتما إلى من الاحسان والمعروف ؟ فقالا : تعيننا على مداواة أخ من إخوانك ، فقال : سمعاً وطاعة لكما . فتوافقوا على ذلك ولقوا رجلا آخر فعالجوه وداووه بمثل الاول فبرىء ، وقال لهم مثل قول الأولين وقالوا له مثل ماقال الأول

ثم تفرقوا في المدينة يداوون الناس واحداً بعد آخر في السر حتى أبرؤوا أناساً كثيراً وكثر أنصارهم واخوانهم ومعارفهم ، ثم ظهروا للناس وكاشفوهم بالمعالجة وكابروهم بالمداوات قهراً وكانوا يلقون واحداً واحداً من الناس فيأخذ منهم جماعة بيديه وجماعة برجليه ويسعطه الآخرون كرهاً ويسقونه جبراً حتى أبرؤوا أهل المدينة كلهم

فصل

واعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه أن هذا مثل الانبياء صلوات الله عليهم في بدء دعوتهم الناس من اذكارهم ماقد نسوه من أمر الآخرة والمعاد وتنبيههم من نوم الجهالة ورقدة الغفلة التي هي مرض النفوس ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في أول مبعثه ودعوته ابتدأ أولا بزوجته خديجة عليها السلام ، ثم بابن عمه علي عليه السلام ، ثم بصديقه أبي بكر ، ثم مالك ، وأبي ذر ، وصهيب ، وبلال ، وسلمان ، وجبير ، وبشار ، وغيرهم حتى التأموا

تسعة وثلاثين رجلا وامرأة ، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يعز الله عز وجل الاسلام بأحد رجلين : اما بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب ، فاستجيبت دعوته في عمر وأسلم والتأموا أربعين رجلا وأظهروا الدعوة والقصة طويلة معروف كيف كانت

وهكذا فعل موسى عليه السلام لما دخل في أول مبعثه مصر فابتدأ أولا بأخيه هارون وغيره من علماء بنى اسرائيل أولاد يعقوب حتى التأموا معه سبعون رجلا سراً ، ثم ظهروا وقصدوا دعوة فرعون — وقصته تطول — وقد بينا بعضها في رسائلنا . وكذلك فعل المسيح عليه السلام فى بيت المقدس فى أول مبعثه

واعلم يا أخي أن العلم علمان : علم الأبدان ، وعلم الأديان ، فالأنبياء عليهم السلام أطباء النفوس وأولياؤهم وخلفاؤهم ، فهذا مذهب اخواننا الكرام واليه تدعو اخواننا الباقين ، فكن أيها الأخ البار الرحيم معيناً لاخوانك ومساعداً لهم توفق ان شاء الله

واعلم أن أكثر الناس المقرين بالمعاد شاكون فيه متحيرون لايدرون حقيقته ولايعرفون طريقته ، ولكن تقليداً يروى الآخر عن الأول ، ويحكى التابع عن المتبوع . ومامثلهم في ذلك الا كجماعة عميان يضع أحدهم يده على كتف الآخر ويصيرون كقطار الجمال ويمشون ، فان لم يكن لهم قائد بصير تاهوا كلهم !! وأعيذك أيها الأخ أن تكون منهم ، بل لتكن قائداً بصيراً تهدي الضلال وطبيباً رفيقاً تبرىء الاكمه والابرص ، ولاتكن عليلا سقيما محتاجاً الى مداو . واعلم ان الاطباء اذا اجتمع رأيهم على مداواة عليل واتفقت كلمتهم على دواء واحد ـ وكانوا مستبصرين بتلك العلة وتعاونوا على علاجه مشفقين ناصحين غير متنازعين ـ أبرأ الله ذلك العليل على أيديهم في أقرب مدة وشفاه بأسهل سعي . فأما اذا اختلفوا وتنازعوا وناقض بعضهم بعضاً خذل العليل من بينهم وهلك ولايشفيه الله لهم ولاينتفعون هم بعلمهم

فكن أيها الاخ مساعداً لاخوانك وموافقاً ومناصحاً ينفع الله بك العباد ويصلح بك شأنهم ، كما وعد الله فقال : « ابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما » . وقد سمعت فى الخبر أن الحكمين يوم صفين لم يريدا إصلاحا ، بل خدع كل واحد صاحبه ومكر وأضمر الحيلة والغل فلم يوفقوا في الصلح الى طريق الرشاد فرجع أمير المؤمنين غير راض بذلك الحكم

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وايانا بروح منه أنا نحن جماعة اخوان الصفا أصفياء وأصدقاء كرام كنا نياماً فى كهف أبينا آدم مدة من الزمان تتقلب بنا تصاريف الزمان ونوائب الحدثان ، حتى جاء وقت الميعاد بعد تفرق فى البلاد فى مملكة صاحب الناموس الأكبر وشاهدنا مدينتنا الروحانية المرتفعة فى الهواء التى ذكرناها فى الرسالة الثانية ، وهي التى أخرج منها أبونا آدم وزوجته وذريتهما لما خدعهما عدوهما اللعين وهو إبليس وقال : « هل أدلكما على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟ » . واغترا بقوله وحملهما الحرص والعجلة فبادرا وطلبا ماليس لهما أن يتناولاه قبل استحقاقه فى أوانه فسقطت مرتبتهما وانحطت درجتهما وانكشفت عورتهما وأخرجاهما وذريتهما جميعاً بعضهم لبعض عدو !! وقيل لهم اهبطوا منها ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون يوم البعث إذا انتبهتم من نوم الجهالة واستيقظتم من رقدة الغفلة اذا نفخ فيكم بالصور فتنشق عنكم القبور وتخرجون من الأجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون .

فهل لك يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أن تبادر وتركب معنا فى سفينة النجاة التى بناها أبونا نوح عليه السلام فتنجو من طوفان الطبيعة قبل أن تأتى السماء بدخان مبين ، وتسلم من أمواج بحر الهيولى ولا تكون من المغرقين ؟!

أو هل لك يا أخي أن تنظر معنا حتى ترى ملكوت السموات التى رآها أبونا ابراهيم لما جن عليه الليل حتى تكون من الموقنين ؟!

أو هل لك يا أخي أن تتمم الميعاد وتجيء الى الميقات عند الجانب الأيمن حيث قيل يا موسى فيقضى اليك الامر فتكون من الشاهدين ؟

أو هل لك يا أخي أن تصنع ما عمل فيه القوم كي ينفخ فيك الروح فيذهب عنك اللوم حتى ترى الأيسوع عن ميمنة عرش الرب قد قرب مثواه كما يقرب ابن الأب أو ترى من حوله من الناظرين ؟

أو هل لك أن تخرج من ظلمة اهرمن حتى ترى اليزدان قد أشرق منه النور في فسحة أفريحون ؟

أو هل لك أن تدخل الى هيكل عاديمون حتى ترى الأفلاك التي يحيكها أفلاطون وانما هي أفلاك روحانية لا مايشير اليه المنجمون ؟ وذلك أن علم الله تعالى محيط بما يحوي العقل من المعقولات ، والعقل محيط بما تحوي النفس من الصور ، والنفس محيطة بما تحوي الطبيعة من الكائنات ، والطبيعة محيطة بما تحوي الهيولى من المصنوعات ، فاذا هي أفلاك روحانية محيطات بعضها لبعض ؟

أو هل لك أن لا ترقد من أول ليلة القدر حتى ترى المعراج في حين طلوع الفجر حيث أحمد المبعوث في مقامه المحمود فتسأل حاجتك المقضية لا ممنوعا ولا مفقوداً وتكون من المقربين ؟ وفقك الله أيها الأخ البار الرحيم وجميع اخواننا لفهم هذه الاشارات والرموز وفتح قلبك وشرح صدرك وطهر نفسك ونور عقلك لتشاهد بعين البصيرة حقائق هذه الاسرار فلا تفزع من موت الجسد اذا فارقته وفيه حياة النفس فتكون من أولياء الله الذين تمنوا الموت لا من توهم أنه منهم فقال : « يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » .

واعلم أيها الأخ أنه لا يصدقنك في المودة ولا يخلص لك النصيحة من لا يرى أنه يجازى على مودتك ويكافىء على محبتك بعد مفارقة الجسد ، فلا تغتر بمن لا يريد في معاونته لك إلا جر المنفعة لجسده أو دفع المضرة عنه .

واعلم أن كل متعاونين في طلب منفعة مما يكون فيه خوف التلف على جسد

أحدهما وسلامة الآخر ، فانه يود كل واحد منهما أن يسلم جسده وإن تلف جسم صاحبه ليفوز هو بتلك المنفعة ويكون هو المغبوط وصاحبه المغبون الهالك .

واعلم ياأخي أنه ليس هكذا رأى اخواننا ولا اعتقادهم في معاونة بعضهم بعضاً في طلب صلاح الدين والدنيا ، بل بالعكس من ذلك : وذلك أن من كرم أخلاقهم وحسن اعتقادهم ما يروى عن الرجل الحكيم الذي كان وزير الخيشوان ملك الهياطلة — على مايحكى عنه في التواريخ — أنه لما قصده فيروز ملك الفرس لقتاله بجموعه وبلغه الخبر وعلم أنه لايطيق مقاومته جمع وزراءه واستشارهم في ذلك فنهم من أشار عليه بالقتال ومنهم من أشار عليه بالهرب ، ومنهم من أشار عليه بالحيلة .

فقال واحد ممن أشار عليه بالحيلة — وكان رجلا حكيما أيها الملك عندي حيلة لطيفة إن قبلتها وعملت عليها نجوت أنت وجيشك ورعيتك وسلمت بلادك وهلك عدوك ، فقال الملك : هلم أشر علي برأيك وحكمتك ! فقال الحكيم : اخل لي المجلس ففعل ، فقال : الرأي عندي أن تجمع خزائنك وتتوجه الى موضع كذا فانه موضع حريز وتقوم أنت وجيشك وتمر الى موضع كذا وتتركني في مكاني هذا بعد أن تقطع يدي ورجلي وتسمل عيني وتظهر الغضب علي وتقول لمن حولك ولمن ببابك : قد ظهرت مني عليك خيانة وقلة نصيحة وهذا عقوبة ذلك ، ثم ترحل اذا علمت أنه قرب منك ملك الفرس وتتركني بمكاني وتنتظر الى أن تتم حيلتي . فقال الملك : تالله ما رأيت ولا ظننت أن أحداً من الناس يسمح بما سمحت به نفسك !! قال الحكيم : قد سمح قبلي بمثل ذلك الرجل الخب العاقل ، قال الملك : حدثني كيف كان حديثه ، قال الحكيم : ذكروا أنه كان قوم من الغواصين ذهبوا الى جزيرة يستخرجون اللؤلؤ فصحبهم رجل خب ليحتال عليهم فيفوز ببعض مايستخرجون ، فلما بلغوا ماأرادوا وانصرفوا راجعين لم يظفر الرجل بشيء مما أراد غير ماوهبوا له من صغار اللؤلؤ لخدمته لهم ، ثم انه خرج عليهم القطاع

فى طريقهم فلما رآهم الغواصون بلع كل واحد منهم ما كان معه من ذلك الجوهر الثمين شفقة من أخذه ولم يكن مع الخب شيء يشفق من أخذه فلم يبلع هو شيئا ، فلما أخذهم القطاع فتشوهم فلم يجدوا معهم شيئا غير صغار اللؤلؤ فقالوا لهم : أين خبأتم الكبار ؟ فقالوا لم نجد غير هذا ، فقالوا : بل بلعتموها فلنشقن أجوافكم فحبسوهم تلك الليلة وعزموا على شق أجوافهم ! فجعل الغواصون يفكرون طول الليلة : ففكر الرجل الخب فى نفسه — وكان رجلا عاقلا تخلا بهم — وقال لهم : اني أخبركم بأني ماصحبتكم الا لكذا وكذا فلم أظفر بشيء مما أردت ، وقد علمت بانه مامن أحد منكم الا وقد بلع شيئا غيري ، ولئن شق جوف واحد فوجد فيه شيء لنهلكن بأجمعنا ! وقد رأيت من الرأى أن أفديكم بنفسى فلعلكم تسلمون ، وهو أن أقول لهم ، ان كان ولا بد فشقوا جوف واحد فان وجدتم شيئا فرأيكم بالباقين ، وإن لم تجدوا شيئا فاعلموا أنا صادقون ، ولكن أمهلونا لنقترع بيننا : فمن خرجت قرعته فدونكم ماتريدون ! فان أجابوا الى ذلك احتلت أنا حتى تخرج قرعتى ، وان تلفت نفسى وسلمتم فأسألكم أن تحسنوا الى ذريتى وتواسوهم مما معكم اذا سلمتم ان شاء الله تعالى ، ففعل به ذلك فلم يوجد في جوفه شيء وسلم القوم . فأنا أيها الملك أعلم أنه ان ظفر بنا عدونا فأنا هالك لامحالة ، وأنا أرجو إن تمت حيلتى أن يسلم الملك وحاشيته ورعيته ومن معهم ويهلك عدونا وان تلف جسدي ، ومع هذا أرى أن ذلك الرجل كان أسمح مني لانه كان رجلا شابا يرجو الحياة وأنا رجل شيخ قد سئمت الحياة ، ومع هذا اعلم أن الملك اذا سلم يحسن الى ذريتى أكثر مما كان يأمل ذلك الرجل منهم ، ويكون من حسن الاحدوثة بعدى مثل مالذلك الرجل ، ومع هذا فان الذين أفديهم بنفسى أكثر عدداً من الذين فداهم هوثم ان الملك أمر فصنع به ماأشار لما قرب فيروز ملك الفرس منه ورحل وترك مكانه . فلما رآه أصحاب فيروز على تلك الحال سألوه عن خبره ومن فعل به ماهو فيه ؟! فزعم أنه كان أحد وزراء خيشوان ملك الهياطلة وأنه لما استشاره في مقاتلة فيروز أشار عليه بالصلح

وأداء الخراج فكره ذلك منه وفعل به ماترون فرفع خبره الى فيروز وأحضر وسئل فاجاب بمثل ذلك فصدقه فيروزوقال أصبت فيما أشرت عليه ! فقال ياأيها الملك فلتدركني رأفتك وتحملني معك لايفترسني السباع فاني أدلك على طريق هوأقرب من هذا الذي تسلكه وأخفى فقبل نصيحته وقال تزودوا اليومين وسلك بهم مفازة بعيدة ، فلما ساروا يومين فني الزاد فقالوا كم بقى : قال قليل سيروا سيراً عنيفاً فساروا يومهم ، فلما كان من الغد قالوا : له كم بقى ؟ قال لاأدرى انى سلكت هذا الطريق وأنا بصير والآن ترون حالى اطلبوا لأنفسكم النجاة فتفرقوا فى تلك البرية وهلك أكثرهم ونجا فيروز مع نفر يسير من خاصته ورجع الى بلاده وصالحه خيشوان ورجع الى بلاده سالما هو وحاشيته وصارت دية ذلك الشيخ من أعز من في المملكة وأغناهم وبقى حسن الاحدوثة عن الشيخ في اخوانه وأصدقائه وأبناء جنسه ! ! فهكذا رأى اخواننا الفضلاء الكرام في معاونة بعضهم بعضا لنصرة الدين وطلب المعاش اذا علموا أن في تلف أجسادهم صلاحا لاخوانهم في أمر الدين والدنيا سمحت أنفسهم بتلف أجسادهم لانهم يؤملون مثل ماأمل ذلك الشيخ الحكيم وذلك الشاب الفاضل العاقل وزيادة عليهما . وذلك أنهم يرون ويعتقدون أن من يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله ونصرة الدين وصلاح الاخوان فان نفسه — بعدمفارقة جسدها — تصعد الى ملكوت السماء وتدخل في زمرة الملائكة وتحيا بروح القدس وتسبح فى فضاء الافلاك فى فسحة السموات فرحة مسرورة منعمة ملتذة مكرمة مغتبطة ، وذلك قول الله عزوجل « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » يعنى به روح المؤمن .

وقال أيضاً « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله الى آخر الآية »

وقد علم كل عالم أن تلك الاجساد قد بليت في التراب وتمزقت وأن هذه الكرامة انما هي لتلك النفوس التى سمحت بتلف أجسادها في نصرة الدين وصلاح الاخوان ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما هاجر من مكة

الى المدينة كتب الى المؤمنين كتابا وأمرهم فيه بالهجرة اليه : فمنهم من بادر بالهجرة ومنهم من توقف يؤدي في ذلك الاسباب المانعة له إما شفقة على تضييع أولاد له صغار أو والد كبير أو أخ له أو صديق أو زوجة موافقة أو مسكن مألوف أو مال مجموع يخاف تضييعه أو تجارة يخشى كسادها ، فانزل الله تعالى هذه الآية على نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبعث بها رسول الله ﷺ « قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين » .

فلما قرأوها بادروا بالهجرة الى رسول الله ﷺ وبقي قوم ضعفاء لم يمكنهم الخروج لقلة الزاد وبعد الطريق فبقوا كالخاسرين ، وجعل المشركون من أهل مكة يتعرضون لهم بالاذية شتما وحبسا وضربا وقتلا فشكوا الى الله عز وجل ودعوه أن يكشف مابهم ، وكتبوا الى رسول الله ﷺ يخبرونه بما يلقون من أذية المشركين فانزل الله تعالى هذه الآية وأذن لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في قتال المشركين من أهل مكة ليخلص المؤمنين من أيديهم فقال : « ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا » فخرج رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الى غزو بدر لقتال المشركين من أهل مكة .

فلما التقى الجمعان وبادروا الى البراز بادر الانصار فنادى المشركون : ابعث الينا أكفاءنا يا محمد : فقال رسول الله ﷺ « قد وجبت عليكم يابني هاشم نصرة نبيكم » فقام حمزة عمه وعلي وأبو عبيدة وبارزوا واشتبكت الحرب وكانت الدائرة على المشركين ، وكان مع رسول الله ﷺ نحو سبعين رجلا من المهاجرين ولم يكن منهم رجل إلا وكان له في عسكر المشركين ابن أو أب أو أخ أو صديق أو قرابة أو عشيرة فلم يحاوبوهم وحاربوهم بالسيف ولم يشفقوا عليهم ولا على أنفسهم من

التلف لانهم قد علموا أن فى ذلك نصرة للدين وصلاحا لاخوانهم المؤمنين وطاعة لرسول الله ﷺ ورضواناً للرب عز وجل.

وهكذا يوم أحد لما أشتد الأمر وانهزم الناس وبقى ﷺ فى نفر يسير معه فقال النبى : ﷺ من ينصرني اليوم ويفديني بنفسه فله الجنة .

فقام اليه ثلاثة نفر من الانصار فقاموا في وجه كل واحد من رماة المشركين فحجزوا عنه بأجسادهم وجعلوها وقاية لسلامة رسول الله ﷺ حتى استشهدوا جميعاً لانهم قد علموا أن فى بقائه نصرة الدين وصلاحا لاخوانهم، وأن رسول الله ﷺ لم يستقدمهم مخافة من الموت ولاحرصا على الحياة فى الدنيا ولكن من أجل أن الدين بعد لم يتم والشريعة لم تكمل : فلما نزلت هذه الآية «اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى» تمنى رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم الموت ونزلت « اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا» فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله نعيت الى نفسى ، فقال يارسول الله لوسألت الله أن يبقيك في أمتك الى يوم القيامة ينتفعون بك فقال :«إنا لله وإنا اليه راجعون» أبى الله أن يجعل لاوليائه الخلود فى الدنيا ثم قال : واشوقاه الى اخوانى الأنبياء ثم مامكث الا قليلا حتى توفى ومضى إلى الله عز وجل وأكرم مثواه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعلى سائر الانبياء .

فصل

واعلم أن الانبياء وأتباعهم وخلفاءهم ومن يرى مثل رأيهم من الفلاسفة الحكماء يتهاونون بأمر الأجساد اذا تبعث الأنفس لانهم يرون أن هذه الاجساد حبس للنفوس أو حجاب لها أو صراط أو برزخ أو أعراف ، وقد فسرنا هذه المعاني فى رسائلنا ، وانما تشفق النفس على الجسد مالم تنبعث فاذا انبعثت هانت عليها مفارقة الجسد . ومما يدل على صحة ما قلنا احراق البراهمة أجسادهم وهم حكماء الهند . وأما من يفعلون ذلك من جهالتهم وشطارتهم فليس كلامنا ، وانما نريد

أن نذكر المستبصرين منهم الحكماء . وذلك أنهم يرون ويعتقدون أن هذه الاجساد لهذه النفوس الجزئية بمنزلة البيض للفرخ أو المشيمة للجنين ، وأن الطبيعة حضنتها وهي تشفق عليها مالم تستتم الخلقة أو تستكمل الصورة فاذا تمت الخلقة وكملت الصورة تهاونت ولا تبالي إن انشقت البيضة أو انخرقت المشيمة إذا سلم الفرخ أو الطفل ؛

فهكذا حال النفس مع الجسد انما تشفق على الجسد وتصونه وتحن عليه مالم تعلم بأن لها وجوداً خلواً من الجسد ، وان ذلك الوجود خير وأبقى وألذ وأحسن من هذا الوجود والبقاء الذي مع الجسد ، فاذا استتمت الأنفس الجزئية وكملت صورتها ومعارفها وانتبهت النفس من هذا النوم واستيقظت من هذه الغفلة وأحست بغربتها في هذا العالم الجسماني وأنها في أسر الطبيعة في بحر الهيولى تائهة في قعر الأجسام مبتلاة بخدمة الأجساد مغرورة بزينة المحسوسات وبان لها حقيقة ذاتها وعرفت فضيلة جوهرها ونظرت الى عالمها وشاهدت تلك الصورة الروحانية المفارقة للهيولى وأبصرت تلك الألوان والأصباغ والملاذ العقلية وعاينت تلك الأنوار والبهجة والسرور والروح والريحان ، هانت عليها مفارقة الجسد وسمحت باتلافه في رضى الله عز وجل ونصرة الدين وصلاح الاخوان ومما يدل على ذلك أن الانبياء صلوات الله عليهم يرون ويعتقدون بقاء النفوس وصلاح حالها بعد تلف الأجساد ـ ما فعل موسى وعيسى وغيرهما من الانبياء عليهم السلام .

وذلك أن موسى عليه السلام قال لاصحابه ولاخوانه : « توبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم » . يعني هذه الأجساد بالسيف لأن جوهر النفس لا يناله الحديد ، وذلك أن القوم افتتنوا بعبادة العجل في غيبة موسى الى الجبل ، فلما رجع اليهم وبان لهم انهم قد ضلوا ندموا وتابوا ، ولما عرف موسى ان الذين تنزهوا عن عبادة العجل من الذين ثبتوا على سنته بعد مبعثه والذين عبدوا العجل الذين نشأوا على سنة الجاهلية قبل مبعثه ، وعلم انهم

ان بقوا بعد موته لم يأمن أن يحدثوا فى دينه وسنته وشريعته شيئاً آخر فرأى من الصواب أن ينفيهم من محلة بنى اسرائيل وأذن الله تعالى له في ذلك لما فيه من الصلاح للجمهور والنفع للعام ، ثم قال لهم موسى : ان أردتم أن يقبل الله تعالى توبتكم فردوا المظالم واكتبوا الوصايا والبسوا الأكفان واخرجوا الى المصلى وادعوا الله لعله أن يرحمكم أو يتوب عليكم أويمضى فيكم حكمه ففعلوا ذلك طوعاً وكرها . فأما الطائع فهو الذى علم أن فى تلف جسده صلاحاً لنفسه وخيرة لها ، وأما الكاره فهو الذى جهل ذلك وعميت عليه الانباء .

ثم ان موسى أمر أولئك الذين تجنبوا عبادة العجل أن يأخذوا السيوف ويضربوا أعناق أولئك عبدة العجل ولا يرحموا منهم أحداً ولا تأخذهم فى أحد منهم رأفة فى دين الله ، ففعل القوم ماأمروا وصبروا إذ علموا أن فى ذلك حياة لنفوسهم وماكان منهم من أحد الا كان له فى أولئك القتلى أخ أو ابن أو قرابة أو صديق ، فلم يمنعهم ذلك عن قتلهم اذ علموا بأن فى تلف أجسادهم صلاحاً لنفوسهم ونصرة للدين وصلاحا لاخوانهم الباقين وطاعة لموسى ورضى للرب .

وكذلك رضيت نفوس تلك السحرة بتلف أجسادهم قتلا أو صلباً اذ قال لهم فرعون « آمنتم له قبل أن آذن لكم » « قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ماأنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا . إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر » فصلبهم كلهم ، ولم يهابوه وسمحت نفوسهم بتلف أجسادهم لما علمت أن ذلك حياة لها وفوزاً ونجاة ونصرة للدين وصلاح الاخوان وطاعة لموسى ورضا للرب .

ثم إن موسى بعد قتل عبدة العجل أراد أن يمر الى الجبل لمناجاة ربه فقال له هارون : احملنى معك فانى لست آمن أن يحدث بنو إسرائيل بعدك حدثاً آخر فتغضب علي مرة أخرى فحمله معه . فلما كانا فى بعض الطريق إذ هما برجلين يحفران قبراً فوقفا عليهما وقالا : لمن تحفران هذا القبر ؟ قالا لأشبه الناس بهذا الرجل وأشارا الى هارون ، ثم قالا له بحق إلهك إلا نزلت وأبصرت هل هو

واسع ؟ فنزع هارون ثيابه ودفعها الى موسى ونزل ونام فيه وقبض ملك الموت روحه من ساعته وانضم القبر وانصرف موسى باكيا حزيناً على مفارقته ، ورجع الى بني اسرائيل ومعه ثياب هارون فاتهموه وقالوا : حسدته فقتلته فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها . وبقي موسى بعد وفاة هارون قليلا حتى كتب لهم التوراة ووصاهم بما احتاجوا اليه وسلم الى يوشع وودعه وصعد الى الجبل والناس يبكون حتى غاب عن أعينهم وسلم نفسه الى ربه .

ثم توفى ومضيا الى ربهما فأكرم مثواهما صلوات الله عليهما . وبقي بنو اسرائيل بعد وفاة موسى أربعين سنة تائهين عن الهدى حتى بعث فيهم يوشع ابن نون ولد نون ولد يوسف النبي عليه السلام وهو أحد الرجلين الذين أنعم الله عليهما حين قال موسى لبني اسرائيل : ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم .

فصل

ومما يدل على أن الانبياء عليهم السلام يرمزون ويعتقدون بقاء النفس وصلاحها بعد مفارقة الجسد ، فعل المسيح عليه السلام بناسوته ووصيته للحواريين بمثل ذلك : وذلك أن المسيح لما بعث في بني اسرائيل فرآهم منتحلين دين موسى مستمسكين بظاهر شريعته يقرأون التوراة وكتب الانبياء غير قائمين بواجبها ولا عارفين حقائقها فلا يعرفون أسرارها بل يستعملونها على العبادة ويجرونها على التقليد ولا يعرفون الآخرة ولا يرغبون فيها ولا يفهمون أمر المعاد ولا يدرون مافيها غير الدنيا وغرورها وأمانيها، ولا يدرون مما يستعملون من أمر الشريعة وسنة الدين إلا طلب الدنيا ، وليس غرض الانبياء في دعوتهم الامم ووضع الشرائع والسنن واصلاح الدنيا فحسب ، بل غرضهم من ذلك كله نجاة النفوس الغريقة من بحر الهيولى والعتق لها من أسر الطبيعة وإخراجها من ظلمات الاجسام الى أنوار عالم الارواح والتنبيه لها من نوم الجهالة والتيقظ لها من رقدة الغفلة وتخليصها من ألم نيران الشهوات الجسمانية المحرقة للافئدة والتبصير لها من الغرور باللذات

الجرمانية المهولة ، وشفاءها من الامراض النفسانية ومن عذاب الحر والبرد والجوع والعطش ، وألم الامراض والاسقام وخوف الفقر والتلف والاحزان والأسف واحداث الزمان وغيظ الاعداء والغم على الاصدقاء وحرقة الاشفاق على الاحباء والاقرباء ومعاداة الاضداد ومكايدة الاقران وحسد الجيران ووساوس الشيطان ونوائب الحدثان حالا بعد حال.

فلما رآهم المسيح على تلك الحالة لافرق بينهم وبين من لايقر بالمعاد ولايعرف الدين والنبوة ، ولا الكتاب ولا السنة ، ولا المنهاج ولا الشريعة ، ولا الزهد في الدنيا ولا الرغبة في الآخرة ، غمه ذلك منهم ورق لهم وتحنن على أبناء جنسه وتفكر في أمرهم كيف يداويهم من دائهم الذى استقر بهم وعلم أنه ان وبخهم بالتعنيف والوعيد والزجر والتهديد لاينفعهم ذلك ، لان هذه كلها موجودة في التوراة وما في أيديهم من كتب الانبياء عليهم السلام ، فرأى أن يظهر لهم بزى الطبيب المداوى ! وجعل يطوف في محال بنى اسرائيل يلقى واحداً يعظه ويذكره ويضرب له الامثال وينبهه من الجهالة ويزهده في الدنيا ويرغبه في الآخرة ونعيمها حتى مر بقوم من القصارين خارج المدينة فوقف عليهم فقال لهم : أرأيتم هذه الثياب اذا غسلتموها ونظفتموها وبيضتموها هل تجوزون أن يلبسها أصحابها وأجسادهم ملوثة بالدم والبول والغائط ولون القاذورات قالوا لا ! ومن فعل ذلك كان سفيها . قال : فعلتموها أنتم ! قالوا كيف قال : لأنكم نظفتم أجسادكم وبيضتم ثيابكم ولبستموها ونفوسكم ملوثة بالجيف مملوءة قاذورات من الجهالة والعماء والبكم وسوء الاخلاق والحسد والبغضاء والمكر والغش والحرص والبخل والقبيح وسوء الظن وطلب الشهوات الرديئة وأنتم في ذل العبودية أشقياء لاراحة لكم الا الموت والقبر ! فقالوا : كيف نعمل ؟ هل لنا بد من طلب المعاش ؟ قال : فهل لكم أن ترغبوا في ملكوت السماء حيث لاموت ولاهرم ولا وجع ولا سقم ولاجوع ولاعطش ولاخوف ولاحزن ولا فقر ولاحاجة ولاتعب ولاعناء ولاغم ولاحسد بين أهلها ولا بغض ولا تفاخر ولا خيلاء ، بل اخوان على سرر متقابلين فرحين

مسرورين ، في روح وريحان ، ونعمة ورضوان وبهجة ونزهة ، يسيحون في فضاء الافلاك وسعة السموات ويشاهدون ملكوت رب العالمين ويرون الملائكة حول عرشه صافين يسبحون بحمد ربهم بنغمات وألحان لم يسمع بمثلها إنس ولا جان وتكونون أنتم معهم خالدون لاتهرمون ولاتموتون ولاتجوعون ولا تعطشون ولاتمرضون ولاتخافون ولاتحزنون ؟ وأكثر النصح فيهم وعمل كلامه في نفوسهم وأراد الله عزوجل بهم خيراً فأسمعهم وهداهم وشرح صدورهم وفتح قلوبهم ونور أبصارهم فشاهدوا ماوصف المسيح عليه السلام مما يشاهده هو بعين البصيرة ونور اليقين وصدق الايمان ، فرغبوا فيها وزهدوا فى الدنيا وغرورها وأمانيها وخرجوا مما كانوا فيه من عبودية طلب شهوات الدنيا ولبسوا المرقعات وساحوا مع المسيح حيث سر من البلاد .

وكان من سنة المسيح التنقل كل يوم من قرية الى قرية من قرى فلسطين ، ومن مدينة الى مدينة من ديار بنى اسرائيل يداوي الناس ويعظهم ويذكرهم ويدعوهم الى ملكوت السماء ويرغبهم فيها ويزهدهم فى الدنيا ويبين لهم غرورها وأمانيها — وهو مطلوب من ملك بنى اسرائيل وغوغائهم — وبينا هو فى محفل من الناس هجم عليه ليؤخذ فتجنب من بين الناس فلايقدر عليه ولايعرف له خبر حتى يسمع بخبره من قرية أخرى فيطلب هناك ! وذلك دأبه ودأبهم ثلاثين شهراً . فلما أراد الله تعالى أن يتوفاه ويرفعه اليه اجتمع معه حواريوه في بيت المقدس فى غرفة واحدة مع أصحابه وقال : إني ذاهب الى أبى وأبيكم وأنا أوصيكم بوصية قبل مفارقة لاهوتى وآخذ عليكم عهداً وميثاقا فمن قبل وصيتى وأوفي بعهدي كان معى غداً ، ومن لم يقبل وصيتى فلست منه فى شيء ولاهومنى في شيء ! فقالوا له : ماهى ؟ قال : اذهبوا الى ملوك الأطراف وبلغوهم منى ماالقيت اليكم وأدعوهم إلى مادعوتكم اليه ولا تخافوهم ولاتهابوهم فانى اذا فارقت ناسوتى فاني واقف في الهواء عن يمنة عرش أبى وأبيكم ، وأنا معكم حيث ماذهبتم ومؤيدكم بالنصر والتأييد باذن أبى ! اذهبوا اليهم وادعوهم بالرفق

وداووهم وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر مالم تقتلوا أو تصلبوا أو تنفوا من الارض ، فقالوا : ماتصديق ماتأمرنا ؟ قال أنا أول من يفعل ذلك .

وخرج من الغد وظهر للناس وجعل يدعوهم ويعظهم حتى أخذ وحمل الى ملك بنى اسرائيل فأمر بصلبه فصلب ناسوته وسمرت يداه على خشبتى الصليب وبقى مصلوبا من ضحوة النهار الى العصر ، وطلب الماء فسقى الخل وطعن بالحربة ثم دفن مكان الخشبة ووكل بالقبر أربعون نفرا ، وهذا كله بحضرة أصحابه وحواريه ، فلما رأوا ذلك منه أيقنوا وعلموا أنه لم يأمرهم بشيء يخالفهم فيه ، ثم اجتمعوا بعد ذلك بثلاثة أيام فى الموضع الذى وعدهم أنه يتراأى لهم فيه فرأوا تلك العلامة التى كانت بينه وبينهم ، وفشا الخبر فى بنى اسرائيل أن المسيح لم يقتل فنبش القبر فلم يوجد الناسوت !! فاختلف الاحزاب من بينهم وكثر القيل والقال — وقصته تطول — ثم ان أولئك الحواريين الذين قبلوا وصيته تفرقوا في البلاد وذهب كل واحد منهم حيث وجه : فواحد ذهب الي بلاد المغرب ، وآخر الى بلاد الحبشة واثنان الى بلاد رومية ، واثنان الى ملك انطاكية ، وواحد الى بلاد الفرس ، وواحد الى بلاد الهند ، واثناز قاما فى دير بنى اسرائيل يدعون الى رأي المسيح حتى قتل أكثرهم وظهرت دعوة المسيح في شرق الارض وغربها بافعال الحواريين بعدهم . فتهاونهم بأمر أجسادهم يدل على أنهم كانوا يرون ويعتقدون بقاء النفس وصلاح حالها بعد تلف الأجساد . ومن ذلك أفعال الرهبان والذين هم خيار أصحابه وأتباعه ، أن أحدهم يحبس جسده فى صومعته سنين كثيرة ويمتنع عن الطعام والشراب والملذات واللباس الناعم وملاذ الدنيا وشهواتها ، كل ذلك لشدة يقينهم ببقاء النفس وصلاح حالها بعد تلف الاجساد

فصل

ومما يدل على أن ابراهيم خليل الرحمن كان يرى هذا الرأى قوله « ربى الذى خلقنى فهو يهدينى والذى هو يطعمنى ويسقينى واذا مرضت فهو يشفينى والذى

يميتني ثم يحييني والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين · رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين » .

وهكذا قول يوسف الصديق : « رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين » .

أترى أنهما أرادا اللحوق بالصالحين بجسديهما أو نفسيهما ؟ وهل ألحق جسداهما الا بتراب الارض التي منها خلقا وانما أرادا نفسيهما الزكيتين الشريفتين الروحانيتين والسماويتين النورانيتين لا جسديهما المؤلفين من اللحم والدم والعظم والعروق والعصب وماشا كلها من الأخلاط الأربعة

فصل

ومما يدل على أن أهل بيت نبينا عليهم السلام كانوا يرون هذا الرأي تسليمهم أجسادهم الى القتل يوم كربلا ولم يرضوا أن ينزلوا على حكم يزيد وزياد ، وصبروا على العطش والطعن والضرب حتى فارقت نفوسهم أجسادهم ورفعت الى ملكوت السماء ولقوا آباءهم الطاهرين محمداً وعلياً والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم في ساعة العسرة الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ولو لم يكن القوم مستيقنين ببقاء نفوسهم بعد مفارقة أجسادهم لما تعجلوا اهلاك أجسادهم وتسليمها الى القتل والضرب والطعن وفراق لذيذ عيش الدنيا ، ولكن القوم قد علموا وتيقنوا ما دعوا اليه من الحياة في الآخرة والنعيم والخلود فيها والفوز والنجاة من غرور الدنيا وبلائها فبادر القوم الى ما تصوروا وتحققوا وتسارعوا في الخيرات ، وكانوا يدعون ربهم رغباً ورهباً وكانوا من خشيته مشفقين .

فهل لك يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أن تقتدي بهم وتستن بسنتهم وتسلك مسلكهم وتقصد مقصدهم وتبادر قبل الفوات في فكاك نفسك من أسر الطبيعة وتنجيها من بحر الهيولى وتخرجها من قعر الاجسام وظلمة الاجساد ونيران

الشهوات المحرقة والغرور باللذات الجرمانية فى جوار الشيطان ، وتعمل كما يعمل الناس النجباء بأن تصحب اخواناً لك نصحاء وأصدقاء كرماء محبين لك وادين مواظبين على نجاتك ونجاة نفوسهم ، وأن ترغب فى صحبتهم وتسمع أقاويلهم وتفهم كلامهم بحضورك فى مجالسهم وتنظر فى كتبهم لتعرف اعتقادهم وتتخلق بأخلاقهم وتتعلم علومهم وتسير بسيرتهم العادلة وتعمل بسنتهم الزكية وتتفقه في شريعتهم العقلية لتحيا كحياتهم الملكية وتعيش عيش السعداء مخلدا أبدا وتتجنب صحبة اخوان الشياطين الذين لا يريدونك الا لصلاح أمور دنياهم وحياة أجسادهم ودفع المضرة عنها وهم يهلكون نفوسهم وهم لا يشعرون

فصل

ومما يدل على ان الفلاسفة الحكماء المتألهين كان يرون هذا الرأي ويعتقدونه تسليم سقراط جسده للتلف وتناوله شربة السم اختياراً منه :

وذلك ان هذا الرجل كان حكيما من حكماء بلاد يونان وفلاسفتها ، وكان قد أظهر الزهد فى الدنيا ونعيمها ولذاتها ورغب فى سرور عالم الأرواح وروحها وريحانها ودعا الناس اليها ورغبهم فيها وزهدهم فى المقام في عالم الكون والفساد فاجابه الى ذلك جماعة من أولاد الملوك وكبار الناس واجتمع حوله الاحداث وأولاد النعم يسمعون حكمته وغرائب نوادر كلامه ، فحسده جماعة من مخالفيه ومن يريد الدنيا وزينتها واتهموه بمحبة الصبيان وقالوا انه يتهاون بعبادة الاصنام ويأمرهم به ! وسعوا به الى الملك وشهد عليه بالزور أحد عشر رجلا بانه واجب قتله ، فحبس أشهراً يرون فى قتله.

فاجتمع عنده فى الحبس نحو من سبعين فيلسوفا مخالفاً وموافقاً يناظرون في رأيه ومايعتقدونه في أمر النفس وبقائها بعد مفارقة الجسد وصلاح حالها فحاجهم كلهم وصحح رأيه فى بقاء النفس وصلاح حالها بعد فراق الجسد — ولهذا قصة يطول شرحها فى كتاب — ثم قيل له ان كنت مظلوما فهل لك أن تخلص من القتل بفدية من مال أو بهرب ؟

فقال : أخاف أن يقول لى الناموس غداً لم فررت من حكمي ياسقراط! فقالوا له تقول لانى كنت مظلوما ، فقال أرأيتم ان قال لى الناموس أرأيت أن ظلمك بالقضاة والعدول الاحد عشر الذين شهدوا عليك بالزور فكان من الواجب أن تظلمنى أنت وتفر من حكمي !! فما أقول ؟ فحاجهم بهذا .

وذلك أن القوم كان في حكم شريعتهم إذا شهد العدول على واحد من الناس بحكم ما ، كان واجباً عليه أن ينقاد وان كان مظلوما فمن لم ينقد كان ظالماً لحكم الناموس : يعنى الشريعة.

وانقاد سقراط للقتل من أجل هذا ، ثم قال : من تهاون بالناموس قتله الناموس ! ولما تناول شربة السم ليشربها بكى من حوله من الحكماء والفلاسفة حزناً عليه ، فقال لهم : لاتبكوا فانى وان كنت مفارقا لكم إخوانا حكماء فضلاء فانى أذهب الى اخوان لنا حكماء فضلاء كرماء ، وقد تقدمنا فلان وفلان ـ وعد جماعة من الفلاسفة الحكماء الذين كانوا قد ماتوا قبله ـ فقالوا : إنما نبكى على أنفسنا حين نفقد أباً حكيما مثلك

﴿ فصل ﴾

ومما يدل على أن افلاطون حكيم اليونانيين كان يرى هذا الرأي ويعتقده ، يعنى بقاء النفوس وصلاح حالها بعد مفارقة الجسد ، قوله فى بعض حكمته : لولم يكن لنا معاد نرجو فيه الخير لكانت الدنيا فرصة الاشرار.

وقال أيضا : نحن ههنا غرباء في أسر الطبيعة وجوار الشياطين ،أخرجنا من عالمنا بجناية كانت من أبينا آدم ! وكلام نحو هذا :

ومما يدل على أن ارسطاطاليس صاحب المنطق يرى هذا الرأي ويعتقده كلامه في الرسالة المعروفة بالتفاحة وماتكلم به حين حضرته الوفاة وما احتج به من فضل الفلسفة ، لان الفيلسوف يجازى بفلسفته بعد مفارقة النفس الجسد.

ومما يدل على أن فيثاغورث صاحب العدد ، وهو من الفضلاء الحكماء، كان يرى هذا الرأى ويعتقده كلامه في الرسالة الذهبية ووصيته لديوجانس وقوله في

آخرها : فانك عند ذلك اذا فارقت هذا البدن حتى تصير بخلى فى الجو تكون حينئذ سائحا سالما ساكنا غير عائد الى الانسية ولا قابلا للموت

فصل

وانما استشهدنا على هذا الرأي باقاويل الفلاسفة ووصاياهم ،وأفعال الانبياء وسنن شرائعهم لان في الناموس أقواما متفلسفين لايعرفون من الفلسفة إلا اسمها وأقواما من الشرعيين لايعرفون من اسرار الشريعة إلا رسومها يتصدرون ويتكلمون فيها بمالايحسنون ويتناظرون فيما لايدرون فيناقضون تارة الفلسفة بالشريعة ، وتارة الشريعة بالفلسفة ،فيقعون في الحيرة والشكوك فيضلون ويضلون

ومما يدل على بقاء النفوس بعد مفارقتها أجسادها أن كل عاقل يتفكر في بكاء الناس وأحزانهم على موتاهم وقت مفارقة نفوسهم أجسادها ، فلو كان بكاؤهم على أجسامهم فالهم والبكاء والاجساد بحضرتهم برمتها وهم يشاهدونها لم ينقص منها شيء ، ولو أرادوا أن يحفظوها بأدوية تطلى عليها لاتتغير زمانا طويلا كان يمكنهم ذلك ، بل يستوحشون منها ويدفنونها كراهة لمنظرها وعاراً من فضيحتها إذا فارقتها نفوسها وإن كان بكاؤهم انما هو حزن على فقدان ما كان يظهر من تلك الاجساد من الحركات والافعال والحكم والفضائل فما لهم لايبكون على فقدانها في وقت منامهم فانها كلها تعدم الا النبض والتنفس !!

ألا ترى يا أخي أن هذه الألفة والأنس والمحبة والتودد ، إنما هي لتلك النفوس الشريفة والجواهر النفيسة فان هذا البكاء والأحزان والتأسف والاستيحاش على فقدان تلك النفوس التي كانت تظهر من أجسادها تلك الحركات والكلام والافعال والفضائل والصنائع والحكم

ومما يدل على بقاء النفس وصلاح حالها بعد مفارقتها أجسادها ذهاب الناس الى قبور الصالحين والاولياء والأخيار لطلب الغفران واستجابة الدعاء والتوسل بهم الى الله عز وجل ومايرجون من شفاعتهم عند ربهم ومايطلبون أيضا من قضاء حوائجهم من أمور الدنيا بالدعاء عند قبورهم ، أفترى أن أهل الديانات كلها

اتفقوا على شيء لاحقيقة له ؟ كلا ! بل هذا علم غامض وأسرار خفية لايعقلها إلا العالمون - كما ذكرهم الله عز وجل ومدحهم بما علموا مما خفي على غيرهم حيث يقول: « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لاتعلمون ».

فصل

ينبغي أن نبين كيف يكون تواصل إخوان الصفاء وكيف تكون معاونة بعضهم بعضاً في طلب معيشة الدنيا ، وماذا كيف يكون حال من سبقته المنية قبل صاحبه ، وكيف يكون عيش الباقي منهم بعد صاحبه . ذكر أن مدينة كانت على رأس جبل في جزيرة من جزائر البحر مخصبة كثيرة النعم رخية البال طيبة الهواء عذبة المياه حسنة التربة كثيرة الاشجار لذيذة الثمار كثيرة أجناس الحيوانات — على حسب ما تقتضيه تربة تلك الجزيرة وأهويتها ومياهها — وكان أهلها إخوة وبني عم : بعضهم لبعض من نسل رجل واحد ، وكان عيشهم أهنأ عيش يكون بتودد ما كان بينهم من المحبة والرحمة والشفقة والرفق بلا تنغيص من الحسد والبغي والعداوة وأنواع الشر ، كما يكون بين أهل المدن الجائرة المتضادة الطباع ،المتنافرة القوى المتشتتة الآراء القبيحة الأعمال السيئة الاخلاق . ثم أن طائفة من أهل تلك المدينة الفاضلة ركبوا البحر فكسر بهم المركب ورمي بهم الموج الى جزيرة أخرى فيها جبل وعر ، فيه أشجار عالية وعليها ثمار نذرة ، فيها عيون غائرة ومياهها كدرة وفيها مغارات مظلمة وفيها سباع ضارية وإذا عامة أهل تلك الجزيرة قردة ، وكان في بعض جزائر البحر طير عظيم الخلقة شديد القوة قد سلط عليها في كل يوم وليلة يكر عليهم ويختطف من تلك القردة عدة ، ثم أن هؤلاء النفر الذين نجوا من الغرق تفرقوا في الجزيرة وفي أودية ذلك الجبل يطلبون مايتقوتون به من ثمارها لما لحقهم من الجوع ويشربون من تلك العيون ويستترون بأوراق تلك الاشجار ويأوون بالليل الى

تلك المغارات ويعتصمون بها من الحر والبرد ، فأنست بهم تلك القرود وأنسوا بها إذ كانت أقرب أجناس السباع شبهاً لصورة الناس فولعت بهم إناث القردة وولع بها من كان به شبق لخبات منهم وتوالدت وتناسلوا وكثروا وتمادى بهم الزمان فاستوطنوا تلك الجزيرة واعتصموا بذلك الجبل وألفوا تلك الحال ونسوا بلدهم ونعيمهم وأهاليهم الذين كانوا معهم بدياً ، ثم جعلوا يبنون من حجارة ذلك الجبل بنياناً ويتخذون منها منازل ويحرصون في جمع تلك الثمار ويدخرها من كان منهم شرهاً وصاروا يتنافسون على إناث تلك القرود ويغبطون من كان منهم أكثر حظاً من تلك الحالات وتمنوا الخلود هنا وانتشبت بينهم العداوة والبغضاء وتوقدت نيران الحرب : ثم إن رجلا منهم رأى فيما يرى النائم كأنه قد رجع إلى بلده الذي خرج منه وأن أهل تلك المدينة لما سمعوا بمجيئه استبشروا واستقبله خارج تلك المدينة أقرباؤه فرأوه قد غيره السفر والغربة فكرهوا أن يدخل المدينة على تلك الحال ، وكان على باب المدينة عين من الماء فغسلوه وحلقوا شعره وقصوا أظافيره وألبسوه الجدد وبخروه وزينوه وحملوه على دابة وأدخلوه المدينة فلما رآه أهل تلك المدينة استبشروا به وجعلوا يسألونه عن أصحابه وسفرهم وما فعل الدهر بهم ، وأجلسوه في صدر المجلس فى المدينة واجتمعوا حواليه يتعجبون منه ومن رجوعه بعد اليأس منه وهو فرحان بهم وبما نجاه الله عز وجل من تلك الغربة وذلك الغرق ومن صحبته تلك القرود وتلك العيشة النكدة ، وهو يظن أن ذلك كله يراه فى اليقظة فلما انتبه إذا هو في ذلك المكان بين أولئك القرود فأصبح حزيناً منكسر البال زاهداً فى ذلك المكان مغتماً متفكراً راغباً فى الرجوع الى بلده ! ! فقص رؤياه على أخ له فتذكر ذلك الأخ ما أنساه الدهر من حال بلدهما وأقاربهما وأهاليهما والنعيم الذي كانوا فيه فتشاوروا فيما بينهم وأجالوا الرأى وقالوا : كيف السبيل إلى الرجوع وكيف النجاة من هنا ؟ ! فوقع في فكرهما وجه الحيلة بأنهما يتعاونان ويجمعان من خشب تلك الجزيرة ويبنيان مركبا فى البحر ويرجعان إلى بلدهما فتعاقدا على

ذلك بينهما عهداً وميثاقاً أن لا يتخاذلا ولا يتكاسلا بل يجتهدا اجتهاد رجل واحد فيما عزما عليه ، ثم فكرا أنه لو كان رجل آخر معهما لكان أعون لهما على ذلك، وكلما زاد عددهما يكون أبلغ في الوصول إلى مطلبهم ومقصدهم فجعلوا يذكرون إخوانهم أمر بلدهم ويرغبونهم في الرجوع ويزهدونهم فى السكون هناك حتى التأم جماعة من أولئك القوم على أن يبنوا سفينة يركبوا فيها ويرجعوا إلى بلدهم فبينما هم فى ذلك دائبون : فى قطع الأشجار ونشر الخشب لبناء تلك السفينة إذ جاء ذلك الطير الذى كان يختطف القرود فاختطف منهم رجلا وطار به فى الهواء ليأ كله ، فلما أمعن فى طيرانه تأمله فاذا هو ليس من القرود التى اعتاد أكلها فمر به طائراً حتى مر به على رأس مدينته التى خرج منها فألقاه على سطح بيته وخلاه ، فلما تأمل ذلك الرجل إذا هو فى بلده ومنزله وأهله وأقربائه ، فجعل يتمنى لو أن ذلك الطير يمر فى كل يوم ويختطف منهم واحداً ويلقيه إلى بلده كما فعل به . وأما أولئك القوم بعد مااختطفه الطير من بينهم جعلوا يبكون عليه محزونين على فراقه لانهم لايدرون مافعل الطير به ولو انهم علموا بحاله وماصار اليه لتمنوا ماتمنى لهم أخوهم

فهكذا ينبغي أن يكون اعتقاد اخوان الصفاء فيمن قد سبقته المنية قبل صاحبه لأن الدنيا تشبه تلك الجزيرة وأهلها يشبهون تلك القردة ، ومثل الموت كمثل ذلك الطير . ومثل أولياء الله كمثل القوم الذين كسر بهم المركب ، ومثل دار الآخرة كمثل تلك المدينة التى خرجوا منها . فهذا اعتقاد اخواننا الكرام فى معاونتهم فى الدنيا ومايعتقدون فيمن سبقته المنية قبل إخوانه

فانتبه أيها الأخ من نوم الغفلة ورقدة الجهالة فان الدنيا دار غرور ومحن ، ولا يرغب العاقل الخلود فى دار الحزن والبلاء ، وفقك الله وإيانا وجميع اخواننا الى السداد وهداك وإيانا وجميع اخواننا سبيل الرشاد

﴿ تمت رسالة في بيان اعتقاد اخوان الصفاء ومذهب الربانيين ، ويليها رسالة فى كيفية عشرة اخوان الصفاء وتعاون بعضهم مع بعض ﴾

الرسالة الرابعة

من العلوم الناموسية والشرعية

في كيفية معاشرة اخوان الصفاء وتعاون بعضهم مع بعض وصدق الشفقة والمودة في الدين والدنيا جميعاً

﴿ وهي الرسالة الخامسة والاربعون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

اعلم أيها الأخ أيدك الله وايانا بروح منه انه ينبغي لاخواننا أيدهم الله حيث كانوا من البلاد أن يكون لهم مجلس خاص يجتمعون فيه في أوقات معلومة لا يداخلهم فيه غيرهم ، يتذاكرون فيه علومهم ويتحاورون فيه أسرارهم . وينبغي أن تكون مذاكرتهم أكثرها في علم النفس ، والحس والمحسوس ، والعقل والمعقول ، والنظر والبحث عن أسرار الكتب الالهية والتنزيلات النبوية ومعاني ماتضمنها موضوعات الشريعة . وينبغي أيضاً أن يتذاكروا العلوم الرياضيات الاربعة أعني العدد والهندسة والتنجيم والتأليف . وأما أكثر عنايتهم وقصدهم فينبغي أن يكون البحث عن العلوم الالهية التي هي الغرض الأقصى

وبالجملة ينبغي لاخواننا أيدهم الله تعالى أن لا يعادوا علماً من العلوم أو يهجروا كتاباً من الكتب ، ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب ، لان رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ، ويجمع العلوم جميعها : وذلك أنه هو النظر في جميع

الموجودات بأسرها الحسية والعقلية من أولها الي آخرها ، ظاهرها وباطنها، جليها وخفيها ، بعين الحقيقة من حيث هي كلها من مبدإ واحد وعلة واحدة وعالم واحد ونفس واحدة محيطة جواهرها المختلفة وأجناسها المتباينة وأنواعها المفننة وجزئياتها المتغايرة

وقد ذكرنا في الرسالة الثانية أن علومنا مأخوذة من أربع كتب : أحدها الكتب المصنفة على ألسنة الحكماء والفلاسفة من الرياضيات والطبيعيات والآخر الكتب المنزلة التي جاءت بها الانبياء صلوات الله عليهم مثل التوراة والانجيل والفرقان وغيرها من صحف الانبياء المأخوذة معانيها بالوحي من الملائكة ، ومافيها من الاسرار الخفية ، والثالث الكتب الطبيعية وهي صور أشكال الموجودات بما هي عليه الآن من تركيب الافلاك وأقسام البروج وحركات الكواكب ومقادير أجرامها وتصاريف الزمان واستحالة الاركان وفنون الكائنات من المعادن والحيوان والنبات وأصناف المصنوعات على أيدى البشر . كل هذه صور وكنايات دالات على معاني لطيفة وأسرار دقيقة يرى الناس ظاهرها ولا يعرفون معاني بواطنها من لطيف صفة البارى جل ثناؤه .

والنوع الرابع الكتب الالهية التي لا يمسها الا المطهرون : الملائكة التي هي بأيدي سفرة كرام بررة ، وهي جواهر النفوس وأجناسها وأنواعها وجزئياتها وتصاريفها للأجسام وتحريكها لها وتدبيرها اياها وتحكمها عليها واظهار أفعالها بها ومنها حالا بعد حال ، في ممر الزمان وأوقات القرانات والادوار وانحطاط بعضها تارة الى قعر الاجسام وارتفاع بعضها تارة من ظلمات الجثمان وانبعاثها من نوم الغفلة والنسيان وحشرها الى الحساب والميزان وجوازها على الصراط ووصولها الى الجنان أو حبسها في دركات الهاوية والنيران ، أومكثها في البرزخ أو وقوفها على الاعراف — كما ذكر الله تعالى في قوله : « ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون » وفي قوله تبارك وتعالى : « وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم » وهم الرجال الذين في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه لا تلهيهم

تجارة ولا بيع عن ذكر الله . وهذا حال اخواننا الفضلاء الكرام ، فاقتدوا بهم أيها الاخوان تكونوا مثلهم — وقد بينا في رسائلنا كل مايحتاج اليه اخواننا من أهل هذه العلوم

فصل

وينبغي لاخواننا أيدهم الله حيث كانوا في البلاد اذا أراد أحدهم أن يتخذ صديقاً مجدداً أو أخاً مستأنفاً أن يعتبر أحواله ويتعرف أخباره ويجرب أخلاقه ويسأله عن مذهبه واعتقاده ليعلم هل يصلح للصداقة وصفاء المودة وحقيقة الأخوة أم لا ، لأن في الناس أقواماً طبائعهم متغايرة خارجة عن الاعتدال وعاداتهم رديئة مفسدة ومذاهبهم مختلفة جائرة : فنهم خير وشرير ، وكفور وشكور ، وذوأمانة وغدار ، وحليم وسفيه ، وسخي وبخيل ، وشجاع وجبان ، وحسود وودود ، وفاجر وعفيف ، وجزوع وصبور ، وشره وقنوع ، وسلس وشرس ، وفظ غليظ ،ولطيف رقيق ، وعاقل وأحمق ، وعالم وجاهل ، ومحب ومبغض ، وموافق ومخالف ، ومنافق ومخلص ، وناصح وغاش ، ومتكبر ومتواضع ، وعدو وصديق ، ومؤمن وزنديق ، وعارف ومنكر ، ومقبل ومدبر ، وماشا كل هذه الاخلاق المحمودة والمذمومة ، مضادات بعضها لبعض .

واعلم أن شر هذه الطوائف كلها من لا يؤمن بيوم الحساب ، وشر الاخلاق كبر ابليس ، وحرص آدم ، وحسد قابيل ، وهي أمهات المعاصي

واعلم أن الناس مطبوعون على أخلاقهم بحسب اختلاف تركيب مزاج أجسادهم وبحسب اختلاف أشكال الفلك في أصل مواليدهم . وقد بينا في رسالة الاخلاق هذا بشرحه .

واعلم أن من النـاس من هو مطبوع على خلق واحد أو عدة من أخلاق محمودة ومذمومة ، وأن العادات الرديئة تقوى الاخلاق الرديئة والعادات الجميلة تقوى الاخلاق المحمودة ، وهكذا حكم الآراء والاعتقادات ، فإن من الناس من

يرى ويعتقد في دينه ومذهبه انه حلال له سفك دم كل مخالف له في مذهبه مثل اليهود والخوارج وكل من يكفر بالرب.

ومن الناس من يرى ويعتقد فى دينه ومذهبه الرحمة والشفقة للناس كلهم ورثى للمذنبين ويستغفر لهم ويتحنن على كل ذى روح من الحيوان ويريد الصلاح للكل ، وهذا مذهب الابرار والزهاد والصالحين من المؤمنين ،وهكذا مذاهب اخواننا الكرام .

فصل

فينبغى لك إذا أردت أن تتخذ صديقاً أو أخا أن تنتقده كما تنتقد الدراهم والدنانير ، والأرضين الطيبة التربة للزرع والغرس ، وكما ينتقد أبناء الدنيا أمر التزويج وشرى المماليك والامتعة التى يشترونها .

وأعلم أن الخطب في اتخاذ الاخوان أجل وأعظم خطراً من هذه كلها ، لان إخوان الصدق هم الاعوان على أمور الدين والدنيا جميعا ، وهم أعز من الكبريت الاحمر !! واذا وجدت منهم واحداً فتمسك به فانه قرة العين ونعيم الدنيا وسعادة الآخرة ، لان اخوان الصدق نصرة على دفع الاعداء وزين عند الاخلاء وأركان يعتمد عليهم عند الشدائد والبلوى ، وظهر يستند اليهم عند المكاره فى السراء والضراء وكنز مذخور ليوم الحاجة وجناح خافض عند المهمات ، وسلم الصعود الى المعالى ، ووسيلة الى القلوب عند طلب الشفاعات ، وحصن حصين يلتجأ اليه يوم الروع والفزعات ، فان غبت حفظوك ، وان تضعضعت عضدوك ،وإن رأوا عدواً لك قمعوه . والواحد منهم كالشجرة المباركة تدلت أغصانها اليك بثمرها واظلتك أوراقها بطيب رائحتها وسترتك بجميل فيئها : فان ذكرت أعانك وان نسيت ذكرك ،يأمرك بالبر ويسابقك اليه ، ويرغبك فى الخير ويبادرك اليه ، ويدلك عليه ويبذل ماله ونفسه دونك .

فاذا أسعدك الله ياأخى بمن هذه صفته فابذل له نفسك ومالك وقِ عرضه

بعرضك وأفرش له جناحك وأودعه سرك وشاوره فى أمرك وداو برؤيته عينك واجعل أنسك إذا غاب عنك ذكره والفكر في أمره ، وان هفا هفوة فاغفرله، وإن زل زلة فصغرها عنده ولاتوحشه فيخاف من حقدك ، واذكر من سالف إحسانه عند اسائته ليأنس بك ويأمن غائلتك ، فان ذلك أسلم لوده وأدوم لاخائه

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي أن من الناس من لا يصلح للصداقة والأخوة والمقاربة أصلا البتة . فانظر من تصحب وتعاشر ولاتغتر بظاهر الامور من غير معرفة بواطنها ولا بحلاوة العاجل من قبل النظر فى مرارة عاقبتها ، فاذا أردت اتخاذ أخ أو صديق فاعتبر أولا أحواله واختبر أخلاقه وسله عن مذهبه واعتقاده وانظر في عاداته وسجيته وشمائله وحركاته فانه لايخفى على المتفرس بواطن الامور اذا نظر الى ظواهرها

واعلم بان من الناس من يتشكل بشكل الصديق ويدلس عليك بشبه الموافق ويظهر لك المحبة ،وخلافها في صدره وضميره فلا تغتر أو تتيقن .

واعلم أن أعمال الناس في ظاهر أمورهم تكون بحسب أخلاقهم التى طبعوا عليها وبحسب عاداتهم التى نشأوا عليها أو بحسب آرائهم التى اعتقدوها . فاذا رأيت الرجل معجبا صلفاً أو نكدا لجوجا أوفظاً غليظاً أو مماحكا ممارياً أوحسوداً حقوداً أو منافقاً مرائياً أو بخيلا شحيحاً أوجباناً مهيناً أومكاراً غدراً أومتكبراً جباراً أو حريصاً شرهاً أوكان محباً للمدح والثناء أكثر ممـا يستحق أو كان مزرياً لنظرائه أوكان مستحقراً لأقرانه والنـاس ذاماً لهم أو متكلا على حوله وقوته ، فاعلم أنه لا يصلح للصداقة وصفوة الاخوة ، لان هذه الاخلاق والآراء والعادات مفسدة لاعتقاده لاخوانه : وذلك أن من يختر المطالبة بما لا يجب له لا تسمح نفسه ببذل ما يجب عليه ، وهكذا الحسود واللجوج والغضوب تمنعه هذه الاخلاق عن الاذعان للحق ، وهكذا اللجاج والتكبر يمنعان عن قطع الجدال

والخلاف ، وكذلك الفظاظة والغلظة يمنعان من العذوبة والسهولة والشراسة والغضب يهيجان على المكابرة .

وبالجملة كل هذه الاخلاق مفسدة للمودة ومخالفة لصفوة الاخوة مستثقلة للنفوس وموحشة للأنس والراحة ومنفرة لألف الطباع ومنغصة للعيش ومبغضة للحياة

واعلم أن الصداقة لاتتم بين مختلفين بالطبع لان الضدين لا يجتمعان . مثال ذلك السخي والبخيل فانهما متضادان في الطبع فلا تتم بينهما الصداقة ولا تصفو لهما المودة ولا يهنيهما العيش ، لانه اذا فعل السخي شيئاً مما يوجبه سخاؤه من بذل المال أو المعروف رآه البخيل بصورة المضيع قد فعل ما لا ينبغي ولا يجوز واذا فعل البخيل بطبعه شيئاً من امساك المال مما يوجبه بخله رآه السخي بصورة من قد أتى منكراً لا يحسن فعله ، فيصير ذلك سبباً لعيب كل واحد منهما على صاحبه حتى يعتقد البخيل في السخي سخف الرأى وتضييع المال وترك النظر فى العواقب ، ويعتقد السخي فى البخيل النذالة والدناءة وصغر النفس وقصور الهمة فاذا وقع بينهما ودام صارت وحشة وتواترت حتى تصير عداوة وتصير العداوة الى الصرامة .

وهذا القياس في كل خلقين مختلفين متضادين فانهما يوجبان المنازعة والمنازعة توجب المغالبة والمغالبة تنتج المغايظة والمغايظة توجب المباغضة والمباغضة ضد الصداقة

﴿ فصل ﴾

واعلم أن مثل اتخاذ الاصدقاء والاخوان كمثل اكتساب المال والذخائر ، وذلك أن من الناس من يفنى عمره فى طلب صديق موافق فلا يجد ، فمثله كمثل الذي يفنى عمره فى طلب جمع المال فلا يقدر عليه ، ومنهم من يكون مرزوقاً من كثرة المال ، ومنهم من يحسن أن يكسب المال ولكن لا يحسن أن يحفظه .

فهكذا حكم اتخاذ الاخوان والاصدقاء، ومنهم من لا يحسن حفظهم ومراعاة أمورهم فيصيرون الى العداوة بعد الصداقة والى المباغضة بعد المودة .

فينبغي لك أن يكون أكثر كدك وعنايتك — بعد اتخاذ الصديق — حفظه ومراعاة أمره وأداء حقوقه حتى لا تصير الصداقة عداوة بعد طول الصحبة بملالة أو ضجر أو شكوك أو ظنون أو شبهة تدخل في المودة أو نميمة ووشاية من مخالف له يسعى بينكما للفساد . فتفقد يا أخي هذا الباب ولا تغفل عنه

واعلم يا أخي أن الانسان كثير التلون قليل الثبات على حال واحد وذلك أنه قل من الناس من تحدث له حال من أحوال الدنيا أو أمر من أمورها من غنى الى فقر أو من فقر الى غنى أو من حضر الى سفر أو من عذوبة الى تزويج أو من ذل الى عز أو من عطلة الى شغل أو من بؤس الى نعمة أو من رفعة الى ضعة أو من ضعة الى رفعة أو من صناعة الى تجارة أو من صحبة قوم الى صحبة آخرين أو من رأى مذهب الى مذهب أو من شباب الى شيخوخة أو من صحة الى مرض الا ويحدث له خلق جديد وسجية أخرى ويتغير خلقه مع اخوانه ويتلون مع أصدقائه الا اخوان الصفا الذين ليست صداقتهم خارجة من ذاتهم ، وذلك أن كل صداقة تكون لسبب ما ، فاذا انقطع ذلك السبب بطلت تلك الصداقة إلا صداقة إخوان الصفاء فان صداقتهم قرابة رحم ورحمهم أن يعيش بعضهم لبعض ويرث بعضهم بعضا ، وذلك انهم يرون ويعتقدون أنهم نفس واحدة في أجساد متفرقة فكيف ما تغيرت حال الاجساد بحقيقتها فالنفس لا تتغير ولا تتبدل كما قال القائل :

وفي الجسم نفس لا تشيب بشيبه ... ولو ان ما في الوجه منه خراب
لها ظفر ان كل ظفر أعده ... وناب اذا لم يبق في الفم ناب
يغير مني الدهر ما شاء غيرها ... فأبلغ أقصى العمر وهي كعاب

وخصلة أخرى أن أحدهم إذا أحسن إلى أخيه إحساناً فلا يمن عليه به ، لأنه يرى ويعتقد أن إحسانه إلى نفسه ، وإن أساء اليه اخوه لم يستوحش

منه لأنه يرى أن ذلك كان منه اليه ، فمن اعتقد في أخيه مثل هـذا واعتقد أخوه فيه مثل ذلك فقد أمن كل واحد من أخيه غائلته أن يتغير عليه في يوم من الأيام بسبب من الأسباب أو بوجه من الوجوه

﴿ فصل ﴾

فينبغي إذا ظفرت بواحد منهم أن تختاره على جميع أصدقائك وأقربائك وعشيرتك وجيرانك الذين نشأت معهم فانه خير لك من ولدك الذي من ظهرك، وأخيك من صلب أبيك ، ومن زوجتك التي جعلت كل كسبك لها وجميع سعيك من أجلها ، فاعرف حقه كما تعرف حقوقهم ، بل ينبغي أن تؤثره عليهم كلهم لأن هؤلاء يحبونك من أجل منفعة تصل منك إليهم ويريدونك من أجل مضرة تدفعها عنهم ، فاذا استغنوا عنك زهدوا فيك ورغبوا في غيرك وخذلوك أحوج ماتكون اليهم ، فأما هذا الأخ فليس يريدك من أجل شيء خارج عن ذلك بل من أجل أنه يرى ويعتقد انك إياه وهو إياك نفس واحدة في جسدين متقابلين ، يسره مايسرك ويغمه مايغمك ، يريد لك منه مثل الذي تريد له منك واعلم أن قلوب الاخيار صافية لأن نفوسهم طاهرة ولا تخفى عليهم خفيات الأمور لأنها تترأى فيها كما تترائى فى أعين البصراء ظواهر كليات الأمور . فلا تضمرن لاخوانك الأصفياء خلاف ما تظهر لهم فان ذلك لا يخفى عليهم ولا ينكتم عليهم منك

﴿ فصل ﴾

واعلم بأن خير شيء يرزقه الانسان السعادة وان السعادات نوعان : داخل وخارج فالذي هو داخل نوعان : أحدهما في الجسد والآخر في النفس ، فالذي في الجسد كالصحة والجمال والذي في النفس كالذكاء وحسن الخلق ، والذي من خارج نوعان : أحدهما ملك اليد كالمال ومتاع الدنيا ، والآخر الأقران من أبناء الجنس كالزوجة والصديق والولد والأخ والأستاذ والمعلم والصاحب والسلطان وا

فمن أسعد السعادات أن يتفق لك يا أخي معلم رشيد عالم عارف بحقائق الأشياء والأمور مؤمن بيوم الحساب عالم بأحكام الدين بصير بأمور الآخرة خبير بأحوال المعاد مرشد لك اليها ومن أنحس المناحس أن يكون لك ضد ذلك

واعلم أن المعلم والأستاذ أب لنفسك وسبب لنشوئها وعلة حياتها ، كما أن والدك أب لجسدك وكان سبباً لوجوده ، وذلك أن والدك أعطاك صورة جسدانية ومعلمك أعطاك صورة روحانية ، وذلك أن المعلم يغذى نفسك بالعلوم ويربيها بالمعارف ويهديها طريق النعيم واللذة والسرور والأبدية والراحة السرمدية ، كما أن أباك كان سبباً لكون جسدك فى دار الدنيا ومربيك ومرشدك الى طلب المعاش فيها التى هى دار الفناء والتغيير والسيلان ساعة بساعة ، فسل يا أخي ربك أن يوفق لك معلماً رشيداً هادياً سديداً واشكر الله على نعمائه السابغة

فصل

واعلم أن فى الناموس أقواماً يتشبهون بأهل العلم ويتدلسون بأهل الدين ، لا الفلسفة يعرفونها ولا الشريعة يحققونها ويدعون مع هذا معرفة حقائق الاشياء ويتعاطون النظر فى خفيات الأمور الغامضة البعيدة وهم لا يعرفون أنفسهم التى هى أقرب الأشياء اليهم ولا يميزون الأمور الجلية ولا يتفكرون فى الموجودات الظاهرة المدركة بالحواس المشهورة في العقول ، ثم ينظرون فى الطفرة والقلقة والجزء الذى لا يتجزأ وماشا كلها من المسائل فى الأمور المتوهمة التى لا حقيقة لها فى الهيولى وهم شاكون فى الأشياء الظاهرة الجلية ويدعون فيها المحالات بالمكابرة فى الكلام والحجاج فى الجدل ، مثل دعواهم أن قطر المربع مساو لاحد أضلاعه ، وأن النار لا تحرق ، وأن شعاع البصر جسم يبلغ فى طرفة العين الى فلك الكواكب ، وأن علم النجوم باطل وما شا كل ذلك من الزور والبهتان . فاحذرهم يا أخي فانهم الدجالون الذلقو الالسن العميان القلوب الشاكون فى الحقائق الضالون عن الصواب

واعلم أنهم محنة على العلماء كذابون على الانبياء عليهم السلام ينتحلون ولا يتحققون ويدعون مالا يعرفون ، ويتكلمون فيما لا يحسنون ، وما هم الا كما وصفهم رب العالمين جل اسمه : (بل أنتم قوم خصمون) يهيمون في أودية مايتوهمون ويقولون مالا يفعلون ولا يعلمون ·

أعاذنا الله واياك أيها الأخ ممن فيه هذه الصفات الذميمة ومن شرهم فانهم أعداء فاحذرهم.

﴿ فصل ﴾

وأعلم أيها الأخ أن من سعادتك أيضاً أن يتفق لك معلم ذكى جيد الطبع حسن الخلق صافي الذهن محب للعلم طالب للحق غير متعصب لرأى من المذاهب·

واعلم أن مثل أفكار النفوس قبل أن يحصل فيها علم من العلوم واعتقاد من الآراء كمثل ورق أبيض نقى لم يكتب فيه شيء ، فاذا كتب فيه شيء حقاً كان أم باطلا فقد شغل المكان ومنع أن يكتب فيه شيء آخر ويصعب حكه ومحوه

فهكذا حكم أفكار النفوس اذا سبق اليها علم من العلوم واعتقاد من الآراء أو عادة من العادات تمكن فيها حقاً كان أو باطلا ويصعب قلعها ومحوها كما قال القائل :—

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبي فارغا فتمكنا

فاذا كان الامر كما وصفت فينبغي لك أيها الأخ أن لا تشغل باصلاح المشايخ الهرمة الذين اعتقدوا من الصبا آراء فاسدة وعادات رديئة وأخلاقا وحشة فانهم يتعبونك ثم لا ينصلحون ، وان صلحوا قليلا قليلا فلا يفلحون

ولكن عليك بالشباب السالمي الصدور ، الراغبين فى الآداب المبتدئين بالنظر في العلوم المريدين طريق الحق والدار الآخرة والمؤمنين بيوم الحساب المستعملين شرائع الانبياء عليهم السلام الباحثين عن اسرار كتبهم التاركين الهوى والجدل غير متعصبين على المذاهب

واعلم ان الله تعالى مابعث نبياً إلا وهو شاب ولاأعطى لعبد حكمة إلا وهو شاب ، كما ذكرهم ومدحهم فقال عز اسمه (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) وقال تعالى « إنا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم » وقال أيضاً عزوجل : (وقال موسى لفتاه) .

واعلم أن كل نبي بعثه الله فأول من كذبه مشايخ قومه المتعاطون الفلسفة والنظر والجدل ، كما وصفهم تعالى فقال : (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون وقالوا ءألهتنا خير أم هو ماضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون)

﴿ فصل ﴾

واعلم أن مواهب الله جل اسمه كثيرة لايحصى عددها ، ولكن يجمعها جنسان : تحت كل جنس أنواع كثيرة ، أحدهما قنية جسدانية والآخر قنية نفسانية فمن القنية الجسدانية أحدها المال ، ومن القنية النفسانية أحدها العلم . والناس في هاتين النعمتين العظيمتين على منازل أربع : فمنهم من قد رزق الحظ من المال والعلم جميعاً ، ومنهم من قد حرمهما جميعاً ، ومنهم من رزق المال ولم يرزق العلم ومنهم من رزق العلم ولم يرزق المال

فينبغي لاخواننا — ممن قد رزق المال والعلم جميعاً — أن يؤدي شكر ماأنعم لله جل وعز به عليه بان يضم اليه أخا من اخوانه ممن قد حرمهما جميعاً ويواسيه من فضل ما أتاه الله تعالى من المال ليقيم به حياة جسده في دار الدنيا ويرقده ويعلمه من علمه لتحيا به نفسه للبقاء في دار الآخرة فان ذلك من أقرب القربات إلى الله وأبلغ لطلب مرضاته .

ولا ينبغي له أن يمن عليه بما ينفق عليه من المال ولا يستحقره ويعلم أن الذي حرم أخاه هو الذى أعطاه ، وكما انه لايمن على أبن له جسدانى فيما يربيه وينفقه عليه من ماله ويورثه ماجمعه من المال بعد وفاته ، كذلك لايجب أن يمن على ابنه

النفساني لانه ان كان ذلك ابنه الجسداني فهذا ابنه النفساني كما روي أن النبي ﷺ قال لعلى عليه السلام : (أنا وأنت أبو هذه الامة) وقال ﷺ : (المؤمن أخو المؤمن من أبيه وأمه) وقال ابراهيم عليه السلام : (فمن تبعني فانه مني) وقال عز وجل لنوح عليه السلام حيث قال :(ان ابني من اهلي «قال» انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح) وقال تعالى : (فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) فبين أن النسب الجسداني لاينفع في الآخرة.

ولهذا المعنى قال المسيح عليه السلام للحواريين (جئت من عند أبي وأبيكم) وقال الله تعالى : (ملة أبيكم ابراهيم) فهذه الأبوة نفسانية لا ينقطع نسبها كما قال النبي عليه السلام (كل نسب ينقطع يوم القيامة الا نسبي) وقال : (يابني هاشم لايأتيني الناس يوم القيامة باعمالهم وتأتوني بانسابكم فاني لاأغني عنكم من الله شيئاً) . انما أراد النسبة الجسدانية لانها تنقطع اذا اضمحلت الاجسام وبقيت النسبة النفسانية ، لان جواهر النفوس باقية بعد فراق الاجساد وان كان يظن أن ابنه الجسداني يحيي ذكره بعد موته) فهذا أيضاً ان عاش أحيا ذكره في مجلس العلماء ومحاضر أهل الخير اذا نشر علمه ويتوجه اليه ويترحم عليه كلما ذكره ، كما نذكر نحن معلمينا وأستاذينا أكثر مما نذكر أباءنا الجسدانيين ونترحم على آبائنا وان كان يظن أن ذلك الابن الجسداني ربما ينفعه اذا كبر ويعينه على أمور الدنيا

فهذا ربما بلغ في العلم والحكمة والخير والمرتبة عند الله تعالى أن يشفع بعلمه لمعلمه فينجو بشفاعته وهو لايدري كما ذكر الله تعالى بقوله : (آباؤكم وأبناؤكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعاً فريضة من الله)

وأما من رزق المال ولم يرزق من العلم من إخواننا فينبغي له أن يطلب أخاً ممن قد رزق العلم ويضمه اليه ويواسيه هذا من ماله ، ويرفده هذا من علمه ويتعاونان جميعاً على إصلاح أمر الدين والدنيا • وينبغي للأخ ذى المال أن لايمن على الأخ ذى العلم بما يواسيه من ماله ولايحتقره لفقره لأن المال قنية جسدانية تقام بها حياة الجسد فى دار الدنيا ، والعلم قنية نفسانية تقام بها حياة

النفس فى دار الآخرة وجوهر النفس خير من جوهر الجسد وحياة النفس خير من حياة الجسد لان حياة الجسد الى مدة ما ثم تنقطع وتضمحل وحياة النفس فى الدار الآخرة تبقى مؤبداً كما ذكر الله تعالى : « لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الاولى » . وينبغي للاخ ذى العلم والحكم أن لايحسد أخاً ذا مال له ، ولايستحقره لجهله ، ولا يفتخر عليه بعلمه ، ولايطلب منه عوضاً فيما يعلمه لان مثلهما في صحبتهما وتعاونهما : هذا لهذا بماله ، وهذا لهذا بعلمه ، كمثل اليد والرجل فى اتصالهما بالجسد وخدمتهما وتعاونهما فى اصلاح الجملة . وذلك لان اليدين لاتطلبان من الرجلين اذا احتذت لهما نعلا أو أخرجت منهما شوكة جزاء ولاشكوراً ، وكذلك الرجلان لاتطلبان من اليدين اذا بلغتاهما الى الموضع الذى شاءتا وتسترتا وهربتا به من خوف القطع جزاء ولاعوضاً لانهما آلات جسد واحد ، وقوام إحداهما بالاخرى ، وهكذا أيضاً السمع لايمن على البصر إذا أسمعه النداء ، ولاالبصر يمن على السمع اذا أراه المنادى، لانهما قوتان للنفس واحدة كل منهما صلاح للاخرى في تعاونهما فى خدمة النفس وطاعتهما فى إدراكها المحسوسات

فهكذا ينبغي أن يكون تعاون اخوان الصفاء فى طلب صلاح الدين والدنيا ، وذلك أن معاونة الاخ ذى المال للاخ ذى العلم بماله ومعاونة الاخ ذى العلم للاخ ذى المال بعلمه فى صلاح الدين كمثل رجلين اصطحبا فى الطريق فى مفازة أحدهما بصير ضعيف البدن معه زاد ثقيل لايطيق حمله ، والآخر أعمى قوى البدن ليس معه زاد فأخذ البصير بيد الاعمى يقوده خلفه وأخذ الاعمى ثقل البصير فحمله على كتفه وتواسيا بذلك الزاد وقطعا الطريق ونجوا جميعاً فليس لاحدهما أن يمن على الآخر فى انجائه له من الهلكة فى معاونته ، لانهما نجوا جميعاً بمعاونة كل واحد منهما صاحبه والمعاونة لاتكون الا بين اثنين أو أكثر والاخ الجاهل كالاعمى والاخ الفقير كالضعيف ، والاخ الغنى كالقوى ، والاخ العالم كالبصير والطريق هي صحبة النفس مع الجسد ، والمفازة هي الحياة الدنيا والنجاة هي حياة الآخرة .

فهكذا مثل اخواننا المتعاونين فى صلاح الدنيا والدين .

وأما من رزق العلم ولم يرزق المال ولايجـد من يواسيه بالمال من إخواننا فينبغي له أن يصبر وينتظر الفرج فانه لابد أن يؤيده الله عز وجل بأمر أو بأخ يخفف عنه مايحتمله من ثقل الفقر ، كما وعد لأوليائه فقال عز من قائل : «ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب» . وقال تعالى : «ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً » .

وينبغى له أن يعلم أن الذى رزق من العلم خير من الذي حرم من المال ، لان العلم سبب لحياة النفس في دار الدنيا والآخرة جميعاً والمـال سبب لاقامة حيـاة الجسد فى دار الدنيا فقط وفضل مابين النفس والجسد وشرف جوهرها وفضـل حياتها وفضل ذاتها ، فقد تقدم ذكره وينبغى له أن يتفكر فى الذى حرم من المال والعلم جميعا ليعرف نعمة الله عليه ويشكره على كل حال ليستوجب المزيد كما وعد الله تعالى فقال : «لئن شكرتم لأزيدنكم».

وأما من ليس بذي مال ولا علم من اخواننا فهو الذى له نفس زكية جميلة الاخلاق سليم القلب من الآراء الفاسدة محب للخير وأهله صابر راض بما قسم الله له من ذلك، فينبغي أن يعلم أن الذي أعطى من حسن الاخلاق وسلامة القلب ومحبـة الخير والرضا بما قسم له خير من الذي منع من المال والعلم ، لأ نا نجد في الناس من أعطى العلم والمال أو أحدهما ولم يرزق من هذه الخصال التى ذكرناها شيئاً ، وذلك أنا نجد أقواما علماء متفلسفين يصنفون الكتب في تحسين الاخلاق ويأمرون الناس بها وهم أسوأ الناس خلقا ، ونجد أقواماً ليس لهم علم كثير وهم مهذبو الاخلاق كما وصفنا . فقـد تبين أن حسن الخلق من مواهب الله تعالى كما قيل فى الخبر : «قد فرغ الله من الخلق والخلق والرزق والاجل» . ومدح الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بحسن الخلق حين قال : « وانك لعـلى خلق عظيم » . وقال تعالى : «ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك» . وقد قيل في الخبر : «إن الانسان بحسن الخلق يدرك في الجنة درجة الصائم» . لأن حسن

الخلق من أخلاق الملائكة وشيمة أهل الجنة ، كما ذكر في القرآن قلن « حاشالله ماهذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم » .

وسوء الخلق من أخلاق الشياطين وأهل النار الذين يحسد بعضهم بعضا ويتباغضون ويلعن بعضهم بعضاً كما ذكر الله تعالى في القرآن : « كلما دخلت أمة لعنت أختها » . وقالوا لامرحبا بهم إنهم صالوا النار قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم وهم في العذاب مشتركون

فصل

واعلم أن قوة نفوس اخواننا في هذا الامر الذي نشير اليه ونحث عليه على أربع مراتب : أولها صفاء جوهر نفوسهم وجودة القبول وسرعة التصور، وهى مرتبة أرباب ذوي الصنايع فى مدينتها التى ذكرناها في الرسالة الثانية وهي القوة العاقلة المميزة لمعانى المحسوسات الواردة على القوة الناطقة بعد خمس عشرة سنة من مولد الجسد ، والى هـذا أشار بقوله تعالى : « اذا بلغ الاطفال منكم الحلم » وهم الذين نسميهم في مخاطبتنا ورسائلنا اخواننا الابرار والرحماء .

وفوق هذه المرتبـة مرتبة الرؤساء ذوي السياسات وهي مراعاة الاخوان وسخاء النفس واعطاء الفيض والشفقة والرحمة والتحنن على الاخوان وهي القوة الحكمية الواردة على القوة العاقلة بعد ثلاثين سنة من مولد الجسد ، واليه أشار جل ذكره بقوله : « فلما بلغ أشده واستوى آتينـاه حكما وعلماً » . وهم الذين نسميهم فى رسائلنا اخواننا الاخيار والفضلاء .

والرتبة الثالثة فوق هذه وهي مرتبة الملوك ذوى السلطان والامر والنهي والنصر والقيام بدفع العناد والخلاف عند ظهور المعاند المخالف لهذا الامر بالرفق واللطف والمداراة فى اصلاحه ، وهي القوة الناموسية الواردة بعد مولد الجسد باربعين سنة ، واليها أشار بقوله : « حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سـنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على » . وهم الذين نسميهم اخواننـا الفضلاء الـكرام .

والرابعة فوق هـذه وهي التي ندعو اليها اخواننا كلهم في أي مرتبة كانوا وهي التسليم وقبول التأييد ومشاهدة الحق عياناً وهي قوة الملكية الواردة بعد خمسين سنة من مولد الجسد ، وهي الممهدة للمعاد والمفارقة للهيولى وعليها تنزل قوة المعراج وبها تصعد الى ملكوت السماء فتشاهد أحوال القيامة من البعث والنشر والحشر والحساب والميزان والجواز على الصراط والنجاة من النيران ومجاورة الرحمن ذي الجلال والاكرام ، والى هـذه الرتبة أشار بقوله تعالى : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » واليها أشار ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى : « واجعلني من ورثة جنة النعيم » واليها أشار يوسف عليه السلام بقوله تعالى : « رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين » . واليها أشار المسيح عليه السلام بقوله للحواريين : « اني اذا فارقت هذا الهيكل فأنا واقف في الهواء عن يمين العرش بين يدي أبي وأبيكم أتشفع لكم فاذهبوا الى الملوك في الاطراف وادعوهم الى الله تعالى ولا تهابوهم فاني معكم حيث ماذهبتم بالنصر والتأييد » . وأشار اليها نبينا محمد ﷺ : « انكم تردون على الحوض غداً » . وأحاديث مروية ، كل هذه مشهورة عند أصحاب الحديث واليها أشار سقراط بقوله يوم سقي السم : « اني وان كنت أفارقكم اخواناً فضلاء فاني ذاهب الى اخوان كرام قد تقدمونا » في كلام طويل . واليها أشار فيثاغورث في الرسالة الذهبية في آخرها : « انك اذا فعلت ما أوصيك عند مفارقة الجسد تبقى في الهواء غير عائد الى الانسية ولا قابل للموت » . واليها أشار بلوهر ليوزاسف حين قال الملك لوزيره وكان من أهل هذه المقالة : « قل لي من أنت؟ فقال من الذين يعرفون ملكوت السماء » — في حديث طويل . واليها ندعو نحن اخواننا جميعاً ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . واليها أشار بقوله تعالى : « والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم » — وآيات كثيرة في القرآن في هـذا المعنى وهي كل آية فيها صفة الجنان وأهلها ونعيمها

فصل

واعلم أن المطلوب من المدعويين الى هذا الامر أربعة أحوال: أولها الاقرار بحقيقة هذا الأمر، والثاني التصور لهذا الأمر بضروب الأمثال للوضوح والبيان والثالث التصديق له بالضمير والاعتقاد، والرابع التحقيق له بالاجتهاد في الاعمال المشاكلة لهذا الأمر. واعلم أن المقر باللسان غير متصور له يكون مقلداً والمتصور له غير مصدق به يكون شاكا متحيرا، والمصدق به غير المتحقق له بالاجتهاد بالعمل المشاكل لهذا الأمر يكون مقصراً مفرطاً، والمكذب باللسان لهذا الامر المنكر له بقلبه يكون جاحداً كافراً، كما قال الله تعالى: «الذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون» «لاجرم أن لهم النار وأنهم مفرطون». واعلم أن المقر لهذا الامر بلسانه المتصور له بقلبه على حقيقته يجد من نفسه أربعة خصال لم يعرفها قبل ذلك أحدها قوة النفس والنهوض من الجسد، والثاني النشاط في طلب الخلاص من الهيولى الذى هو جهنم النفوس، والثالث الرجاء والامل بالفوز والنجاة عند مفارقة النفس الجسد، والرابع الثقة بالله واليقين بتمام الأمر وكماله

فصل

واعلم أن كل مقر بهذا القرآن وبكتب الانبياء عليهم السلام واخبارها عن الغيب فهم فى ذلك على منازل اربع: إما مقر بلسانه غير مصدق بقلبه، أو مقر بلسانه ومصدق بقلبه غير عارف لمعانيه وبيانه، أو مقر ومصدق ومتبين ولكن غير قائم بواجب حقه. فالمقر بلسانه غير المصدق بقلبه هو الذي رزق من الفهم والتمييز قليلا، فاذا فكر بعقله وميز ببصيرته مايدل عليه ظاهر ألفاظ الكتب النبوية لايقبله عقله لأنه لايتصور معانيها اللطيفة وإشاراتها الخفية فينكره بقلبه ويشك فيه، وأما من أقر بلسانه وصدق بقلبه — وهو الذي يتفكر ويعلم أن مثل هذا الامر الجليل الذي قد اتفقت على تحقيقه الانبياء والائمة المهديون والخلفاء

الراشـدون وصالحو المؤمنين وأقر به فضلاء الناس والمميزون المستبصرون — لايجوز أن يكون ليس له حقيقة[1] ولكن فهمه وتمييزه وعقله يقصرعن ادراكه وتصوره لها بحقائقها ، وأما من قـد عرف بيانه ولـكن قصر في القيام بواجبه فهو الذى وفقه الله وأرشده واهتدى بحقائق هذه الاسرار المذكورة فى كتب الانبياء عليهم السلام ولـكن لايجد المعين له على القيام بنصرتها وواجب حقها لانه وحيد وليس كل أمر يتم بالوحدة ، بل ربما يحتاج فيه الى الجمع العظيم وخاصة أمر الناموس ، فأقل مايحتاج فيه الى اربعين خصلة تجتمع في واحدمن الاشخاص أو فى اربعين شخصاً مؤتلفة القلوب

تمت رسالة كيفية عشرة إخوان الصفا ويليها رسالة فى ماهية الايمان وخصال المؤمنين المحققين

(١) كذا في الاصل ومفاده أن مجيئه على لسان الانبياء وغيرهم من الحكماء يجعله أمراً مقطوعا به أو يجعله أقرب ما يكون الى الحقيقة ومن غير الجائز أن يكون كذبا — وفي الاصل ما فيه من تشويش

الرسالة الخامسة

من العلوم الناموسية والشرعية

في ماهية الايمان وخصال المؤمنين المحققين

«وهي الرسالة السادسة والاربعون من رسائل اخوان الصفا»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

اعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه أن الله جل ثناؤه قد أكثر ذكر المؤمنين فى القرآن والمدح والثناء الجميل عليهم ووعدهم الثواب الجزيل فى الدنيا والآخرة جميعا ، وهكذا أيضا قد اكثر ذكر الكافرين وسوء الثناء عليهم والزجر والتهديد والوعيد فى الدنيا والآخرة جميعا . فنريد أن نبين من المؤمن حقا ومن الكافر حقا اذ كان هذا أمر قد التبس على كثير من أهل العلم حتى صار يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضا بغير علم ولا بيان ، ولكن من أجل أن كثيراً من أهل العلم لا يعرفون الفرق بين العلم والايمان احتجنا أن نبين أولا ما الفرق بينهما . وذلك أن كثيرا من المتكلمين يسمون الايمان علما ، ويقولون هو علم من طريق السمع . وما يعلم بالقياس هو علم من طريق العقل . فنريد أن نبين أيما هو علم بالحقيقة فنقول :

ان الحكماء قالوا ان العلم هو تصور النفس رسوم المعلومات فى ذاتها ، فاذا كان العلم هو هـذا فليس كلما يرد الخبر به من طريق السمع تتصوره النفس بحقيقته ، فاذاً لا يكون ذلك علماً بل إيماناً واقراراً وتصديقاً ، ومن أجل هذا دعت

الانبياء أممها الى الاقرار أولا ، ثم طالبوهم بالتصديق بعد البيان ، ثم حثوهم على طلب المعارف الحقيقية . والدليل على صحة ماقلنا قول الله عز وجل: « الذين يؤمنون بالغيب » ، ولم يقل يعلمون بالغيب . ثم حثهم على طلب العلم بقوله : « فاعتبروا يا أولى الألباب » ويا أولى الابصار . ثم مدح فقال : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » وقال : « الذين أوتوا العلم والايمان » فكفى بهذا فرقاً بين العلم والايمان . فنريد أن نبين شرائط الايمان وصفات المؤمن ليعلم كل انسان هل هو مؤمن حقاً أو شاك مرتاب ، لأن المؤمنين هم ورثة الانبياء وتلامذتهم ، وأن الانبياء لم يورثوا دراهم ودنانير بل انما ورثوا علما وعبادة ، فمن أخذ بهما فقد وفر حظا جزيلا كما ذكر الله جل ثناؤه : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير » وقال الله تعالى : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »

فصل

واعلم يا أخي أيدك الله أن نعم الله كثيرة على الخلق لا يحصى عددها ، ولكن نذكر طرفا مما يخص الانسان وهو نوعان : أحدهما من خارج الجسد كالمال والقرين والولد ومتاع الدنيا أجمع ، والآخر داخل فهو نوعان : أحدهما فى الجسد كالصحة وحسن الصورة وكمال البنية والقوة والجلد وما شاكلها ، والآخر فى النفس وهو نوعان : أحدهما حسن الخلق والآخر ذكاء النفس وصفاء جوهرها وهي الاصل فى جميع المعارف . واعلم يا أخى أن الناس كلهم فى المعارف على أربع منازل : فمنهم من قد رزق العلم ولم يرزق الايمان ، ومنهم من رزق الايمان ولم يرزق العلم ومنهم قد وفر حظه منهما جميعا ، ومنهم من قد حرمهما جميعا ، واليهم أشار بقوله تعالى : « وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون » نخبر بهذا عن أشرفهم في المعارف إذ كان علم البعث والقيامة من أشرف العلوم .

وأما الذين أوتوا الايمان ولم يرزقوا العلم فهم طائفة من الناس المقرين بما في كتب الانبياء عليهم السلام من أخبار البعث وأمر المبدأ والمعاد وأحوال الملائكة ومقاماتهم وحديث البعث والقيامة والحشر والنشر والحساب والميزان والصراط وجزاء الاعمال فى النشأة الآخرة ونعيم الجنان وماشا كلها من الامور الغائبة عن الحواس البعيدة عن تصور الاوهام وهم مع قلة علمهم ساكنة نفوسهم بما أخبرت به الانبياء وما أشارت اليه الحكماء من الثواب في المعاد ونعيم الجنان ومصدقون لهم في السر والاعلان راغبون فيها طالبون لها عاملون من أجلها ، ولكنهم تاركون البحث عنها والكشف لها والنظر فى حقائقها : كيف ؟ وأين ؟ ومتى ؟ ولم ؟ واليهم أشار بقوله : (فسلام لك من أصحاب اليمين) لهم الامن واليمن والامان والايمان

وأما الذين رزقوا حظاً من العلم ولم يرزقوا الايمان فهم طائفة من الناس نظروا فى كتب الفلاسفة والحكماء وبحثوا عنها وارتاضوا بما فيها من الآداب مثل الهندسة والتنجيم والطب والمنطق والجدل والطبيعيات وماشا كلها فأعجبوا بها وتركوا النظر في كتب النواميس والتنزيلات النبوية والبحث عن أسرار الموضوعات الشرعية والكشف عن خفيات الرموزات الناموسية فعميت عليهم الانباء فهم شاكون في حقائقها متحيرون في معرفة معانيها جاهلون بلطيف أسرارها غافلون عن عظيم شأنها ، واليهم أشار بقوله: «فرحوا بما عندهم من العلم»

وأما الذين حرموا العلم والايمان جميعاً فهم طائفة من الذين أترفوا فى هذه الحياة الدنيا فهم مشغولون الليل والنهار في طلب شهواتها ، مغرورون بعاجل حلاوات لذات نعيمها ، تاركون لطلب الآداب معرضون عن العلم وأهله ، غافلون عن أمر الديانات وأحكام الشرائع ومفروضات السنن التى الغرض منها نجاة النفس وطلب الآخرة واليهم أشار بقوله: «وأترفناهم في الحياة الدنيا» وقال «ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون» وقال : «يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم» .

فأما الذين أوتوا من العلم والايمان حظاً جزيلا فهم اخواننا الفضلاء الكرام الاخيار الذين أشار اليهم بقوله «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» . وقد أخبرنا عن مذهبهم وعرفنا كم أخلاقهم وبينا آراءهم وأوضحنا أسرارهم فى احدى وخمسين رسالة عملناها في فنون الآداب وغرائب العلوم وطرائف الحكم .

فانظروا فيها أيها الاخوان الأبرار الرحماء فلعلكم توفقون لفهم معانيها بتأييدالله لكم وبروح منه فتحيون حياةالعلماء وتعيشون عيش السعداء وتهتدون الى طريق ملكوت السماء وتنظرون الى الملأ الأعلى وتساقون الى الجنة زمراً .

واعلم ياأخي أن المؤمنين درجاتهم متفاوتة الايمان ، كما أن العلماء متفاوتون في درجات العلوم ، وذلك أن الانسان لايبلغ درجة فى العلم الا ويلوح له فوقها درجات لم يبلغها بعد ، كما ذكر الله بقوله : «وفوق كل ذي علم عليم» . فهو من أجل هذا يحتاج الي الاقرار به والتصديق بقول من هو أعرف وأعلم منه .

واذ قد بان من فضيلة العالم والمؤمن ، وماالعلم وماالايمان بما تقدم ، فنريد أن نذكر ماهية كل واحد منهما ونبين كميتهما وكيفيتهما فنقول :

ان العلم هو صورة المعلوم في نفس العالم ، والايمان هو التصديق لمن هو أعلم منك بما لايخبرك عما لاتعلمه

واعلم أنه رب صورة فى نفس العالم ليس لها وجود في الهيولى فنحتاج أن ننظر في هذا الباب نظراً شافياً فان أكثر مايدخل الشبهة على العلماء من هذا الباب

وأما الايمان فهو التصديق للمخبر فيما قال وأخبر عنه ، ولكن رب مخبر بخلاف مافي نفسه فيكون كذاباً إن كان قاصداً لذلك ،ورب مصدق أيضاً لكذاب وهذا أيضاً يحتاج الى نظر شاف لان الشبهة تدخل على القائلين والمستمعين من هذا الباب . وقد بينا طرفا من هذه المعاني فى رسائلنا المنطقيات .

فصل

واعلم ياأخى ان الايمان يورث العلم لانه متقدم الوجود على العلم ، ومن أجل هذا دعت الانبياء عليهم السلام الامم الى الاقرار أولا بما خبرتهم والتصديق

بما كان غائبا عنهم عن ادراك حواسهم وتصور أوهامهم ، فاذا أقروا بألسنتهم سموهم عند ذلك المؤمنين ، ثم طالبوهم بتصديق القلب كما ذكر الله : (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) فاذا وقع التصديق بالقلب سموهم الصديقين ، كما قال تعالى : (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون).

واعلم أن أول مايبدأ بالايمان — الذي هو التصديق من الانبياء للملائكة بما يخبرونهم مما ليس فى طاقة البشر — تصورها قبل اخبار الملائكة لهم كما قال الله تعالى : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون » الى آخر الآية .

واعلم يا أخي أن الملائكة هم محتاجون الى الايمان فهم متفاوتون فى درجات العلوم ، كما أخبر عنهم فقال ، « وما منا إلا له مقام معلوم » وان من أشرف الملائكة حملة العرش الذين هم في أعلى المقامات فى العلوم وهم أيضا محتاجون الى الايمان كما أخبر عنهم فقال جل ثناؤه «الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به » .

واعلم انك أيضا محتاج الى الايمان والتصديق لقول المخبر لك الذي هو فوقك فى العلم وأعلى منك فى المعارف ، لانك ان لم تؤمن بما يخبرك به حرمت أشرف العلوم وأجل المعارف . وتعلم أنه ليس لك طريق الى تصديق المخبر لك فى أول الامر الا حسن الظن بصدقه ، ثم على ممر الاوقات تتبين لك حقيقة ذلك فلا تطلبه بالبرهان فى أول الامر ، ولكن اجتهد فى أن تتصور فى فكرك ما تسمع بأذنك ثم اطلب السبيل والبرهان بعد ذلك ولا ترض بالتقليد اذا توسطت فى العلم ، ولا تطلب البرهان فى أوله ولكن هلم بنا يا أخي الى مجلس اخوان لك فضلاء وأصدقاء لك علماء وأوداء لك نصحاء لتسمع أقاويلهم وترى شمائلهم وتقف على أسرارهم ، وتتصور بصفاء جوهر نفسك ماتصوروا بصفاء جوهر نفوسهم ، وتنظر بعين قلبك كما نظروا بعيون قلوبهم ، وترى بنور عقلك مارأوا بنور عقولهم . فلعلك أن تنتبه نفسك من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وتحيا بروح العلوم وتعيش عيش السعداء وتوفق للصعود الى ملكوت السماء لتنظر الى الملأ

الأعلى وتكون هناك بنفسك الزكية الطاهرة النقية الشفافة مسروراً فرحا منعما ملتذاً أبداً لا بجسدك الثقيل المظلم المستحيل الفاسد . وفقك الله أيها الأخ للصواب وهداك الى الرشاد وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد

فصل

في ماهية الايمان

اعلم يا أخي أن الله جل ثناؤه انما اكثر مدح المؤمنين في القرآن وجعل وعدهم في الآخرة وثوابهم الجنة لان الايمان خصلة تجمع الخيرات البشرية كلها وفضائل الملائكة وأيضاً أكثر ذم الكافرين وجعل وعيدهم جهنم لان الكفر خصلة تجمع الشرور البشرية كلها ورذائل الشيطانية جميعاً ، وقد بينا ماهية الكفر ومن الكافر بالحقيقة في رسالة الناموس ، ونريد أن نذكر من شرائط الايمان وخصال المؤمنين طرفا ليعلم ما الايمان ويعرف من المؤمن بالحقيقة .

اعلم يا أخي أن الايمان يقال على نوعين : ظاهر وباطن ، فالايمان الظاهر هو الاقرار باللسان بخمسة أشياء أحدها هو الاقرار بأن للعالم صانعاً واحداً حياً قادراً حكيما وهو خالق الخلق كلهم ومدبرهم لاشريك له في ذلك أحد ، والثاني هو الاقرار بأن له ملائكة (هم) صفوة الله من خلقه نصبهم لعبادته وخدمته وجعلهم حفظة لعالمه ووكل كل طائفة منها بضرب من تدبير خلائقه بما في السموات والارض لا يعصون ما نهاهم عنه ويفعلون ما يؤمرون ، والثالث الاقرار بأنه قد اصطفى طائفة من بني آدم وجعلهم واسطة بينهم وبينه الملائكة ليتلقى الملائكة عن ربهم ويلقون الى بني آدم ما يتلقونه من الملائكة من الوحي والأنباء والرابع الاقرار بان هذه الاشياء التي جاءت بها الانبياء عليهم السلام من الوحي والانباء باللغات المختلفة مأخوذة معانيها من الملائكة إلهاما ووحياً ، والخامس الاقرار بأن القيامة لامحالة كائنة وهي النشأة الأخرى وأن الخلق كلهم يبعثون ويحشرون ويحاسبون ويثابون بما عملوا من خير ومعروف ويجازون بما عملوا من

شر ومنكر ، وذلك قول الله تعالى : « والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله » وقال : « واليوم الآخر » .

فهذا هو الايمان الظاهر التى دعت الانبياء عليهم السلام الأمم المنكرة لهذه الاشياء الى الاقرار به وهو يؤخذ تلقينا كما يتلقن الصغار من الكبار والجهال من العلماء الاقرار به.

وأما الايمان الذي هو باطن فهو اضمار القلوب باليقين على تحقيق هذه الاشياء المقر بها باللسان ، فهذا هو حقيقة الايمان.

وأما المؤمن في ظاهر هذا الأمر فهو المقر بهذه الاشياء بلسانه المتميز من اليهود ومن النصارى والصابئين والمجوس والذين أشركوا ، وبهذا الاقرار تجري عليه أحكام المسلمين من الصلاة والزكاة والحج والصوم وماشاكلها من مفروضات شريعة الاسلام وسنة المؤمنين

وأما الذين مدحهم في كتبه ووعدهم الجنة فهم الذين يتيقنون بضمائر قلوبهم حقائق هذه الاشياء المقر بها .

وأما الطريق اليه فهو بالتفكير والاعتبار والقيام بشرائطها وواجب حقها، كما قال تعالى : (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) الآية .

❋ فصل ❋

في ماهية التوكل

فاعلم أن إحدى شرائط هذا الايمان وخصال المؤمنين هو التوكل على الله كما قال : (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) .

وقال لنبيه عليه السلام : (توكل على الحي الذي لايموت) ونريد أن نبين ما التوكل ومن المتوكل على الله بالحقيقة.

أعلم ياأخي أن التوكل هو الاعتماد على الغير عند الحاجة بان ينوب عنك فيها

واعلم أنه اذا كان المتوكل عليه ثقة يكون قلب المتوكل عليه ساكناً ونفسه مطمئنة ، وإذا كان غير ثقة يكون قلب المتوكل غير ساكن ونفسه غير مطمئنة

واعلم يا أخي أن الناس كلهم متوكلون ، ولكن أكثر توكلهم على غير الله تعالى !! من ذلك توكل الصبيان على آبائهم فيما يحتاجون اليه من الطعام والشراب واللباس وغيرهما من الحاجات ، فهم طول النهار مشغولون باللعب لا يفكرون في أمر المعاش ولا يهمهم طلبه لاتكالهم على آبائهم وقلوبهم ساكنة ونفوسهم هادئة ليقينهم بآبائهم

وهكذا العبيد مشغولون بخدمة مواليهم لايفكرون في طلب المعاش اتكالا على مواليهم فيما يحتاجون اليه .

وهكذا جنود السلطان وخدمه لايفكرون في طلب المعاش اتكالا على السلطان في أرزاقهم المفروضة لهم فهم مشغولون في خدمة سلطانهم.

وأما غير هؤلاء من الناس فهم طائفتان : الاغنياء والفقراء ، فاما الاغنياء فاتكالهم على ذخائرهم وأموالهم وقلوبهم ساكنة ونفوسهم هادئة ولكن الحرص والرغبة في الزيادة يحثانهم على الطلب ، وهم في الطلب متوكلون على رأس أموالهم وصرفهم وحذقهم بالبيع والشراء في طلب الربح .

وأما الفقراء فهم الصناع والذين يعملون بابدانهم واتكالهم على صناعتهم وقوة أبدانهم

وأما المكديون (١) فاتكالهم على الناس في مواساتهم من فضل مافي أيديهم فبهذا الاعتبار لاتجد أحداً متوكلا على الله حق التوكل إلا الانبياء وصالح المؤمنين : وذلك أن الانبياء قبل أن يوحى اليهم يكونون كأحد أبناء الدنيا في طلب المعيشة ، حتى اذا جاءهم الوحي والنبوة تركوا طلب المعاش واشتغلوا بتبليغ الرسالة وتوكلوا على الله فيما يحتاجون اليه من عرض هذه الدنيا وتيقنوا به عز وجل واطمأنت نفوسهم ، لانهم يعلمون ويتيقنون بأن مرسلهم يكفيهم

(١) المكديون من مكد مكودا ومكداً ، أقام بالمكان لايبرحه لعجز أو لغيره . وأما أن يكون من كـد بمعنى طلب الرزق واسم الجمع منه أكداد وأكاديد (ولا واحد لهما) والمعنى مهزومون ومغلوبون ولعل هذا أقرب الى مانحن بصدده

مايحتاجون اليه في طاعتهم إذا اشتغلوا بخدمته كما أن الملوك يكفون جنودهم مايحتاجون اليه فى طاعتهم لهم ، وكما أن الموالى يكفون عبيدهم ما يحتاجون اليه في طاعتهم لهم .

وهكذا المؤمنون المحققون الذين هم ورثة الانبياء يقتدون بهم ويسلكون مسلكهم فيما دلهم الله عليهم فقال : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) فالتوكل إذاً أحد هذه الخصال التى يبين بها من المؤمن المحق .

﴿ فصل ﴾

في ماهية الاخلاص

ومن شرائط الايمان أيضاً وخصال المؤمنين الاخلاص في العمل والدعاء كما أمر الله تعالى : (ادعوا الله مخلصين له الدين) وقال : (واعبدوا الله مخلصين) . فالاخلاص في العمل هو أن لايطلب بما يعمل جزاء ولا شكوراً من أحد من خلق الله مثل اخلاص الوالدين في تربيتهما الاولاد فانهما لايطلبان جزاء ولا شكوراً لانهما قد علما بانها واجبة فى الجبلة ، ومثل اخلاص العبيد الصالحين الذين يخدمون مواليهم من غير خوف من الضرب ولاطلباً للعوض لانهم قدعلموا بأن خدمتهم هي شيء تقتضيه الحكمة والسياسة — كما بينا فى رسالة السياسيات.

واعلم ياأخي أن العبد الذى يخدم مولاه خوفاً من الضرب أو طلباً للعوض عبد سوء ، وهكذا من لايطيع ربه إلا خوفاً من النار أو رغبة في الأكل والشرب والجماع في الجنة ، فهو أيضاً عبد سوء والعبد السوء لايكون مخلصاً في الدعاء ولا في العمل .

وأما الاخلاص فى الدعاء فلا يكون إلا عند انقطاع الحيلة والتبري من الحول والقوة . والمثال فى ذلك ركاب البحر : وذلك انهم يدعون الله ويسألونه السلامة عند دخولهم السفينة ، ولكن غير مخلصين لاتكالهم على الربان والملاحين في حفظها ومراعاتها ، وتفوسهم ساكنة هادئة بحضور الربان والملاحين حتى إذا توسطوا البحر وهاجت الامواج واضطربت المراكب ودهش الربان وفزع الملاحون وأشرفوا على الهلاك ، فعند ذلك يدعون الله مخلصين له الدين لأنهم

قد علموا أنه لا يقدر أحد من خلق الله على معاونتهم ولا قوة لأحد على دفع ماورد عليهم إلا الله عز وجل ، ولا تتعلق قلوبهم بسبب من الأسباب إلا أن يكون فيها انسان يعرف أحكام النجوم .

وقد عرف ماالعلة الموجبة لما هم فيه من مناحس الفلك ويعلم أن النحس دافع تدبيره إلى سعد من السعود ويكون قلبه متعلقاً به فانه وان كان يدعو ربه لا يكون دعاؤه مخلصاً حتى يتبين أن النحس مستمر أو دافع التدبير الى نحس أشر منه ، فعند ذلك يقطع رجاءه من النجوم فيكون دعاؤه بالاخلاص

واعلم يا أخي أن مثل هذه الاحوال التي ترد على بني آدم وفزع العقلاء الى الله تعالى ودعاء العارف لهم بالكشف عنهم ماورد عليهم ، يكون فيها تلقين للجاهلين بالله وهداية للنفوس الى معرفته فيعلمون عند ذلك ، بنظرهم الى العقلاء في دعائهم وتضرعهم الى الله بالكشف عنهم ما هم فيه ، أن لهم إلها جباراً عالما قادراً يسمع دعاءهم ويعلم ماهم فيه وهو قادر على نجاتهم يراهم وان كانوا لا يرونه ولا يدرون أين هو .

وعلى هذا القياس كما يصيب الناس من الجهد والبلاء فيضطرهم ذلك الى الدعاء والتضرع الي الله عز وجل مثل الغلاء والوباء وآلام الأطفال ومصائب الأخيار وما شاكلها من الأمور السماوية التي لا سبيل لاحد في دفعها عنه الا الله تعالى ، فيكون ذلك دلالة لهم على الله عز وجل وهداية اليه ، كما قال : « أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أإله مع الله قليلا ما تذكرون » .

فصل

في ماهية الصبر

ومن احدى شرائط الايمان وخصال المؤمنين الصبر كما قيل : الصبر رأس الايمان . وقال الله تعالى : « اصبر وما صبرك إلا بالله » . وقال للمؤمنين : «إصبروا وصابروا» . الآية

واعلم يا أخي أن الصبر هو الثبات في حال الشدائد بلا جزع لما يرجى من محمود العاقبة والصبر مشتق من مرارة الصبر .

واعلم يا أخي أن الناس أكثرهم يصبرون في الشدائد ولكن لا يكون صبرهم بالله ولا لله ! ! لانهم يجزعون ويضطربون ويشكون ويظنون بالله ظن السوء كما قال الله جل ثناؤه في قصة المنافقين : «وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بوراً » . وذلك أن منهم من ظن أن تلك الشدائد التي أصابتهم جور منه اذا قضاها عليهم ومنهم من ظن أنه ليس من قضائه وحكمه ، ومنهم من ظن أنه ليس يعلم ما هم عليه من الجهد والبلوى ! ومنهم من يعلم أنه يعلمه ولكنه يظن أنه لا يفكر فيهم ولا يهمه أمرهم ، ومنهم من يظن أنه قاسي القلب قليل الرحمة وما شا كلها من ظنون السوء .

فأما الأنبياء المؤمنون فانهم يصبرون في الشدائد والبلوى ويكون صبرهم بالله ولله ، وذلك أنهم يرون ويعتقدون أن الشدائد التي تصيب الخلق فيها ضروب من المصلحة لهم وان كان يخفى على كثير من العقلاء ما تلك المصلحة والحكمة ، كما بينا في باب الدعاء والاخلاص عند الشدائد ، وكما بينا في رسالة اللذات ما الحكمة في ألم نفوس الحيوان دون سائر النفوس التي في العالم ، وان الحكمة فيها هي حث نفوسها على حفظ أجسادها من التلف والفساد .

واعلم يا أخي أن اعتقاد الانبياء والمؤمنين في الشدائد التي تصيبهم مصلحة لهم نتجت من المقدمة التي أقروا بها هي قولهم : إن للعالم صانعاً واحداً حياً قادراً حكيما وأنه قد رتب أمر العالم على أحسن النظام والترتيب في اتقان الحكمة حتى لا يجرى أمر من الامور صغارها وكبارها الا وفيها ضروب من الحكمة وصنوف من الصلاح لا يعلمه إلا هو

﴿ فصل ﴾

في ماهية القضاء والقدر والرضاء بالقضاء

ومن شرائط الايمان وخصال المؤمنين الرضاء بالقضاء والقدر وهو طيب النفس بما يجري عليها من المقادير ، وجريان المقادير هو موجبات أحكام النجوم ،

والقضاء هو علم الله السابق بما توجبه أحكام النجوم. ويقال إن الرضاء بالقضاء هو أقل أعمال بني آدم التي تصعد الى السماء ، وهو أشرف شرائط الايمان وأفضل خصال المؤمنين .

وقد قال الله تعالى : (لقد رضي الله عن المؤمنين) . وقال : (رضي الله عنهم ورضوا عنه) .

ثم اعلم يا أخي أنه لا يوجد أحد طيب النفس بما يجري عليه من المقادير المرة الضايرة إلا العارفون بحرمة الناموس ، ولا يعرف أحد حرمة الناموس كما يجب إلا الانبياء والمؤمنون . وقد بينا حق الناموس وكيفية حرمته في رسالة النواميس فمن علامة الرضاء بالقضاء وبما تجري به المقادير أن ينقاد لحكم الناموس طيب النفس مثل انقياد سقراط حكيم اليونانيين : وذلك أن هذا الحكيم أوجب عليه القاضي القتل بشهادة العدول وأنه واجب عليه القتل بشبهة دخلت على القوم فانقاد سقراط للقتل طيبة به نفسه ! فقيل له : إنك تقتل مظلوماً ، فهل لك أن نفديك بفدية أو نهرب بك ؟! قال سقراط أخاف أن يقول الناموس غداً لي لم فررت من حكمي ؟! فقالوا تقول له لأني كنت مظلوما ، قال لهم : إن قال لي الناموس إن ظلمك الشهود الذين شهدوا عليك بالزور والبهتان فكان من الواجب أن لا تظلمني أنت وتفر من حكمي ، فماذا أقول ؟! فخصمهم بهذه الحجة وانقاد للقتل طيبة به نفسه راضيا بحكم الناموس .

ثم قال من تهاون بالناموس قتله الناموس . وكان قد انقاد قبل سقراط للمقادير أحد بني آدم إذ قال له أخوه قابيل : لأقتلنك ! قال له هابيل : (لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك إني أخاف الله) الى قوله : (ان تبوء باثمي وإثمك). فرضي بقضاء الله الذي هو علمه السابق بالكائنات قبل كونها فانقاد للمقادير التي هي موجبات أحكام النجوم طيبة بها نفسه . ومثل ذلك أن رضي المسيح بقضاء الله وانقاد للمقادير وسلم ناسوته الى اليهود طيبة به نفسه راضيا بحكم الله الذي هو علمه السابق بالكائنات قبل كونها إذ لا يكون شيء بخلاف ما علم .

ومثل ما رضيت به السحرة بقضاء الله لما هددهم فرعون بالصلب فقالوا له :

(اقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا) . وذلك أن القوم قد علموا بأنه ليس له سلطان على نفوسهم انما سلطانه على أجسادهم فقالوا : (إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) . فانقادالقوم للمقاديروسلموا أجسادهم الى حكم فرعون طيبة بها أنفسهم

ومثل مارضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لما قتل خيار أنصاره وفضلاء المهاجرين وكسرت رايته وجرى عليه من المقادير الفلكية ماجرى ! ! قيل يارسول الله : لودعوت الله على المشركين بالهلاك لما فعلوا بك ؟ فقال رحم الله أخي نوحاً فان غوغاء قومه ضربوه وكان يقول : اللهم لاتؤاخذ قومي فانهم لايعلمون !! وأنا أقول اللهم اهد قومى فانهم لايعلمون . ولما بلغ الخبر الى المدينة ذلك اليوم بما جرى عليه وعلى أصحابه خرج أهل المدينة يتعرفون أخبار اخوانهم فخرجت امرأة من الانصار تسأل عن زوجها فقيل لها انه استشهد ، فسألت عن أبيها فقيل لها مثل ذلك ، فسألت عن أخيها فقيل لها مثل ذلك ، فقالت : أليس قد سلم رسول الله ؟ قالوا نعم ، فقالت في بقائه عوض عن الكل . ومثل رضاء عثمان بن عفان لما دخلوا عليه ليقتلوه فقام عبيده وسلوا سيوفهم وقالوا نقتل دونك ؟ فرجع وكره وذكر قول أنس لما قال رسول الله ﷺ : افتح له الباب وبشره بأنه ولى هذه الأمة بعد عمر ، ووعده ببلوى تصيبه بهراقة دمه ، فقال لعبيده : من رد سيفه الى غمده فهو حر لوجه الله تعالى ، وقعد في مجلسه وأخذ المصحف فى حجره فقرأ :« فسيكفيكهم الله ». ورضى بقضاء الله وعلم أنه مقتول وانقاد للمقادير طيبة بها نفسه . ومثل رضاء الحسين رضى الله عنه يوم كربلاء لما اشتد به العطش وطلب الماء فقالوا له : تنزل على حكم ابن زياد حتى نخلى سبيلك ؟ فقال : لا ! ولكن على حكم الله . وعلم أنه مقتول ، فقاتل حتى قتل راضياً بقضاء الله وبما جرت به المقادير طيبة بها نفسه .

واعلم يا أخى أن هذه النفوس التى تقدم وصفها إنما صارت راضية بقضاء

الله الذى هو علمه السابق فى خلقه وصبرت بما جرت عليها المقادير المرة التى هى موجبات النجوم لما ترجو من الخيرات فى المنقلب وما تنال من السعادة والروح والراحة بعد المفارقة ، وما يقصر الوصف عنه . واليها أشار بقوله : « فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون » . وقال تعالى : « فلاتعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين » الآية وقال : « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » .

فصل

ومن علامة المؤمنين المحققين أن لا يخافوا ولا يرجوا الا الله تعالى كما أن الاولاد لايخافون ولا يرجون الا الآباء والأمهات ، وهكذا الصبيان لايخافون الا من المؤدب والتلامذة لايخافون الا من الاستاذين، وهكذا الجند لايخافون الا من صاحب الجيش، والناس كلهم لايخافون الا من سلطانهم القادر على نفعهم وضرهم . وكما حكي عن الملائكة فقال : « يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون » . فالملائكة لا يخافون الا من ربهم وهكذا العلماء قال الله تعالى : «انما يخشى الله من عباده العلماء» الذين يشاهدونه ويرونه كما قال : « والشهداء عند ربهم » وكما قال رسول الله ﷺ حين سأله الاعرابى ما الاحسان ؟ فقال : الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك . فهذه الرؤية والمشاهدة بعين الحقيقة وهي أن لا ترى فى الدارين أحداً غيره كما قال المحقق شعراً

ماشرب صفو صبابة أشجانها حرق تأجج فى الهوى نيرانها
وسألت عن صفو الوداد فقيل لى إيثار حبك قلت جر عنانها
كل له وبه ومنه فاين لى شيء فأوثره ، فطاح لسانها

فصل

اعلم يا أخى أن أول عمد الايمان وأقوى أركانها هو الاتباع لاصحاب النواميس الالهية فيما يأمرون به من الطاعات وينهون عنه من المعاصى ، وهو

السمع منهم والطاعة لهم وذلك أن أشرف أعمال البشرية وألذ أفعال الانسانية وأعلى رتبة ينالها العقلاء مما يلي رتبة الملائكة هي وضع النواميس الاهية . واعلم يا أخي أن لواضعي النواميس وأتباعهم خصالا كثيرة وشرائط عدة قد ذكرنا طرفاً منها في رسالة النواميس وطرفاً في رسالة اعتقاد اخوان الصفا وطرفاً في رسالة عشرة الاخوان بعضهم لبعض

واعلم أن مثل واضعي الناموس مع أتباعهم وما يسمعون منهم من العلوم وما يأمرون به في سنن النواميس كمثل السماء وأمطارها والارض ونباتها وذلك أن كلام اصحاب النواميس وأقاويلهم كالأمطار ، واستماع اتباعهم كالارض وما ينتج بينهما من فوائد العلوم من الآراء والاعمال كالنبات والحيوان والمعادن . والى هذه المعاني أشار بقوله : « أنزل من السماء ماء » يعني القرآن « فسالت أودية بقدرها » يعني حفظتها القلوب بمقاديرها من القلة والكثرة « فاحتمل السيل زبداً رابياً » يعني ما تحمل ألفاظه وظاهره معاني متشابهات حفظتها قلوب المنافقين الزائغة الشاكين المتحيرين « ومما توقدون عليه في النار » مثل آخر يعني الجواهر المعدنية لها زبد عند السبك كزبد السيل ثم قال : « كذلك يضرب الله الحق والباطل » يعني أمثال الحقائق والاباطيل « فأما الزبد فيذهب جفاء » يعني الاباطيل والشبهات تذهب فلا ينتفع بها وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » يعني ألفاظ التنزيل تثبت في قلوب المؤمنين المصدقين وتثمر الحكمة كما ذكر فقال عز وجل : « ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء »

واعلم يا أخي أن الناموس لايتم إلا بالأوامر والنواهي ، والأمر والنهي لاينفذان إلا بالوعد والوعيد ، والوعد والوعيد لايتمكنان إلا بالترغيب والترهيب والترغيب والترهيب لاينجعان إلا فيمن يخاف ويرجو ، والخوف والرجاء لايظهران ولايعرفان إلا عند اتباع الأمر والنهي . فمن لايخاف شيئاً ولايرجو أملا فهو لايرغب ولايرهب ، ومن لايرغب ولايرهب فلاينجع فيه الوعد

والوعيد ولاينجع فيه الأمر والنهي ، ومن لا يأتمر لواضعي النواميس ولا ينتهي عن نواهيهم فلايكون له نصيب في الناموس الالهي ألبتة

واعلم يا أخي أن الأمور التي يخاف منها في العاقبة ويرجى اليها الوصول في استعمال النواميس نوعان اثنان : أحدهما دنيوي والآخر أخروي . فأما الدنيوي مثل الرياسة وحسن الثناء والعز والمال ومتاع الدنيا مادامت النفس مقرونة مع الجسد ومايبقى منها من الذرية والاعقاب بعد الممات . والاخروي هي نجاة النفس من بحر الهيولى وأسر الطبيعة والخروج من هاوية الاجسام — عالم الكون والفساد التي تحت فلك القمر — والفوز بالصعود إلى ملكوت السماء والدخول في زمر الملائكة والسيحان في فضاء الافلاك وسعة السموات والتنسم من ذلك الروح والريحان المذكور في القرآن الذي يقصر الوصف عنها إلا مختصراً كما قال الله تعالى : « فلاتعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين » الى آخر الآية

فصل

اعلم أن بغية كل طالب في استعمال أحكام الناموس هي البلوغ الى الحق وحكم الصواب وعمل الخير وتجنب الزور والبهتان

واعلم أن الحق هو غاية ليست وراءها نهاية ولكن دونها أمور متشابهة مشكلة . واعلم أن الالفاظ محتملة للمعاني والاوهام تذهب في طلبها كل مذهب فينبغي لك إذا سمعت لفظة محتملة للمعانى ألا تحكم عليها حكما دون أن تبين بعقلك كل المعاني التى تحتملها تلك اللفظة لعلك تفهم الغرض الاقصى الذي هو الصواب وتبلغ الغاية القصوى التى هى الحق

واعلم أن غرض واضعي النواميس الالهية بعيدالغور جداً في أحكام النواميس لايتصور لك في أول وهلة ولكن بعد النظر الشافي والبحث الشديد . ونريد أن نضرب لذلك مثلا ليكون قياساً على ماقلنا ووصفنا :

ذكر في المثال أنه كان رجلان اصطحبا في طريق على سفر ، فلما انتهيا إلى

شاطىء نهر قعدا للغداء فأخرج كل واحد زاده فكان مع أحدهما رغيفان ومع الآخر ثلاثة أرغفة فكسراها في موضع واحد ليأكلاها ، إذ مر بهما مجتاز فدعوه الى طعامهما فأجاب وجلس وأكل معهما ، فلما فرغوا قام ورمى بين يديهما خمسة دراهم وقال : إقسموها بينكما بالسوية ، ومضى هو لسبيله . فقال صاحب الرغيفين لصاحبه : لك النصف ولي النصف الباقي لأنه قال بالسوية ، وقال صاحب الثلاثة الأرغفة : بل العدل أن يكون لي ثلاثة دراهم ولك درهمان لأنه قال بالسوية بحسب الرغفان ، فتنازعا وتخاصما وتحاكما الى قاض من حكام الناموس فحكم بينهما أن لصاحب الرغيفين درهم واحد ، ولصاحب الثلاثة أربعة ، وكان هذا الحكم هو الحق وغاية الصواب

فتفكر يا أخي فيه فان فهمت معناه وتوجه لك الصواب فأنت فقيه بأحكام الناموس ، وان ذهب عليك فيه وجه الصواب وغاية الحقيقة فاذهب الى حاكم الناموس ليعرفك وجه الصواب وحقيقة المعنى

واعلم يا أخي أن كثيراً من العقلاء الذين يتعاطون الفلسفة والنظر في المعقولات اذا فكروا بعقولهم في أحكام الناموس وقاسوها بآرائهم وتمييزهم وفهمهم يؤديهم اجتهادهم وقياساتهم الى أن يروا ويعتقدوا في كثير من أحكام الناموس أن العدل والحق والصواب في خلافه ! ! كل ذلك لقصور فهمهم وقلة تمييزهم وعجز معرفتهم عن كنه أسرار أحكام الناموس .

مثال ذلك أنهم اذا فكروا في حكم المواريث : أن للذكر مثل حظ الأنثيين فيرون أن الصواب كان أن يكون للأنثى حظ الذكرين ، لأن النساء ضعفاء قلائل الحيلة في اكتساب المال ولايدرون ولايبصرون أن هذا الحكم الذي حكم به الناموس سيئول الامر به الى ما أشاروا اليه وأرادوه ، وذلك أن الناموس لما حكم للذكر مثل حظ الانثيين حكم أيضاً أن المهر في التزويج على الرجال للنساء فهذا الحكم يؤول الامر به الى أن يحصل للأنثى من المال مثل حظ الذكرين .

مثال ذلك لو أنك ورثت من والدك الف درهم وورثت أختك خمسمائة درهم

فاذا تزوجت أخذت مهرها خمسمائة درهم أخرى فيصير معها ألف درهم ، وأنت اذا تزوجت وأمهرت خمسمائة درهم بقي معك من المال نصف ما مع أختك ، فعلى هذا القياس قد آل الامر في حكم الناموس الى ما أرادوا وأشاروا اليه . فهكذا ينبغي أن يكون نظرك في أحكام الناموس حتى يتبين لك وجه الصواب فيها وغاية الحق

واعلم أن نظر واضع الناموس في موجبات أحكامه ليس بنظر جزئي يريد صلاح بعض دون بعض ولاعاجل دون آجل ، بل نظره كلي يريد الصلاح للكل والخير للعاجل والآجل جميعاً بالنظر في العواقب ومايؤول الامر اليه في المنقلب كما بينا في رسالة الناموس

فصل

اعلم يا أخي أن الانسان لايخلو من حالتي الشدة والرخاء ، والمؤمن في كلي حالتيه لايعرض عن طاعة الله ، وذلك أنه اذا كان صحيح الجسم قوي البدن غني المال عريض الجاه متفضل الآداب قادراً على مايشاء ممكناً لما يريد ، فهو مع هذه الحالات كلها يكون متكلا على الله مستنداً اليه مستعيناً به متبرئاً من حوله وقوته الا بالله ، كما قال سليمان عليه السلام : « هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر » وأما الكافر فهو في هذه الحالات كلها يكون راجعاً الى نفسه وحوله وقوته ومشيئته وارادته واجتهاده وحيلته متكلا على أسبابه معرضاً عن ربه ناسياً ذكره ، كما قال قارون : (انما أوتيته على علم عندي) .

وأما حال الشدة والبلوى فالمؤمن يكون فيها صابراً ، بقضاء الله راضياً مقبلا اليه بحكم الله حامداً له حسن الظن به راجياً لرحمته سائلا عفوه مستسلماً لأحكامه كما ذكر الله تعالى بقوله : (الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون) . وأما الكافر فانه يكون سيء الظن بالله ضجور النفس جزعا من الشدائد ساخطا على المقادير ذاما لاسبابه آيساً من روح الله قنوطا من رحمته ، كما ذكر الله : (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به) . الى آخر الآية

﴿ فصل ﴾

في الزهد في الدنيا والرغبة

ومن شرائط الايمان وخصال المؤمنين الزهد فى الدنيا والرغبة في الآخرة كما رغب الله تعالى نبيه ﷺ فقال : (وللآخرة خير لك من الاولى) . وقال : (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) . وآيات كثيرة فى القرآن في التزهيد فى الدنيا والترغيب فى الآخرة .

واعلم يا أخى أن الانسان مطبوع على أن لا يترك النفع الحاضر العاجل ويزهد فيه ويطلب الغائب الآجل ويرغب فيه إلا بعد ما يتبين له فضل الآجل على العاجل .

واعلم أن المؤمنين والحكماء والانبياء انما زهدوا فى الدنيا وتركوا عاجل شهواتها ورغبوا في الآخرة وطلبوا آجل نعيمها لما تبين لهم حقيقة الآخرة وعرفوا فضل نعيمها على نعيم الدنيا وشاهدوها بعيون قلوبهم ونور عقولهم كما شاهد أبناء الدنيا أمورها بحواسهم .

واعلم يا أخي أن الطريق الى معرفة حقيقة الآخرة ومشاهدة أحوالها بالاعتبار والتفكر في أمور الدنيا والمقايسة بينها وبين أمور الآخرة بالعقول السليمة من الآراء الفاسدة والنفوس الصافية من الاخلاق الرديئة ونتائج المقدمات الصحيحة الضرورية .

بيان ذلك أن العاقل اللبيب اذا فكر في قول الجمهور من الناس وتسميتهم هذه الدار التى نشأوا فيها باسم الدنيا وذمهم نعيمها يدل على الدار الآخرة وشرفها لأن لفظة الدنيا تدل على الاخرى ، كما أن لفظة الاخرى تدل على الاولى لانهما من جنس المضاف

ومن وجه آخر اذا اعتبرت أحوال الناس في الدنيا وجدتهم كلهم طائفتين : أخياراً أو أشراراً . فأما الاخيار فهم الذين يعملون من أعمال ما رسم لهم في النواميس الالهية ، ويفعلون ما أوجبته العقول السليمة ولا يطلبون على ذلك عوضاً

من جر منفعة الى أجسادهم أو دفع مضرة عنها ، فعند ذلك يقال لهم أخيار على الاطلاق ، وأنهم من أبناء الآخرة . وأما الذين يطلبون العوض فيما يعملون من الخير والشر من جر المنفعة الى أنفسهم أو دفع المضرة عنها ولا يفكرون في المعاد ولا يرجون في الآخرة الخير ولا يخافون العقاب ولا يهمهم أمر النفس ولا النظر في حالها بعد الموت فيقال عند ذلك انهم أشرار وانهم من ابناء الدنيا

ووجه آخر اذا اعتبرت أحوال هؤلاء الاخيار الذين تقدم ذكرهم وأنهم قد أفنوا أعمارهم كلها فيما وصفنا من أعمال الخير ثم ماتوا ولم يحصل لهم عوض على ماعملوه قبل الموت ، تعلم العقول وتقضي بالحق أن ذلك لايضيع عند الله شيء فيصبح بهذا الاعتبار أن بعد الممات — الذي هو مفارقة النفس الجسد — حالة اخرى يجازى فيها الاخيار وهي التى تسمى الدار الآخرة . وهكذا اذا اعتبر حال الاشرار الذين سعوا في الارض بالفساد طول اعمارهم ثم ماتوا ولم يعاقبوا على مافعلوا فتعلم العقول وتقضي ان هؤلاء لم يفوزوا وان حالهم بعد الممات ليس كحال اولئك الاخيار ، وذلك قوله تعالى : « ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون »

هذا واذ قد ذكرنا طرفاً من خصال المؤمنين وشرائط الايمان وخصال الكافرين وماهية الكفر فنريد أن نذكر طرفاً من علم المؤمنين الراسخين وخصال العارفين المستبصرين الذين هم ورثة النبيين وانصار المرسلين واخوان الصديقين المتألهين الربانيين الذين هم في أعلا رتبة الانسانية مما يلي رتبة الملائكة أعلى عليين ، ونذكر أيضا طرفاً من صفة اخوان الشياطين الضالين المضلين الذين هم فى أدون رتبة الانسانية مما يلي رتبة البهيمية أسفل السافلين

﴿ فصل ﴾

اعلم يا أخي أن العلوم كلها شريفة فيها عز ، ولكن أشرفها وأجلها هي معرفة الانسان حقيقة جوهره وما تتصرف به الامور حالا بعد حال الى أن يبلغ الى

أقصى مدى غايته الذى هو قاصد نحوه وهو أن يلقى ربه إما في الدنيا قبل فراقها وإما فى الآخرة بعد الفراق.

واعلم يا أخى أن هذا الباب من العلم هو لب ذوى الالباب وجذر العلوم وعنصر الحكمة ، فاجتهد في طلبه فانك به تنال شرف الدنيا وسعادة الآخرة ـ وقد بينا طرفاً من هذا العلم في رسائلنا الطبيعية ووصفنا فيها كيفية ما يتصرف به الانسان من الأمور حالا بعد حال من يوم مسقط النطفة الى يوم يموت وتفارق روحه جسده ، وقد بينا أيضاً طرفاً في رسائلنا العقلية مما تصير اليه الأنفس الجزئية بعد مفارقة أجسادها ، ووصفنا كيفية ما تتصرف بها الاحوال الى يوم يبعثون . ونريد أن نذكر في هذه الرسالة أشرف الامور التى تنال الانسان في الدنيا وأعلى رتبة يبلغ اليها قبل الموت ، ماهي ؟ ولكن قبل ذلك نحتاج أن نبين أولا ما الانسان اذ كان هو من أعجب المجوودات التى تحت فلك القمر وأشرفها تركيباً وأحسنها صورة ، ثم نخبر بعد ذلك عن الأمور التى ينالها ويبلغ اليها فنقول :

ان الانسان انما هو جملة مجموعة من جسد جسماني في أحسن الصور ، ومن نفس روحانية من أفضل النفوس . واعلم يا أخى أن لكل واحد من جزأيه غاية اليها ينتهى ، ونهاية اليها يرتقى . فأعلى رتبة ينالها الانسان بجسده وأشرف رتبة يبلغها ببدنه هي سرير الملك والعز والسلطان على أجساد أبناء جنسه ، والقهر والغلبة بالقوة الغضبية . وأما أعلى رتبة ينالها الانسان من جهة نفسه وأشرف درجة يبلغها بصفاء جوهرها فهي قبول الوحى الذى به يعلو الانسان على سائر أبناء جنسه وبه يغلبهم بما يدرك من المعارف الحقيقة بالقوة الناطقة . ولما تبين أن النفس أشرف جوهراً من الجسد صارت الرتبة التى ينالها الانسان بنفسه أشرف وأعلى من التى ينالها بجسده ، لان هذه جسمانية دنيوية وتلك روحانية أخروية . ولما قد تبين أن الوحى هو اشرف موهبة قد يجدها الانسان في الدنيا أردنا أن نبين ما الوحى وكيف قبول النفس له فنقول :

ان الوحي هو أنباء عن أمور غائبة عن الحواس يقدح في نفس الانسان من غير قصد منه ولا تكلف .

وأما قبول النفس الوحي فعلى ثلاثة أوجه : منها مايكون في المنام عند ترك النفس استعمال الحواس ، ومنها مايكون في اليقظة عند سكون الجوارح وهدؤ الحواس ، وهما نوعان : إما استماع صوت من غير رؤية شخص باشارات دائما

وأما استماع كلام من غير رؤية شخص كما قال الله تعالى : ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه .

وسنوضح كيفية كل واحد من هذه الوجوه الثلاثة ونبدأ أولا بوصف قبول النفس الوحي في المنام كيف يكون إذكان هو أعم وأكثر ، ثم نذكر الذي يكون في اليقظة إذكان هو أخص وأقل فنقول :

أولا ما النوم وما الرؤيا ؟ أما النوم فهو ترك النفس استعمال الحواس ، والرؤيا هي تصور النفس رسوم المحسوسات في ذاتها وتخيلها الامور الكائنة قبل كونها بقوتها الفكرية في حال النوم وسكون الحواس . وسنوضح هذا في فصل آخر ، ولكن من أجل أن قوماً من أهل الجدل ينكرون أمر النفس انها جوهرة ويجحدون وجودها احتجنا ان نبين ما النفس وما حقيقة جوهرها وما الدليل على صحة وجودها فنقول : اولا ان النفس هي جوهرة روحانية حية علامة فعالة . فأما الدليل على صحة ماذكرنا فهو اكثر من ان يحصى .

وقد ذكرنا طرفاً من ذلك في رسالة تركيب الجسد وطرفا في رسالة الحاس والمحسوس وطرفا في رسالة أن الانسان عالم صغير ، ولكن نريد أن نذكر من ذلك طرفا في هذا الفصل فنقول :

إن من الدليل الواضح على أن مع جثث الحيوانات جوهراً آخر غير جسماني هو مايظهر من أجسادها من الحس والحركة والاصوات والأفعال في حال الحياة والاخفاء به ، وفقدانها كلها في حال الموت دليل على مفارقة تلك الجواهر من أجسادها .

ومن الدليل أيضاً على وجود النفس مع الجسد وفراقها بعد الموت بكاء الناس

على موتاهم وحزنهم على فراق تلك النفوس ، ولو كان هذا الحزن والبكاء على الاجساد فمالهم والبكاء ، والأجساد عندهم برمتها ، ولو أرادوا أن يحفظوها من التغيير والفساد لكان يمكن بأدوية تطلى عليها مثل الصبر والكافور والعسل وماشا كلها ، ولكن لاينفعهم ذلك من البكاء والحزن إذا فارقتها تلك الجواهر الشريفة . ومن الدليل البين على أن النفس جوهر هو أفعالها الصادرة عنها من غير استعمالها آلات الحواس وحركات الجوارح ، وذلك أن الانسان إذا أراد أن ينظر في علم غامض ويبحث عن معنى دقيق حتى يفهمه يحتاج إلى أن يسكن حركات جوارحه ويترك تأمل محسوساته ويغوص في فكرته حتى يمكنه أن يتصور ذلك الشيء ويفهم ذلك المعنى ، فاذا فعل ماوصفنا فربما يجتاز به من يسلم عليه أو يكون بحضرته من يكلمه فلايسمع ولايحس إذا كان غائصاً في فكره — يعرف حقيقة ماقلنا كل عاقل قد ارتاض في علم من العلوم .

فان قال قائل إن النفس وإن كانت قد تركت استعمال الحواس وتحريك الجوارح في مثل هذه الحال فانها لم تترك استعمال البدن كله لأن الفكر لايكون إلا بوسط الدماغ ، كما أن النظر لايكون إلا بالعين والسمع لايكون إلا بالأذن وكذلك سائر الحواس

ولعمري إن القول كما قال ، ولكن إنما نحن أردنا أن نبين بهذا المثل أن النفس جوهرة عاقلة وهي المستعملة للدماغ والقلب وسائر الحواس والجوارح ، وهي آلات لها وأدوات يظهر بها بعض أفعالها ، ولكن لها أفعال أخر لاتحتاج فيها إلى أدوات جسدانية ولا آلات جسمانية وهي رؤيتها المنامات وعجائب تصاريفها فيما يرى أكثر الناس من الرجال والنساء والصبيان والجهال والعلماء والأخيار والأشرار جميعاً مالايرون في حال اليقظة مثلها

فصل

من ذلك ماذكر أن ابن ملك وقع فى أيدي عدو له فاستعبده وكلفه الخدمة الشديدة والأعمال الشاقة مع قلة المطعم والمشرب والعرى والضرب والشتم

والاستخدام حتى ذهبت قوته وهرم شبابه ونحل جسمه وضعف سمعه وكل بصره واسترخت مفاصله وعقل لسانه، ثم حبسه في مطمورة ضيقة وطال حبسه واشتد جوعه وعطشه وغمه وحزنه حتى غشي عليه من الجهد والبلوى والضر الذي هو فيه

فبينما هو ذات ليلة مفكر فيما هو فيه من العناء والشقاء والجهد والبلوى فنام ورأى فيما يرى النائم كانه في دار مملكته على سرير عزه وقد رجعت اليه أيام شبابه وقوة بدنه وطراوة جسمه وصحة حواسه ونشوة شهواته وإذا هو في بستان من البساتين التي كانت له كثيرة الاشجار تحتها الانهار تجري وعلى حافاتها رياحين وزهر ونور يفوح منها مثل نسيم الجنان، واذ هو بفتيان شبان أتراب إخوان كانوا له من أولاد الملوك عليهم لباس الجمال وهم قعود على كراسي موضوعة على تلك الانهار وبأيديهم التحف يحيي بعضهم بعضاً بالسلام، فلما رآهم ورأوه عرفهم وعرفوه واستبشروا به لطول غيبته عنهم وفرح بهم لبعد غربته منهم، فرفع في صدر المجلس وأقبلوا عليه بالتحية والسلام وداخله من الفرح والسرور واللذة مالا يوصف ولا يقال.

فماذا ترى يا أخي؟ أيهما خير لذلك الرجل وأحب اليه أن يبقى طول الدهر نائماً ملتذاً مسروراً فرحاً بما تراه نفسه من ذلك المنام أو ينتبه فيحس بما فيه جسده من تلك الآلام ؟؟ وماذا ترى وتقول لمن يزعم أن الانسان إنما هو الجسد وأن النفس لاحقيقة لها وأن تلك الآلام واللذات والفرح والغم والسرور والحزن كلها ينالها الجسد؟ فلم لاينال الجسد في حال النوم تلك الآلام والغم والحزن والذي به من الجهد والبلوى وهو موجود برمته وتلك الاحوال باقية عليه عند رؤية نفسه مثل هذا المنام ونيلها ذلك الفرح والسرور

﴿ فصل ﴾

وذكروا أيضاً أن رجلا بالعراق أصلح مجلساً للشرب ودعا إخواناً له فلما فرغوا من الاكل وقعدوا للشرب وارتفعت أصوات العيدان والمزامير ودار

الشراب فيهم وطرب القوم نام رجل منهم عند ذلك مما هم فيه من اللذة والسرور فرأى داراً حسنة وستوراً وفرشاً وأواني ورياحين وفواكه وشموعاً تزهر ومجامر تبخر، وقد امتلأ حول الايوان من الضياء والروائح والنعيم، ورأى فتياناً عليهم زين الجمال ومحاسن الكمال فبقي متفكراً متعجباً بما يرى ويسمع ويشم من محاسن المحسوسات وما تلتذ منه الحواس وتفرح الارواح وتسر النفوس ونعس وغاص في نومه حتى لم يحس بشيء مما كان في المجلس من تلك المحسوسات.

ثم رأى فيما يرى النائم كأنه في بلاد الروم في كنيسة من كنائس النصارى وهي مشتعلة بالقناديل منقوشة بالتصاوير مملوءة من الصلبان، واذا هو بين قوم من القسيسين والرهبان عليهم ثياب المسوح وعلى أوساطهم مناطق من السيور وبأيديهم مجامر معلقة وهم يطرحونها ويبخرون فيها القسط (١) والكندر، وهم يقرأون كلمات لهم شبية بالتسبيح ويلحنونها ويكررونها حتى حفظها الرجل من تكرارهم لها وهي هذه: كسى وسحرة قليلا وأبان * محمد حين بنسا الى بما ومعناها بالعربية: ان الاخيار يسبحون الله تعالى بالليل فهم أحياء عنده وان كانوا قد ماتوا، وأما الاشرار الظلمة فهم موتى عند الله وان كانوا في الدنيا أحياء. ورأى قوماً من الاساقفة بأيديهم أقداح مملوءة خمراً وفي مناديل لهم أقراص برسان يفرقونها على القوم ويحسونهم من ذلك الخمر، فتناول ذلك الرجل من تلك الاقراص واحدة بحرص ورغبة وتحسى من ذلك الشرب من شدة الجوع والعطش وهو لم يستمرىء بعد ماقد تعشى بالعراق، ثم مازالت تلك حاله وهو متعجب ومتفكر كيف وقع بالروم وحصل في تلك الكنيسة وكيف الرجوع الى العراق — مع طول المسافة، ثم تذكر اخوانه في مجلسهم وماتركهم فيه من اللذة والسرور فاشتد شوقه اليهم وضجره بمكانه ومايرى من الاشياء المخالفة

---

(١) القسط بضم القاف: هو عود ذورائحة طيبة يتداوى به ويستعمل بخوراً. والكندر بضم الكاف جمع شجرة شائكة كالآس — والكندر أيضاً الشديد يقال في الجمع: فتيان كنادمة اشداء

للسنة والشريعة التي هو فيها ، المضادة لطبيعته وعادته فضاق صدره واضطرب في منامه من ضجره فانتبه فاذا هو بالعراق في مجلسه ومكانه بين اخوانه وتلك الشموع وتلك الاصوات وتلك الروائح التي تأملها قبل نومه بحالها لم يتغير شيء منها فقل يا أخي لمن يزعم أن النفس لاحقيقة لها وأن الحساس الدارك الذي يعلم الاشياء ويفكر فيها هو هذا الجسد حسب لاشيء آخر معه ! وقل من الذي ذهب الى الروم ورأى تلك الامور في الكنيسة وأكل وشرب وحفظ تلك الكلمات؛ الجسد أو النفس ؟ وقل من الذي كان حاضرا بالعراق بالمجلس النفس أو الجسد ؟ وقل لم لم يكن الجسد يحس في حال النوم تلك المحسوسات التي كانت معه في ذلك المجلس من الأصوات والضياء والروائح وهي موجودة هناك برمتها بعينين وأذنين ومنخرين ؟ ! فان زعم أن المنامات لا حقيقة لها فماذا تقول في قول الله تعالى : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين » . وقول يوسف الصديق : «هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا» . وقول ابراهيم عليه السلام لابنه اسماعيل : «اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ؟» : «قال يا أبت افعل ماتؤمر» فلو لم يكن ابراهيم عليه السلام يعلم بان المنامات لها حقيقة وأن الرؤيا صحيحة لما كان يعزم على ذبح ابنه برؤيا رآها في منامه ؟؟ وكذلك اسماعيل لو لم يعلم صحة ذلك لما قال افعل ماتؤمر ولما كان يستسلم للذبح .

ويروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الرؤيا الصادقة جزء من أجزاء النبوة» وقال : «قد ارتفع الوحي وبقيت الرؤيا الصادقة » . فلو علم من يزعم أن المنامات لا حقيقة لها ان أكثر الانبياء عليهم السلام كانوا يقبلون الوحي في المنام عند ترك النفس استعمال الحواس لما قال هذا القول ولما أنكر وجود النفس .

هيهات قد جهل أشرف العلوم وخفي عليه أصل المعارف وبعد من الصواب وحرم أفضل المواهب من يزعم أن المنامات لا حقيقة لها وأن النفس لا وجود لها ، ولكن نسأل الله أن يهديهم ويفتح قلوبهم ويشرح صدورهم ليفهموا دقائق

العلوم ولطائف الاسرار فانه من لم يهده الله فلا هادي له «ومن لم يجعل الله له نوراً فاله من نور» .

﴿ فصل ﴾

وذكر أيضاً أن رجلا من المترفين وأرباب النعم ممن قد بسط له في دنياه ومكن له فيها جعل أكثر جهده وكده طول عمره ليلا ونهارا في تنعم بدنه ورفاهة جسمه ولذة عيشه واصلاح شهواته حتى لم يكن له طول نهاره شغل الا دخول الحمام وحلق رأسه وتمريخ بدنه أو تغيير لباسه أو تبخير ثيابه وبدنه واستنشاق طيبه أو تنقلا من مجلس الى مجلس في تجديد لذاته واصلاح شهواته ، حتى لم يكن يأكل ولا يشرب الا أطيب الطعام وألذ الشراب ولا يلبس الا أنعم اللباس ولا يقعد الا على أوطأ المراكب وألين الفرش ، وكان لم يكن ينام الا على سرير معلق في الهواء في وسط قبة له ، مخافة دبيب يعرض له أو غبار يصيبه ! فعاش بذلك زمانا طويلا حتى شهر في الناس بطيب عيشه ولذيذ شهواته ، وجعل الراغبون في شهوات الدنيا يتمنون حاله ويغبطونه على ماهو فيه ويتشبه به المترفون من أهل زمانه وأرباب النعم : كل واحد بحسب امكانه واتساع حاله حتى صار قدوة لطالبي اللذات في اتباع الشهوات .

وكان مع هذه الحال كلها لم يكن يعرف شيئا من اصلاح نفسه ولا تحسين أخلاقه ولا تفقها في الدين ولا تزودا لآخرته ولا تفكراً في أمر معاده ولا رغبة في علم ولا طلباً لأدب ولا فكرة في زوال الدنيا ولا ذكراً للموت بل كان مقبلا على طلب شهواته محتقراً لأمور الناس مزريا من دونه معرضا عن الفقراء هاجراً لأهل العلم متهاونا بامر الدين .

ثم أراد الله تعالى أن ينبهه من نوم غفلته ورقدة جهالته ويري للعباد قدرته ويجعله عبرة لغيره وعظة لمن سواه : فبينما هو ليلة نائم على فراشه فوق سريره معانقا لحبيبته وأبواب داره مغلقة وستوره مسبلة ، وحول سريره شموع تزهر وعلى أبواب داره خدمه وغلمانه مستيقظين ، إذ رأى فيما يرى النائم كأنه في برية

ففرة وحده وهو عريان جائع عطشان و بدنه مسود وشعره طويل وجسده ملوث برجيع ماف جوفه ، وعلى ظهره ثقل ثقيل واذا هو بأسودين منكرين خلقتهما طويل قامتهما وعيونهما تبرق ومن مناخرهما يخرج الدخان ومن شدقيهما تلتهب النيران و بأيديهما حراب حداد وهما يقربان نحوه ليأخذاه ، فلما رآهما ولى هاربا من بين أيديهما وهما يتبعانه حتى اذا أمعن فى هربه اذا هو بجبل شاهق فيه طريق ضيق وعر مسلكه فسلكه بمشقة شديدة وعناء طويل ، حتى اذا انتهى الى قنه هوى من الجانب الآخر فى واد منكساً على رأسه حتى وقع فى بئر يخرج منها دخان معتكر يأخذ بالانفاس ولهب يشوي الوجوه ، والاسودان فى أثره لا يفارقانه فمن هول مارأى وعظم ما عاين وشدة مالقى صرخ فى منامه صرخة واضطرب اضطرابا شديداً ووقع من سريره الى الأرض وانتبه كل من كان فى داره ومن حوله من جيرانه من شدة زعقته وطاش عقله وشخصت عيناه وارتعدت مفاصله وعقل لسانه واجتمع حوله كل من كان فى داره من خدمه وغلمانه وأقربائه يسألون ماالذى أصابه ؟ فلم ينطق جوابا بقية ليلته حتى أصبحوا وجمع له المعزمون والراقون وظنوا أنه أصابه لمم من الجن أو سحر من الاعداء ووسواس من الشيطان .

فقال لهم : ليس بى ماتظنون ! ولكن رأيت رؤيا هالتنى وأفزعتنى وأدهشتنى فجمع له المعبرون وقصت عليهم رؤياه ، فقال بعضهم اضغاث احلام وقال بعضهم : هذا من خلط سوداوى ومزاج غليظ ، وقال آخر : لا بل فكر رديء وتخيل فاسد ، وقال آخر : لا بل هو من الجن !

وجعلوا يرجمون الظنون حتى جنهم الليل فجمع خدمه وغلمانه وأقرباءه في مجلس واحد حول سريره ونام هو بينهم فوق فراشه وجعلوا يقرأون الرقى والعزائم والعوذ ويبخرون الدخن حتى كان ذلك الوقت من الليل فاذا هو برؤياه تلك بعينها بل ماهو أعظم وأهول وأصرخ ففزع من فراشه وأفزع كل من كان حوله ، ثم أدركوه وجعلوا يسألون عنه وهو مرتعد مرعوب لا ينام ولا ينامون توجعاً له الى الصباح .

وتسامع الناس بخبره وجمعت له الاطباء فوصفت له الحمية والاستفراغ والشربة، وظنوا أنه نافع من هذا العارض ففعل وما نفع شيء.

فلما كان من الاسبوع الداخل في مثل ذلك الوقت من الليل فاذا هو برؤياه بعينها بل ما هو أعظم وأهول فانتبه مرعوبا مرتعداً الى الصباح ما نام

فلما كان من الغد جمع له المنجمون والمعزمون والعرافون وسئلوا عن موجبات أحكام النجوم فذكروا أن مثل هذا العرض انما يعرض للانسان من أجل أنه يكون في أصل مولده من استيلاء النحوس على درجة طالعه أو أحد الاوتاد في تحويل السنين والشهور، فقيل لهم فما الدواء النافع فيه والمنجي له ؟ فقالوا تختار له يوماً يكون القمر متصلا بالسعود وطالعاً جيداً يكون السعد في الاوتاد والنحوس سواقط عنها، ويتحول من ذلك الوقت من بلد إلى بلد أو من محلة إلى محلة أو من دار الى دار.

ففعل ذلك وما نفع الدواء له !! وشاع حديثه في الناس وتسامعت به الاخبار في البلاد وصار موضع رحمة بعد أن كان بحال غبطة وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس خائفين أن يصيبهم مثل ما أصابه من البلوى والمحن، وجعل أهل المدينة ليس لهم حديث في مجالسهم ومحافلهم إلا حديثه ولاعظة إلا ما أصابه

فبينما يوماً جماعة من جيرانه قعود على الطريق في حديثه إذ مر بهم رجل يعرف بالناسك — وكان من أهل العلم والدين والسر قد رزق العلم والايمان— فقيل له كيف غمك على فلان جارك ؟ قال كغم أب مشفق طبيب على ولد عليل.

فقيل له وكيف ذلك ؟ قال لأن عندي تأويل رؤياه ودواء دائه.

فقيل له لم لا تقصده وتعرفه ما عندك؟ قال لانه لا يسمع قولي ولا يقبل نصيحتي

فقالوا له ولم ذاك ؟ قال لأن أزهد الناس في علم الرجل جيرانه، ولكن أخبركم أنا وعرفوه أنتم ولا تذكروني عنده فاني خائف ألا يقبل استصغاراً لما أقول أو يعمل من غير يقين فلا ينفعه، قالوا له عرفنا نسمع ما تقول ؟ فقال : أما رؤياه البرية القفرة فهو براءته من الدنيا وبراءتها منه يوم يموت.

وأما فقره فهو فقره بعد الموت وشدة الحاجة في الآخرة الى الزاد .

وأما عريه فهو عرى من الاعمال الصالحة التى لها ثواب الآخرة. وأما جوعه وعطشه فهو رغبته وحرصه في طلب شهوات الدنيا .

وأما سواد بدنه فهو سواد وجهه عند الله لسوء أعماله . وأما طول شعره فهو شعور حزن طويل في الآخرة .

وأما تلويث بدنه برجيع مافى جوفه فهو خوف واكتئاب يناله في الآخرة ويتمنى الرجعة الى الدنيا ولاسبيل له الى ذلك .

وأما الثقل الذي رأى على ظهره فهو ثقل أوزاره وسوء أعماله.

وأما الشخصان المنكران فهو منكر أفعاله ونكير أخلاقه وسوء عاداته لايفارقان نفسه وحيثما ذهبت يتبعانها .

وأما الجبل الشاهق فهو جبلته وعادته التى هو عليها مشقة والشاهق شقاه يناله بعد الموت إلا أن يتوب ويرجع إلى الله عن اثمه.

وأما المسلك الوعر فهو طريق الآخرة التى لابد من سلوكها بنصب وعناء

وأما الوادي فهو وادي جهنم والبئر المهوي هى الهاوية التى اليها تصير نفوس الاشرار وأرواح الفجار .

فقولوا له إن هو بادر وتدارك وتلافى قبل الموت وإلا فسيكون مصير نفسه إلى هناك بعد الموت ، فان الله تعالى أراد بهذه الرؤيا أن يعظه ويذكره وليتوب ويرجع عما هو فيه من الغفلة فى أمر الآخرة والحرص على الدنيا .

فقالوا له فما دواؤه قال ينوى نية صادقة ويعزم عزماً صحيحاً ويرجع الى الله ويتوب مما قد سلف ويتصدق بشطر من فضول ماله على الفقراء والمساكين ويلبس من خشن الثياب مايواري العورة ويصوم فى كل أسبوع يومين ويمشى الى المساجد خاضعاً ويتفقه فى الدين ويستعمل القرابين ويصلي فى ظلمة الليل ويستغفر فى الاسحار ويسأل الله تعالى أن يكشف ما به وأنه تعالى يفعل ذلك ان شاء

فقام القوم من ساعتهم ودخلوا عليه وعرفوه بما أصابه وبما هو خائف مترقب

له ثم أخبروه بما قال الناسك ، فقال لهم . من أين لكم هذا التأويل ومن وصف لكم هذه الرؤيا ؟ فقالوا أخبرنا العالم فى الدين الناصح الذي لا نشك فيما قاله ، فقبل قولهم وجمع جماعة من العلماء والفقهاء وأهل الدين فاخبرهم بما قيل له ، فقالوا حقاً ماقيل وصوابا ماوصف .

فسألهم عند ذلك عن التوبة النصوح كيف تكون وعن فقه الدين وطريق الآخرة وأمر المعاد وصفة الجنان وثواب الاخيار وأين يكون منقلب الاشرار فوصفوا له ما هو مذكور في كتب الأنبياء عليهم السلام فقبل ما قالوه وفعل ما أمروه بين شك ويقين وخوف ورجاء . فلما كان في الاسبوع الآخر مثل ذلك اليوم صام نهاره وتصدق عند افطاره وأكل يسيراً من الطعام وقام يصلي ليلته ، فلما كان من ذلك الوقت وهو ساجد إذ غلبه النوم فرأى في منامه كأنه في تلك البرية بعينها وقد أخضرت من العشب والكلأ وقد تفتحت أزهار الرياحين وفاح نسيمها ، فاذا هو على رأس قمة عليها عين من الماء الزلال وكأنه قد اغتسل من مائها فتناثر عن بدنه ذلك الشعر والدرن ، وقد ألبس ثياباً جدداً تفوح منها رائحة الطيب ، واذا هو بشخصين قائمين أمامه كأنهما صورتان من النور تشف أبدانهما ، عليهما زى الجمال ومحاسن الكمال ورونق الشباب وهيبة الوقار وهما مبتسمان فى وجهه كالمستبشرين له يشيران اليه بالنظر الى قدام . فلما تأمل فاذا هو بفضاء فسيح يقصر دونه الطرف واذا هو بأنوار قد ملأت الآفاق من الضياء واذا في ذلك الفضاء رياض خضر كأن بينها نسج الديباج من الزهر والنور والزعفران ، واذا في وسطها أنهار تجرى على أرض بيضاء كأن حصاها الدر والياقوت والمرجان وعلى حافات تلك الانهار أشجار كان أوراقها الحرير والسندس والارجوان ، واذا هب نسيم تخشخشت أوراقها كأنها أصوات نغمات أوتار العيدان ، وبين تلك الاوراق ألوان الثمار متفننة الاشكال والطعوم والألوان ، وإذا بين ذلك قصور شاهقة كأنها جبال من رخام أبوابها مفتحة وصحون واسعة وايوانات متقابلة فيها سرر موضوعة عليها فرش مرفوعة ونمارق مصفوفة وبينها سادة

كرام متكئون متقابلون عليهم زين الجمال ومحاسن الكمال وهيبة الوقار ، بأيديهم التحف يسعى بينهم ولدان وغلمان وجوارى حسان أتراب مبرقات بالمحاسن والجمال . فلما رأى تلك المحاسن قال لصاحبيه : ما هذه ؟ قالا هي الجنة دار السلام ومعدن الارواح ومسكن نفوس الاخيار ومستقر الابرار ، فان أنت دمت على ما أنت عليه الى الموت فسيكون مصيرك الى هناك بعد مفارقتها جسدها فتجد لذة العيش وسرور النعيم صافياً بلا تنغيص مابقى الدهر ، فمن فرح ماسمع وسرور مابشر ، استفزه ذلك فانتبه داهشا متفكراً يتمنى عسى أن ينام فيرى تلك الرؤيا ثانياً بعد أن كان كارهاً للنوم مخافة أن يرى رؤياه الأولى ، فلما أصبح تصدق بجميع ماله وأعتق كل عبد له ولبس المسوح وكان طول نهاره صائما وسهر ليله قائما مجانبا للناس لايكلم أحداً بل يصلى نهاره باكيا حزينا زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة حتى فشا خبره في الناس وتسامعت به المدينة والبلاد فقصده الناس من الآفاق يسألونه رؤياه ويسمعون تأويله ويتعظون به . ثم صار بعد ذلك يتكلم على الناس في المجالس بالحكمة والموعظة ويضرب لهم الامثال ويدلهم على طريق الآخرة ويرغبهم في ثواب الجنة ويزهدهم في غرورها وأمانيها ويحذرهم الاغترار بها . فقيل له من أين لك هذه الحكمة والموعظة وأنت لم تكتب الحديث ولم تسمع الاخبار ولم تقرأ الكتب ؟ قال أجد قلبي كالمرآة تتراءى فيه حقائق الاشياء وأجد لساني يجرى على الصواب من غير تكلف مني وأجد نفسي كالترجمان تسمع من وراء الحجاب وتعبر وتؤدى الى أبناء جنسي مما تسمع بلا تصنع مني ، فعلم عند ذلك أنه مؤيد بملك من الملائكة يلهمه باذن الله جل ثناؤه ، ثم صار ذلك الرجل قدوة فى الدين لاهل زمانه . فبينما هو يوما في محفل والناس حوله يسألونه عن أمر الدين وهو يفتيهم والناس ما بين مستمع مصدق وشاك ومتعجب منه كيف كان بالامس أرغب الناس في الدنيا قدوة لطالبى الشهوات ، وكيف هو اليوم في أمر الدين إمام لطالبى الآخرة إذ وقف فى المجلس رجل من أولئك الجيران الذين دخلوا عليه يعوذونه فرأى ذلك الناسك في مجلسه يسائله

عن مسائل من أمر الدين ويستوصف منه طريق الآخرة ، فدنا منه وقال له : شبه المتعجب — هذا صاحبك الذي فسرت منامه ووصفت دواءه وأنت اليوم تسائله عن أمر الدين وطريق الآخرة ؟ ! قال نعم ولكن قد جاءه من العلم مالم يأتني وقد قبل نصيحتي أمس فنفعته اليوم وأنا أقبل منه اليوم ما عسى أن ينفعني غداً وكانت وصفتي له أمس تعليما بشريا ووصفته اليوم تعليم ملكي . ثم أن ذلك الرجل التائب بقي مدة من الزمان مجتهداً في عبادة الله على عادته حتى قرب أجله ووقت مفارقته فرأى في منامه كأن روحه قد خرجت من جسده واذا هي على صورة مثل شكل الجسد وهيئته سواء ، غير أن هذا الشكل جسماني وتلك صورة روحانية شفافة لاينالها لمس ولاحس ، واذا هي قد ثبتت في الهواء حيث شاءت وكيف شاءت بلا كلفة ولاعناء وهي تجد من ذاتها خفة وراحة وسروراً وروحا ولذة وفرحا لاتوصف بمثلها حال الاجسام ، ولما نظرت الى جسدها فاذا هو مطروح لاحراك به فحنت اليه لطول الصحبة وإلف العادة ، فلما دنت منه وتأملته فاذا هو كأنه قد أتى ثلاثة أيام بعد الموت وهو منتفخ منتن الرائحة يسيل منه الدم والقيح والصديد وتجري بين لحمه ودمه الديدان ويخرج من فيه ومنخريه وأذنيه الديدان والقمل . فلما رأت ذلك المنظر الهائل اشمازت منه وتأخرت عنه وأنفت من الدنو اليه وجعلت تغبط حالها حين فارقته وخرجت منه ونجت من وسخه ودرنه ووحشته وعاره ووباله ثم التفتت فاذا هي أبواب السماء قد فتحت والمعراج قد امتد من السماء الى الارض والملائكة نزلت وامتلأت الآفاق من النور والضياء ، وسمع منادياً ينادي « ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » فانتبه من نومه ذلك ثم اخبر بما رأى وأوصى وصيته وما مكث الا أياما حتى توفي ومضى لسبيله

﴿ فصل ﴾

تفكر يا أخي في هذه الحكايات التي تقدم ذكرها واعتبر حال المنامات وتصاريفها وعجائبها اذ قد كان يبلغ من أمرها وقوتها أن تنقلب بالاعيان وتتغير

بها العادات وتصاريف أمر الناس من الغم والحزن في طلبها الى الزهد فيها والترك لها والرغبه فى الآخرة والاجتهاد في طلبها بعد الاعراض عنها . وتصديق جمهور الناس بأحكام المنامات وصحة الرؤيا هو مشهور بين العقلاء . ومن ينكر هذا البيان وحقيقة الرؤيا ويجحد صحة المنامات فما هو الا معاند عدو لما يجهل منكر لما لا يفهم ، وقد جعل فكرة المعارضة للحكماء والمجادلة للعلماء ويفتخر بقوة لسانه وحسن بيانه بغير علم ولا ايمان .

وقد يروى في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال : « ان أخوف ما أخاف على أمتي رجل عليم اللسان جاهل القلب » . نعوذ بالله من ذلك

﴿ فصل ﴾

اعلم أنه ليست من طائفة أضر على الانبياء وأشق على المؤمنين من هذه الطائفة سواء يكونون في أزمان مبعث الانبياء من جملة أعدائهم المنافقين ، أو يكونون من بعد مبعثهم فى أمتهم ، وذلك أنهم ان كانوا فى أزمان مبعث الانبياء عليهم السلام فهم الذين يطالبون الانبياء بالمعجزات ويعارضونهم بالخصومات ويجادلون المؤمنين بالشبهات مثل ما قالوا لنوح عليه السلام : «ما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأى» · واستصغاراً للمؤمنين واستنقاصا لقولهم .

وهكذا قالوا لموسى النبي عليه السلام : « أتعلمون أنه مرسل من ربه ؟ » . أرادوا جدالهم فترك المؤمنون جدالهم وقالوا : « إنا بما أرسل به مؤمنون » . وقالوا لمحمد ﷺ : «لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب » الى قوله « حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه» وهم : الذين كانوا من الذين آمنوا يضحكون : واذا مروا بالمؤمنين كانوا يتغامزون : واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون . وآيات كثيرة فى القرآن فى ذم هذه الطائفة المجادلة . فهذه حالهم وحكمهم اذا كانوا فى مبعث أزمان الأنبياء عليهم السلام وأما اذا كانوا من بعد ذلك فهم الذين يقرأون شرائع الانبياء وأحكام سننهم سواء يكونون من أعدائهم المخالفين أو من أتباعهم المنافقين ، وذلك أنهم اذا كانوا

من أعدائهم فهم الذين يأتون بالشبهات ويجادلون بها المؤمنين وان كانوا من أتباعهم فهم الذين ينكرون من أحكام شرائعهم وآيات كتبهم ما لا يفهمون ويجحدون مايقصر علمهم عن تصور مرموزاتهم ودقائق أسرارهم ، ثم يعتقدون فيها آراء فاسدة ومذاهب مختلفة ويضعون لها قياسات متفاوتة بعقولهم الناقصة ويجادلون بها المؤمنين ويناقضونهم ويحتجون بآيات من كتب الانبياء عليهم السلام بغير علم ، ويفسرون معانيها على ما يوافق مذاهبهم وآراءهم وقياساتهم ! حتى ربما يقولون ان فى حجج العقول كفاية عما جاءت به الانبياء من الوصايا ثم يستمر بهم ذلك حتى انهم ربما ينبذون أحكام كتب الأنبياء وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . «واتبعوا ماتتلوا الشياطين» فى أوهامهم من الوساوس والخيالات وهم مع ذلك يتعاطون المعقولات وهم لا يعرفون حقائق المحسوسات ويتكلمون في العلوم الالهيات وهم لا يدرون ما الرياضيات ولا علم الفلسفة يعرفونها ولا احكام الشريعة يحققونها : «مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء» لا بالفلسفة يتهذبون ولا بالشريعة يهتدون

فلو أنهم علموا بأن الله عز وجل انما جعل العقل مقدمة أمام الرسالة والوحى وجعل الوحى والرسالة أيضا مقدمة أمام البعث والقيامة ، وجعل البعث والقيامة أيضا مقدمة للغاية ، لما قالوا بأن في موجبات العقل كفاية للانسان عن الوصايا التى جاءت فى الرسالة على ألسنة الانبياء من الامر والنهي والاحكام والحدود أترى بأى عقل كان يمكن أن يعلم بأن الانسان يبعث بعد الموت ويلقى ربه فيحاسبه ويجازيه لولم يخبر فى الرسالة أو بأى عقل كان يمكن أن يعلم حديث آدم وقصة ابليس وخطاب الملائكة وماهو مذكور فى القرآن فى نحو من سبع وخمسين آية في عدة سور

فصل

اعلم أن الله جل ثناؤه لما خلق الانسان فى أحسن تقويم وفضله على سائر الحيوان وملكه عليها وسخرها له وجعله خليفة فى أرضه يتحكم على جميع مافيها

من المعادن والنبات والحيوان يتصرف فيها كيف يشاء ويحكم عليها بما يريد ، كل ذلك بتمييز عقله وتمكنه بكمال هيئته ، لم يجز في حكمة البارى تعالى أن يتركه بلا وصية يبين له فيها ماينبغى له أن يفعل ومالاينبغي أن يفعل.

ولما أوصاه وأمره ونهاه لم يجز في حكمته أن يتركه دائما ولا يدعوه الى حضرته ويسأله عما فعل ، كما ذكر جل ثناؤه فقال : « ووصينا الانسان بوالديه حسناً وإن جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم » الآية وقال : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً ؟ » الآية وقال : « فمن كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت » ، وقال : « والذين كفروا بآيات الله ولقائه » . وآيات كثيرة في القرآن في هذا المعنى ، ولكن هذه الطائفة المجادلة زعموا بأن معنى لقاء الله والرجعة اليه هو لقاء ثوابه وإنما أنكروا رؤية الله لأنهم يظنون ويزعمون ألا يرى إلا الأجسام وأعراضها حسب ، والله تعالى ليس بجسم بالاجماع . فمن هذا الوجه والقياس أنكروا لقاء الله ورؤيته ، وليس الأمر كما ظنوا أن لايرى إلا الأجسام وأعراضها حسب ، بل الأجسام غير مرئية بالحقيقة لولا الالوان والألوان أيضاً غيرمرئية لولا النور والنور ليس بجسم ولاعرض لأنه لو كان النور جسما لما كان يسري في الاجسام الصلبة الشفافة مثل الزجاج والبلور وغيرهما لان الجسم لايدخل في جسم آخر بالاجماع ، لانه لو كان جسم يدخل في جسم آخر لدخلت الاجسام كلها في جسم واحد ، وأيضاً فان النور ليس بعرض من الأعراض الحالة فى الاجسام ، فانا قد بينا أن النفس أيضاً ليست بجسم وإن كان لايرى أن يظهر أفعالها إلا من الاجسام وكذلك الملائكة والشياطين والجن والارواح والانفس والعقل الفعال فهذه كلها ليست بجسم ولاأعراض وان كان لايظهر أفعالها إلامن الاجسام ، وكذلك النور ليس بجسم وان كنا لانرى أن يظهر لابصارنا الا من جسم

ولو لم يجز أن يوصف البارى جل ثناؤه بالرؤية لما قال : « كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » . وأنه تجلى للجبل ، فان التجلى والحجاب لايقال ولا

يوصف بهما الاشياء التي لايجوز عليها الرؤية . والله تعالي أعلم بصفات نفسه وما يجوز أن يوصف به من عقول هؤلاء المجادلة

فصل

ومن احتجاجات هؤلاء الطائفة المجادلة على بطلان الرؤيا وصحة المنامات يقولون إنه اذا رأى الانسان في منامه كأن رأسه مباين لبدنه أفتري بأي عين يبصر رأسه ؟ ولا يدرون بأن النفس جوهر لاينالها الحديد لو قطع الجسد إرباً اربا

ومثل هذه الرؤيا من أدل الدليل على وجود النفس وشرف جوهرها إذا كانت تتأتى لها رؤية الجسد بسوء الحال مقطوع الاعضاء ناقص البنية معوج الصورة وهي سليمة صحيحة من الآفات مثل أنفس المقطوعي الأيدي والارجل والزمنى المفلوجين نصف أبدانهم .

وذلك انك ترى كثيراً منهم يكون أعقل وأذكى وأعلم وأفهم ممن هو صحيح الجسم سمين البدن عظيم الجثة .

فلو كان الانسان هو هذا الجسد حسب بلا نفس معه لكان يجب أن يكون كل من كان أصح جسما وأكبر جثة وأسمن بدنا يكون أكثر إنسانية وأعقل وأفهم وأذكى وأعلم ممن كان أصغر جثة أو كان ناقصاً بعض الاعضاء أو كان مهزولا .

وقد يوجد الامر بخلاف ذلك فى كثير من الناس وفى كثير من الحيوانات أيضاً : فانك تجد القرد أذكى من الخنزير ، والثعلب أخبث من الذئب ، والببغاء أفصح من الكركي والقطا أهدى من النعامة ، وماهو موصوف فى كتاب الحيوان من هذا المعنى .

وقد تبين بان الحيوانات لها نفوس أيضاً وتلك النفوس تتفاضل لا بكبر الجثة وعظم الخلقة وحسن الصورة حسب ، بل من قبل أفعالها وجواهر نفوسها وأخلاقها وخواصها ومتصرفاتها مما هو مذكور فى كتاب الحيوان وكتاب الخواص.

كل ذلك دليل على أن مع هذه الحيوانات جواهر أخرى هي الفاعلة المحركة لاجسامها ، إذكان الجسم لافعل له بمجرده ولا للعرض أيضاً له بالاجماع .

﴿ فصل ﴾

ويقال لمن يزعم أن الانسان ليس هو بشيء سوى هذه الجملة المشار اليهـا ، يعنى هذا الجسم ومايحله من الاعراض مثل الحياة والحس والحركة ، وأن النفس لاوجود لها : لم لايسمى هذه الحيوانات إنساناً ؟ فان كل واحد منها هو أيضاً جسد فيه الحياة والحس والحركة ؟ فان قال أعني بالانسان بنية مخصوصة أو قال مزاجا معلوماً أو قال تأليفاً ما فيقال له أخبرنا أي بنية تعنى وأي مزاج ؟ بين لنا وإنا قد نرى بنية بدن الزنجى مخالفة لبنيـة بدن التركي ، ومزاج الطفل مخالفاً لمزاج الشيخ ، وتأليف بنية المفلوج الزمنى مخالفاً لبنية السليم الصحيح وطبع العليل مخالفاً لطبع الصحيح ، وكلهم إنسان لايختلفون فى الانسانيةمع اختلاف هذه الاحوال .

فبين لنا ماذلك المعنى الذي كلهم فيه بالسوية إن لم يكن للنفس حقيقة ولا وجود ؟ فان قال الروح فهو الذى نسميه نفساً وإنما الاختـلاف هو في العبارة ولاضير إذ قد اتفقنا فى المعنى

فان قال إن الجسم يفعل هذه الافعال بكون الروح فيه ولـكن الروح عرض من الاعراض فقد ناقض وادعى بأن مالا فعل له يجتمع مع ماله فعل فيكون فاعلا فهو المطالب بالدليل على دعواه ! ولم يصح للقائلين بهذه الدعوى دليل برهانى يقينى الى يومنا هذا الا شبهات ودعاوى . والمنازعة قائمة بذاتها . فان قال بأنه إذا دخل في الجسم عرض من الاعراض فان الله تعالى يحدث عند ذلك فعلا فقد ناقض مذهبه وأقر بخلق الافعال بعد ما كان منكراً لها إن كان من أهل الاجتهاد ، وان كان ممن يقول بطريق السمع فالأمر سهل لأنه قد وردت أخبار كثيرة في تصحيح وجود النفس والروح وآيات كثيرة في القرآن تنطق بهاوان كان كلامنا مع من يرد دلائل العقل وحجج الجدل

فصل

واذ قد ثبت بما ذكرنا وجود النفس وحقيقة المنامات وصحة الرؤيا بما فيه كفاية لكل منصف عقله ، فنريد أن نذكر كمية أنواع المنامات وفنون تصاريفها.

واعلم يا أخي أن رؤية المنامات على ستة أنواع : فمنها ماهو أضغاث أحلام وأحاديث النفس ، ومنها مايكون من جهة غلبة أخلاط الجسد ، ومنها مايكون من جهة موجبات أحكام النجوم ، ومنها ماهو وساوس من الشيطان ، ومنها ماهو الهام من الملائكة ، ومنها ماهو وحي من الله وتأييده . تفسيرها : أما اضغاث الاحلام فمثل مايرى كل انسان مايكون منصرفاً فيه نهاره ومفكراً فيه ليله من الاعمال والصنائع والتجارات والاقاويل والفكر والهموم وما شاكلها من أحاديث النفس كالذي يرى الحراث من الزرع والحصاد والشجر والنبات والعوامل من الحيوان وما هو منصرف فيه نهاره ومفكر فيه ليله ، وعلى هذا القياس سائر طبقات الناس مما يرون من أحوالهم ومتصرفاتهم يسمى أضغاث أحلام وأحاديث النفس . وأما الذي يكون من غلبة اخلاط الجسد فهو مثل الذي يرى من غلبت عليه مرة السوداء من السواد والدخان والقاذورات والأحزان وما شاكلها ، وكالذي يرى البلغمي المرطوب من الأنداء والأمطار والآجام والأنهار والوحل وماشاكلها ، وكالذي يرى الدموي من الفرح والضحك واللعب والسرور وماشاكلها ، وكالذي يرى الصفراوي من الحريق والبروق والنيران والالوان الحمر وما شاكلها

وأما الذي يكون من أحكام موجبات النجوم فهو الأصل وسائرها فروع : وذلك أن بني الانسان يختلفون في رؤيتهم المنامات على فنون شتى : فمنهم من يكون كثير المنامات صحيح تأويلها ، ومنهم من هو بالضد ، ومن الناس من تكون عجيبة رؤياه غريب تأويلها — كما ذكر ذلك في كتب تأويل المنامات بشرح طويل

فصل

ثم اعلم يا أخى أن تأويل المنامات وإن كانت مختلفة كثيرة الفنون فليست تخرج كلها من ثلاثة أنواع : منها مايكون مثلا بمثل سواء ، كالذى يرى كأنه سافر الى بلد فيتفق له السفر الى ذلك البلد ، أو كالذي يرى انه ولي ولاية فيلي ذلك العمل ، أو يرى إنساناً في منامه فيراه في اليقظة . وعلى هذا القياس تكون رؤيا كثير من الناس .

ومنها مايكون تأويلها بالضد مما رآى كالذي يرى كأنه يبكي فيناله فرح ، أو يرى كأنه يضحك فيغتم وأشباه ذلك .

ومنها ماله تفسير كالذي يرى أنه طار فسافر أو كأنه أكل لحم إنسان فاغتابه أو أكل طعاماً حاراً فوقع في خصومة وماشاكل هذا مما هو مذكور في كتاب تأويل الرؤيا . وكل ذلك إنما هو بحسب موجبات أحكام النجوم في أصل مولد الانسان في تحاويل سنه وشهورها — كما ذكر ذلك في كتاب أحكام النجوم بشرح طويل ، ولكن نذكر منها مثالا في هذا الفصل ليكون دليلا وقياساً على سائر ماذكرنا لمن يعرف من أحكام النجوم شيئاً .

مثال ذلك متى كان في أصل مولد الانسان بين رب الطالع والمستولي على الطالع ، وبين رب التاسع والثالث والمستولي عليهما اتصال أو نظر جيماً ، أودفع التدابير أو حال من الأحوال الخمسة والعشرين المذكورة في كتاب المدخل الى أحكام النجوم — فان ذلك الانسان كثير المنامات

فأما تصاريف فنونها واختلاف تأويلاتها فبحسب البروج وطبايعها والبيوت وأوتادها واستيلاء السعود عليها أو النحوس ، وشرحها طويل ، ولكن نذكر مثالا واحداً ليكون قياساً على الباقية : وذلك أنه متى كان الاتصال برب الطالع ورب التاسع من السابع وللزهرة هناك حظ من الحظوظ المعروفة المذكورة في المدخل فان أكثر رؤيا ذلك الانسان وتأويلها يكون في أمر التزويج والنكاح

والمواصلات وماشا كلها ، وان كان الحظ للمشتري يكون ذلك في تأويل المعاملات والتجارات والأخذ والاعطاء وماشا كلها وإن كان الحظ للمريخ فان ذلك يكون في باب الحروب والخصومات والمنازعات وماشا كلها ، وإن كان الحظ لعطارد فان ذلك يكون في باب المحاسبات والمحاورات والخصومات وماشا كلها ، وان كان الحظ للشمس فان ذلك يكون بحضرة الملوك والسلاطين ، وإن كان الحظ لزحل فبحضرة المشايخ والاكابر من الناس ، وإن كان الحظ للقمر فان ذلك بحضرة من العوام وجمهور الناس .

مثال آخر : فان كان الاتصال من البرج التاسع والمستولي عليه زحل فان أكثر رؤياه أسفار بعيدة وأمور قديمة وما شا كلها ، وان كانت الشمس فالهيا كل وبيوت العبادات والاعياد والجماعات وماشا كلها ، وان كان عطارد فعن البحث عن العلوم الدقيقة والاسرار الخفية ، وان كان القمر فعن الاحاديث والاخبار والروايات ، وان كان المشترى فعن العبادات والصوم والصلاة وما شا كلها ، وان يكن الزهرة فعن الوحي والزجر والكهانة ، وان يكن المريخ فعن الذهاب فى المطالب وطلب البشارات وماشا كلها .

وعلى هذه القياسات وسائر الاتصالات فى سائر البروج والبيوت تمتزج دلائل طباع الكواكب بدلائل طبائع البروج — كما ذكر ذلك في كتب الاحكام بشرح طويل — وهذه الفنون والتصاريف أيضاً تكون رؤيتها وتأويلها بشارات وانذارات .

فصل

وأما المنامات التى تكون رؤيتها إلهاما من الملائكة أو وسواساً من الشيطان فان الباب فيهما واحد وان كان الطريقان مختلفين فنحتاج أن نبين أولا ما الملائكة والشيطان وما الالهام وما الوسوسة إذ كان هذا الباب علماً غامضاً وسراً خفياً وان كان أكثر المجادلة ينكرونها بقلوبهم ، وان كانوا لايظهرون إنكارها بالسنتهم مخافة السيف والشنعة

ونبدأ أولا بوصف نفوس شياطين الانس، ثم نذكر نفوس شياطين الجن ثم نصف نفوس المؤمنين الذين هم ملائكة بالقوة

واعلم يا أخي أن الانسان هو الذي يجب عليه الامر والنهي إما بموجب العقل أو بطريق السمع ، فمتى قام بواجب حكمة أحدهما فابتدأ أولا يتعلم فقه الدين ليخرج به من ظلمة الجهالة ، ثم ابتدأ بتهذيب الاخلاق التي تخلق بها من الصبا فأصلح منها ما كان فاسداً ، وكذلك نظر في عاداته التي اعتادها من الصبا في أيام الشباب فغير منها ما كان مذموماً من اتباع الشهوات المذمومة وطلب اللذات المكروهة ، وكذلك نظر في اعتقاداته المذمومة وآرائه الفاسدة التي اعتقدها من غير علم ولا بصيرة ولا بحث عن حقائقها فخلها عن ضميره وأبدلها بما هو خير منها ، ثم عمل بما رسم له في الشريعة العقلية أو السمعية من الاعمال الصالحة وسار في أمور معيشته بسيرة عادلة ، ثم فكر في أمور الدنيا واعتبار أحوالها وما تتصرف به الأمور حالا بعد حال حتى تنتبه نفسه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة فيبصر عيوب الدنيا ويعرف غرورها ويزهد فيها ، ثم يبحث عن أمور الآخرة ويفكر في المعاد حتى يعرفها حق معرفتها ، ثم يرغب فيها ويطلبها حق الطلب ويدوم على ذلك الى المات ، فاذا فعل فان نفسه إذا فارقت جسدها عند الموت استقلت بذاتها واستغنت عن التعلق بالاجسام بعد ذلك وتخلصت من وسخ الأبدان ونجت من بحر الهيولى واعتقت من أسر الطبيعة وفازت بالخروج من عالم الكون والفساد وارتقت الى عالم الافلاك وسعت في سعة فضاء السموات فرحانة مسرورة ملتذة مطلقة حيث شاءت ذهبت ، فعند ذلك تكون ملكا من الملائكة .

ومن الدليل على ذلك ماذكر الله جل اسمه من كرامات أهل الجنة وقال : « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب »

واعلم يا أخي أن الملائكة لا تسلم إلا على أبناء جنسها ولا تخاطب إلا من شاكلها ، كما ان الانسان لا يسلم على الجماد والحيوانات بل على أبناء جنسه من

الناس ولايخاطب إلا أمثالهم منهم، وانما ذكرالله تعالى سلام الملائكة على أهل الجنة على سبيل الكرامة لاهل الجنة لانهم هم القادمون عليهم والملائكة هم المقيمون هناك.

ومثال ذلك ماجرت به سنة الشريعة أن الحاج اذا رجعوا الى منازلهم فان المقيمين هم الذين يقصدونهم ويدخلون عليهم فيهنئونهم بالسلام.

فعلى هذا المثال يكون حكم نفوس المؤمنين العارفين الأخيار الفضلاء الاتقياء الأبرار الذين هم في الدنيا زاهدون والى دار الآخرة راغبون وإلى نعيمها مشتاقون وفي أقوالهم واخلاقهم وآرائهم ومذاهبهم وعلومهم بالملائكة متشبهون، فنفوسهم ملائكة بالقوة، فاذا فارقت أجسادها كانت ملائكة بالفعل ومن الدليل على ذلك قول الله تعالى: الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم الى آخر الآية.

واعلم ياأخي أنه ليس كل انسان يمكنه أن يتصور هذا الامر على حقيقة ماقلنا ووصفنا الا بعد رياضة كثيرة فى العلوم والمعارف وبعد بحث دقيق عن علم النفوس والمعرفة بحقيقة جوهرها، وبعدمايكون قدهذب أخلاقه وصحح اعتقاده وحسن مذهبه وزكى عمله، ثم نظر في هذا العلم وبحث عن هذا السر الجليل الدقيق وطلب هذا الامر الشريف الجليل، فان وقع له التصور لهذا الامر الذي قلنا ووصفنا، والا فليس له طريق الا الايمان بما هو مذكور في كتب الانبياء من هذه المعاني التى وصفناها والتصديق بما يخبره به من هو أعلم منه بهذا الأمر وأعرف منه بهذه الاسرار.

فصل

وكما قلنا فى أمر الملائكة ونفوس الاخيار فهكذا نقول فى أمر الشياطين ونفوس الاشرار مثل ماقلناه فى أمر الملائكة ونفوس الاخيار.

واعلم يا أخي أن الانسان اذا بلغ أشده وعقل الخطاب وجاءته الوصية من الله وسمع الامر والنهي وفهم الوعد والوعيد والترهيب والترغيب والزجر والتهديد

ثم لم يأتمر ولم ينته ولم يتعظ ولم يتزجر وأهمل أمر الدين وأعرض عن طلب الآخرة ونسي ذكر المعاد واشتغل بطلب الدنيا وحرص على جمع حطامها واشتدت رغبته فيها وأهمل أمر نفسه والنظر في مصالحها وجعل فكره اتباع الشهوات وطلب اللذات من الاكل والشرب واللباس والمركب والمسكن المزخرف والتفاخر والتكاثر ، ومع هذه كلها تكون أعماله سيئة وأخلاقه رديئة وأفعاله فاسدة وسيرته جائرة وجهالته متراكمة فان نفسه تكون شيطانة بالقوة ، واذا فارقت جسدها عند الموت على هذه الحالة كانت شيطانة بالفعل ، وذلك أنها اذا فارقت جسدها بقيت مسلوبة آلات الحواس الخمس التي كانت تتناول بها الملاذ الجسمانية وكانت تتمكن بها من الشهوات الجرمانية وصارت بعد ذلك ممنوعة عنها بعد ما اعتادتها بطول التدرب فيها في سالف الأيام وماضي عمرها وانطبعت في همتها تلك الشهوات وصارت جبلة لها ثم : «حيل بينهم وبين ما يشتهون» . فعند ذلك يكون مثلها كمثل من سملت عيناه وصمت أذناه وسد منخراه وأخرس لسانه وشلت يداه وقطعت رجلاه وعمي قلبه وهجره أحباؤه واشتد شوقه وشهوته الى لذته ، فهكذا يكون حكم نفوس الكفار والأشرار والفساق والفجار اذا فارقت أجسادها وسلبت عنها آلات الحواس وحيل بينها وبين شهواتها ومحبوباتها ، فعند ذلك تتمنى العود كما قال تعالى : «ياليتنا نرد ولا نكذب» ولاسبيل لها الى ذلك ولاهي أيضاً تهتدي للطريق الى ملكوت السماء فتعرج الى هناك كما قال الله تعالى : «لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة» . الآية فعند ذلك تبقى هذه النفوس مجردة بذواتها بلا جسد وتكون هائمة في الجو دون فلك القمر وتطرح بها أمواج الطبيعة في بحر الهيولى الى كل فج عميق وهي مشتعلة فيها بنيران شهواتها وتكون معذبة بذاتها من وزر سيئاتها وسوء عاداتها الى يوم القيامة كما ذكر الله تعالى : «النار يعرضون عليها غدوا وعشياً» . الى آخر الآية

فصل

ثم اعلم يا أخي أن هذه النفوس التي تفارق أجسادها على هذه الأوصاف

فانها تحن الى أبناء جنسها من النفوس المتجسدة الشريرة التي على سننها وسيرتها في شهواتها كما يحن الأعمى البصير الى أبناء جنسه اذا سمع أصواتهم وتستروح هذه النفوس أيضاً الى وسوسة أبناء جنسها وحثالتهم على فعل تلك العادات التي كانت فيها مما تقدم من الشرور وطلب الشهوات لما تجد من ألم شهواتها المركوزة في ذاتها من سوء عاداتها القديمة فيما يستروح كمن قد عدمت شهوته للطعام والشراب وضعفت حرارة معدته فهو يشتهي ما لا يستمرىء وبه شبق وآلته لا تواتيها ، فهو عند ذلك يستروح بالنظر الى الآكلين والشاربين والفاعلين من ألم ما يجد في نفسه من الشهوات المركوزة وعاداته الجارية والى هذه النفوس ووسواسها أشار بقوله : «شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً» فشياطين الجن هي النفوس المفارقة الشريرة التي قد استجنت عن ادراك الحواس ، وشياطين الانس هي النفوس المتجسدة المستأنسة بالاجساد .

واعلم يا أخي أن هذه النفوس المتجسدة الشريرة اخوان لتلك النفوس المفارقة. فاذا فارقت أجسادها بعد الموت لحقت بتلك النفوس المتقدمة التي قد خلت في القرون الماضية وحصلت في العذاب معها كما ذكر سبحانه : «أدخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار» . الى آخر الآية . وفي هذا المعنى آيات كثيرة في القرآن لمن يتدبرها ويتفكر فيها .

واذ قد تبين ما الشياطين ووسواسها وكيف تنال النفوس من الآلام والأحزان بعد تجردها ممن وصفناه فيما تقدم .

فكذلك أيضاً أن تلك النفوس الملكية الناجية التي تقدم ذكرها هي أيضا اذا فارقت أجسادها وحصلت لها تلك الكرامة التي وصفنا حنت هي عند ذلك الى مخلفيها من الاولاد وقراباتها وتلامذتها وأهل دينها ومذهبها الصالحين منهم وعطفت عليها وتمنت لها هي ماوجدت من الكرامات والراحة والسرور حتى إنها ربما نزلت لهم في منامهم ووعظتهم وأذكرتهم المعاد أو وصفت لهم ماصارت اليه وأمرتهم بلزوم طريق التقوى وعمل الخير وطلب النجاة وبشرتهم فاستبشرت

بمن يقدم عليها بعدها كما ذكر الله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموات بل أحياء » الى آخر الآية . وقال أيضاً « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء » ولما تبين لاهل البصائر والمعارف أن تلك النفوس هذه حالها من الكرامات فقالوا من أجل هذا أمر ، ورخص واضعو النواميس وأصحاب الشرائع في سنن الديانات الذهاب الى قبور الانبياء والائمة المهديين والصالحين من عباد الله بالصدقات والقرابين والصوم والصلاة والدعاء عند قبورهم والسؤال بشفاعتهم . فكم يا أخي من مسجد ومشهد بني في الارض بسبب رؤية تمثال نبي في المنام أو شهيد أو عبد صالح فان لم تكن تلك النفوس موجودة باقية عند الله ويشعر من يستشفع بها الى الله ويقتدي بها في سنن الدين لما كانت لهذه السنن فائدة واثبات لان الباطل لاثبات له ولا دوام

فصل

واذ قد تبين بما وصفنا ما الملائكة وما الشياطين فنريد أن نبين كيف تعرف الرؤيا التي تكون من إلهام الملائكة أو من وسواس الشياطين أو غيرها من سائر أنواع المنامات فنقول ان كل رؤيا تكون فيها موعظة أو في تأويلها دلالة على التقوى أو حث على عمل الخير أو تزهيد في الدنيا أو ترغيب في الآخرة أو ذكر المعاد أو ما شاكل هذه المعاني فهي إلهام من الملائكة مثل ما هي في تلك الكلمات التي حفظها العراق بالروم في تلك الكنيسة من أولئك الرهبان والقسيسين من العظة والتذكير ، وإنما وعظته الملائكة بتلك الكلمات السريانية في بلد غير بلده وفي شريعة غير شريعته وبلغة غير لغته ، ليكون أبلغ في الموعظة وأعجب للتذكار لأن الحكماء إذا أرادوا تبليغ الموعظة جعلوها بضرب من الامثال على ألسنة الحيوانات ومالا نطق له ليكون أعجب وأغرب وأبلغ في الاوهام مثل ماهو موجود في كتاب كليلة ودمنة وأمثاله من الكتب . فأما الموعظة والتذكار في رؤيا ابن الملك فهو مافيها من الدلالة على أن أنفس الاشقياء

فى الدنيا من الفقراء والمساكين والضعفاء والمرضى والزمنى وأهل البلوى إذا فارقت اجسادها وقعت فى راحة وسرور ولذة مثل ما رأت نفس ابن الملك فى منامه من اللذة والفرح والسرور مع ما كان جسده فيه من البلوى وسوء الحال ، إذ قد تبين أن اللذة ليست شيئاً سوى الخروج من الآلام - كما بينا فى رسالة الحاس والمحسوس . وأما رؤيا ذلك الرجل المترف التائب فما لا شك فيه أنها كانت إلهاماً من الملائكة باذن الله تعالى لما كان فيها من الموعظة والدلالة على طريق الآخرة والرشد فى الدين لما صار اليه هو من التوبة والصلاح والخير واتعاظ الناس حتى صار قدوة لاهل الدين وطلاب الآخرة فى زمانه . وأما الرؤيا التى تكون من وسواس الشياطين فهى مثل ما يرى الراغبون في حطام الدنيا من محاسن مرغوباتهم ومشتهياتهم فيزدادون رغبة فيها وشهوة ، ومثل مايرى الحساد من محاسن محسودهم فيزدادون حسداً ومثل مايرى المتعادون من أسباب العداوات فيزدادون عداوة ، ومثل مايرى أصحاب الشهوات مشتهياتهم فيزدادون فى الدنيا حسداً وحرصاً وعداوة وشرها وما شاكل هذا ، فهو وسواس الشياطين الغائصين في طلب اللذات

فصل

وذكروا أن رجلا من المنهمكين فى الشهوات وطلب اللذات كان أكولا شريباً شبقاً ، فمن كثرة ما كان يأكل ويشرب ويجامع حرقت معدته وضعفت قوته الهاضمة واسترخت آلته من كثرة الجماع وكان ممكناً من شهواته ، ولكن آلات الجسد وأدوات الفعل لم تكن تواتيه ولا قوة النفس الشهوانية تطاوعه فى ترك الطلب لان الشهوات صارت عادة لها لكثرة الدربة فيه وجبلة مركوزة فيها فجعل ذلك الرجل يطلب الحيلة والدواء مما يقوى القوة الهاضمة في معدته وينعظ آلته للباه لشدة شهوته ، وكان مما يداوى ويحتال فى انعاظ آلته أن أمر حتى صور له فى بيت الخلوة على الحيطان والسقوف صور الجامع للباه وكتب بين تلك

الصور أخبار المرأة الأليفة وأوصافها في حالات الجماع ، ثم كان يدخل ذلك البيت مع غلمانه وجواريه يخلو ويشرب ويلعب ويلهو وينظر الى تلك الصور ليستنهض بها آلته ، فلما أعيته ولم تجبه دعا عند ذلك غلمانه إلى نفســه ليأتوه من خلفه وصار ذلك دأبه وعادته حتى إنه ربما كان يهيج ويصيح كالسنانير وينهق كالحمير، ثم امتنع عنه غلمانه لبشاعته وخرفه وقبح منظره وهجروه وهلك هو على تلك العادة وفشا حديثه في الناس وسوء الثناء عليه وربما كان يرى بعض غلمانه في منامه على تلك الحال التى كان يدعوهم إلى نفسه فيصيح وينهق .

وأمثال هذه النفوس التى ذكرناها هي شياطين بالقوة ، فاذا فارقت أجسادها كانت شياطين بالفعل فاعتبر يا أخي بخبر الرجل الذي قال الله تعالى فيه : « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آيتنا فانسلخ منها » الى قوله « وأنفسهم كانوا يظلمون » فيقال ان هذا كان رجلا من خيار أصحاب موسى عليه السلام بعثه فى سرية فابتلى بعشق امرأة وخاف من أصحاب موسى فارتدواتبع هواه . وله قصة طويلة مذكورة فى كتاب التاريخ

واعلم يا أخي أنك اذا تأملت وجدت فى القرآن نحو ثلاثمائة وستين مثلا ضرب الله بعضها فى صفات المؤمن وأهل الخير وأمر الآخرة وثواب الاخيار وبعضها فى صفات الكفار وأنفس الاشرار وسوء منقلبها ومبالغة فى ذمهم وتوبيخهم وسوء الثناء عليهم ، فلا تجد مثلا أشد توبيخاً من هذا فانه شبهه بالكلب فى اتباع الشهوات فقال : « ساء مثلا القوم الذين كذبو بآيات الله » يعنى من كان مثلهم في اتباع شهواته ولا تجد أيضا أشد اختصاراً في ترغيب نعيم الجنان من قوله : « ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى »

﴿ فصل ﴾

واذ قد تبين بما وصفنا ما الملائكة والشياطين وما الالهام والوسوسة وما الوحي وما الرؤيا الصادقة فيما تقدم ذكره فنريد أن نبين كيفية قبول الوحي فى اليقظة ورؤية الملائكة واستماع كلامهم .

فاعلم يا أخي أنه لما كانت رتبة الانسانية متوسطة بين الموجودات — كما بينا في رسالة المعارف — وكان أقرب الموجودات الى الانسانية نسبة مما هي فوقها رتبة الملائكة وأقربها إليها مما هو دون رتبة البهيمة وكان بعض الحيوانات إلى الانسانية أقرب نسبة إما من جهة صورة بنيته وشكل جسده ، وإما من جهة ذكاء النفس وصفاء جوهرها : وذلك أن منها مايفهم الخطاب ويقبل الامر والنهي كالفيل ، ومنها مايحاكيه في كلامه وأصواته كالببغاء والهزار ، ومنها مايحاكيه في أخلاقه وسيرته كالحمام والفرس والجواد ، ومنها ماينقاد لطاعته وخدمته كالبقر والغنم والحمير والجمال وغيرها ، ومنها مايقبل تعليمه وتأديبه كالدب والقرد ومنها مايبعد من الانسان وينفر منه كالوحش

ولما كان من هذه الاصناف المستانسة بالانسان المسخرة له من الحيوانات كلما ماكان منها أزكى نفساً وأجود جوهراً كان تعليم الانسان له أمكن وقبول التأديب أسهل .

فعلى هذا القياس نقول فى قبول الانسان الهام الملائكة والوحى : وذلك أن كل انسان تكون نفسه أصفى جوهراً وأذكى فهما — كما بينا فى رسالة كيفية الطريق الى الله تعالى — فكانت أخلاقه وسجاياه لأخلاق الكرام أقرب وأشبه — كما بينا فى رسالة الاخلاق — وكان مذهبه واعتقاده باعتقاد الانبياء ومذهب الحكماء أشد تحققاً — كما بينا في رسالة الناموس — وكانت أعماله وسيرته بافعال الملائكة وسيرتها أشد تشبها — كما بينا في رسائل اخوان الصفا — فأقول ان قبول نفسه الهام الملائكة والوحى والانباء أمكن ، وفهمه لمعانيها أسهل مثل نفوس الانبياء ، ثم بعدهم نفوس الصديقين ، ثم بعدهم نفوس المؤمنين المصدقين الاخيار الفضلاء الابرار ، ثم الأمثل فالأمثل والأقرب فالأقرب .

والدليل على صحة ماقلنا وصايا الانبياء والحكماء بهذا الامر : وذلك أن موسى عليه السلام أوصى أولاد هارون أن يلزموا بعد قيامهم بشريعة التوراة خدمة الهيكل المسمى الزمان ويتعبدوا فيها ويتركوا لذات نعيم الدنيا واتباع شهوات

النفوس ويقتصروا على ما لابد منه من القوت ومايستر العورة من اللباس ويتركوا ماسوي ذلك من الفضول .

كل ذلك كيما تصفوا نفوسهم وتتهذب أخلاقهم وتصير نفوسهم متهيئة لقبول الوحي والالهام ، وقال لهم من تعبد منكم على مارسمت له فى هذا الهيكل أربعين سنة مخلصاً جاءه الوحي من الله عز وجل ونزلت عليه الملائكة بالروح .

وقال رسول الله ﷺ : «من أخلص العبادة لله أربعين صباحا نور الله قلبه وشرح صدره وأطلق لسانه بالحكمة ولو كان أعجمياً غلفاً».

وقال موسى فى مناجاته بعد خطاب طويل : «رب إني أجد فى التوراة نعت أمة كادوا أن يكونوا أنبياء من دقة التمييز من هم أجعلهم من أمتى» . قال الله تعالى : «ياموسى تلك أمة أحمد» . فقال موسى : «يارب جعلت الخير كله فى أمة أحمد فاجعلنى منهم» . فقال له ربه : «أنت منهم وهم منك أنت على دين الاسلام وهم على دين الاسلام» .

وكان مما يقوله المسيح للحواريين : «إنما جئتكم من عند أبى وأبيكم لاحييكم من موت الجهالة وأداويكم من مرض المعاصى وأبرئكم من مرض الآراء الفاسدة والاخلاق الرديئة والاعمال السيئة كيما تتهذب نفوسكم وتحيا بروح المعارف وتصعدوا الى ملكوت السماء عند أبى وأبيكم فتعيشوا هناك عيش السعداء وتتخلصوا من سجن الدنيا وآلام عالم الكون والبلى» : التى هي دار الاشقياء وجور الشياطين وسلطان إبليس

فصل

واعلم ياأخي أنك اذا تأملت سير الانبياء ووصاياهم وسنن واضعى النواميس ومراميهم لوجدت أن غرضهم كلهم مما شرعوه هو تأديب النفوس الانسانية ونقلها من مرتبة البشرية الى رتبة الملائكة وتخليصها من عالم الكون والفساد الى عالم البقاء والدوام ، كما قيل : انما خلقتم للأبد وانما من دار الى دار تنقلون : من

الاصلاب الى الارحام ومن الارحام الى الدنيا ومن الدنيا الى البرزخ ومن البرزخ اما الى الجنة واما الى النار . كما قال الله تعالى : «فأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض وأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض

فانظر يا أخي في هذا الامر الخطير وتفكر في هذا الخطب العظيم وانتبه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وبادر وتزود فان خير الزاد التقوى ، وقد أعذر من أنذر . وقال : «لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل »

فصل

وكما قلنا في كيفية قبول نفوس الاخيار الهام الملائكة فهكذا نقول في قبول نفوس الاشرار وسواس الشياطين — كما بينا طرفاً منه قبل ذلك : ان كل انسان يكون في أفعاله القبيحة وأخلاقه الرديئة وجهالاته المتراكمة بالبهائم أشد شبهاً ، فأقول ان نفسه لوسواس الشياطين أسرع قبولا ولطاعة الهوى أسهل انقياداً ، كما ذكر الله تعالى : «ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا» . الآية

فان قيل كيف يجد الانسان نفسه في حال إلهام الملائكة والوحي ؟ قل كما حكى ذلك الرجل التائب عن نفسه حين قيل له من أين لك هذه الحكمة ؟ فان قيل : كيف يرى الانسان أشخاص الملائكة وليست بأجسام ؟ فقل كما يرى رسوم الأشياء في المرايا وصورها وليست تلك الصور باجسام . فان قيل : كيف يسمع كلامهم وليسوا بحيوان ذي رئة ولا آلات جسدانية ؟ فقل كما نسمع الصدى وانما اختصر بالجواب عن كيفية رؤية الملائكة واستماع كلامهم بجواب مثالي من غير شرح لان معرفة حقيقتها مما يحتاج الانسان فيه الى بحث شديد ونظر دقيق — كما ذكرنا في رؤية الاشخاص الجرمانية والاصوات الجسمانية في رسالة الحاس والمحسوس — ولعل كثيراً من العقلاء يدق عليهم فهمها بحقيقتها فكيف بهذه الامور الروحانية . والدليل على أن معرفة رؤية الاشخاص الجرمانية

والاصوات الجسمانية عسير فهمها اختلاف العلماء فى ذلك لان العلماء لايختلفون فى أمور محسوسة إلا لدقتها فكيف بالامور المعقولة

فصل

ومثل آخر في كيفية قبول الانسان إلهام الملائكة فنقول: إن العلماء ذكروا أن العلوم ثلاث مراتب: أولها الرياضيات وبعدها الطبيعيات وبعدها الالهيات، فمن ابتدأ أولا بتعلم الرياضيات وأحكمها كما ينبغى سهل عليه تعليم الطبيعيات، ومن أحكم الطبيعيات كما ينبغى سهل عليه تعلم الالهيات. فهكذا نقول من يريد أن يهذب نفسه ويهيئها لقبول إلهام الملائكة إذ ابتدأ أولا فأصلح أخلاقه الرديئة التى نشأ عليها منذ الصبا ثم سار سيرة عادلة في متصرفاته كما رسم له فى الشريعة ثم نظر فى العلوم الحسية فأحكمها كما يجب — مثل ما ذكرنا في رسالة الحاس والمحسوس — ثم نظر في الامور العقلية فأحكمها كما يجب ليحل بها عن ضميره والآراء الفاسدة التى اعتقدها قبل البحث عن حقائق الاشياء — كما بينا في رسالة العقل والمعقول — فأقول: إن نفسه عند ذلك متهيئة لقبول إلهام الملائكة، وكلما زادفى المعارف استبصاراً صارت نفسه لقبول الهام الملائكة أسهل طبعا ولطاعة العقل أشد تشبها والى السمائية أقرب قربة، وانما يمنعها عن الصعود الى ملكوت السماء نوازع طبيعة الجسد مادامت تتعلق به

فاذا فارقته عند الممات كانت هناك في طرفة عين مع أبناء جنسها ممن مضى على سنن الهدى كما قال تعالى: « والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم » الآية، وكما قلنا في النفوس الانسانية إنها تنتقل الى رتبة الملائكة فهكذا نقول أيضا في نفوس الملائكة إنها تترقى في درجات الجنان ومقاماتها في المعارف كما ذكر الله تعالى: « ومامنا إلا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون » وقال تعالى « يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته » وكما قلنا في تنقل نفوس الانسانية الى الملائكة كذلك نقول في النفوس

الحيوانية انها ستنتقل الى رتبة الانسانية على ممر الدهور والازمان – كما بينا في رسالة الادوار والاكوار

ثم اعلم أن أحق النفوس الحيوانية أن تنتقل الى رتبة الانسانية هي الشقية في أيدى البشر المسخرة للانسان المتعبة فى خدمته المنقادة لطاعته ، كما أن أحق النفوس الانسانية أن تنتقل الى رتبة الملائكة هى النفوس المتعوبة فى التعبد المنقادة لاحكام الشريعة الخادمة فى الهياكل والمساجد والبيع والصلوات والصوم والقرابين والدعاء والتأله ، كما ذكر الله تعالى بقوله : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر »

واعلم أن من الموجودات ماهو أجسام بلا أرواح لامعارف لها ولاشعور كالحجارة والخشب وغيرهما ، ومنها ماهو أرواح لا أجساد لها وهى علامة كالملائكة ، ومنها ماهى مركبة مؤلفة منهما جميعا كالحيوان

واعلم أن الحيوانات متفاوتة فى شعورها ومعارفها : وذلك أن منها ماله حاسة واحدة ، ومنها ماله حاستان ، ومنها ماله ثلاث حواس ، ومنها ماله أربع حواس ، ومنها ماله خمس حواس – كما بينا فى رسالة الحيوانات – وهكذا أيضا الناس متفاوتون فى معارفهم وعلومهم : وذلك أن من الناس عقلاء وبلها ومن العقلاء علماء وجهلاء والعلماء متفاوتون في درجات العلوم : وذلك أن منهم من يحسن عدة علوم ومنهم من هو اكثر منه ، ومنهم دون ذلك ، وان المفيدين فى العلوم يتفاوتون فى درجاتهم : وذلك أن منهم من تكون معلوماته كلها جسمانية ، ومنهم من تكون معلوماته روحانية

واعلم أن كل عالم تكون أكثر معلوماته روحانية فهو الى الملائكة أقرب نسبة . ومن أجل هذا جعل الله تعالى طائفة من بنى آدم واسطة بين الناس وبين الملائكة لأن الواسطة هى التى تناسب أحد الطرفين من جهة والطرف الآخر من جهة : وذلك أن الانبياء عليهم السلام كانوا يناسبون الملائكة بنفوسهم وصفاء جوهرها ، ومن جهة أخرى كانوا يناسبون الناس بغلظ أجسامهم

واعلم يا أخي أن كلام الملائكة انما هو اشارات ، وايماء وكلام الناس عبارات والفاظ.

وأما المعانى فهي مشتركة بين الجميع ، وكانت الانبياء تأخذ الوحي والانباء عن الملائكة ايماء واشارات ، وذلك بلطافة ذكاء نفوسهم وصفاء جوهرها ، وكانت تعبر عن تلك المعانى للناس باللسان الذي هو عضو من الجسد لكل أمة بلغتها وبالالفاظ المعروفة بينها.

واعلم يا أخي أن الانبياء يستعملون في خطابهم الناس الفاظاً مشتركة المعاني لكيما يفهم كل انسان بحسب مايحتمل عقله ، لان المستمعين لالفاظهم وقراء تنزيلات كتبهم متفاوتون في درجات عقولهم : فنهم خاص ومنهم عام، ومنهم بين ذلك ، فالعامة يفهمون من تلك الالفاظ معانى ،والخاصة يفهمون معانى أخرى أدق والطف ، وفي ذلك صلاح للجميع ، لانه قد قيل فى الحكمة : « كلموا الناس على قدر عقولهم » وقال المسيح عليه السلام للحواريين : « لاتضيعوا الحكمة فتضعوها عند غير أهلها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم »

فاجتهد يا أخي في طلب المعارف والعلوم واسلك مسلك الربانيين والأخيار الذين اسلموا فلعل نفسك تنتبه من نوم الغفلة وتستيقظ من رقدة الجهالة وتصفو من كدر أوساخ الطبيعة وتنفتح لها عين البصيرة فتفهم أسرار كتب النبوة ومرموزات النواميس الالهية ، فعند ذلك يتهيأ لها قبول الهام الملائكة

واعلم يا أخي أن نفسك ملك بالقوة ويمكن أن تصير ملكا بالفعل ان أنت سلكت مسلك الانبياء وأصحاب النواميس الالهية وعملت بوصاياهم المذكورة فى كتبهم المفروضة في سنن شرائعهم ، وان نفسك أيضاً شيطان بالقوة يمكن أن تصير يوما شيطاناً بالفعل ان أنت سلكت مسلك الاشرار والكفار.

فانظر الآن يا أخي ماذا تختار لها وترضى لنفسك ، فقد اعذر من أنذر : « ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » وأن لاتقولوا يوم القيامة ماجاءنا من رسول ولا كتاب .

واعلم يا أخي أن الملائكة هم سكان الجنان وسعة السموات وفضاء الافلاك وهي ثمان جنان المذكورة في القرآن : جنة الفردوس ،وجنة النعيم ،وجنة الخلد وجنة المأوى ، ودار السلام ، ودار المتقين ، ودار المقامة ،ودار القرار ، ومن ورائها كلها عرش الرحمن ذي الجلال والاكرام .

واعلم يا أخي أن الشياطين هم سكان النيران وهى سبع طبقات :جهنم،وجحيم، وسقرولظى ، وحطمة ، وسعير، وهاوية ، وجملة درجات الجنان ودركات النيران خمس عشرة رتبة — وقد بينا في رسالة أخرى تفصيلها .

وأعلم يا أخي أن الرتبة الانسانية هي آخر طبقة من جهنم وهى أول درجات أبواب الجنان ، فان أنت بادرت وخرجت من عالم الكون والفساد قبل الفوت رجوت الصعود الى عالم الافلاك وفسحة السموات والدخول فى زمر الملائكة الذين هم سكان الجنان ، وسقيت هناك من ماء الحيوان شرابا طهورا وعشت عيش السعداء وأمنت من الموت الا الموتة الاولى ، وان أنت أبيت ذلك وتوانيت وأخلدت الى الدنيا حق عليك أن ترد الى أسفل السافلين وبقيت فى البرزخ الى يوم يبعثون .

وفقك الله أيها الأخ للسداد وهداك الى الرشاد وجميع اخواننا حيث كانوا فى البلاد بمنه وجوده .

(تمت رسالة ماهية الايمان وخصال المؤمنين ويليها رسالة فى ماهية الناموس الالهي) .

الرسالة السادسة

من العلوم الناموسية والشرعية

في ماهية الناموس الالهي وشرائط النبوة وكمية خصالهم ومذاهب الربانيين والالهيين

﴿ وهي الرسالة السابعة والار بعون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

اعلم أيها الأخ أيدك الله وإيانا بروح منه أن الحيوانات زينة الأرض كما أن الكواكب زينة السماء ، وأن أتم الحيوانات هيئة وأكملها صورة واشرفها تركيباً هو الانسان ، وأفضل الانسان هم العقلاء ، وأخيار العقلاء هم العلماء ، وأعلى العلماء درجة وأرفعهم منزلة هم الأنبياء عليهم السلام ، ثم بعدهم في الرتبة الفلاسفة الحكماء . والفريقان قد اجتمعا على أن الاشياء كلها معلولة وأن البارى عز وجل وتقدس هو علتها ومتقنها ومبدعها ومتممها ومكملها ، كما أن الواحد من العدد هو علة العدد وأولها ومبدؤها واتفقا أيضا — أعني الأنبياء والفلاسفة — على ذم الدنيا والاقرار بالمعاد وجزاء الاعمال فيه إن كان خيراً فخيراً وإن كان شراً فشراً ، وكلا الفريقين شاهد لنا على ماتقول ونعتقد في أمر الدين والدنيا ، فمن لم يرض بحكمهما فليطلب له حاكما غيرهما هو خير منهما ان كان من الصادقين

واعلم أيها الأخ أن النبوة هى أعلى درجة وأرفع رتبة ينتهي اليهـا حال

البشر مما يلي رتبة الملائكة ، وأن تمامها في ست وأربعين خصلة من فضائل البشرية الاولى هى الرؤيا الصادقة وهي جزء من اجزاء النبوة كما قال النبى ﷺ « الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين جزءاً من اجزاء النبوة » ونحن قد فصلنا الخمس والاربعين الخصلة الباقية وشرحناها فى رسالة لنا بعد هذه تجدها ان شاءالله.

﴿ فصل ﴾

واعلم أيها الأخ انه اذا اجتمعت هذه الخصال فى واحد من البشر ، فى دور من ادوار القرانات فى وقت من الزمان ، فان ذلك الشخص هو المبعوث وصاحب الزمان والامام للناس مادام حياً ، فاذا بلغ الرسالة وأدى الامانة ونصح الامة ودون التنزيل ولوح التأويل وأحكم الشريعة وأوضح المنهاج وأقام السنة وألف شمل الامة ثم توفي ومضى الى سبيله بقيت تلك الخصال في أمته وراثة منه ، وان اجتمعت تلك الخصال فى واحد من أمته أو جلها فهو الذي يصلح أن يكون خليفته فى أمته بعد وفاته ، فان لم يتفق أن تجتمع تلك الخصال فى واحد لكن تكون متفرقة فى جماعتهم اجتمعت تلك الجماعة على رأي واحد وائتلفت قلوبهم على محبة بعضهم بعضاً وتعاضدت على نصرة الدين وحفظ الشريعة واقامة السنة وحمل الامة على منهاج الدين ، دامت لهم الدولة فى دنياهم ووجبت العقبى لهم فى أخراهم ، وان تفرقت تلك الامة بعد وفاة نبيها واختلفت في منهاج الدين تشتت شمل الفتهم وفسد عليهم أمر آخرتهم وزالت عنهم دولتهم.

فان كنت عازماً على طلب اصلاح الدين والدنيا فهلم بنا نجتمع مع جماعة اخوان فضلاء ونقتدي بسنة الشريعة في صدق المعاملة ومحض النصيحة وصفوة الاخوة.

﴿ فصل ﴾

واعلم انه ليس من جماعة يجتمعون على المعاونة فى أمر من أمور الدين والدنيا أشد نصيحة بعضهم لبعض ولا أحسن من معاملة اخوان الصفاء : وذلك أن كل

واحد منهم يرى ويعتقد أنه لا يتم له ما يريده من اعلاء الدين الا بمعاونة أخيه ، وكل واحد منهم يريد ويحب لاخيه ما يحب ويريد لنفسه ، وكذلك يكره له ما يكره لنفسه

وقد بينا في رسالة لنا قبل هذه كيف تكون صفوة الاخوة وما شرائطها فتأملها أيها الاخ وأعرضها على اخوانك وأصدقائك ممن ترجو منه الصلاح والنصيحة والمودة توفق ان شاء الله.

﴿ فصل ﴾

واعلم ان هذا الامر الذي قد ندبنا اليه اخواننا وحثثنا عليه أصدقاءنا ليس هو برأي مستحدث ولا مذهب محدث ، بل هو رأى قديم قد سبق اليه الحكماء والفلاسفة والفضلاء ، وهو طريق سلكه الانبياء عليهم السلام ، ومذهب مضى عليه خلفاء الانبياء والائمة المهديون ، وبه كان يحكم النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله ، وهي ملة أبينا ابراهيم وبه سمانا المسلمين من قبل .

وفي هذا القرآن وهو الاجماع على رأي واحد بترك الاختلاف وموافقة النفوس وتأليف القلوب والخطاب بصدق الاقاويل والتصديق في الضمائر ، وأن لا يكذب بعضها بعضاً ، ولا يخدع ولا ينخدع ، وينصح ولا يخون ، ويثق ولا يتهم ويتودد ولا يتحاسد ، ويتحاب ولا يتباغض ، ويوافق ولا يخالف ، ويتفق ولا يختلف ، ويتعاضد ولا يتخاذل ، ويتناصر ولا يتقاعد ، ويتعاون على صلاح الدين ، ويكونوا كرجل واحد ونفس واحدة اقتداء بسنة الشريعة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « المؤمنون كرجل واحد ونفس واحدة تتكافأ دماؤهم وأموالهم وهم يد على من سواهم » وكما أوصانا الله تعالى وقال . تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » وقال : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » وقال : « فأصبحتم بنعمته اخوانا » .

فصل

واعلم أنه ما من جماعة تجتمع على أمر من أمور الدين والدنيا وتريد أن يجري أمرها على السداد وتكون سيرتها على الرشاد الا ولا بد لها من رئيس يرأسها ليجمع شملها ويحفظ نظام أمرها ويراعي تصرف أحوالها ويرم (١) على الانتشار جماعتها ويمنع من الفساد صلاحها ، وذلك ان الرئيس أيضاً لا بد له من أصل عليها يبنى عليه امره ويحكم به بينهم.

وعلى ذلك الامر يحفظ نظامهم — ونحن قد رضينا بالرئيس على جماعة اخواننا والحكم بيننا العقل الذي جعله الله تعالى رئيساً على الفضلاء من خلقه الذين هم تحت الامر والنهي ، ورضينا بموجبات قضاياه على الشرائط التي ذكرناها في رسائلنا وأوصينا بها اخواننا ، فمن لم يرض بشرائط العقل وموجبات قضاياه ولم يقبل تلك الشرائط التي أوصينا بها اخواننا أو خرج عنها بعد الدخول فيها فعقوبته في ذلك ان نخرج من صداقته ونتبرأ من ولايته ولا نستعين به في امورنا ولا نعاشره في معاملاتنا ولا نكامه في علومنا ونطوي دونه اسرارنا ونوصي بمجانبته اخواننا اقتداء بسنة الشريعة كما ندبنا اليه ربنا جل وعز فقال : « لقد كان لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله » وقال عز وجل: « يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله » الآية .

فصل

ثم اعلم ايها الأخ ان الرياسة نوعان : جسماني وروحاني ، فالرياسة الجسمانية مثل رياسة الملوك والجبابرة الذين ليس لهم سلطان الا على الاجسام والاجساد بالقهر والغلبة والجور والظلم ، ويستعبدون الناس ويستخدمونهم قهراً في اصلاح امور الدنيا وشهواتها والغرور بلذاتها وامانيها .

---

(١) يرم : من رم الشيء أصلحه وعالجه حتى سواه ، والرم بضم الراء الجماعة — يقال : اعطاه الشيء برمته يعني كله أو جميعه .

واما الرياسة الروحانية فمثل رياسة اصحاب الشرائع الذين يملكون النفوس والارواح بالعدل والاحسان ويستخدمونها في الملل والشرائع لحفظ الشرائع واقامة السنن والتعبد بالاخلاص والتأله برقة القلوب واليقين بنيل الثواب والفوز والنجاة والسعادة في المعاد .

﴿ فصل ﴾

واعلم يااخي انه ليس من علم ولاعمل ولاصناعة ولا تدبير ولا سياسة مما يتعاطاه البشر هو أعلى منزلة ولا اسنى درجة ولا في الآخرة أكثر ثوابا ولا بافعال الملائكة أشد تشبهاً ولا الى الله أقرب قربة ولالرضاه ابلغ طلباً من وضع الشرائع الالهية.

﴿ فصل ﴾

واعلم ان الشريعة الالهية هي جبلة روحانية تبدو من نفس جزئية في جسد بشري بقوة عقلية تفيض عليها من النفس الكلية باذن الله تعالى في دور من الادوار والقرانات وفي وقت من الاوقات ، لتجذب بها النفوس الجزئية وتخلصها من اجساد بشرية متفرقة ليفصل بينها يوم القيامة : «وليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم » وقوله : وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم » الآية .

﴿ فصل ﴾

واعلم يااخي بانه من تمام فضيلة واضع الشريعة ان تكون فيه اثنتاعشر خصلة قد فطر عليها ، احداها ان يكون تام الاعضاء قوية قوائمه على الأعمال التي من شأنها ان تكون بها ومنها ، ومتى هم ان يقضي عملا أتى عليه بسهولة .

والثاني ان يكون جيد الفهم سريع التصور لكل مايقال له ويلقاه لفهمه على مايقصد القائل به على حسب الامر في نفسه .

والثالث ان يكون جيد الحفظ لما يفهمه ولما يسمعه ولما يذكره ، وبالجملة لايكاد ينسى شيئاً منها .

والرابع ان يكون فطناً ذكياً ذا رأي يكفيه لتبين ادنى دليل حتى اذا رأى على شيء أدنى الدليل فطن له على الجهة التي يدل عليها الدليل

والخامس أن يكون حسن العبارة يواتيه لسانه على مافي قلبه وضميره بأوجز الالفاظ .

والسادس أن يكون محباً للعلم والاستفاده منقاداً له سهل القبول لايؤلمه تعب العلم ولايؤذيه الكد الذي يلحقه .

والسابع أن يكون محباً للصدق وحسن المعاملة مقربا لاهله .

والثامن أن يكون غير شره في الأكل والشرب والنكاح ، متجنباً للعيب مبغضاً للذات الكائنة عن هذه

والتاسع أن يكون كبير النفس عالى الهمة محباً للكرامة تكبر نفسه بالطبع عن كل مايشين من الأمور ويشنع ، وتسمو همة نفسه الى أرفع الامور رتبة وأعلاها درجة .

والعاشر أن يكون الدرهم والدينار وسائر أعراض الدنيا هينة عنده زاهداً فيها

والحادي عشر أن يكون محباً للعدل وأهله مبغضاً للجور والظلم وأهله يعطى النصفة لاهلها ، ويرثي لمن حل به الجور ويكون مواتياً لكل مايرى حسناً جميلاً، عدلا غير صعب القياد ولاجموح ، وان دعى الى الجور والقبيح لايجيب .

والثانى عشر أن يكون قوي العزيمة على الشيء الذى يرى أنه ينبغى أن يفعل جسورا مقداماً غير خائف ولاضعيف النفس .

فصل

وأعلم أن اول قاعدة يضعها واضع الشريعة ثم يبنى عليها سائر مايعمل في تتميم الشريعة من القول والعمل وتكميلها من الأقاويل والأوامر والنواهي ومعانى تأويلها ومفروضات شرائعه وسنن احكامه وتدبير أمته وسياسة أهل مملكته فى أمر الدين والدنيا هو أن يرى ويعتقد في نفسه علماً يقينياً أن للعالم بارئاً قديماً

حياً عالما حكيما قادراً قاهراً مريداً هو علة جميع الموجودات ومالكها ومصرفها بحسب مايليق بواحد واحد منها.

والثاني أن يرى ويتصور موجودات عقلية مجردة من الهيولى كل واحد منها قائم بنفسه متوجه نحو مانصب له من أمره ، وهم ملائكة الله تعالى وخالص عباده بهم تقع المراسلة والوحي والانبياء ، ومن جهتهم يحصل التأييد.

والثالث أن يرى ويعتقد وجودات نفسانية مجردة من الابدان تارة ومستعملة لها تارة ومتعلقة بها تارة ، وانها نازلة من جثث الحيوانات بحسب مايليق بواحد واحد منها من ادراك مآربها وتمكنها به .

والرابع أن يرى أن بمفارقتها الجثث لاتبطل ذاتها ، وخروجها من الأجساد والحس لايخرجها من قدرة الباري سبحانه .

والخامس أن يري أن كل واحدة من الموجودات منفردة بذاتها لايصلحها ولايفسدها الا مايتعلق بها من سوء اعمالها أو فساد آرائها أو رداءة أخلاقها أو تراكم جهالاتها .

والسادس أن يرى أن الباري تعالى إذا أمر الناس أمراً مكنهم منه وأزاح عللهم فيه ، فنهم طائع لامره ومنهم راكب نهيه

والسابع أن جعل لكل صنف من أصناف الطاعات والمعاصي جزاء من الثواب والعقاب ، ويعلم المأمورين والمنهيين عنه انه اذا ماأتوه على بصيرة أوجب الأجر وقطع العذر : «ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة» .

والثامن أن يرى أن لهم معاداً فيه مجازون بما أسلفوا من خير وشر وعرف ونكر ، وانه قد جعل إلى كل واحد تمهيد مثواه واصلاح مأواه ، فان أحسن فلنفسه وان أساء فعليها وماربك بظلام للعبيد .

والتاسع أن يرى أن الدعاء الى الله تعالى أولى الاعمال بالثواب وأرفعها درجة عند المآب .

والعاشر أن يرى أن الدعاة الى الله تعالى هم أعلى الناس درجة وأرفعهم منزلة

وأشدهم في الدعاء إلى الله تعالى حرصاً وأكثرهم فيه دربا وأوسعهم علما وأكثرهم أمة وأعظمهم على الناس نعمة وأنطقهم بالصدق وألزمهم لمنهاج الحق .

فاذا تحققت هذه الآراء في نفس واضع الشريعة وتصورها في فكره كأنه يشاهد يقينا لاشك فيه دعا عند ذلك اليها أهل دعوته الذين أرسل اليهم ويجتهد في انبائهم ماقد اعتقده بالتصريح عنها للخواص من أهل دعوته في السر والاعلان غير مرموز ولامكتوم ، ثم يشير اليها ويرمز عنها عند العوام بالألفاظ المشتركة والمعاني المحتملة للتأويل بما يعقلها الجمهور وتقبلها نفوسهم .

فمن فهم تلك المعاني وتصور حقائق تلك الامور التى أشار اليها واضع الشريعة وتيقن بها ودام بعد نصرتها مجتهداً فى معاونته محتملا للضيم صابراً في السر أو الضر ، طلبا لمرضاة الله تعالى سماهم واضع الشريعة الصديقين والشهداء والصالحين وأبلغ الله تعالى في المدح والثناء عليهم فقال : عز وجل «أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا»

وانما سماهم الشهداء لمشاهدتهم تلك الامور الروحانية المفارقة للهيولي يعنى به جنة الحياة ونعيمها وسماهم الصديقين لتصديقهم لها بالطلب والاجتهاد من أنفسهم في نصرة واضع الشريعة ومعاونته.

فاما من قصر فهمه عن معرفة تلك المعانى وعن تصور تلك الامور بحقائقها فاقر بما أخبره واضع الشريعة وصدقه على ماقال وقام معه بنصرته مجتهداً في معاونته صابراً تحت أمره ونهيه ، سماهم واضع الشريعة المؤمنين ومدحهم الله تعالى وأثنى عليهم من جهة ايمانهم بما أخبرهم وتصديقهم له واجتهادهم معه في نصرته ومعاونته فقال : « وعد الله المؤمنين والمؤمنات » الآية .

وأما من أقر بلسانه وشك فيما قال بقلبه سماهم المسلمين ، وذمهم الله تعالى فقال: « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » وقال : « يمنون عليك أن أسلموا » .

وأما من آمن بلسانه وخانه فى السر ونافق وأضمر له بقلبه تكذيباً خلاف

ما أظهر بلسانه وخدعه ومكر به ، سماهم واضع الشريعة المنافقين وأكثر الله لهم الوعيد والذم والزجر فقال انكاراً لما لم ينتهوا عما هم عليه ووعيداً لهم من النفاق «إن المنافقين فى الدرك الاسفل من النار» .

وأما من أنكر دعوته فى الظاهر وكذب فى السر والاعلان وعاداه جهراً سماهم واضع الشريعة الكفار وناصبهم الحرب والقتال وأكثر لهم الوعد والذم والزجر والتهديد

فصل

واعلم أن من أحد خصال واضع الشريعة ومراعاته لاهل دعوته أن يتعرف خبر كل واحد من أهل دعوته من الصغير والكبير والذكر والانثى والحر والعبد والشريف والدنيء والعالم والجاهل والغنى والفقير والقوي والضعيف والقريب والبعيد حتى يعرف كل واحد منهم ما اسمه ونسبه وصناعته وعمله وتصرفه في حالاته ، وماهو بسبيله في أمر معاشه وماهو الغالب عليه من الطبع الجيد والرديء والخلق الحسن أو السيء والعادات العادلة أو الجائرة حتى يثق بهم علماً ويتبين منازلهم ويستعين بكل واحد منهم فى العمل المشاكل له ويستخدمه فى الأمر اللائق به

فصل

واعلم أن أول سنة يسنها لهم ويطالبهم باقامتها هي الامور التى أولها موالاة بعضهم بعضاً بسبب حرمة الشريعة لتأكيد المودة بينهم وتأليف قلوبهم ليجتمع بذلك شملهم وتتفق كلمتهم ويأمرهم بمخالفة من يخالفهم فى سنة الشريعة ومجانبتهم والبراءة منهم وان كانوا ذوى القرابة والاحباء ، كما قال الله عز وجل : «المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» . وقال تعالى: «لا تتولوا قوما غضب الله عليهم» .

فاذا قاموا بواجب هذه السنه وتثبتوا عليها واستحكمت تلك فى نفوسهم وتعاضدوا

على ذلك وتناصروا عليه ، صار كلهم عند ذلك كرجل واحد وجسد واحد ونفس واحدة وصار واضع الشريعة لهم بمنزلة الرأس من الجسد وهم له كسائر الاعضاء ، وتصير قوة نفس واضع الشريعة متصرفة في نفوسهم كتصرف القوة المفكرة فى سائر القوى الحساسة فيصدرون عند ذلك عن رأى واحد وقصد واحد وغرض واحد بقوة واحدة فيغلبون كل من رام غلبتهم ويقهرون كل من خالفهم وعاداهم وضادهم .

فصل

فهلم بنا أيها الاخ ان كنت عازما على طلب صلاح الدين والدنيا أن نقتدي بسنة الشريعة ونجتمع مع اخوان لك فضلاء وأصدقاء كرام ، ونتعاون على ذلك بمحض النصيحة في الضمير وصدق المعاملة في السر والاعلان وإلف المحبة في القلوب نوفق ان شاء الله تعالى

فصل

واعلم أن من أحد الخصال التى يعتقدها واضع الشريعة يقيناً لا شك فيه أن من أقرب القربات الى الله تعالى وأبلغ طلب لمرضاته بذل المال والنفس والاهل في اقامة الشريعة وتقويتها واظهارها ، وان كل نفس من أنصاره وأتباعه أنفق ماله أو فارق أحباءه أو بذل دمه وجعل جسده قرباناً فى نصرة الشريعة ، فان تلك النفس بعد مفارقة جسدها تبقى مجردة من الهيولى وتعلو رتبتها على سائر النفوس التى هي أبناء جنسها وترتفع درجتها وتشرف هى على النفوس المتجسدة المستعملة لتلك الشريعة فتصير موقوفة عليها شاهدة أحوالها ، وتكون الشريعة لها مدينة روحانية ويكون تصرفها وتحكمها في النفوس المستعملة لتلك الشريعة كتصرف رؤساء أهل المدينة في أملاكهم وغلمانهم وأتباعهم ، وانها تنال بتلك اللذة والسرور والفرح مثل ما ينال الرؤساء ذوو السياسة من انقياد المرؤوسين لطاعتهم وحسن خدمتهم ، وكلما كثر عدد التابعين في الشريعة ازدادت فرحاً وسروراً ولذة وغبطة دائماً أبداً .

واعلم أن من احدى خصال واضع الشريعة أن يسن لأهل دعوته أولا سنة حسنة يقيمونها بشرائطها وسيرة عادلة يتعاملون بموجبها فيما بينهم ، ويكون في استعمالهم صلاح الجمهور والنفع العام ، ولا يبالي أن يكون عليه أو على بعضهم من استعمالها لها مشقة أو ضرر لان غرض واضع الشريعة ليس اصلاح أمر نفسه ولا اصلاح أنصاره وأتباعه الموجودين في الوقت الحاضر في زمانه أو النفع العاجل له ولهم ، بل غرضه اصلاحهم واصلاح من يجيء بعدهم من التابعين ومن يجيء بعد أولئك الى يوم القيامة

واعلم بأن نسبة تلك الاشخاص الموجودة في زمانه بالنسبة الى من يجيء بعدهم من الكثرة ماهو الا كنسبة الآحاد الى العشرات والعشرات الى المئات والمئات الى الألوف والالوف الى عشرات الالوف والعشرات الألوف الى المئات الالوف والمئات الالوف الى ألوف الالوف الى مالا نهاية

واعلم أن مثل واضع الشريعة مع اخوانه وأنصاره وأتباعه الذين يجيئون بعدهم الى يوم القيامة في حكم الشريعة كمثل شجرة هو وأصحابه وأنصاره أغصانها وقضبانها ومن يجيء بعدهم من التابعين لهم كالفروع ومن يجيء بعدهم كالورق والنور والزهر والثمر ، وهذه الشجرة روحانية تنبت من فوق الى أسفل لأن عروقها في السماء مما يلي رتبة الملائكة ، لان مادتها من هناك تنزل — يعني بتأييد واضع الشريعة من الملائكة — وعنهم يأخذ الوحي والالهام والانباء يؤديها الى البشر الذين هم في الارض ليجتذبهم بها إلى رتبة الملائكة ، وهذه الشجرة التي رمز عنها يقال انها شجرة طوبى نبتت من تحت العرش وتدلت أغصانها في منازل أهل الجنة وهم يجتنون ثمرها في دائم الاوقات

فصل

واعلم أن من احدى الخصال التي يضعها صاحب الشريعة أن لاينسب إلى رأيه واجتهاده وقوته شيئا مما يقول ويفعل ويأمر وينهى في وضع الشريعة ،

لكنه ينسبها الى الواسطة التى بينه وبين ربه من الملائكة التى توحى اليه فى أوقات غير معلومة . وأما الحكماء والفلاسفة إذا استخرجوا علماً من العلوم وألفوا كتاباً أو استخرجوا صنعة من الصنائع أو بنوا هيكلا أو دبروا سياسة نسبوا ذلك الى قوة أنفسهم واجتهادهم وجودة رأيهم وخصهم وبحثهم ، وهذا خلاف ما يفعله واضع الشريعة

﴿ فصل ﴾

واعلم أن تمام الدين والدنيا لتابعى الشريعة فى أربع خصال ، أحدها أن يكون لكل واحد منهم عقل يعرف به القبيح وينزجر عنه ويعرف الجميل ويأمر به ، والثانى أن يكون لهم بواضع الشريعة قدوة في أفعاله وأقاويله وآدابه ومتصرفاته . والثالث أن يكون مع كل واحد منهم وصية من واضع الشريعة يدرسونها في أوقات معلومة . والرابع أن يكون على كل جماعة منهم رئيس من فضلائهم عارف بسنة الشريعة يأمرهم باقامتها ويحثهم على حفظها وينهاهم ويزجرهم متى أرادوا تغيير سيرة الشريعة

﴿ فصل ﴾

واعلم أن العقلاء الاخيار اذا انضاف الى عقولهم القوة بواضع الشريعة فليس يحتاجون الى رئيس يرأسهم ويأمرهم وينهاهم ويزجرهم ويحكم عليهم ، لان العقل والقدرة لواضع الناموس يقومان مقام الرئيس الامام ، فهلم بنا أيها الأخ أن نقتدى بسنة الشريعة ونجعلها إماماً لنا فيما عزمنا عليه ، والله يوفقك إنه جواد كريم

﴿ فصل ﴾

واعلم أن طائفة من المرتاضين بالعلوم الفلسفية والمتأدبين بالآداب الرياضية إذا كانت نفوسهم جاهلة بظاهر أحكام الشريعة عمياء عن معرفة أسرار موضوعاتها توانوا فى استعمال سنة الشريعة الالهية والسير بسيرته وعابوا موضوعاته وأقوا

من الدخول تحت أحكامه واستكبروا عن الانقياد لحدوده ، فمن أجل هذا سماهم صاحب الشريعة شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً فيما ينكرون على الشريعة من أحكامه ومايعيبون عليه من موضوعاته — يعنى يتغامزون على أهل الشريعة المستعملين لها كما قال الله تعالى : « وإذا مروا بهم يتغامزون » . كل ذلك جهلا منهم بأسرار الشريعة وعمى عن أحكامها كما وصفهم الله تعالى : « صم بكم عمى فهم لايعقلون »

فصل

واعلم أن للكتب الالهية تنزيلات ظاهرة وهي الالفاظ المقروءة المسموعة ولها تأويلات خفية باطنة وهي المعانى المفهومة المعقولة ، وهكذا لواضعى الشريعة موضوعات عليها وضعوا الشريعة ولها أحكام ظاهرة جلية وأسرار باطنة خفية ، وفى استعمال أحكامها الظاهرة صلاح للمستعملين فى دنياهم وفى معرفتهم أسرارها الخفية صلاح لهم في أمر معادهم وآخرتهم ، فمن وفق لفهم معانى الكتب الالهية وأرشد الى معرفة أسرار موضوعات الشريعة واجتهد فى العمل بالسنة الحسنة والسير بسيرته العادلة ، فان تلك النفوس هى التى اذا فارقت الجسد ارتفعت الى رتبة الملائكة التى هي جنات لها ، وهي ثمان مراتب . وفازت ونجت من الهيولى ذى الثلاث الشعب التى هى الطول والعرض والعمق ، وارتفعت فى درجات الجنان والمراتب الثمان التى سعة كل واحدة منها كعرض السماء والارض . ومن لم يرشد لفهم تلك المعانى ولامعرفة تلك الاسرار ولكن وفق للعمل بسنته العادلة وأحكامه الظاهرة فان تلك النفوس عند مفارقتها الجسد تبقى محفوظة على صورة الانسانية التى هى الصراط المستقيم الى أن يتفق لها الجواز على الصراط المستقيم ، والى هذا أشار بقوله تعالى فقال : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه » الآية . وهذا هو الغرض الاقصى فى وضع الشريعة الالهية . ومن لم يرشد لفهم تلك المعانى ولا اجتهد فى العمل بسنة الشريعة ولا الدخول تحت أحكامها ولا الانقياد لحدودها فان تلك النفوس إذا فارقت الجسد انحطت الى

البهيمية التي هي دركات لها وهاوية تهوى فيها ، كما قال الله تعالى : « لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم » . والى هذا أشار بقوله : « فاما ان كان من المقربين فروح وريحان » . الى قوله وتصلية جحيم . وفي معرفة أسرار هذه النكت الالهية قيلت هذه القصيدة والى أسرار موضوعاتها أشير بها وهي هذه :

اقتربت الساعة وانشق القمر ... وانكشفت عنه أفانين العبر
وان يروا آية حق يعرضوا ... عنها وقالوا هو سحر مستمر
وكذبوا واتبعوا أهواءهم ... وكل شيء فعلوه في الزبر
من بعد ماقد جاءهم من عجب الا ... نباء مافيه لعات مزدجر
في حكمة بالغة محكمة ينـ ... ـفى بها العذر فما تغنى النذر
حتى اذا حق الهلاك مسرعاً ... أشياعهم فيه فهل من مدكر
أحياه بعد موته الله وقد ... قال ارجعوني بعد ما كان قبر
فرده الله لقطع عذره ... فكان أطغى في الرجوع وأشر
مثل الذين فارقوا ديارهم ... من حذر الموت فما أغنى الحذر
فقال منشيهم لهم موتوا معاً ... ثمة أحياهم برزق وعمر
أو كالذي مر بظهر قرية ... خاوية على العروش منقعر
فقال هل يحيي الاله هذه ... بعد المهات فأميت ونشر
فكان فيه ثم في حماره ... وفي الطعام والشراب معتبر
يا أيها الناس اتقوا فانما ... أعمالكم أعمالكم كما ذكر
ألهاكم الشيطان عن مقعد صد ... ق ومقام لمليك مقتدر
من قبل أن نطمس منكم أوجهاً ... وطمسها رد لها على الدبر
أو يلعن العادون في حدهم ... لعنة اهل السبت في سيف البحر
اذ جعلوا فيه قروداً وخنا ... زيروا أنواعاً من الخلق الأخر
بدل تبديلا لهم أمثالهم ... مستويات الجنح موشى الصور

منكسين لايرد طرفهم ... اليهم للذكر كلا لاوزر
لايستطيعون السجود اذ دعوا ... وطالما عافوا السجود في القدر
من بين مغلول اليدين طافياً ... وبين صال في الجحيم المستعر
يظما والماء عليه لجة ... في بعضها يغني بورد وصدر
وبين مسلوك له سلسلة ... مقدارها سبعون ذراعا في القدر
قد أوجب النقمة منه نفسه ... فصار موكولا الى أم سقر
وآخر غطى التراب رأسه ... وطم منكوساً كما قام الشجر
لايثنى عنه صائب الحتف ولا ... يجتذب النفع ولاينفي الضرر
مستسلماً للواردات حسرة ... ناراً تلظى وهو ماء منهمر
هذا وكأين من وقود أضرمت ... حراً وبرداً في حديد أو حجر
في الدرك الاسفل لايبعدهم ... الا الذي في أول العمر فطر
وكلهم اذ ظلموا أنفسهم ... مشتركون في عذاب مستمر
يبدلون بالجلود كلما ... أنضجها ذوق العذاب في سقر
أعوذ بالله من الجهل الذي ... يصم ذا السمع ويعمي ذا البصر
ومن خيالات النفوس شأنها ... أن تعبد الله على حرف الغرر
ومن أثيم مستطيل كلما ... أمهله الله تمادى وأشر
أتته آيات الاله ربه ... فانسلخ المحروم منها وانتشر
فكان من جملة غاوين رأوا ... رفعتهم أفضت بهم الى الحفر
وجاهل يخلط في إيمانه ... كفرا فان نبهته تاه وفر
وسنان لايعلم الا ظاهراً ... من الحياة غافلا عن الأثر
وهو على الاعراض عن آخرة ... فيها لمن أدركها خير وشر
يستعجل الساعة والساعة في ... عماية الجاهل أدهى وأمر
من معشر غشيهم جهلهمو ... إذ ضرب السور عليهم فانحصر
مميز للخلق في ظاهره ... من العذاب شاغل عن العبر

ضنك على المرء وفى باطنه — من رحمة الله غمام منتشر
تبارك الله العليم ربنا — وعالموه فهم الحزب الاغر
وكل من والا وعادى فيه لو — آوي دعاة المؤمنين اونصر
وكل من هاجر في الله ومن — جاهد أو حج اليـه واعتمر
الى بيوت حيـة ناطقة — مشتركات فى اللباس المنتشر
قـد أذن الله لها فى رفعها — وأن يكون لاسمه فيها ذ كر
من معشر موحـدين دينهم — كدين عبدالله مولانا «الخضر»
يرون فى عين النفوس ما يري — غيرهم في حسنها في المنتظر
فى كل عصر منهم ذو دعوة — يجر من سـفن البحار ما عبر
لايقفون عند شخص واحد — تمضى دهور وهو وعد ينتظر
بل فيهم ومنهم طوالع — تجرى على ترتيب نظم مستطر
دونكموها يا بنى الحق ولا — تشغلكم عنها أباطيل الفكر
فـكم لها من سامع منتفع — يعـلم ما يأتى لهـا وما يذر
وغافل عن الرموز جاهل — يقول :من يقول ذا فقد كفر :
فمن يكن يعـلم ما يقـوله — وكان يجرى رأيه على النظـر
عما يبين صـدقه بشاهد — من العقول لا برجم من حذر
عما يكون قـربه مشـتركا — ويستوي فيه دعاوي من يقر
فليـأت بالحـكمة في أخبـاره — بالعدد المخصوص فى أى السور
مثـل مقادير الفروض كلها — من الصـلاة والزكاة والطهر
وكم أولو العزم وأصحاب الرضا — طالوت ذى البسط وحيد المنتظر
وكيف أسماء الاله ربنا — تسع وتسعون هى الحسنى الكبر
وكيف في تفريقـه أمتـه — على ثلاث بعد سبعين اختصر
وكيف أجزاء النبى ستة وأر — بعون وهو أمر ذو خطـر
لم جعل الرؤيا الصحيح واحدا — من جملة الاجزاء فيه ،فافتكـر

وحاملو العرش وفي عدتهم عدة أبواب الجنان في القدر
واختصت النيران فى أبوابها بسبعة ممن أتاها وابتدر
منطلق فيها الى ظلاله فيها ثلاث شعب ترمي الشرر
فقال فى الذكر عليها تسعة يملك ما فيها جميعا وعشر
كانهم قد جعلت عدتهم لفتنة الكافر أو ذكر الخبر
وكل من يسلك فيها وله سلسلة مقدار سبعين قدر
هذا وما «طه» وما «حم» او «طس» أوأشباههذامن سور
وما أمور أخفيت انباؤها عن ظاهر بين رعاع كالحمر
من قصة الجان الذين أفسدوا واستحوذوا منها بماء قد غمر
وماهى «الحية» « والطاووس » اذ كانا معينين لابليس الخسر
وما هى الحنطة اذ حذرها آدم من بين النبات والخضر
وكيف لما ذاقها بدت له سوآته وكان قبل مستتر
وكيف تعليم «الغراب» أولا «قابيل» دفنالأخيه اذ حضر
وما هى النار التى كانت على الخليل ابراهيم بردا اذ شكر
وما هى «الطير» التى أنشرها له الاله بعد موت اذ صبر
وما هو «الطوفان» اذ عم وما سفينة الالواح فيه والدسر
وما قميص يوسف وذئبه والدم اذ جيء بافك مشتهر
و«الجب» اذ ألقى فى غيبته والحبس اذ قد خص بها منهبر
وكيف باعوه على مبتاعه بالثمن البخس وبالشيء النذر
وما هو البرهان اذ أبصر قال عندها : السجن مرادي فصبر
وشاهد منه قد استشهده على قميص كان قد من دبر
وكيف كان بعد ذا قميصه فيه شفاء لا بيه مدخر
وما هو العجل الذى خار وما الصفراء ازجيت قتيلافي البقر

وما دم فاض فصار شرقا ... لمن عليه لا على الماء اقتصر
وكيف تاهت أمة عظيمة ... دهراً وأرض التيه كالدر صغر
و«الجبل» المرفوع فيهم ظله ... يشهده من غاب منهم وحضر
وخر ذى الملك سليمان وما ... «خاتمه» وما «العصا» ساعة خر
وما هى الطير وما منطقها ... والريح اذ تجرى به وتسخر
وما هو الكرسى في إلقائه ... له عليه جسداً لما اختبر
والعرش اذ احضره عالمه ... قبل ارتداد طرفه كما ذكر
ويونس اذ قد بلعه حوته ... فشاهد الانجم فيها واعتبر
وما المسيح الروح والمهد الذى ... كلم فيه الناس فى وقت صغر
وصلب هاروت وماروت وما ... يعلمان الناس ممن قد سحر
ونوم أهل الكهف والبعث لهم ... وكلبهم سابعهم حسب الخبر
وسد يأجوج ومأجوج ومن ... يلحسه من زمر بعد زمر
وكيف سواه حجابا موثقا ... نفخ المعينين وافراغ القطر
وكيف اذ يقترب الوعد لهم ... تشخص أبصارهم اذا انقعر
وما طلوع الشمس من مغربها ... ما بين قرني مارد لا ينزجر
وكيف بعد نورها تكويرها ... والانجم الزهر عليها تنكدر
وما هو «الدجال» اذ حذر منـ ... ـه كل خلق وهو شخص ذو عور
وكيف يجرى عن جنابي جيشه ... من الجبال شامخات فى الكبر
فالجبل البصري فيه جنة ... مثمرة ذات رياض وزهر
والاصفهاني عليه أبدا ... نار تلظى ودخان منعكر
وذاك لا يعلمه الا الذى ... اشهد خلق نفسه فيما عبر
وكان في خلق السموات العلى والا ... رض قد عوضد أو كان خبر
فالحمد لله الذى أشهدنا ... ما لم نكن نعلم إلا بالخبر

واعلم يا أخي أن هذه الابيات وما فيها من المسائل انما هي ارشاد للمتأدبين باصلاح الأخلاق وتنبيه للمرتاضين بعلم النفس على الأسرار النبويات وما في موضوعات الشرائع من الرمز ولا ينبغي لاحد من اخواننا أن يجيب أحداً اذا سئل عن هذه المسائل الا لمن قد هذب نفسه وأصلح أخلاقه لأن صدأ النفس ورداءة أخلاقها ممتنع من فهم معاني هذه .

وقد بينا في الرسالة السابعة التي تتلو هذه كيفية ذلك فافهم ان شاء الله وحده

(تمت رسالة ماهية الناموس الالهي وشرائط النبوة ويليها رسالة في كيفية الدعوة الى الله)

الرسالة السابعة

من العلوم الناموسية والشرعية

في كيفية الدعوة الى الله

﴿ وهي الرسالة الثامنة والاربعون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

واعلم أيدك الله وإيانا بروح منه أن شيعتنا وإخواننا المتفرقين في البلاد وسائر من ينسب الينا فهم في أحوالهم ومراتبهم على منازل ثلاث : فطائفة منهم خواص وعقلاء متدينون أخيار فضلاء ، وطائفة منهم أغبياء أشرار أردياء ، وطائفة بين ذلك متوسطون . ولكل طائفة منهم آراء ومذاهب هم فيها مختلفون وأقاويل مفننة هم بها مشغوفون وأخلاق وسجايا هم بها متغايرون . ولهم مع ذلك أفعال وأعمال هم لها معتادون ، فنريد أن نذكر كل طائفة منهم بأوصافهم وندل عليهم بعلاماتهم ، حتى إذا دخلت مدينة أو بلداً من البلدان ولقيت منهم أحداً تبينتهم بعلاماتهم وعرفتهم بسيماهم ، فلقيتهم بالتحية والسلام وداخلت كل طائفة منهم بألطف ماتقتدر عليه من الرفق والمداراة ، وذاكرتهم من علمنا بحسب ماتقبله قلوبهم ، وألقيت اليهم من أسرارنا حسبما تحتمله عقولهم وتتسع له نفوسهم ، وتبلغ اليه هممهم وتتصوره أفهامهم ، وتكون في كل ذلك كمثل الطبيب الحكيم الرفيق الذي قد ذكرت قصته في أول الرسالة لاخوان الصفاء

فصل

إن من خواص إخواننا الفضلاء أنهم العلماء بأمور الديانات العارفون بأسرار النبوات المتأدبون بالرياضيات الفلسفية ، واذا لقيت أحداً منهم وأنست منه رشداً فبشره بما يسره وذكره باستئناف دور الكشف والانتباه وانجلاء الغمة عن العباد بانتقال القران من برج مثلثات النيران الى برج مثلثات النبات والحيوان في الدور العاشر الموافق لبيت السلطان وظهور الأعلام .

واعلم أن من اخواننا وأهل شيعتنا طائفة أخرى بوجودنا شاكون ، وفي بقائنا متحيرون فيما يعتقدون من موالاتنا ، وطائفة أخرى موقنون ببقائنا لكنهم غافلون عن أمرنا غير عارفين بأسرارنا وكلهم منتظرون لظهور أمرنا مستعجلون لمجيء أيامنا مشتهون نصرة أمرنا ، فاذا لقيت منهم أحداً فبشره بما يسره وقر عينه بما يظنه بعيداً مما يؤمله وعرفه أن ما يرجوه غير بعيد ، وذكر من وثقت بهم من اخواننا بما ألقينا اليك من علمنا وأطلعه على ما أطلعناك عليه من أسرارنا كيما تطمئن نفوسهم فيما يعتقدون فينا ويتبين لهم صدق ما هم مقرون به من أمرنا وأخرج اليهم من رسائلنا ما ترغب نفوسهم فيه وترتاح اليه ، وليكن ذلك على النظام والترتيب كما بينا لك . فلعلهم اذا استمعوا لقراءتها وفهموا معانيها انتبهت نفوسهم من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وحييت بروح المعارف كما ذكر الله جل ذكره : « أفمن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها »

واعلم يا أخي بأن في الناس طائفة من أهل ملتنا مقرون بفضلنا وفضل أهل بيتنا ولكنهم جاهلون بعلومنا غافلون عن أسرارنا وحكمتنا ، فمن ذلك أنهم يجحدون وجودنا وينكرون بقاءنا ومع هذا فانهم يزرون بشيعتنا المقرين بوجودنا المنتظرين ظهور أمرنا ومعاندون لهم متعصبون عليهم مبغضون لهم .

واعلم بأن أحد الاسباب فى ذلك هو أن قوماً من أشرار الناس جعلوا

التشييع ستراً لهم عما يحذرون من الآمرين عليهم بالمعروف والناهين لهم عن المنكر فيما يفعلون وذلك انهم يركبون كل محظور ويتركون كل مأمور به ، واذا نهوا عن المنكر فعلوه بارزوا باظهار التشيع واستعاذوا بالعلوية على من ينكر عليهم أو ينهاهم عن منكر فعلوه ولبئس ما كانوا يعملون . ومن الناس طائفة ينسبون الينا بأجسادهم وهم براء بنفوسهم منا ويسمون أنفسهم العلوية وما هم من العلويين ولكنهم من أسفل السافلين ، لا يعرفون من أمرنا إلا نسبة الاجساد ولا من القرآن إلا أسمه ولا من الاسلام إلا رسمه ، لا علماً يتعلمون ولا فقهاً يدرون ولاصلاة يقيمون ولازكاة يؤدون ولاالبيت يحجون ولاجهاداً يعرفون ولاحراماً يجتنبون ولاعن منكر ينتهون وكل قبيح يركبون ولايتوبون ولا هم يذكرون ، ومع هذا كله على الناس يستطيلون وإليهم يتبغضون ومن شيعتنا ينفرون ، فهم أبعد الناس من أهل ملتنا وأعدى الناس لشيعتنا وأجهل الخلق بعلومنا وأغفل الناس عن حقيقة أمرنا وأسرار حكمتنا ، الا الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً واليهم أشار رسول الله ﷺ بقوله : « يابنى هاشم لا يأتي الناس يوم القيامة بأعمالهم وتجيئون بأنسابكم فاني لا أغنى عنكم من الله شيئا » ومن الناس طائفة قد جعلت التشييع مكسباً لها مثل النائحة والقصاص لايعرفون من التشييع إلا التبري والشتم والطعن واللعنة والبكاء مع النائحة وحب المتدينين بالتشييع وترك طلب العلم وتعلم القرآن والتفقه في الدين ، وجعلوا شعارهم لزوم المشاهد وزيارة القبور كالنساء الثواكل يبكون على فقدان أجسادنا وهم بالبكاء على نفوسهم أولى .

ومن الشيعة من يقول إن الائمة يسمعون النداء ويجيبون الدعاء ولايدرون حقيقة مايقرون به وصحة مايعتقدونه ، ومنهم من يقول إن الامام المنتظر مختفى من خوف المخالفين ، كلا بل هو ظاهر بين ظهرانيهم يعرفهم وهم له منكرون كما قيل :

يعرفه الباحث من جنسه   وسائر الناس له منكر

وكلهم يقرون بأن الانبياء عليهم السلام خزان علم الله وأن الخلفاء هم والائمة

المهديون وارثون علم النبوات ولكنهم لايدرون حقيقة مايقرون ولا تصديق ما يعتقدون ! ! فأعيذك أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه أن تكون منهم بل كن هادياً مهدياً رشيداً طبيبا رفيقاً لاخوانك وأصدقائك وجيرانك : ترشد الضال وتبرىء الاكمه والأبرص وتحيي الموتى باذن الله

فصل

ذكروا أن ملكا من ملوك الهند كان عظيم الشأن عزيز السلطان واسع المملكة حسن السيرة فى رعيته محباً للعدل والانصاف ولكن كان متديناً بعبادة الاصنام معظما لها متقرباً لاهلها ولم يكن يعرف شيئا من أخبار الانبياء ولا ما جاءت به من حديث ملكوت السماء وأمر الوحي والتنزيل والسنن والتأويل وأمر المبدإ والمعاد والبعث والقيامة والحشر والحساب والميزان والصراط والنجاة من النار ودخول الجنان ومجاورة الرحمن ذي الجلال والاكرام . ثم أن ذلك الملك رزق على رأس الكبر ابناً سعيد المولد فأمر المنجمين بالحساب والحكم على موجبات أحكام النجوم في مولده فحكموا بأنه يتربى ويعيش ويطول عمره وينال ملكا وسلطاناً لا يشبه ملك الارضين ولا سلطان الجسمانيين ، بل ملك السماويين وسلطان الروحانيين . فلما تربى ذلك الغلام ونشأ أفرد له أبوه منزلا وبنى له قصراً فأسكنه فيه ووكل به الحفظة وشحنه بالخدم والطبرة والخصيان ومنع أن يصل اليه أحد من العامة ، فلما نشأ الغلام وترعرع رزق من الفهم والذكاء ما لم يرزق أحد غيره من أهل بلده ، ثم علم آداب أبناء الملوك من القراءة والكتابة والشعر والفصاحة والنحو واللغة والحساب والنجوم والهندسة وما يليق بأولاد الملوك من العلوم والآداب ، وكان صافى النفس حي القلب كثير التفكر في ملكوت السماء وأمر الصانع وكيفية المبدإ وأمر المعاد وأحوال القرون الذين مضوا وانقرضوا ترى إلى ماذا صاروا وإلى أين ذهبوا حتى منعته الفكرة عن الأكل والنوم والتمتع بلذات النعيم فى الدنيا وشهواتها فأسهر ليله وأطال نهاره وتمنى أن يجد أحداً يسأله عما فى نفسه ويذاكره بما فى قلبه فلم يجد

أحداً حتى فشا حديثه في الناس وكثر الثناء الجميل عليه وانتشر ذكره في الآفاق فسمع خبره حكيم من حكماء بلاد سرنديب فطمع في رشده ورجا أن يكون هادياً رشيداً وفيلسوفاً حكيما فقصد نحو بلاده وحمل معه كتاباً من كتب الحكمة وأسرار النبوة ملفوفاً في ثوب في جوف سفط مختوم(١) ثم انه أتى تلك المدينة فطاف فيها فلم يجد فيها أحداً من أهلها يصلح أن يسمع حكمته غير ذلك الغلام فطاف ببابه فرأى الوصول اليه صعباً والامر ممتنعاً من كثرة الحراس والحفظة حول القصر ، وأقام زماناً يفكر كيف يكون الوصول اليه والدخول الى عنده حتى عرف الداخلين والخارجين من عنده واليه ، فوقع اختياره على أحد الخدم المختصين به فرصده يوماً حتى وجده خالياً وأخذ بيده الى جانب الطريق وقال له : اسمع ما أقول واكتم على سري

واعلم بان عندي نصيحة لابن الملك وقد وقع اختياري عليك لما توسمت فيك من الخيرية .

قال له الخادم ماهذه الحاجة وماهذه النصيحة أسمعنيها حتى أعرفها .

قال له : أنا رجل من تجار البحر وقد وقع بيدي جواهر مثمنة نفيسة لا تصلح الا للملوك وأبناء الملوك وقد قصدت هذا الفتى لاعرضها عليه فان كانت تصلح له واختارها فهي مبذولة له ، وإن لم يكن يريدها ردت الى سراً ولم يعلم بها أحد من الناس فاني لست آمن من أن يشعر بها بعض اللصوص أو الطرارين(٢) فيحتال علي في أخذها .

فقال له الخادم : أرني جواهرك أنظر اليها فان كانت تصلح له حملتها اليه .

فقال الحكيم ان لجواهري شعاعا وبريقاً شديداً لا تستطيع النظر اليها الان في عينيك ضعفاً أشفق عليك ضرراً

(١) السفط وعاء كالقفة ، والتابوت الصغير سفط أيضا والقشر الذي على جلد السمك سفط والجمع أسفاط والاول هو المراد هنا فتنبه

(٢) الطرار : من يشق الجيوب ليسرق

وأما ابن الملك فشاب حدث جيد النظر حار البصر لا أخاف عليه منه ضرراً فقال له الخادم . ان هذا الامر الذي تصف لامر عظيم وما أرى بكلامك بأساً وأنا شاك فيما تقول فكيف أصنع ؟ !

فقال الحكيم : لايسعك أن تحرم ابن الملك هذه النصيحة إذا بذلتها له واعلم بانك إن لم توصلني اليه مع سفطي هذا توسلت بغيرك اليه ، فذهب الخادم وعرف الفتى .

فلما سمع ابن الملك ذلك الحديث تهلل وجهه وداخله من الفرح والسرور مالم يتمالك نفسه أن قام من مجلسه ومشى في الدار وعلم أنه قد ظفر بحاجته ووجد طلبته وقال للخادم نعم مارأيت حين عرفتني هذا الحديث فالآن أوصله إلي ولكن بالليل في سر وكتمان

فلما وصل الحكيم الى الفتى ورأى شخصه تفرس فيه النجابة والفلاح وقام الغلام من مجلسه وسلم عليه ورحب به وأقعده وقعد بين يديه ، وقال للخادم: تنح الآن عنا لاسأله عما في نفسي .

ثم ابتدأ فسأله عن حاله ومجيئه وقصده وأخذ في حديث طويل — وقد بينا في فصل بعد هذا أشياء مما جرى بينهم من الخطاب .

فهكذا ينبغي لاخواننا الفضلاء الاخيار أيدهم الله وايانا بروح منه أن يقتدوا بذلك الحكيم في اختيارهم لحكمتهم الاحداث الفتيان الاخيار النجباء المتأدبين المتهذبين الفهماء الاذكياء لاذكار علومنا وأسرار حكمتنا اقتداء بسنة الله تعالى . وذلك انه لم يبعث نبياً إلا وهو شاب ولا أعطى الحكمة لعبد من عباده إلاوهو حدث من الفتيان ، كما ذكرهم الله تعالى وأثنى عليهم فقال: «انهم فتية آمنوا بربهم» الآية وقال في قصة خليله ابراهيم : « سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم »وقال موسى لفتاه : « آتنا غداءنا » .

وهكذا ينبغي لاخواننا اذا وجدوا صديقاً بهذا الوصف ينبغي لهم أن يغتنموا ذلك ويعرفوا اخوانهم الباقين ويستبشروا بالنصر والتأييد من الله عز وجل، كما وعد جل ثناؤه بقوله : «إن تنصروا الله ينصركم » وقال : «والله ولي المؤمنين»

﴿ فصل ﴾

فكان مما يجري بين الفتى والحكيم ان قال له اخبرني لم يذم الحكماء أمور الدنيا ويزهدون في نعيمها وهي دارهم التي نشأوا فيها ومسكن آبائهم الذين ربوهم ؟ فاجاب لانها تصغر في أعينهم إذا شاهدوا أمر ملكوت السماء ويستقلون نعيمها في جنب مايعرفون من نعيم أهل الآخرة كما صغر حال ذلك المسكين في أعين الملك ووزيره .

قال الفتى كيف كان ذلك ؟ قال الحكيم ذكروا انه كان ملك من ملوك الهند عظيم الشأن عزيز السلطان واسع المملكة حسن التدبير والسياسة عادل السيرة في الرعية صادق الحجة في الحكومة بصيراً بامور الدنيا راغباً فيها متمنياً للخلود ولم يكن يعرف أمر الآخرة ولا المبدأ ولا المعاد ولا البعث ولا القيامة ولا الوحي ولا النبوة ، وكان مع ذلك يعبد الاصنام تقليداً : يقرب لها القربان ويعظم شأنها ويحسن الى أهلها على عادة جارية قد اعتادها من الحداثة والصبا من غير فكر وروية في شأنها وكان له وزير خير عارف بصير قد عرف ملكوت السماء ونبأ الملأ الأعلى وأمر المعاد والمبدأ وكيفية الوحي للانبياء عليهم السلام وعلل سنن الديانات ومرامي مرموزات النواميس وأسباب أحكام الشرائع وما الغرض الاقصى منها وما حقيقة معانيها وخفيات أسرارها ودقائق اشاراتها وما قصد واضعيها وما النفع العاجل منها وما المطلب والمغزى في الاصل منها

فكان كلما رأى ذلك الوزير الملك يسجد لتلك الاصنام ويستلمها ويعظم شأنها من غير معرفة بحقيقة أمرها ولا بصيرة لشأنها وما المغزى من ذلك امتعض قلبه لما عليه لغفلته وسهوه فيما يفعله تقليداً ويعمله جهالة ، وكان يرثي له سراً وجهراً رحمة وشفقة عليه لطول الصحبة معه وحسن المعاشرة له ، وكان نهايته أن ينهاه عن ذلك أو ينبهه من غفلته وأن لا يسمع لقوله لشدة سكرته وغفلته ولا يقبل نصيحته لتمكنها في نفسه واستمراره عليها طول الزمان ، فشكى ذلك الى صديق له فقال :

قد طالت صحبتي لهـذا الملك وما رأيت منه الا خيراً وله الي احسان كثير وانعام وافضال لاأقدر أن أؤدي شكرها ولست أنكر من أمره الا ماهو فيه من الغفلة في أمر الدين والمعاد وقلة الرغبة في الآخرة وترك النظر في المنقلب بعد الموت ، ولاأدري ان ذكرته كيف يقع منه

فقال له صاحبه : أنت أخبر بصاحبك وأعرف بأخلاقه وأعلم بعاداته فكن طبيباً رفيقاً لاتضع الدواء الا عنـد الداء حتى ينفع ، واطلب الفرصة فان رأيت للكلام موضعاً وللخطاب موقعاً فاغتنم ذلك ، وان لم تر فلاتضيع الحزم . واعلم بأن الملوك لهم سكرات وغفلات من عدة وجوه فمنها سكرات السلطان والأمر والنهي ومحبة الرياسة والعز والأنفة والكبر والاستطالة ، ومنها سكر الشباب والنشاط والنجدة والتفاخر والخيلاء والشجاعة والشطارة ومحبة الغلبة والرياسة والسمعة ، ومنها حب الشهوات المركوزة في الجبلة والتمكن منها والميل الى اللذات المعتادة والرفاهية والراحة والزلفة واستمرار على العادات المعتـادة من الصبا ومنها الجهالات المتراكمة من أول الامر والاخلاق المنشأة مع الطبع والخلقة . وكل هذه سكرات تمنع من استماع الحكمة والنظر في العاقبة والفكر والروية في المعاد والمنقلب في الآخرة بعد الموت .

ثم ان ذلك الوزير مكث دهراً طويلا يطلب الفرصة لخطابه الى أن اتفق أن قال له الملك ذات ليلة ـ بعدما فرغا من النظر في أمر الرعية وكتب النوبة وتدبير السياسة : هل لك أن نخرج الليلة متنكرين لنعرف حال المدينة ونتجسس أحوال الرعية وننظر الى آثار المطر وكيفية ذي البلاد ومصالح العباد ؟؟ وكان من سنة ملوك تلك البلاد أن لايركب الملك الا في كل سنة مرة ولايظهر للرعية الا يوماً واحداً كل ذلك تعظيما لأمر الملك وسياسة لأمر الرعية فخرجا يطوفان حول المدينة متنكرين ، فبينما هما كذلك إذ هما بضوء من بعيد فامتدا نحوه حتى دنوا منه فاذا هما بمزبلة شبه رابية عظيمة عليها جيف مرميـة وسماد طرية منتنة الرائحة وإذا في أسفله ثقبة شبه المغارة واذا في أقصى داخلها رجل قاعد مشوه الخلقـة على دكة قد

أصلحها من بين سماد ورماد تلك المزبلة وقد فرش تحته من خرق تلك المزبلة شبه بساط وعليه مدرعة قد خاطها شبه مرقعة ، وفي رجليه تبان [1] وعلى رأسه شملة مثل ذلك ، واذا بحذائه امرأة تشبهه في الخلقة والتشوه عليها كسوات شبه درع وخمار ومقنعة مثل ماعليه من خرق تلك المزبلة واذا بين يديهما سراج من خرق فوق آجرة شبه منارة ، وبجنبه جرة مكسورة فيها دردي كالخل وقد مزجه بيسير من ماء والى جانبه سلة خوص فيها طاقات كرفس وكراث ، وبيد كل واحد منهما مشربة مكسورة يغترفان من تلك الجرة ويشربانها واذا على فخذه قصبة قد مد عليها خيطاً شبه قوس النداف وهو ينقر عليها بقضيب في يده ويغنى بأبيات غير موزونة خارجة من الايقاع ، واذا به يذكر في تلك الأبيات حسن تلك المرأة ويصف جمالها وشدة عشقه لها وافراط محبته اياها ، واذا بيدها خشبة غربال مكسورة وقد مدت عليها قطعة جلد غير مدبوغ جافة منتنة الرائحة شبه الدف وهي تنقر اذا غنى هو وترقص وتثنى يديه ، واذا شرب كل واحد منهما سار صاحبه وحياه بطاقة من ذلك الكرفس والكراث وهي تثنى عليه بالحسن والجمال كأنه يوسف الصديق وتسميه شاهنشاه : ملك الملوك ، وهو يسميها كدبانوية : سيدة النساء ويشرب ويسار اليها ويثنى عليها ويصفها بالحسن والجمال مما يقصر وصف الحور العين في جنب ذلك ، واذا شربا سألا الله ألا يعدمهما ماهما فيه ولا يغير مابهما من نعمة وأن يبقيهما على تلك الحال أبداً مابقي الدهر .

فلما أبصر الملك والوزير ماهما فيه من اللذة والسرور والفرح طال وقوفهما متعجبين من حال تينك المسكينين . ثم قال عند ذلك الملك للوزير : ما أظن أني في طول حياتي وعز سلطاني ونعيم ملكي وأيام شبابي ومجالس لهوي مع تمكني من شهواتي ، بلغ مني الفرح واللذة والسرور مايصفان هذان المسكينان الحقيران الوضران من حالهما ، ومع هذا كله أظن أنه لاتفوتهما هذه الحال كل ليلة ان

(١) التبان بتشديد التاء المضمومة سراويل صغير يصنع بمقدار شبر يستر العورة المغلظة يكون للملاحين والصارعين ، والجمع تبابين والاسم فارسي معرب

أرادا لأنه لايعرض لهما شيء من العوائق التي تعرض لنا من الاشغال المانعة عن فراغ مجلس اللذة واللهو مثل خروج الخوارج في أطراف المملكة واضطراب النواحي وشغب الجند وطلبهم الارزاق ، ومثل النظر في نظم الرعية وهمج العامة والنظر في محاسبة الكتاب وتولية العمال ، ومثل النظر في التعازي والتهاني والنظر في امر الخاصة واصلاح أمر العامة ، ومثل النظر في القصص والتوقيعات وحفظ الخزان وتفقد الرسل الواردين من من الاطراف واكرامهم والتجمل لهم ، ومثل النظر في الكتب الواردة من أصحاب الاخبار وكتب أجوبتها وماشاكل هذه من الاشغال المنغصة للعيش المنقصة للذات الموردة للغموم والهموم والاحزان

ثم قال الملك : ولكن أظن انه لوكان هذان المسكينان دخلا منازلنا والبسا ثيابنا وأبصرا مجالسنا وذاقا من طعامنا وعاينا أحوال ملكنا وشاهدا عز سلطاننا وعرفا لذة نعيمنا مرة واحدة مقدار ساعة ثم ردا الى حالهما لما تهنيا بالعيش بعد ذلك ولا وجدا لهذه الحال النكرة التي هما فيها لذة أبداً وصغر في أعينهما ماهما فيه من اللذة والفرح والسرور.

فلما فرغ الملك من هذا الخطاب وسمع الوزير قول الملك تذكر ما قال له صاحبه لما شكا اليه : أطلب الفرصة وضع الدواء حيث الداء ، فان لكل مقام مقال.

فقال الوزير للملك : أخاف أيها الملك أن نكون فيما نحن فيه من عز سلطاننا ونعيم ملكنا ولذيذ شهواتنا وسرورنا باحوالنا وفرحنا بما حولنا مغرورين كغرور هذين المسكنين بما هما فيه ونحن محقرين وجميع احوالنا في أعين قوم آخرين كاحتقار هذين المسكينين عن أحوالنا

فلما سمع الملك قول الوزير استكبره واستعظمه وقال له : وهل تعلم في الارض اليوم مملكة أوسع من مملكتنا أو سلطاناً أعز من سلطاننا أو بلداً أكثر نعما من بلدنا أو مروة (١) أحسن من مروتنا ؟ قال له الوزير لا !

(١) المروة : حجر صلب براق يورى النار ويكنى به عن القوة والثراء ــ والمرو أيضا اسم جنس لانواع الرياحين فتنبه

قال الملك : فمن هؤلاء القوم الذين زعمت انه يصغر حالنا في أعينهم ويستحقرون أمرنا ؟ قال قوم يقال لهم النساك ، فقال الملك : أين بلدهم ومن أي ناس هم ؟ قال هم من قبائل شتى متفرقين في المدن وفي الآفاق والبلاد يجمعهم دين واحد ومذهب واحد ورأي واحد .

قال : صف لي مذهبهم وحالهم ؛ قال هم أمناء الله في خلقه وخلفاء أنبيائه وأئمة لعباده وليس في الناس منهم الا نفر يسير لانهم في الأنام كالملح في الطعام، بسؤالهم ينزل الله القطر من السماء والبركات في الارض ، وبدعائهم يرفع الله عن العباد القحط والغلاء والوباء ومنهم حفاظ كتب الله وعلماء تأويلها

فقال الملك : ومن انبياء الله ؟ فقال الوزير : هم طائفة من بني آدم اصطفاهم من عباده وقربهم وناجاهم وكشف لهم عن مكنون إسرار غيبه ، وجعلهم أمناء وحيه وسفراء بينه وبين خلقه ، أرسلهم من عالم الارواح الذي في ملكوت السماء الى عالم الكون والفساد في الارض وأنزل معهم الكتاب ليدعوا عباده إلى جواره في الجنة التي كان أبوهم آدم فيها تربى .

فقال الملك : وماذا يصفون من أحوال عالم الارواح وملكوت السموات؟ قال يقولون ان هنالك فضاء فسيحاً وأفلاكا دوارة وكواكب سيارة وأنواراً ساطعة وبهجة ونسيما وروحا وريحاناً ونعيم الجنان والرضوان وجوار حور حسان وولدان وغلمان ومردان وطيب ونسيم لايخالطها هجير الصيف وزمهرير الشتاء ولا ظلمة الاجسام ولا فيء الاجرام ولا مزاحمة في المكان وملك دائم وعز سرمد وأهلها أحياء لايموتون وشبان لايهرمون وأصحاء لايمرضون وأغنياء لايفتقرون وجيران لايتحاسدون وأصدقاء لايختلفون ونعيمهم لا يكدره بؤس ولذاتهم لاتخالطها آلام وسرورهم لاتشوبه أحزان وفرحهم لاتدخله غموم ولاهموم ولا نوائب ولاحدثان ولاتغيير الزمان .

فقال الملك : وماذا يقولون ؟ هل الى هناك وصول ؟ قال الوزير : لايشكون أن من طلبها كما يجب وصل اليها .

قال الملك : فكيف وجه الطلب وكيف المسلك وكيف الوصول ؟ فوصف له الوزير ماذكرنا طرفا منه في رسائلنا الناموسيات وما أخبرت به الانبياء عليهم السلام في كتبهم وما أشار اليه الفلاسفة الحكماء في مرموزاتهم .

فصل

فقال الملك للوزير مذ متى عرفت هذه القصة واعتقدت هذا الرأي وعلمت هذا المذهب ؟ . فقال من زمان . قال : فما الذى منعك أن تذاكرني بهذا الامر الجليل العظيم الخطير في طول صحبتك معي ؟ قال الوزير : اني لم أترك مذاكرة الملك بهذا الامر الجليل لأني بخلت عليك به أولم أرك أهلا لذلك ، ولكنى تركته انتظاراً وطلباً لفرصة توجب الخطاب وموضعاً للكلام ، لأن النظر في هذا العلم والبحث عن تحقيق هذا الامر والتصور له بكنه المعرفة يحتاج الى قلب فارغ من أشغال الدنيا ونفس صافية من العوارض المكدرة والآراء الفاسدة والعادات الرديئة وهمة عالية في طلب الأمور الشريفة والزهد في الشهوات الجسمانية المذمومة وترك اللذات المحسوسة الجرمانية الفانية حتى يتصورها بحقها وصدقها كى لايكون المقر بهذا الأمر مقلداً كالعوام الذين لايعلمون من القول إلا زوراً ولامن العمل الا ظاهراً ولا من العلوم الا قشورا ولامن الدين الا تعصباً، وان الملوك أكثر الناس أشغالا في أمور الدنيا واطولهم آمالا وأرغبهم فى الخلود فى الدنيا وأكثرهم تمنياً للبقاء فيها لشدة تمكنهم من التمتع بنعيمها واستغراقهم فى شهوات لذاتها ، ولايصلح للمذاكرة بهذا العلم الا فتيان أذكياء لهم نفوس صافية وقلوب واعية بريؤون من الآراء الفاسدة غير معتادين للعادات الرديئة ،أو مشايخ مهذبين في العلوم الرياضية مجربين فى الأمور السياسية محبين للعلوم الالهية غير متعصبين فى المذاهب المختلفة والآراء المتناقضة ، أو نفوس ملكية لها همم عالية فى طلب مراتب الملائكة والامور السماوية والمعقولات الروحانية والوجود المحض والبقاء الدائم والدوام السرمد .

فقال الملك : مايسعنا بعد هذا اليوم الا أن نجعل أكثر عنايتنا فى الكشف عن حقيقة هذا الأمر على صحة وبيان من غير تقليد ولا تكذيب ، فان بان أنه حق طلبناه حق الطلب وتركنا ما نحن فيه من عبادة اصنام وأمور هذه الدنيا التى كلها الى زوال وفناء ، كما فنيت أعمار الذين كانوا من قبلنا فزال ملكهم ونعيمهم . ثم قال له : أخبرنى بماذا يصفون الحكماء من أصناف الخلائق هناك ؟ قال : يقولون لايعلم عددهم إلا الله كما لا يحصى عدد الخلائق الذين هم فى الارض من أجناس الحيوان من الانعام والسباع والوحوش والطيور والهوام والحشرات والدواب وحيوان الماء والبحار أجمع وأصناف بنى آدم من أجناس الأمم من الترك والحبش والزنج والنوبة والعرب والعجم والفرس والروم والهند والسند والصين والنبط والزط [1] والاكراد ويأجوج ومأجوج والسيسان وأمم أخر غير معروفة عند كثير من الناس . وكل هؤلاء مختلفى الألسن والألوان والاخلاق والطباع والعادات والاعمال والافعال والصنائع والآراء والمذاهب من أهل المدن والقرى والسوادات والسواحل والجزائر والبرارى نحو من سبعة عشر الف مدينة تملكها نحو من الف ملك : هذا في الربع المسكون من الارض ، وعلى أن الارض بجميع ماعليها من البحار والجبال والبراري والأنهار والعمران والخراب ماهي — في فسحة سعة الهواء — الا كحلقة ملقاة في برية صحراء ، وفضل سعة كل واحد من الافلاك التسعة على الهواء كفضل البرية على تلك الحلقة . أفترى أيها الملك أن الخالق تعالى ترك تلك الفسحة الواسعة من الفضاء مع شرف جوهرها وشرف جوهر تلك الاجرام وطيب نسيم تلك الاماكن فارغة خالية لم يجعل فيها أهلا وسكاناً وخلائق تليق بها وهكذا لم يترك البحار الاجاج الامواه حتى خلق فى قرارها الزاخرة أجناساً من الحيوانات وأنواعاً من الاسماك

(١) الزط : جيل من الناس يظن أن أصلهم من بلاد الهند ، وهم المعروفون في بلاد الشام بالنور بفتح الواو وقبلها نون مشددة مفتوحة وفي أوربا بالبوهيميين والواحد زطي بزاي مضمومة وطاء وياء مشددتين

والحيتان . وهكذا جوهر الهواء الرقيق لم يتركه فارغا بل خلق فيه أجناساً من الطيور تسبح كما يسبح السمك فى الماء . وكذلك هذه البراري اليابسة الجافة لم يتركها خاوية حتى جعل فيها أجناسا من الوحوش والسباع والانعام ، وكذلك فى الآجام والآكام ورءوس الجبال وبطون الأودية وشطوط الانهار حتى خلق في لب النبات وفى ثمر الشجر فى جوف الحب حيوانات مختلفة الصور والاشكال.

واعلم أن صور هذه الحيوانات مع اختلاف أشكالها وسائر هيئاتها مثالات وأشباح لتلك الصور التى في عالم الافلاك غير أن هذه في هيولى جسمانية وتلك في جواهر روحانية ، ومانسبة هذه الخلائق التى في عالم الكون والفساد وأحوالها بالاضافة الى تلك الخلائق التى فى عالم الافلاك وأحوالها ، إلا كنسبة الصور المنقوشة على وجوه الحيطان وأبواب الحمامات بالاصباغ المختلفة ، وكما أن تلك الصور مثل وأشباح للدواب المتحركة والحيوان الحساس وأن تلك الصورة ميتة وهذه حية ، كذلك تلك الخلائق روحانية وهذه جسمانية ، وتلك شفافة وهذه مظلمة ، وتلك باقية وهذه فانية ، وتلك صافية وهذه كدرة ، وتلك نورانية وهذه ظلمانية ، وتلك حافظة وهذه فاسدة . قال الملك : لم أخرج آدم وزوجته وذريته من الجنة هناك واهبطوا إلى الارض ؟ قال الجناية كانت منهما ! قال فحدثنى كيف كانت القصة ؟ قال هي سر خفى لايجوز كشفها ولكن أضرب لك مثلا تفهمه ؟ ألا ترى أيها الملك إلى عبدك الفلانى الذى ربيته صغيراً ثم لما نشأ ونما أدبته وعلمته كثيراً فلما كبر اصطفيته وفضلته وشرفته ثم وليته بعض مملكتك وجعلته خليفة فى بعض بلادك وأمرت بطاعته أكثر عبيدك ورعيتك ومنحته اكثر نعمك ونهيته عن معصيتك فخالفك وترك وصيتك وارتكب نهيك كيف حططت من مرتبته وكيف تكشفت عورته وكيف حبسته فى حبسك هو ومن ساعده على ذلك ؟؟ ثم انظر كيف رضيت عنه لما ندم وتاب ورجع هو ومن معه وكيف رددته إلى حالته الاولى وكيف صددت من لم يعرف ولم يرجع؟؟ فهكذا قياس آدم وأبليس وذريتهما . فقال الملك : أكل ذرية آدم جنوا وعصوا؟

قال لا ولكن كنا ذرية من بعدهم ، فلما جاءت الانبياء بالرسالة قامت الحجة علينا أن نقول يوم القيامة : « إنا كنا عن هذا غافلين » قال الملك للوزير ما يقول هؤلاء الرسل إذا بلغوا والانبياء إذا أخبروا فى أول دعوتهم للناس وتذكارهم لهم ماقد نسوه وإعلامهم إياهم ماقد جهلوه ؟؟ فوصف له ماقد ذكرنا طرفاً منه فى رسالة النواميس الالهية قال وما يفعلونه فوصف له ما قد ذكرنا طرفا منه في اعتقاد اخوان الصفاء قال : كيف عشرتهم مع أهل دعوتهم وعشرة أهل دعوتهم بعضهم مع بعض ؟؟ فوصف له ماقد ذكرنا طرفا منه في رسالة عشرة إخوان الصفاء بعضهم مع بعض . فقال في ماذا يتميز أهل دعوتهم من غيرهم ؟ ؟ فوصف له ماقد ذكرنا طرفا منه فى رسالة خصال المؤمنين وشرائط الايمان

فقال اخبرنى عن كتب الانبياء باى لغة تكون ؟ قال : بلغة القوم الذين نشأوا فيها وبألفاظ الذين بعثوا اليهم • فقال : فعرفنى معانى الفاظها ؟ قال : يكون منها أخبار القرون الماضية وأحاديث الأمم السالفة وبدء خلق السموات والأرض وكيفية أطباقها ووصف أصناف الخلائق فيها وأخبار ما يأتى فى الزمان المستقبل من حديث الايام وتغييرات الدهور والازمان وفناء عالم الاجسام وكيفية نشء الآخرة والحشر والحساب والميزان والقصاص والجواز على الصراط والنجاة وماشا كلها من الأمر المنتظر فى الزمان المستقبل ، ويكون فيها الاوامر والنواهي والتعليم والتأديب وبيان الحلال والحرام والحدود والاحكام والفرائض والسنن من الصوم والصلاة والزكاة والقربان وفنون التعبد بالترغيب الى نعيم الجنان والمدح والثناء على أهل الخير والزجر والنهى عن المساوىء والسرقة والجور في الاحكام والوعيد بعذاب النيران بضروب الامثال والاشارات والرموز ، ويكون فيها آيات بينات محكمات للقلوب وأمور متشابهات محيية للعقول • قال : فأخبرنى أكل أوامرهم ونواهيهم وتحريمهم وتحليلهم وفرائضهم وسننهم تكون متساوية؟ قال : لا ! بل مختلفة • قال : لم ذاك ومرسلهم واحد ؟ قال : لانهم أطباء النفوس ومنجموها فحرماتهم هي حمية النفوس ومحللاتهم أدوية وشربات ، وفنون التعبد

هي المعالجات ، والمداواة كل ذلك بحسبما يعرض للنفوس من الامراض التي هي الآراء الفاسدة والاخلاق الرديئة والعادات الجائرة والجهالات المتراكمة، وكل ذلك بحسب اختلاف طبائع الامم وأهوية البلدان وتغييرات الازمان وموجبات أحكام النجوم ودلائل القرانات — كما بينا في رسالة الأكوار والادوار .

فصل

وكان مما سأل الفتى ذلك الحكيم أيضاً أن قال له : أخبرني ماذا يرى الحكماء في حال النفوس بعد مفارقتها الجسد على الشرائط التي ذكرت وصعودها الى ملكوت السماء هل تشتاق هذا الجسد أو تتمنى العود اليه ؟؟ قال الحكيم : ذكروا ان ملكا من الملوك كان له ابن كريم عليه فزوجه بابنة ملك وزفها اليه على أحسن مايكون من الكرامات كما تزف بنات الملوك ، وأصلح للحاشية دعوة سبعة أيام لايعرفون غير الأكل والشرب والغناء والفرح والسرور ، وكان ابن الملك يقعد في صدر المجلس على سرير له وينظر الى الناس وما هم فيه من الفرح والسرور . فلما مضى من الليل قطعة ونام أكثر الناس قام من مجلسه ليدخل الحجرة للخلوة عند العروس .

فاتفق ليلة أن نام أهل المجلس كلهم من السكر وقام الفتى يمشي في الدار حتى خرج من باب الدار وجعل في الشارع ومشى حتى خرج من المدينة فوقع في الصحراء ولم يدر أين هو !

ثم انه رأى ضوءاً من بعيد فذهب نحوه حتى قرب منه فاذا هو بباب مردود والضوء من داخله ، فدفع الباب فاذا هو بقوم نيام مطروحين يمنة ويسرة وكل واحد ملفوف في إزار ، فظن أنها حجرة العروس ، وان أولئك النيام جواريها وخدمها فجعل يناديهم فلم يجبه أحد منهم فظن أن ذلك من شدة سكرهم فجعل يلتمس العروس من بينهم حتى وقعت يده على واحدة هي أطراهن ثياباً وأطيبهن ريحاً فظن أنها عروسه فاضطجع معها وعانقها وجعل طول الليل يبوسها ويمتص من ريقها ويتلذذ ولا يرى أن تكون لذة أطيب مما هو فيه !

فلما أصبح وزال سكره نادى بالخادم فلم يجبه أحد وجعل يحرك العروس فلا تجيبه ولا تنتبه .

فلما طال ذلك عليه فتح عينيه فاذا هو في ناووس خرب واذا أولئك النيام كلهم جيف الموتى ، واذا هو بجنب امرأة عجوز قد ماتت منذ قريب وعليها أكفان جدد وحنوط طري واذا الدم والصديد قد سال منها وتلوثت ثيابه وبدنه ووجهه من تلك الدماء والصديد والقاذورات !

فلما رأى ذلك الحال هال وورد عليه أمر مهول فقام مرعوبا وطلب الباب وخرج هاربا متنكراً مخافة أن يراه أحد على تلك الصورة والحال ذاهباً في طلب الماء ليغسل ما به حتى اذا ورد الى نهر نزع ثيابه ليغسلها من ذلك الدم والصديد من القاذورات وهو متفكر في أمر كيف كان خروجه من مجلسه ومنزله ولا يدري أين هو من البلد وما خبر اهله من بعده ؟!!

فما زال كذلك حتى مر به مجتاز في الطريق فلما رآه لم يعرفه ، فقال له ما قصتك ولم انت قاعد في الماء ؟ فاستحى منه ان يعرفه خبره ! فقال زلقت في مزبلة وتلوثت ثيابي وأنا قاعد ههنا منتظر الى أن يتوجه الى أهلي بثياب البسها ، فقال له المجتاز إن الناس في شغل عنك ! ! فقال : ما الذي أصابهم ؟ قال يقولون إن ابن الملك قد اختطفه الجن البارحة وهم محزونون عليه متوحشون لفقده . فقال له : عندي خبر ابن الملك فهل لك أن تعيرني ثيابك ودابتك حتى أمر وأبشرهم به والبشارة بيني وبينك نصفان ؟ فدفع الرجل اليه بعض ثيابه وأركبه دابته وأوصله الى دار الملك فدخل الغلام متنكراً من باب الحجرة فلما رأوه فرحوا به وسألوه عن خبره ؟ فقال القصة طويلة أخبركم بها وقتاً آخر عودوا الى ما كنتم عليه فعاد القوم الى السرور والفرح أضعاف ما كانوا عليه . ثم قال الحكيم للفتى : ما تقول وماترى هل ذلك الغلام يريد بعد ما نجاه الله تعالى من مبيته تلك الليلة في الناووس العود اليه ويشتاق الى معانقتها يعني تلك العجوز الميتة ليلة أخرى ؟ قال الفتى : لا ! قال الحكيم : فهكذا يرى الحكماء حال النفوس بعد مفارقتها

للاجساد وصعودها الى ملكوت السماء أنها لا تشتاق الى هذا الجسد ولا تريد العود اليه بل تأنف من الفكر فيه وتشمئز من فعله وذكره كما اشمأزت نفس الغلام من ذكر مبيته في الناووس تلك الليلة وما عليه من العار عند أبناء الملوك إن عرفوا حديثه

فصل

واعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه أن لنا إخواناً وأصدقاء من كرام الناس وفضلائهم متفرقين في البلاد فنهم طائفة من أولاد الملوك والأمراء والوزراء والعمال والكتاب ومنهم طائفة من أولاد الاشراف والدهاقين(١) والتجار والتناء(٢) ومنهم طائفة من أولاد العلماء والادباء والفقهاء وحملة الدين، ومنهم طائفة من أولاد الصناع والمتصرفين وأمناء الناس. وقد ندبنا لكل طائفة منها أحداً من اخواننا ممن ارتضيناه فى بصيرته ومعارفه لينوب عنا فى خدمتهم بالقاء النصيحة اليهم بالرفق والرحمة والشفقة عليهم وليكون عوناً لاخوانه بالدعاء لهم الى الله سبحانه والى ماجاءت به انبياؤه وما أشارت اليه أولياؤه من التنزيل والتأويل لاصلاح أمر الدين والدنيا جميعاً. وقد اخترناك أيها الأخ الرحيم، أيدك الله وإيانا بروح منه لمعاونتهم وارتضيناك لمشاركتهم بما أتاك الله من فضله من العقل والفهم والتمييز وجرية النفس (٣) وصفاء جوهرها لتكون مساعداً لهم ومعاضداً لاخوانك لان جوهرك من جوهرهم ونفسك من نفوسهم، فانظر بعقلك وميز ببصيرتك من ترى من اخوانك وأصدقائك من الكتاب والعمال وأهل العلم والفضل وحملة الدين والأديان ومن تبعهم من حاشيتهم وغلمانهم ممن يمكنك الوصول اليهم بأرفق ما تقدر عليه من اللطف والمداراة

(١) الدهاقين: جمع دهقان بكسر الدال وضمها، والدهقان حاكم الاقليم المتصرف وحده والكلمة فارسية معربة وقيل الدهقان الداهية الكبير.

(٢) التناء جمع تأني من تنأتنوء بالمكان أقام به تأني والجمع التناء أوالمرابطون

(٣) جريه النفس سهولتها والماء سيلانه وفيضه

بأن نذكر لهم ما ألقيناه اليك من حكمتنا وأسرار علمنا لتنبههم من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وتحييهم بروح الحياة باذن الله تعالى فان الله يؤيدك بنصره ويعينك بقدرته اذا رأى منك الجد والاجتهاد كما وعد أولياءه فقال عز من قائل : « ولينصرن الله من ينصره » وقال تعالى : « فان حزب الله هم الغالبون » . فاذا عرفت منهم أحداً وآنست منهم رشداً عرفنا حاله وما هو بسبيله من أمر دنياه وطلب معائشه وتصرفه في حالاته لكي نعرف ذلك ونعاونه على ما يليق به من المعاونة فان كان ممن يخدم السلاطين ويتصرف في أعمالهم أوصينا اخواننا ممن يكون بحضرة السلاطين والملوك بالنيابة عنه والنصيحة له وحسن الرأي فيه لدى الملوك والسلاطين والوزراء ، وان كان من أبناء التناء والدهاقين والاشراف وأرباب الضياع أوصينا اخواننا ممن يتولى عمل السلطان بصيانته وحسن معاونته في ملته وكف الأذية عنه وقبض أيدي الظالمين عن البسط اليه وان كان من أبناء أصحاب النعم وأرباب الاموال عاوناه بحسب ذلك ، وان كان من الفقراء المحتاجين واسيناه مما أتانا الله من فضله ، وان كان ممن يرغب في العلم والحكمة والادب وأمر الدين وطلب الآخرة علمناه مما علمنا الله عز وجل وألقينا اليه من حكمتنا وأطلعناه على أسرارنا بحسب ما يحتمل عقله ويتسع له نفسه وتتوق اليه همته ان شاء الله عز وجل

واعلم أيها الأخ البار الرحيم أنا لا نكتم أسرارنا عن الناس خوفاً من سطوة الملوك ذوي السلطنة الارضية ولا حذراً من شغب جمهور العوام ولكن صيانة لمواهب الله عز وجل لنا كما أوصى المسيح (ع م) فقال : « لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم »

واعلم أيها الأخ أنا لا نحسد ملوك الارضين ولا نتنافس في مراتب أبناء الدنيا لكن نطلب الملك السماوي ومراتب الملائكة الذين هم أولو أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، لان جوهرنا جوهر سماوي وعالمنا عالم علوي ونحن هاهنا أسرى غرباء في أسر الطبيعة غرقى في بحر الهيولى بجناية كانت من أبينا آدم الاول حين خدعه

عدوه اللعين اذ قال: «هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى» «فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما» وقيل لهم «اهبطوا بعضكم لبعض عدو» يعني أنتما وذريتكما «ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين» وقال: «فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون»

واعلم أيها الاخ أنه كما أن المعاونة تكون بقوة الاجسام على أمور الدنيا من أبلغ ما يكون لابناء الدنيا فيما يريدون وأسهلها عليهم فيما يقصدون، وهكذا نرى أن المعاونة بين اخواننا بالعلوم والمعارف على أمر الدين وطلب الآخرة من أبلغ ما يقصدون وأسهلها عليهم فيما يريدون.

واعلم أننا لا نستعين بأحد من إخواننا على أمر الدين قبل أن نبذل له من المعاونة على أمر الدنيا فان كان مستغنياً عن معاونتنا فذلك الذي نريد له وإن كان محتاجاً إلينا فذلك الذي نريده منه، حتى إذا كفيناه ما يهمه من أمور دنياه وأفرغ لنا قلبه وأجمع لنا رأيه واستغنى عن ذلك بقوة نفسه وتمييز عقله وصفاء جوهره فان كان عنده علم ليس عندنا تعلمنا منه تعلم صبيان الكتاب واستمعنا منه استماع المنصتين لخطبة الخطيب يوم الجمعة، فان كان حقاً ما يقول اتبعناه اتباع المأموم والامام وإن كان يرغب فيما لدينا من العلم علمناه بحسب رغبته وطلبته

﴿ فصل ﴾

واعلم أيها الأخ أنا لا نعادي علماً من العلوم ولا نتعصب على مذهب من المذاهب ولا نهجر كتاباً من كتب الحكماء والفلاسفة مما وضعوه وألفوه في فنون العلم وما استخرجوه بعقولهم وتفحصهم من لطيف المعاني

وأما معتمدنا ومعولنا وبناء أمرنا فعلى كتب الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين وما جاؤا به من التنزيل وما ألقت إليهم الملائكة من الأنباء والالهام والوحي

واعلم أيها الأخ أيدك الله وإيانا بروح منه أن لنا كتباً نقرؤها مما شاهدها الناس ولا يحسنون قراءتها وهي صورة أشكال الموجودات بما هي عليه الآن من تركيب الأفلاك وأقسام البروج وحركات الكواكب وأمهات الاركان واختلاف

جواهر المعادن وفنون أشكال النبات وعجائب هيا كل الحيوانات ولنا كتاب آخر لا يشاركنا فيه غيرنا ولا يفهمه سوانا : وهو معرفة جواهر النفوس ومراتب مقاماتها واستيلاء بعضها على بعض وافتنان قواها وتأثيرات أفعالها في الاجسام من الأفلاك والكواكب والأركان والمعادن والنبات والحيوانات وطبقات الناس من الانبياء والحكماء والملوك وأتباعهم والسوقة وأعوانهم ، فان نشطت أيها الأخ البار الرحيم الى قراءة هذه الكتب أنت واخوانك لتعلم مافيها وتفهم معانيها وتعرف أسرارها فهلم الى حضور مجلس إخوان لك فضلاء وأصدقاء لك كرام تسمع أقاويلهم وترى شمائلهم وتعرف سيرتهم لعلك تتخلق بأخلاقهم وتتهذب بآدابهم فتنتبه نفسك من نوم الغفلة وتستيقظ من رقدة الجهالة وينشرح صدرك ويصفو ذهنك وتفتح عين البصيرة من قلبك فترى ماقد أبصروه بعيون قلوبهم وتشاهد ماقد عاينوه بصفاء جواهر نفوسهم وتنظر الى مانظروا اليه بنور عقولهم وتفهم معاني هذه الكتب الاربعة كما فهموها وتؤيد بروح الحياة وتعيش عيش العلماء وتحيا حياة الشهداء وتوفق للصعود الى ملكوت السماء وتنظر الى الملأ الاعلى الى « حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين » .

فصل

واعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه أنه لايحسن بنا أن ندعي معرفة حقائق هذه الاشياء ونحن لانعرف أنفسنا لأن مثل من يدعي معرفة حقائق الاشياء ولايعرف نفسه كمثل من يطعم الناس وهو جائع وكمن يكسو غيره وهو عريان وكمن يداوي الناس وهو عليل وكمن يهدي الناس الى الطريق وهو لايعرف طريق بيته ، فقد علم أن الانسان في مثل هذه الأشياء ينبغي له أن يبتدىء أولا بنفسه ثم بغيره

واعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وايانا بروح منه أن كل واحد منا هو مركب ومؤلف من جوهرين متباينين متضادين : أحدهما هو هذا الجسد

الغليظ المحسوس المؤلف من اللحم والدم والعظم والجلد والعصب والعروق وما يشاكل ذلك ، وهذه كلها أجسام أرضية ميتة مظلمة فاسدة . وأما الجوهر الآخر فهو هذا الروح اللطيف أعني النفس فهي جوهرة سمائية روحانية نورانية علامة دراكة صور الأشياء .

واعلم أن هذا الجسد لهذه النفس في المثال بمنزلة دار تسكن أو دابة تركب أو آلة تستعمل ومادامت هذه النفس مع هذا الجسد مربوطة به الى الوقت المعلوم فلابد لنا من النظر فيما تصلح به معيشة الحياة الدنيا وماتنال به النجاة والفوز في الآخرة

واعلم أن هذين الأمرين لايجتمعان ولايتمان الا بالمعاونة والمعاونة لاتكون إلا بين اثنين أو أكثر من ذلك ، وليس شيء أبلغ على المعاونة من أن تجتمع قوى الاجساد المتفرقة وتصير قوة واحدة وتتفق تدابير النفوس المؤتلفة وتصير تدبيراً واحداً حتى تكون كلها كأنها جسد واحد ونفس واحدة ، فعند ذلك تغلب كل من رام غلبتها وتقهر كل من خالفها وضادها .

فهلم بنا يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه لنجتمع ونتعاون على ذلك . وينبغي أن تعلم أيها الأخ أنه لايجتمع اثنان على أمر من الأمور الاولاجتماعهما علة تجمعهما وسبب يحفظهما على تلك الحال فما دامت تلك العلة باقية وذلك السبب ثابتاً دامت لهما تلك الحال ، وان بطلت تلك العلة وانقطع ذلك السبب تفرقا بعد اجتماعهما وتنافرا بعد إلفهما .

واعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه أنه ليس من جماعة يجتمعون على تعاون في أمر من أمور الدنيا والآخرة أشد نصيحة بعضهم لبعض من تعاون اخوان الصفاء ! وينبغي أن تعلم أن العلة التي تجمع بين اخوان الصفاء هي أن يرى ويعلم كل واحد منهم أنه لايتم له مايريد من صلاح معيشة الدنيا ونيل الفوز والنجاة في الآخرة الا بمعاونة كل واحد منهم لصاحبه . وأما

السبب الذي يحفظهم على تلك الحال فهو المحبة والرحمة والشفقة والرفق من كل واحد منهم والمساواة فيما يريد ويحب ويبغض ويكره لنفسه

واعلم أن هذه الشرائط تتم وتدوم اذا علم كل واحد منهم بان أنفسهم نفس واحدة وان كانت اجسادهم متفرقة .

واعلم أيها الأخ أن أكثر الناس يريدون ويتمنون أن تكون بينهم صلة وصداقة وأخوة لا تكدرها تصاريف الزمان ولكنهم لا يعرفون ما العلة المانعة لهم عن ذلك وما السبب الموجب لكونها .

فينبغي أن تعلم أيها الاخ أن المانع للناس أن يكونوا أصدقاء والمانع للاصدقاء أن يكونوا اخوانا أصفياء على ما يقتضيه العقل هو إما علة غير موجودة ، وإما سبب غير مفقود .

فان كانت علة غير موجودة فما هي لنطلبها ؟ وان كان سبباً غير مفقود فما هو لنقطعه ونزيله ؟

وينبغي أن تعلم أيها الاخ أن المانع من ذلك هو أسباب موجودة نحتاج أن نقلع عن تلك الاسباب حسب لا غير . وهي أربعة أجناس : أحدها سوء أعمالهم والثاني فساد آرائهم ، والثالث رداءة أخلاقهم ؛ والرابع تراكم جهالاتهم .

واعلم أن سوء أعمالهم يكون بحسب آرائهم الفاسدة التى اعتقدوها قبل بحثهم حقائق الاشياء ، وأن آراءهم الفاسدة استحكمت فى ضمائرهم بحسب أخلاقهم الرديئة التى اعتادوها منذ الصبا ، وأن أخلاقهم انطبعت في نفوسهم بحسب جهالتهم المتراكمة التى غشيتهم في أول الامر .

فينبغي لنا أيها الاخ أن نعلم أنه اذا أردنا أن نكون اخوانا أصفياء أن نبتدىء أولا بالكشف عن الجهالات المتراكمة التى غشيتنا من أول الامر اذ هي الاصل فى الشرور .

واعلم أن الجهالات التي غشيتنا المانعة لنا من الصداقة وصفوة الاخوة هى أربع جهالات : احداها أنهم لا يعرفون ما الفرق بين النفس والجسد ، والثانية

أنهم لا يدركون كيف رباط النفس بالجسد ، والثالثة أنهم لا يدرون لم ربطت بالجسد ، والرابع أنهم لا يدرون كيف تنبعث النفس من الجسد ! فلا جرم أن النفس مالم تنبعث من الجسد فلا تعرف الفوز والنجاة والخلود فى النعيم مخلدة فى الجحيم في عذاب أليم .

وينبغي لنا أيها الاخ بعد اجتماعنا على الشرائط التى تقدمت من صفوة الاخوان أن نتعاون ونجمع قوة أجسادنا ونجعلها قوة واحدة ونرتب تدبير نفوسنا تدبيراً واحداً ونبني مدينة فاضلة روحانية ، ويكون بناء هذه المدينة في مملكة صاحب الناموس الأكبر الذى يملك النفوس والأجساد ، لأن من ملك النفوس ملك الأجساد ومن لم يملك النفوس لم يملك الأجساد .

وينبغي أن يكون أهل هذه المدينة قوما أخياراً حكماء فضلاء مستبصرين بأمور النفوس وحالاتها وما يتبع ذلك من أمور الاجساد وحالاتها .

وينبغي أن يكون لأهل المدينة سيرة جميلة كريمة حسنة يتعاملون بها فيما بينهم ، وأن يكون لهم سيرة أخرى يعاملون بها أهل المدن الجائرة ، ولا ينبغي أن يكون بناء هذه المدينة في الأرض حيث تكون أخلاق أهل سائر المدن الجائرة . ولا ينبغي أيضاً ان يكون بناؤها على وجه الماء لانه يصيبها من الأمواج والاضطراب ما يصيب أهل المدن التى على السواحل من البحار ، ولا ينبغي أن يكون بناء هذه المدينة فى الهواء مرتفعاً لكيلا يصعد اليها دخان المدن الجائرة فتكدر أهويتها ، وينبغي أن تكون مشرفة على سائر المدن ليكون أهلها يشاهدون حالات أهل سائر المدن فى دائم الاوقات ، وينبغي أن يكون أساس هذه المدينة على تقوى الله كيلا ينهار بناؤها ، وأن يشيد بناؤها على الصدق فى الاقاويل والتصديق في الضمائر ، وتتم أركانها على الوفاء والامانة كيما يدوم ويكون كمالها على الغرض في الغاية القصوى التى هي الخلود في النعيم .

فاذا فرغنا من بنائها بنينا المركب الذي هو سفينة النجاة حتى تكون السفينة مستقلة بثقل الاجساد وتكون المدينة مأوى الارواح .

وينبغي أن يكون تعاون أهل المدينة مرتباً أربع مراتب : احداها مرتبة أرباب الاركان الاربعة ذوى الصنائع ، والثانية مرتبة ذوى الرياسات ، والثالثة مرتبة الملوك ذوي الامر والنهي ، والرابعة مرتبة الالهيين ذوى المشيئة والارادة.

وينبغي أن يكون تدبير ذوي الصنائع يجرى في المرؤوسين كسريان الضوء في الهواء وكسريان القوة النامية فى الاركان الاربعة التى هي النار والهواء والماء والارض ، ويكون سريان سياسة ذوى الرياسات يسرى في أرباب ذوي الصنائع(١) كسريان الالوان في الضياء أو كسريان القوة الحيوانية في القوة النامية ، ويكون نفاذ أمر الملوك ذوى السلطان يسري في الرؤساء ذوي السياسة كسريان القوة الباصرة فى ادراك الالوان ، وكسريان القوة الناطقة فى القوة الحيوانية ، ويكون سريان مشيئة الالهيين ذوى الارادة يسرى في الملوك ذوى السلطان كسريان العقل في المعقولات ، أو كسريان القوة الملكية فى القوة الناطقة .

فاذا انتظم أمر المدينة على هذه الشرائط فهي السيرة الكريمة الحسنة التى يتعامل بها أهل المدينة فيما بينهم .

فصل

واعلم أيها الأخ علماً يقيناً أن هذه المدينة مفروغ من بنائها على هذا الوصف ولكن لايمكن أحد أن يدخل مدينتنا هذه متى لم يكن علمه مساويا لعلمنا ، لان حولها أربعة أسوار مبنية من جهالات الناس ، مابين كل سورين خندق من سوء أعمالهم وفساد آرائهم ورداءة أخلاقهم — وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم ، فمن عزم على دخولها فعليه بعلم النفس ومعرفة جوهرها فانه أولى بأن يستفتح من مدينتنا.

وقد بينا كل مايحتاج اخواننا أيدهم الله اليه من هذا العلم في احدى وخمسين رسالة فانظر فيها أيها الأخ إن لم يكن يستوي لك الحضور في مجلسنا، واعرضها

(١) كذا في الاصل

على اخوانك الذين ترتضيهم وتأنس منهم الرشد والسداد فلعلكم توفقون لفهم معاني ماذكرنا فيها من معاني فنون العلم وغرائب الحكم وترشدون الى العمل بما يقربكم إلى الله زلفى وينجيكم من نار جهنم : عالم الكون والفساد، وتهتدون للصعود الى ملكوت السماء عالم الافلاك والدخول في زمرة الملائكة الذين يحملون العرش ويسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا الآيات إلى قوله وذلك الفوز العظيم .

واعلم أيها الأخ البار الرحيم أن قوة نفوس اخواننا في هذا الامر الذي نشير اليه ونحث عليه على أربع مراتب : أولها صفاء جواهر نفوسهم وجودة القبول وسرعة التصور وهى مرتبة أرباب ذوي (١) الصنائع في مدينتنا التى ذكرناها في الرسالة الثانية وهى القوة العاقلة المميزة لمعاني المحسوسات الواردة على القوة الناطقة بعد خمس عشرة سنة من مولد الجسد ، وإلى هذا أشار بقوله : «فاذا بلغ الاطفال منكم الحلم » وهم الذين نسميهم فى رسائلنا اخواننا الابرار الرحماء .

وفوق هذه المرتبة مرتبة الرؤساء ذوي السياسة وهي مراعاة الاخوان وسخاء النفس واعطاء الفيض بالشفقة والرحمة والتحنن على الاخوان ،وهي القوة الحكمية الواردة على القوة العاقلة بعد ثلاثين سنة من مولد الجسد . واليه أشار بقوله تعالى : « ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما » وهم الذين نسميهم في رسائلنا إخواننا الاخيار الفضلاء .

والمرتبة الثالثة فوق هذه وهي مرتبة الملوك ذوي السلطان والامر والنهي والنصر والقيام بدفع العناد والخلاف عند ظهور المعاند المخالف لهذا الامر بالرفق واللطف والمداراة في اصلاحه ، وهى القوة الناموسية الواردة على النفس بعد مولد الجسد باربعين سنة ، واليها أشار بقوله تعالى : «حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى وأن

(١) كذا في الاصل ويلاحظ أن ارباب الصنايع وذوى الصنايع تكرار سخيف لامعنى له

أعمل صالحاً ترضاه » الآية ، وهم الذين نسميهم في رسائلنا اخواننا الفضلاء الكرام .

والرابعة فوق هذه وهى التى ندعو اليها اخواننا كلهم في أي مرتبة كانوا وهي التسليم وقبول التأييد ومشاهدة الحق عياناً وهى القوة الملكية الواردة بعد خمسين سنة من مولد الجسد وهى الممهدة للمعاد والمقربة بمفارقة الهيولى وعليها ترد قوة المعراج وبها تصعد الى ملكوت السماء فتشاهد أحوال القيامة من البعث والحشر والنشر والحساب والميزان والجواز على الصراط والنجاة من النيران ودخول الجنان ومجاورة الرحمن ذي الجلال والاكرام .

والى هذه المرتبة أشار بقوله تعالى : «ياأيتها النفس المطمئنة أرجعي الى ربك راضية مرضية » الآية.

واليها أشار ابراهيم عليه السلام « واجعلني من ورثة جنة النعيم »

واليها أشار بقوله يوسف عليه السلام « رب قد آتيتني من الملك » الآية.

واليها أشار بقوله المسيح عليه السلام للحواريين : « اني اذافارقت جسدي وهو هذا الهيكل فأنا واقف فى الهواء عن يمين العرش بين يدى الحق أبي وأبيكم استشفع لكم فاذهبوا الى الملوك فى الاطراف وادعوهم الى الله عزوجل ولاتهابوهم فاني معكم حيث ماذهبتم بالنصر والتأييد لكم » .

واليها أشار محمد ﷺ « انكم تردون غداً » . واحاديث مروية كلهامشهورة عند أصحاب الحديث .

واليها أشار سقراط بقوله يوم سقي السم : اني وان كنت أفارقكم اخواناً فضلاء فاني ذاهب الى اخوان كرام قد تقدمونا في حديث طويل.

واليها أشار فيثاغورث في الرسالة الذهبية في آخرها : « انك ان فعلت ماأوصيك فانك عند مفارقة الجسد تبقى فى الهواء ».

واليها أشار بلوهرحين قال : « ان الملك قال لوزيره : ومن أهل هذه المقالة؟ قال : هم الذين يعرفون ملكوت السماء » فى حديث طويل .

واليها ندعو اخواننا جميعاً والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ، وآيات كثيرة في هذا المعنى وهى كل آية فيها صفة الجنان وأهلها ونعيمها

فصل

واعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وايانا بروح منه أن المطـلوب من المدعوين الى هذا الامر أربعة أحوال : أولها الاقرار باللسان ، والثاني التصور لهذا الامر بضروب الامثال للوضوح والبيان ، والثالث التصـديق له بالضمير والاعتقاد ، والرابع التحقيق له بالاجتهاد فى الاعمال المشا كلة لهذا الامر.

وأعلم أن المقر باللسان غير متصور له يكون مقلداً ، والمتصور له غير المصدق به يكون شا كا متحيراً ، والمصدق به غير المحقق له بالاجتهاد في العمل المشا كل لهذا الامر يكون مقصراً ومفرطاً ، والمكـذب باللسان لهذا الامر المنكر له بقلبه يكون جاحداً كافراً ، كما قال الله تعالى : « الذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لاجرم أن لهم النار وأنهم مفرطون »

واعلم أن المقر بهذا الامر بلسانه المتصور له بقلبه على حقيقة يجد من نفسه أربع خصال لم يكن يعرفها قبل : إحداها قوة النفس بالنهوض من الجسد ، والثانية النشاط في طلب الخلاص من الهيولى التى هى جهنم النفس ، والثالثة الرجاء والامل للفوز والنجاة عند مفارقة النفس الجسد، والرابعة الثقة بالله واليقين بتمام هذا الامر وكماله

فصل

واعلم أن كل مقر بهذا القرآن وبكتب الانبياء عليهم السلام وأخبارهم عن الغيب فانهم فى ذلك على أربع منازل : إما مقر بلسانه غير مصدق بقلبه ، أو مقر بلسانه ومصدق بقلبه غير عارف بمعانيه وبيانه ، أو مصدق ومقر ومتيقن عارف ولكن غير قائم بواجب حقه .

فالمقر بلسانه غير المصدق بقلبه هو الذي قد رزق من الفهم والتمييز قليلا ،

فاذا فكر بقلبه وميز ببصيرته مايدل عليه ظاهر ألفاظ الكتب النبوية لا يقبله عقله أنه لا يتصور معانيها اللطيفة واشارتها الخفية فينكرها بقلبه ويشك فيها .

وأما من أقر بلسانه وصدق بقلبه فهو الذي يتفكر ويعلم أن مثل هذا الامر الجليل الذي قد اتفقت على حقيقته الانبياء والأئمة المهديون والخلفاء الراشدون وصالحو المؤمنين ، وأقر به فضلاء الناس والمديزون والمستبصرون لا يجوز أن يكون لا حقيقة له ، ولكن فهمه وتمييزه وعقله يقصر عن ادراكه وتصوره لها بحقائقها .

وأما من عرف بيانه ولكن قصر عن القيام بواجبه وهو الذي وفقه الله وأرشده وهداه فاهتدى لحقائق هذه الاسرار المذكورة في كتب الانبياء صلوات الله عليهم ولكنه لايجد المعين له على القيام بنصرتها وواجب حقها ، لانه واحد وليس كل أمر يتم بواحد من الناس ، بل ربما يحتاج فيها الى الجم العظيم ، وخاصة أمر الناموس ، وأقل مايحتاج فيه الى أربعين خصلة تجتمع في أحد من الاشخاص أو أربعين شخصاً مؤتلفي القلوب

فصل

فى خطاب المتفلسفين الشاكين في أمر الشريعة الغافلين عن أسرار الكتب النبوية

قد فهمنا أيها الاخ الرحيم أيدك الله وايانا بروح منه ماذكرته مما جرى بينك وبين أخ من اخواننا من المذاكرة والبحث عن مبادىء الموجودات وعلل الكائنات وما شكوت من صعوبة انقياده اليه من صفوة الاخوة والمعاونة على نصرة الاديان النبوية وما وصفت من شدة استغراقه فى الآراء الفلسفية واعراضه عن معرفة أسرار الكتب الالهية وتفاسير التنزيلات النبوية ومعاني موضوعات الشرائع الناموسية وما تتضمنه من المنافع الجليلة والأغراض البعيدة للنفوس المستبصرة من الدلالة لها على الارتقاء الى المراتب العالية والخلاص من نيران

الهاوية ، وما ذكرت من اعتماده فى البصائر والمعارف على مايدركه عقله وتمييزه وبصيرته ويؤدى اليه اجتهاده ، وما قلت من تعلقه بأقاويل الفلاسفة فى آرائهم المختلفة وقياساتهم المتناقضة على أصول لهم متغايرة .

فاصبر عليه أيها الاخ وداره بالرفق وذاكره بهذه الرسالة فلعله يتقرر فى نفسه ماتدعوه اليه ويتصور فى عقله ما تشير اليه من الاسرار المصونة المكونة التى لايمسها الا المطهرون : فقل له اخبرنا أيها الاخ أمقر أنت بما جاءت به الانبياء عليهم السلام فى تنزيلاتهم من أخبار الملائكة وقصة ابليس والجان وحديث آدم و بدء خلقه وسجود الملائكة له وأخذ الميثاق على ذريته وما شاكل ذلك من حديث القيامة والبعث والحشر والحساب والميزان والجواز على الصراط والنجاة من النار والثواب والفوز والجنة ونعيمها وأشباهها مما هو مذكور فى التوراة والانجيل والفرقان وغيرها من صحف الانبياء عليهم السلام أم جاحد بها ؟

فان كنت مقراً بها أو ببعضها فأخبرنا أمصدق متيقن بحقائقها أم شاك متحير فى معانيها ؟

فان كنت مصدقا متيقناً فأخبرنا أعالم أنت عارف بها أو غافل ساه عنها ؟ فان كنت عارفا عالماً بها فأخبرنا عن الجنة والنار وهل هما موجودان في وقتنا هذا أم غير موجودين ؟ فان كانا موجودين فقل لنا أين هما وصف لنا كيفيتهما ؟ وان قلت انهما غير موجودين فما معنى قوله : « يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة » ؟ وما معنى قوله : « النار يعرضون عليها غدواً وعشياً » ؟ وما معنى قول النبى « إن أرواح الشهداء في الجنة » وما معنى المعراج ورؤية النبى ﷺ لرضوان خازن الجنان ومالك خازن النيران ؟ وما معنى قول النبى ﷺ « حرام على كل نفس أن تموت أو ترى مقعدها فى الجنة أو النار » ؟ وما معنى قوله من مات فقد قامت قيامته ؟ وما معنى قوله تعالى : « وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم » ؟ الآية . وما معنى قوله : « ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون » ؟ وما معنى قوله « وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض » ؟ الآية وما معنى قوله : « قال

الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث » الآية ، وقوله : انما لبثتم إلا قليلا . وماشاكل هذه المسائل لو سألناك لطال عليك الخطاب

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الأخ أن لكل مذهب وأهله رأيا ينفردون به عن غيرهم وعلماء وفقهاء يتدارسونه فيما بينهم ، وأن من رأى اخواننا أيدهم الله أن هذه الأشياء كلها موجودة منذ خلق الله السموات والارض ولكن أكثر الناس لايعلمون وهم ينتظرون كونها في الزمان المستقبل وهم أهل التقليد الذين هم من أمر الدين على العمى .

وأما أهل البصيرة الذين هم من أمر الدين على بيان ويقين ومعرفة فهم ينتظرون بها انتظار الكشف والبيان كما رأى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلة المعراج .

وقد بينا في رسائلنا هذه المعاني فان كنت تعرف منها أيها الأخ فبين لنا علم هذا على أصل تعرفه على قياس واحد لايجب أن تعدل عنه اذا سألناك ولا تقلد أقاويل الفلاسفة المختلفي الآراء المتناقضى الأقاويل .

فقد روي انه ذكر فى مجلس النبى ﷺ أرسطاطاليس فقال النبى عليه السلام « لوعاش حتى يعرف ماجئت به لاتبعنى على دينى »

فينبغي لمن هو متزي بزي المسلمين ومعتصم بعروة الاسلام منسوب الى أمة محمد ﷺ مقر بما جاء به من التنزيل وما فى تنزيله من أخبار أمور قدمضت مع الزمان الماضي : مثل بدء كون العالم وخلق السموات والارض وحديث آدم وقصة ابليس وعصيانه وسجود الملائكة وطاعتهم وأخذ الميثاق على ذرية آدم وماشاكل ذلك من نظائره مما هو موجود في التوراة والانجيل وصحف الانبياء الأولين وإنذارهم أممهم بامر القيامة وأخبار البعث والنشور والحشر والحساب والميزان

والقصاص والجواز على الصراط والنجاة من النار والفوز بالجنةونعيم أهلهاوالنار وأليم عذابها وما شا كل ذلك من الامور المنتظرة في الزمان المستقبل — وقد دعينا الى الاقرار بها والاستعداد لها فمن أعرض عنها كلها حتى لايعرف من حقائقها حرفا واحداً غير الاقرار باللسان مع حيرة فى نفسه وشكوك فى قلبه ومع هذه كلها يدعي معرفة أسرار الكتب الفلسفية ، ورموزات الفلاسفةوتدقيق المعانى التى فيها مع كثرة اختلافاتهم ومناقضات بعضهم لبعض مع حيرة أتباعهم فيها ، ولا ينظرولا يتفكرأن الانبياء كلهم ، مع تباعد الازمان فيما بينهم ومع اختلافات لغاتهم وموضوعات شرائعهم وافتنان سننهم ، كيف هم متفقون على رأى واحد ودين واحد ومقصد واحد فيما يشيرون اليه في دعوتهم الأمم الى أمر الآخرة وأحوال القيامة وجزاء الاعمال فيها ان خيراً فخيراً وان شراً فشراً

وقد بينا في الرسالة الثالثة الرأى الذي يتفقون عليه : أعنى الأنبياء كلهم وهى اثنتا عشرة خصلة هي العمدة والاصل فيمايدعون اليه من الدين وان اختلفت شرائعهم وسننهم ، كما ذكر الله تعالى فقال : « وأقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » وقال : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله »الآية .

فدين الانبياء دين واحد ومسلكهم جميعاً مسلك واحد ومقصدهم مقصد واحد وغرض واحد وان اختلفت شرائعهم صلوات الله عليهم.

وأما الفلاسفة فليست شريعتهم واحدة ولا دينهم واحد فكيف يرضى العاقل عن أسرار كتب الفلاسفة مع اختلافهم ويعرض عن البحث وعن معرفة أسرار كتب الانبياء عليهم السلام مع اتفاقها ؟

واعلم أيها الاخ انه انما ذهب على أكثر المتفلسفين والباحثين عن حقائق الاشياء معرفة كتب الانبياء عليهم الصلاة والسلام لتركهم البحث عنهاواعراضهم عن النظر فيها ولقصور فهمهم عن تصورها لانها مأخوذة عن الملائكة الذين هم في الملأ الاعلى وأهل السموات وسكان الافلاك .

فصل

في خطاب الشاكين في أمر النفس المتحيرين في اختلاف أقاويل العلماء فيها

وقد علمنا أيها الأخ ما ذكرت مما جرى بينك وبين شيخ من مشايخنا من المذاكرة في أمر النفس وماهية جوهرها وكيفية وجودها وأين مكانها من الجسد؟ وما علة رباطها معه وكيف تكون مفارقتها للجسد ، والذي أنكره من معرفة جوهرها بقوله : هذا علم لا يمكن أن يعلم !! واحتج بقول جالينوس إذ يقول : « إني لا أدري ما جوهر النفس » وقوله : « إذ لست أعلم من جالينوس ؟ » والذي نسألك أيها الاخ أن تتفضل وتتلقاه وتقرأ عليه السلام وتعرف شدة شوقنا اليه ومطالعتنا وتشوقنا الى معرفة أخباره أطابها الله ورغبتنا في مشاهدته ومجاورته وتبلغه عنا ما ألقينا اليك من الجواب فيما سألناك ، وهو أن تقول له : هل يتفضل سيدنا الشيخ ويعيننا بجودة رأيه وقوة نفسه وصفاء جوهره ويفرغ لنا قلبه ساعة ويجمع لنا همته ولا يشغل أفكارنا بالشبهة التي يوردها علينا من اقاويل الفلاسفة واختلاف آرائهم وروايات العلماء وأسانيدهم وتشبيهات الشعراء وترتيباتهم وأحاديث العوام وتشغيباتهم ، وينصفنا في القول ويناصحنا في الضمير ويجعل الحاكم بيننا وبينه العقل الذي قد رضينا بحكمه وموجبات قضاياه ؟ ؟ فانا اذا سألناه أو سأل هو واحداً منا فقال له : ما أنت وما حقيقتك؟ ومن هذا الذي هو يكلمني ويسمع مني ويفهمني ويستفهم مني ؟ أفترى ترضى منا الجواب بأن نقول :

انه هو الجسد الذي ترى المحسوس المؤلف من اللحم والدم والعظام والعصب وما شاكلها ، المبني كأنه منارة رهبان اذا وقع لا يمكنه أن يقوم وان ترك فلا يمكنه أن يتحرك ، واذا نام لا يحس أنه موجود ، وان انتبه فلا يدري أين كان فجائز في العقل أن من هذا حاله يستحق أن يسأل عن خفيات الامور مع

المحسوسات والمعقولات وماغاب عن الحواس بالمكان وما مضى كونه مع الزمان ومايكون في المستقبل من الكائنات أو يستاهل أن يسمع منه قوله اذا أخبرعن تركيب الافلاك ونظامها واقسام البروج وأوصافهاوحركات الكواكب ومجاريها وعن أركان الامهات وطبائعها واختلاف جواهر المعادن وخواصها وفنون أشكال النبات ومنافعها وعجائب هيا كل الحيوانات واختلاف أخلاقها وأصواتها ؟! فياعجباً ممن يظن أن هذه الاشياء كلها يعلمها هذا الجسد الجاهل المؤلف ؟! أو يرى ان هذا المخبر عن هذه الاشياء هذا الجسم الطويل العريض العميق الاعمى الاصم الاخرس الذي لايحس ذاته ولايشعر بوجود نفسه ؟! فكيف يجوز أن يعلم هذه الاشياء العجيبة النائية عن ذاته الغائبة عن حواسه وهو لايعلم ذاته ولايحس بوجود نفسه ؟! هيهات بعد الصواب من ظن أن هذه العلوم يعلمها هذا الجسد المؤلف من اللحم المستحيل الفاسد

واعلم أيها الأخ أن الانسان الباحث عن أمر النفس الطالب معرفة جوهرها لو أنه أنصف عقله ورجع الى حكمه وقبل قضاياه وفكر فى نفسه وتأمل بتمييزه وتصفح حالات جسده من القيام والقعود والحركة والسكون والنوم واليقظة والحياة والممات لاستبان له أن مع هذا الجسد جوهراً آخر هوأشرف منه ، وأن هذا الجسد بالنسبة اليه ماهو الا كدار مبنية فيها ساكن أو كدكان فيه صانع أو كسفينة فيها ملاح أو كدابة عليها راكب أو كقميص ملبوس أو كلوح في يد صبي في المكتب أو كمدينة فيها ملك

وبالجملة ينبغى لمن أراد أن يعرف النفس قبل معرفتها أن يبحث عن أمرها ويطلب علمها بسبعة مباحث : — أحدها يبحث هل النفس شيء من الاشياء الموجودات أو هذه تسمية فارغة لامعنى تحتها ؟ وقد بينا في رسالة البرهان وجودها . والثاني يبحث هل هى عرض كما بينا في رسالة لنا . والثالث يبحث كم هى أجناس النفوس الموجودات في العالم كما بينا في رسالة قول الحكماء : الانسان عالم كبير . والرابع يبحث كيف يكون رباط النفس مع الجسد كما بينا في رسالة

تركيب الجسد ، والخامس يبحث أين كانت النفس قبل رباطها بالاجساد – كما بينا في رسالة مسقط النطفة ، والسادس يبحث عنها اذا فارقت أجسادها أين تكون كما بينا في رسالة البعث والقيامة ، والسابع يبحث ما الغرض في كونها مع الاجساد تارة ومفارقتها تارة – كما بينا في رسالة أن الانسان عالم صغير فان رأى الشيخ أن يتأمل وينظر فيها ويتأمل معانيها فعل

فصل

في مهنة النفوس وعشقها للاجسام

واعلم ايها الاخ ان مثل هذه النفس الجزئية مع شرف جوهرها وما هي عليه من غربتها في هذا العالم الجسماني وما قد ابتليت به من آفات هذا الجسد وفساد هيولاه كمثل رجل حكيم في بلد الغربة قد ابتلي بعشق امرأة رعناء فاجرة جاهلة سيئة الاخلاق رديئة الطبع وهي في دائم الاوقات تطالبه بالمأكولات الطيبة والمشروبات اللذيذة والملبوسات الفاخرة والمسكن المزخرف والشهوات المردية ، وان ذلك الحكيم من شدة محبته لها وعظم بلائه بصحبتها قد صرف كل همته الى اصلاح امرها واكثر عنايته بتدبير شأنها حتى قد نسي امر نفسه واصلاح شأنه وبلدته التي خرج منها وأقربائه الذين نشأ معهم اولا ونعمته التي كان فيها بدياً

واعلم أيها الأخ البار الرحيم أن جوهر النفس جوهرة سماوية وعالمها عالم روحاني وهي حية بذاتها غير محتاجة الى الأكل والشرب واللباس والمسكن وما شاكل ذلك مما يحتاج اليه الجسد في قوام وجوده ومادة بقائه ، وأن كل ما يحتاج اليه الانسان من أعراض هذه الدنيا انما هو من أجل هذا الجسد المستحيل الفاسد ولاصلاحه وقوامه وجر المنفعة اليه ودفع المضرة عنه الذي لا يثبت على حال واحدة طرفة عين ، وأن النفس ما دامت مع الجسد الى الوقت المعلوم متعوبة بكثرة همومها لاصلاح أمر هذا الجسد وشغلها بشدة عنايتها به فيما تتكلف من الاعمال الشاقة والصنايع المتعبة من اكتساب المال والمتاع والاثاث وما يحتاج

اليه الانسان في طول الحياة الدنيا ، وأن النفس لا راحة لها دون مفارقتها لهذا الجسد ، كما أن ذلك الرجل الحكيم المبتلى بعشق تلك المرأة الفاجرة الرعناء لا راحة له ممن قد ابتلى بها الا بمفارقتها والتسلى عنها وعن حبها وعشقها

﴿ فصل ﴾

في مهنة النفوس واخراجها من عالم الارواح لجناية كانت منها

اعلم أيها الأخ أن النفس الجزئية لما أهبطت من عالمها الروحانى وأسقطت من مرتبتها العالية للجناية ، وغرقت في بحر الهيولى وغاصت في قعر أمواج الاجسام وقيل لها : « انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب » فغرقت في هيا كل الاجسام وتفرقت بعد وصلتها وتشتت شمل الفتها — كما ذكر الله عز وجل اسمه بقوله : « اهبطوا منها جميعاً » الآية الى قوله : « ومنها تخرجون » عرض لها عند ذلك من الدهشة والاهوال والمصائب مثل ماعرض لقوم من ركاب البحر لما اشتدت بهم الريح واضطرب بهم البحر وهاجت بهم الامواج وكسر بهم المركب وغرقوا في قعر البحار وغاصوا في ظلمات الماء وتفرقوا في كل فج عميق من الجزائر والسواحل وبطون الحيتان .

فكما أن أولئك القوم في الوقت الذى انكسر بهم المركب تراهم بين غائص في الماء أو طاف أو متعلق بخشبة أو بحبل أو يركب بعضهم كتف بعض !! يقول كل واحد : نفسى نفسى ، من شدة الاهوال ، لايفكر لغيره ولا يريد النجاة الا لنفسه ولايهمه سواها ولا يذكر شيئاً مما كان فيه قبلا فهكذا حال النفوس فى هذه الدنيا وكونها مع هذه الاجساد وما ابتليت به من ظلمات هذه الاجساد من هموم المعاش وخوف الجوع وألم العطش وأوجاع الامراض والاسقام وأذية الحر والبرد وفضيحة العرى وأحزان النوائب وجل المخاوف وعوارض التلف والحسرات والأسف .

فمن أجل هذه الشدائد والمصائب صارت النفس لا تذكر شيئا مما كانت فيه

من أمر عالمها ومبدئها ومعادها كما قال الله جل ذكره بقوله : « واذا ذكروا لا يذكرون »

واعلم أيها الأخ أن النفس اذا انتبهت من نوم الغفلة واستيقظت من رقدة الجهالة وابصرت ذاتها وعرفت جوهرها وأحست بغربتها في عالم الاجسام ومحنتها وغرقها في بحر الهيولى وأسرها بالشهوات الطبيعية وعاينت عالمها واستبان لها فضل نعيمها على اللذات الجسمانية وتنسمت بروح عالمها وريحانها ، اشتاقت إلى هناك ومالت الى السكون فى ذلك العالم ومقتت السكون مع الاجساد وزهدت فى نعيم الدنيا وتمنت الموت الذي هو مفارقة الجسد والخروج من ظلمة الأجسام فيكون مثلها عند ذلك كمثل قوم خرجوا من الحبس والمطامير مع ضوء الصبح فشاهدوا هذا العالم بما فيه دفعة واحدة .

وأما النفوس غير المستبصرة فمثلها كمثل العميان سواء عندهم ضوء النهار وظلمة الليل .

واعلم ان النفس اذا لم تستبصر ذاتها ولم تعرف جوهرها ومبدأها ومعادها ولم تحس بغربتها وما هى عليه فى هذه الدنيا من المحنة والبلوى ما دام يمكنها البحث والاجتهاد في التعلم ولها تميز وعقل وحواس صحيحة ، ويمكنها الاعتبار والتفحص والبيان فلم تجتهد حتى بقيت عمياء الى الممات ، فهي بعد الممات أعمى وأضل سبيلا — كما ذكر الله تعالى : « ومن كان فى هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا » أعاذنا الله وإياك أيها الاخ وجميع اخواننا من هذه الصفة إنه ودود رؤوف رحيم

فصل

واعلم يا أخى أنا قد عملنا إحدى وخمسين رسالة فى فنون الآداب وغرائب العلوم وطرائف الحكم : كل واحدة منها شبه المدخل والمقدمات والأنموذج ، لكيما اذا نظر فيها إخواننا وسمع قراءتها أهل شيعتنا وفهموا بعض معانيها

وعرفوا حقيقة ما هم مقرون به من تفضيل أهل بيت النبي ﷺ لأنهم خزان علم الله ووارثو علم النبوات ، وتبين لهم تصديق ما يعتقدون فيهم من العلم والمعرفة والفهم والتمييز والبصيرة فى الآفاق بما في أنفسهم من الآيات لقوم يوقنون ويعلمون أنه الحق من ربهم ولكيما لايحتاجون الى تفسير المخالفين لكتب الانبياء عليهم السلام . وينبغي لاخواننا اذا حضروا المجلس ومعهم أخ مستجيب مستحدث أن يقرأ عليهم هذه الخطبة

اعلموا أيها الاخوان أيدكم الله وإيانا بروح منه وهداكم للحق وجعلكم من أتباعه وسهل لكم سبيل الخير وأرشدكم الى معرفة أهله وعصمكم من الشر وجنبكم صحبة أهله وحرسكم من غرور الشيطان ووقاكم جور السلطان ونكبات الزمان ونوائب الحدثان ووفقكم لقبول نصيحة الاخوان انه ودود منان

واعلموا أن كل دولة لها وقت منه تبتديء ولها غاية اليها ترتقي وحد اليه تنتهي واذا بلغت الى أقصى مدي غاياتها ومنتهى نهاياتها أخذت في الانحطاط والنقصان وبدا في أهلها الشوم والخذلان واستأنف في الاخرى القوة والنشاط والظهور والانبساط وجعل كل يوم يقوي هذا ويزيد ويضعف ذلك وينقص، الى أن يضمحل الاول المتقدم ويتمكن الحادث المتأخر . والمثال في ذلك مجاري أحكام الزمان : وذلك أن الزمان كله نصفه نهار مضيء ونصفه ليل مظلم ، وأيضاً نصفه صيف حار ونصفه شتاء بارد وهما يتداولان في مجيئهما وذهابهما كلما ذهب هذا رجع هذا وتارة يزيد هذا وينقص هذا ، وكلما نقص ذلك من أحدهما زاد في الآخر حتى اذا تناهيا الى غايتهما ابتدأ النقص في الذي تناهي في الزيادة وابتداء الزيادة الذي تناهى فى النقصان . فلا يزالان هكذا وهذا دأبهما الى أن يتساويا في مقداريهما ثم يتجاوزان على حالتيهما الى ان يتناهيا الى غايتيهما من الزيادة والنقصان ، وكلما تناهي أحدهما في الزيادة ظهرت قوته وكثرت افعاله في العالم وخفيت قوة ضده وقلت افعاله .

فهكذا حكم اهل الزمان في دولة الخير ودولة الشر : فتارة تكون القوة

والدولة وظهور الافعال في العالم لاهل الخير ، وتارة تكون القوة والدولة وظهور الأفعال لأهل الشر — كما ذكر الله جل ثناؤه : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » الآية .

وقد ترون أيها الاخوان أيدكم الله وإيانا بروح منه انه قد تناهت قوة اهل الشر وكثرت افعالهم في العالم في هذا الزمان وليس بعد التناهي فى الزيادة إلا الانحطاط والنقصان .

واعلم ان الملك والدولة ينتقلان في كل دهر وزمان ودور وقران من أمة الى أمة ومن أهل بيت إلى أهل بيت ومن أهل بلد إلى بلد :

واعلموا أن دولة أهل الخير يبدأ أولها من أقوام خيار فضلاء يجتمعون في بلد ويتفقون على رأى واحد ودين واحد ومذهب واحد ، ويعقدون بينهم عهداً وميثاقا بأنهم يتناصرون ولا يتخاذلون ويتعاونون ولا يتقاعدون عن نصرة بعضهم بعضاً ، ويكونون كرجل واحد فى جميع أمورهم وكنفس واحدة في جميع تدابيرهم وفيما يقصدون من نصرة الدين وطلب الآخرة ، لا يعتقدون سوى رحمة الله ورضوانه عوضاً .

فابشروا أيها الاخوان بما اخبرناكم وثقوا بالله في نصرته لكم إذا بذلتم مجهودكم — كما وعد الله تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا » « ولينصرن الله من ينصره » « ألا ان حزب الله هم الغالبون . »

فصل

في مخاطبة العمال والكتاب

اعلم أيها الأخ أيدك الله وايانا بروح منه أن لنا اخوانا واصدقاء من كرام الناس وفضلائهم متفرقين فى البلاد : فمنهم طائفة من أولاد الملوك والأمراء والوزراء والكتاب والعمال ، ومنهم طائفة من أولاد الاشراف والدهاقين والتناء والتجار ، ومنهم طائفة من أولاد العلماء والادباء والفقهاء وحملة الدين ، ومنهم طائفة من أولاد الصناع والمتصرفين وأمناء الناس.

وقد ندبنا لكل طائفة منهم أخا من اخواننا ممن ارتضينا في بصيرته ومعارفه لينوب عنا في خدمتهم بالقاء النصيحة اليهم بالرفق والرحمة والشفقة عليهم وليكون عوناً لاخوانه بالدعاء لهم الى الله والى ماجاءت به أنبياؤه عليهم السلام، وإلى ما أشارت اليه أولياؤه من التنزيل والتأويل لاصلاح أمر الدين والدنيا أجمعين

وقد اخترناك أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه لمعاونتهم وارتضيناك لمشاركتهم لما آتاك الله من فضله من العقل والفهم والتمييز وحرية النفس وصفاء جوهرها لتكون مساعداً لاخوانك ومعاضداً لهم لان جوهرك من جوهرهم ونفسك من نفوسهم وصلاحهم صلاحك،

فامض على بركات الله وحسن توفيقه إلى أخ من اخواننا وتوصل اليه بالرفق على خلوة وفراغ من مجلسه وطيبة من نفسه فاقرأ عليه منا التحية والسلام وبشره بما يسره من نصيحة الاخوان وعرفه شدة شوقنا إلى اخائه ومودته وولايته والله يوفقه وإيانا للسداد ويهديه وإيانا للرشاد ولجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد انه كريم جواد .

ثم اقرأ عليه هذه الخطبة وعرفه معانيها وفهمه مغزاها ومقصدها ،ثم عرفنا مايكون منه من الجواب والله يوفقكما وجميع اخواننا للصواب ، وقل له أخبرنا أيها الأخ عن صاحبك هذا الذى أنت متعلق بخدمته ومجتهد فى طاعته ومعتصم بعز سلطانه : هل تعلم أنه كان فى هذا الامر الذي هو فيه الآن غيره قبله فزال عنه عزه وسلطانه وتفرقت عنه جموعه وأعوانه ؟ وهل تعلم أن هذا الامر الذي هو فيه باق عليه ؟ أو لابد أن يزول عنه يوما ويصير الى غيره كما صار اليه بعد الذي كان قبله ، أو هل تعلم أن من يجيء بعده ويصير مكانه كيف يكون حالك معه ؟

وقد علمت أن هذه الدنيا وأمورها دول ونوب تدور بين أهلها واحداً بعد آخر .

﴿ فصل ﴾

في مخاطبة الملوك والسلاطين

قد اخترناك أيها الأخ لأمر فيه قربة الى الله تعالى ونصرة للدين ونصيحة للاخوان فكن واثقاً بما اخترناك مغتبطاً به وسر على بركة الله وحسن توفيقه متوكلا عليه فى نصرته وتأييده إلى أخ من اخواننا الفضلاء الكرام ، من كرام الناس ، وتلطف في الوصول اليه فى رفق ومداراة حتّى تلقاه على خلوة من مجلسه وفراغ من قلبه وطيبة من نفسه وتقرأ عليه التحية والسلام من اخوان له فضلاء وأصدقاء له نصحاء من أولاد العلماء وحملة الدين والفقهاء وأولاد التجار وأرباب الاموال المستبصرين بالعلوم الفلسفية والاحكام الشرعية والآداب الرياضية مثل الهندسة والنجوم والطب والفراسة والتدبير والسياسة ، وتبشره بما ألقيناه اليك من الاسرار فى شأنه وما يتحقق من المأمول فى أمره من نصرة الدين وفتح البلاد ومايكون على يده من صلاح العباد مما خبرت به دلائل القران ولوحت به شواهد الامتحان ، وتعرض عليه هذه التذكرة ليتأملها ويتفكر فيها وتعرفه أن اخوانه الذين وجهوك اليه من ذلك البلد لما هم عليه من العقل وكرم الاخلاق وحسن الاداب والألفة والاتفاق وما يعتقدون في أمر الدين من جميل الرأى وما يتعاملون في أمر الدنيا من حسن المعاملة . لهم مجلس يجتمعون فيه في الخلوات ويتذاكرون العلوم ويتحاورون فى الاسرار ويبحثون عن خفيات الأمور ، فتذكروا يوماً فيما بينهم من حوادث الايام وتغييرات الزمان والخطوب والحدثان وماتدل عليه دلائل القران من تغييرات شرائع الدين والملل وتنقل الملك والدول من أمة الى أمة ومن بلد الى بلد ومن أهل بيت الى أهل بيت ، فاجتمع رأيهم واتفقت كلمتهم على أنه لابد من كائن في العالم قريب وحادث عجيب فيه صلاح الدين والدنيا وهو تجديد ملك في المملكة وانتقال الدولة من أمة الى أمة وأن لذلك دلائل بينة وعلامات واضحة ، وقالوا قد عرفناها بفراغ عقولنا وتجارب الأمور واعتبار تصاريف الزمان فيما مضى من الحدثان وما يعرف منها بالزجر والفال والكهانة

والفراسة ، وبدلائل المتحركات من النجوم والمنامات مما تدل عليه من الكائنات قبل أن تكون ، وقد اعتبرنا بهذه الوجوه التي ذكرناها وأشرنا اليها حتى عرفنا صاحب الأمر بصفاته ، والسنة والشهر الذي يكون فيه الحادث في شأنه ، وما نرجو من ذلك من صلاح الدين والدنيا : « والله بالغ أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون » وانما أردنا بهذه التذكرة أن تكون لنا بها قربة إلى الله تعالى ونصرة للدين وحرمة للاخوان ونصيحة لصاحب الأمر وقدم صدق في الاولين ولسان صدق في الآخرين .

فان وقعت هذه التذكرة منه مكانها من القبول وسمت نفسه الى ما أشرنا اليه فذلك هو الذي نريده ، وان توقف وقال : ماعلامة ما يقولون وما تصديق ما يزعمون من الرأي والحديث ؟ فنقول : عندنا دلائل واضحة وبراهين بينة وعلامات وشواهد يعلمها من كان ينظر في العلوم كنظرنا ويعتبر الأمور كاعتبارنا ، وكان في المعارف بصيراً مثلنا .

فان أراد أخونا الفاضل الكريم فليبعث الينا ثقة من ثقاته وأميناً من أمنائه ومن أبناء جنسنا ومن يشا كلنا في العلوم والمعارف ومن يحاجنا على ما نقول ويناظرنا على ما نشير اليه ليتضح له حقيقة ما قلنا ويتبين له التصديق بما أمرنا والله الموفق للصواب

فصل

في مخاطبة أهل العلم الغافلين عن أمر النفس والمعرضين عن معرفة جوهرها

أخبرنا أيها الاخ هل أنت عالم ومتيقن بأن مع هذا الجسد الطويل العريض العميق أعني الجسد المركب من اللحم والعظم والعصب والعروق ، المؤلف من الاخلاط الاربعة التي هي الدم والبلغم والمرتان[1] التي كلها أجسام أرضية مظلمة

(١) المرت من الارض : القفر ، ومن الانسان مالا شعر له والمرتان والمروت جمعه والاول المراد لان الطين الصرف هو رابع الاخلاط

غليظة منتنة متغيرة فاسدة جوهراً آخر هو أشرف منه وهو النفس التى هى جوهرة روحانية بسيطة حية سماوية شفافة ، وهى المحركة لهذا الجسم المديرة له المظهرة به ومنه أفعالها وأقوالها وعلومها ، أو تقول انه ليس هاهنا شيء آخر غير هذا الجسد المرئي المحسوس المتغير الفاسد المستحيل الهالك الذي ان أصابه حر ذاب أو ان أصابه برد جمد ، وان نام بطلت حواسه وان انتبه لا يشعر بوجوده وان نقل لا يدرى أين كان وان ترك لا يتحرك وان حرك لا يحس بذاته ، جاهل لا يعلم شيئا وان لم يسق جف عطشاً وان لم يطعم ذبل ، وان طعم امتلأ من الدم والصديد والبول والغائط كأنه ربع مجصص ظاهره ، مملوء من القاذورات باطنه إن مات نتن ، وان لم يدفن افتضح ، وان عاش فهو فى العذاب والشقاء .

أترى أن الفاعل لهذه الافعال المحكمة والصنائع المتقننة التى تظهر على أيدى البشر هو هذا الجسد وحده والناطق بهذه اللغات المتباينة والمتكلم بهذه الاقاويل المختلفة والمخبر عن الامور المنقضية مع الازمان الماضية والعالم بالاشياء الموجودة فى الاماكن الغائبة والمنبيء عن الحوادث الكائنة فى الازمان المستقبلة والمستنبط غرائب العلوم من خواص جواهر العدد وأشكال الهندسة وتأليف اللحون وتشريح الاجساد وتركيب الافلاك وحساب حركات الكواكب وصفات البروج وطبائع الاركان واختلاف جواهر المعادن ومنافع النبات واختلاف الحيوان ، هل هو هذا الجسد وحده أو تنسب هذه العلوم والاقاويل والفضائل الى مزاج الجسد — كما زعم من لا خبرة له بحقائق الموجودات — وكيف تظهر هذه من مزاج الجسد والمزاج عرض من الاعراض وهو أحد هذه الاشياء التى ذكرناها ؟ فقد بعد من الصواب من قال هذا القول وعمي عن معرفة حقائق الاشياء من اعتقد هذا الرأى ، وأول غفلة دخلت عليه جهالته بجوهر نفسه وتركه طلب معرفة ذاته وأعظم بلية مع هذ أنه يدعي الرياسة فى العلوم ومعرفة حقائق الاشياء وصواب أقاويل أهل الاديان ومعرفة صفات الباري جل ثناؤه الذى هو أشرف المعارف وأدق العلوم وألطف الأسرار وهو يجهل مع هذا كله ذاته ولا يعرف حقيقة

نفسه فكيف يوثق برأيه وكيف يصدق قوله فيما يدعيه من العلوم ويخبر عن الامور الغائبة عن حواسه وعقله ؟

وان كنت مقراً أيها الاخ البار الرحيم بان مع هـذا الجسد جوهر آخر هو أشرف منه وأن هذه الأفعال والأقاويل والعلوم والفضائل اليه تنسب ومنـه تبدو وهو المظهر من هذا الجسد هـذه الاشياء فقد قلت صوابا وأقررت بالحق وأنصفت فى الجواب فخبرنا عن هذا الجوهر الشريف

هل يمكن أن يعرف ماهو وكيف كونه مع هذا الجسد باختيار منه أو مضطر أن يكون معه ، أو هل تعرف أين كان قبل أن يقرن بهذا الجسد ، وأين يذهب إذا فارقه ، أو تقول إنى لا أدرى ، وهل ترضى من نفسك الجهل بهذا المقدار من العلم أن تقول إن هذا العلم ليس في طاقة الانسان أن يعلمه ، وكيف يسوغ لك هذا القول والعلماء مقرون أجمع وأنت معهم بان معرفة الله واجبة على كل عاقل ، وكيف يستوي للعبد اذاً معرفة ربه وهو لايعرف نفسه .

وقد روي عن رسول الله ﷺ انه قال : « من عرف نفسه فقد عرف ربه أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه » وكيف يستوي لك أن تقول إنك تعرف ربك ولا تعرف نفسك وقال الله عز وجل : « بل الانسان على نفسه بصيرة » وقال : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه » وقال : « وفى انفسكم أفلا تبصرون » وقال: « كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً » وقال : « إن النفس لامارة بالسوء إلا مارحم ربى » وقال « يوم تأتى كل نفس تجـادل عن نفسها » وقال : « ياأيتهـا النفس المطمئنـة ارجعى » الآية.

وأنت تعلم أيها الأخ أن نفس الانسان أقرب اليـه من كل قريب فكيف يستوي لك أن تقول لايمكن أن يعلم الانسان نفسه ويعلم غيرها من الأشياء البعيدة الغائبة عن حواسه وعقله

واعلم أيها الاخ أنه انما ذهب على أكثر الناس معرفة أنفسهم لتركهم النظر

في علم النفس والبحث عنها والسؤال للعلماء العارفين بعلمها وقلة اهتمامهم بأمر أنفسهم وطلب خلاصها من بحر الهيولى وهاوية الاجساد والنجاة من أسر الطبيعة والخروج من ظلمة الاجساد ، ولشدة ميلهم الى الخلود فى الدنيا واستغراقهم في الشهوات الجسمانية والغرور باللذات الجرمانية والانس بالمحسوسات الطبيعية ، ولغفلتهم عما وصف في الكتب النبوية من نعيم الجنان وفي عالم الأفلاك من الروح والريحان وقلة رغبتهم فيها لقلة تصديقهم بما خبرت به الانبياء صلوات الله عليهم وما أشارت اليه الفلاسفة الحكماء بما يقصر الوصف عنه من لطيف المعاني ودقائق الاسرار فانصرفت همم نفوسهم كلها إلى أمر هذا الجسد المستحيل وجعلوا سعيهم كله لصلاح معيشة الدنيا من جمع الاموال والمآكل والمشارب والملابس والمراكب والمناكح ، فصيروا نفوسهم عبيداً لاجسادهم وأجسادهم مالكة لنفوسهم ، وسلطوا الناسوت على اللاهوت والظلمة على النور والشياطين على الملائكة وصاروا من حزب أبليس وأعداء الرحمن.

فهل لك أيها الأخ أن تنظر لنفسك وتسعى في صلاحها وتطلب نجاتها وتفك أسرها وتخلصها من الغرق فى الهيولى وأسر الطبيعة وظلمة الاجساد وتخفف عنها أوزارها ، وهي الاسباب المانعة لها من الترقى الى السماء والدخول فى زمرة الملائكة والسيحان في فسحة عالم الافلاك الروحانية والارتقاء في درجات الجنان والتنفس من ذلك الروح والريحان المذكور في القرآن بأن ترغب في صحبة اصدقاء لك نصحاء واخوان لك فضلاء وادين لك كرماء حريصين على طلب خلاصك ونجاتك مع أنفسهم قد خلعوا أنفسهم من طاعة أبناء الدنيا وجعلوا كدهم طلب نعيم دار الاخرى بان تسلك مسلكهم ومقصدهم وتتخلص بسيرك معهم وتتخلق باخلاقهم بأن تسمع أقاويلهم وتعرف اعتقادهم وتنظر فى علومهم وتفهم أسرارهم وما يخبرونك به من العلوم النفسية والمعارف الزكية الحقيقية والمعقولات الروحانية والمحسوسات النفسانية؟

إذا دخلت مدينتنا الروحانية وسرت بسيرتنا الملكية وعملت بسنتنا الزكية

وتفقهت في شريعتنا العقلية لتنظر الى الملأ الاعلى وتعيش عيش السعداء فرحاناً مسروراً ملتذاً مخلداً أبداً بنفسك الباقية الشريفة النيرة الخفية الشفافة لا بجثتك الدنية المظلمة الثقيلة المتغيرة المستحيلة الفاسدة الهالكة وفقك الله وجميع إخواننا للرشاد وأوصلك وإيانا الى دار السلام برحمته ومنه انه على مايشاء قدير

﴿ فصل ﴾

في مخاطبة المتشيعين

قد جمع الله بيننا وبينك أيها الأخ البار الرحيم في أسباب شتى وخصال عدة مما يؤكد المودة بين الاخوان ويجمع شمل الاصدقاء في جميع صلاح الدين والدنيا أيدك الله ، أولا من تأملها وعرف حق عظيم ماأنعم الله تعالى لديك وفضل منته عليك لما خصك الله به من العقل والفهم والتمييز فمن احدى تلك الخصال والاسباب التي تؤكد المودة بين الاصدقاء ملة الاسلام التي هي آكد الاسباب لأنه خير دين دان به المتألهون وأفضل طريق يسلكه إلى الله القاصدون وهو القدوة بدين نبينا محمد ﷺ وبعلم كتابه الذى جاء به مهيمنا على كتب الأولين ، وسنة الشريعة التي هي أعدل سنة سنها المرسلون.

ومما يجمعنا واياك أيها الأخ البار الرحيم محبة نبينا عليه السلام وأهل بيت نبيه الطاهرين وولاية أمير المؤمنين على بن أبى طالب خير الوصيين صلوات الله عليهم اجمعين ومما يجمعنا واياك حرمة الادب والخروج من جملة العوام ، وهو العهد لما نحن بسبيله ونشير اليه .

ومما جمعنا واياك من الاخلاق الجميلة والافعال الحميدة وحرية النفس وصفاء جوهرها وهي التى تدعونا الى مكاتبتك ومراسلاتك ومانرجو منه النفع لك فيما يستقبل من الأمر والله يؤيدك وايانا وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد ، وقد أنفذنا اليك أخاً من اخواننا ممن قد ارتضيناه في بصيرته وحمدنا طريقته في دينه وأخلاقه ، وأنت أيدك الله تعرف حقه وما يجب من حرمته وتوصله اليك على خلوة من مجلسك وفراغ من قلبك وتصغى اليه فيما يقول وتسمع منه ماألقينا

اليك من أسرارنا وما نشير اليه من علمنا ليتبين لك مذهبنا وتفهم اعتقادنا في أمر الدين والدنيا جميعاً . فاذا سمعت أقاويلنا وفهمت معانيها ووقفت على حقائقنا وتأملتها بعقلك وميزتها برؤيتك ،أجبتنا عن رأيك فيما أشرنا اليه وما نسألك عنه في اعتقادك بصدق القول لا محتشما ولا مهيباً ولا مجانباً مما يقتضيه الحكم ويوجبه الحق . والله يوفقك للصواب ويؤيدك بروح منه وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد

فصل

اعلم أيها الأخ أيدك الله أنه انما ذهب على أكثر الناس المتفلسفين والباحثين عن حقائق الاشياء أسرار كتب الأنبياء عليهم السلام لتركهم البحث عنها واعراضهم عن النظر فيها لقصور افهامهم عن تصورها لانها مأخوذة معانيها من الملائكة الذين هم الملأ الأعلى أهل السموات وسكان الافلاك . وأعيذك أيها الأخ الفاضل أن تكون من الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون الذين ذمهم الله عز وجل في كتابه فقال : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » وقال : « صم بكم عمى فهم لا يبصرون » أفترى أنهم لم يكونوا يسمعون الاصوات أو لم يكونوا يبصرون الألوان أو لم يكونوا يعقلون أمر المعاش ؟! بل انما ذمهم لانهم لم يكونوا يفهمون هذه المعاني المذكورة فى الكتب النبوية التى اليها نشير فى رسائلنا واليها ندعو اخواننا أعزهم الله حيث كانوا في البلاد ، وهو دين النبيين ومذهب الربانيين والاحبار الذين استحفظوا فى كتاب الله من الاسرار المكنونة التى لا يمسها الا المطهرون وهم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . وفقك الله أيها الأخ للصواب واعتقاد الحق والعمل الصالح والمعارف الربانية وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد انه كريم جواد لطيف بالعباد

﴿ تمت رسالة الدعوة الى الله تعالى ويليها رسالة في كيفية أحوال الروحانيين ﴾

الرسالة الثامنة

من العلوم الناموسية والشرعية

في كيفية أحوال الروحانيين

﴿ وهي الرسالة التاسعة والاربعون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

اعلم أيها الأخ الرحيم أيدك الله وايانا بروح منه أن أفعال الروحانيين لا يتهيأ لاحد من العالم الجسماني الوقوف عليها والمعرفة بها الا بعد معرفته بجوهر نفسه وكيفية فعلها في جسمه واذا عرف كيفية ذلك ووقف عليه تهيأ له بعد ذلك الوقوف على أحوال الروحانيين فى العالم جميعاً : العلوي بمافيه والسفلي وما يحويه ، وقاده ذلك الي معرفة خالقه وتنزيه مبدعه ، وفعله الذى فعله بذاته وما أبدعه من موجوداته ، وبمعرفة ذلك يكون كمال الانسان ، وبذلك يتهيأ له التصور بالصورة الروحانية الملكية فتكون أفعاله أفعال الملائكة وما يظهر عنهم ويبدو منهم من الافعال والاعمال في العالم الجسماني والخلق الانساني ، ويعرف أيضا أفعال الجن والشياطين ومن يتولى عقابهم اذا استرقوا السمع من الملائكة المسبحين وما يتبعهم من الصواعق المحرقة والشهب الثاقبة دحوراً تأخذهم من كل جانب : « فلهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب »

وما في العالم من الكرام الكاتبين والحفظة الحاسبين الموكلين بانشاء ما يكون من الاجساد وعمارة عالم الكون والفساد

فصل

اعلم أيها الاخ أيدك الله أن دائرة العقل مرتبة من أمر الله تعالى لا يدركها خاطر نفساني ، وأن الانوار المضيئة مرتبة في أفق العقل الكلي بحيث لا يدركها حس ولا يتناولها لمس .

فالدائرة الاولى هي البعيدة عنها أوهام المخلوقين من العالمين الروحاني والجسماني اللطيف والكثيف ، وهي موصوفة بالفعل الخاص بها الصادر عنها وهو العقل الذي عقل مادونه من مجاوريه فرجعت الاوهام قبل بلوغها غايته ذاهلة عن بلوغ بعض ماقي دائرته وسعة احاطته ، وهومن الاقرار بالهية خالقه وتنزيه مبدعه وخشوعه له ، موصوف بذلك كصفة مايبدو من أحد ما بدا عنه ، وتكون منه بمنزلة النفس المشتاقة اليه الخاضعة بين يديه المرتبة في أفقه المطمئنة به المتكلة عليه الراجعة اليه .

واعلم أن دائرة العقل مشرقة بهية فهو يتراآى فيها بشدة صفائها وإشراقها ما يتلألأ من الانوار الالهية البادية بالأمر الممجد عن الوحدة المحضة التي لا تتكثر ولا تزداد بل هي منفردة بالوجود والايجاد ، وانما يتكثر من ينضاف اليه ما يشاكله ويجانسه ويزداد من يحتاج الى الزيادة ، واذا احتاج الي الزيادة لزمه النقصان والوحدة المتنزهة عن الصفات البادية بالالفاظ المنطقية والتخيلات النفسانية والتمثيلات الهيولانية لا تتكثر كتكثر واحد الاعداد التي هي الوحدة المتكثرة بما يكون ويبدو عنها اذا كانت هي أصل الكثرة ومبدأ وجود الخلقة وهي الدائرة الاولى الحاوية لجميع ما كان منها ولذلك قيل له السابق

وكذلك دائرة النفس كالثاني التالي للسابق لما بعده ، وهي تالية الأول . ثم الثالثة وهي كالهيولى والرابعة وهي كالطبيعة ، وكذلك الدوائر الكائنة عن هذه الاصول حتى تكون آخرها دائرة الارض . ولكل واحد من هذه الحدود الروحانية

فعل يختص به فاعله لايتعداه بما جعله البارى سبحانه فيها وأودعه اياها . ونريد أن نبين من ذلك طرفا يكون دليلا على ما قلناه وبرهانا على ماوصفناه

واعلم أيها الأخ البار ان البارى سبحانه أوجد الزوجين الأولين الذين هما أبوا الموجودات كلها بأسرها ، وهما الدائرتان المحيطتان بما فى عالم العلو والسفل أحداهما حائطة والاخرى محوطة .

فالدائرة الأولى موصوفة بالفعل الصادر عنها وهو التمام والكمال والفضل والفيض والرحمة والرأفة ، وماينحط من دائرتها على مادونها من الخيرات والبركات مما يستمده ويتلقاه ويفاض عليه ويلقى اليه وهي الفيضان الفاعلة فيه بما ينطبع فى جوهريته المحضة المعراة من الشوائب المتغيرة ، فلذلك صار لا يتبدل ما عنده ولايتغير لدوام ملاحظته لتلك الامور الالهية التى لاتبديل لها ولا تغيير كما قال الله تعالى : «لا تبديل لكلمات الله» . فهى باقية على حال الانفراد بالبقاء والكون تحت القدرة العظمى وباشراقها على دائرته ، أضاءت ذاته فصارت مشرقة بأنوار الجبروت الممجدة بالصفة المتخصص بها المباين بما فى ذاته منها عما يوجد فيمادونه وبها يصل الى تمجيد مبدعه وتنزيه خالقه بالتبرى عما يشاهده فى ذاته ويلاحظه فى موجوداته ، وأن يكون ذلك بحوله وقوته وان كان هو المحيط بها والخاص لها احاطة الاحصاء والعد ، لان الفعل منه انما هو بحسب ما يفعل فيه ويجود به عليه من الجود الذى به صار فى حد الوجود ، وبجوده صار مبدأ وجود كل موجود . ولذلك سمي عقلا لأنه عقل صور الموجودات بأسرها وجاد عليها بخصائصها وترتيبه لها فى مواضعها وتكوينه اياها فى أماكنها فهو بالاشراق المشرق عليها وبما فاض عليها يتدلى اليها ، وبتحننه عليها ورأفته بها يكون القرب من علة الممنون عليه ، وهو لا ينفد ما عنده اذ كانت المادة متصلة غير منفصلة ، ولو كانت فيضاً لتأدى منه الى من دونه من ذاته غير مكتسب لها ولا محتاج اليها. بل هو واجد لها من ذاته على الدوام ولو كانت هذه لكمال ما فى ذاته لكان لافرق بينه وبين علته الموجد له ولكان غير محتاج اليها بل غنياً عنها بما فى ذاته

ولم يتغيب عنه كلية المعرفة بها ، تعالى الله عن احاطة مخلوقاته بكنه فيضه . وانما هو جل ذكره مفيض مايشاء من قدرته وأمره على ابداعه الذى ارتضاه لخالص عبوديته والاقرار بلاهوتيته وبدوام استمداده ودوام تسبيحه وتقديسه وتمجيده، فهو بذلك يدرك بغيته وينال الذاته التى هى غاية أنسه وروح قدسه وروحه وريحانه فهو بحسب كرامة الله له مرتبة في أفق المحيط به وهو الامر ، وهو لا يبلغ الادراك بكلية الامر وانما يدرك من ذلك ماجعل فيه من صور الموجودات التى هو محيط بها ومخرج لها من القوة الى الفعل .

ولما كان العقل كذلك كانت النفس غير حائطة بكلية ما في العقل بلا واسطة له بكمال صفاته الموجودة الا ما أمدها به وأفاضها عليه الشيء بعد الشيء ، ولو كانت قابلة لجميع ما فيه دفعة واحـدة لـكانت لا فرق بينها وبينه ولا فضل له عليها ، لاتساعها لما وسعه وإحاطتها بما بلغه . وانما هى حائطة بما دونها كاحاطة العقل بها فدائرة النفس محيطة بما هو موجود فيها عند بدء كونها من علتها وهى ذاتها وما بدا عنها من موجوداتها وفيها قبول مايلقى اليها ويفاض عليها وفعلها الخاص بها ماانبعث منها وصدر عنها من القوة الطبيعية بما جعلت فيها من الصور المنطبعة بالنفس في الهيولى وغير محيطة بكلية ما في العقل من الصور المعراة والجواهر المبرأة من الهيولى الا بما يلقيه اليها ويمدها به .

ولما كان ذلك كذلك صارت الطبيعة في كل لحظة وفي كل وقت من الاوقات ومع كل حركة من الحركات الزمانية الطبيعية تظهر شكلا ونوعا ولونا فغرائبها لا تحصى وعجائبها لا تفنى ، وهي تبديها الشيء بعد الشيء بحسب ما يلقى اليها ويفاض عليها من النفس الكلية وبما يسري فيها من القوى الفلكية وبما ينزل مع الملائكة الموكلين بالنشأة الارضية والخلقة الجسمانية ، فهم المودعو تلك الصور في جواهر الامهات المظهرون لها بطبائع الاسطقساط ومتممون مايبدو منها من الحيوان والنبات ، فهم بها موكلون ولاعمالهم متممون ولكل منهم جزء مقسوم ونصيب معلوم كما قال الله تعالي حكاية عن ملائكته الكرام وجنوده العظام :

«وما منا الا له مقام معلوم» . وقال تعالى حكاية عنهم : «وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون» .

وكذلك قيل فى الخبر : «إن مع كل قطرة من قطرات الامطار ومع كل نقطة من مياه البحار ومع كل ورقة من اوراق الاشجار ومع كل ساعة من ساعات الليل والنهار ومع كل انسان وحيوان ومع كل جان وشيطان ملائكة يسبحون الليل والنهار لايفترون ويفعلون مايؤمرون وكل منهم في مقام معلوم ولهم افعال تختص بكل واحد منهم مما هو موكل به» .

فلذلك صارت الطبيعة تظهر على ممر الزمان وتغاير الايام ومع كل لحظة من لحظات العيان وفى كل مكان لوناً جديداً وصارت اعمالها لاتفنى ولاتبيدوان مامنها باد بالفساد يكون مكانه مثله بالسواد معاد ، فهي قوة صادرة باعثة لما تقدم منها فى الوجود كقوة حركة الدولاب التى تبدو أولا عن حركة اولى وهي الحركة البهيمية المستعملة في آلة الدولاب وإيصالها من آلة الى آلة اخرى حتى تكون مرة حاطة لأواني الدولاب الى قعر البئر فتملأ ثم ترفعها الى علو فيعود منها ما كان ممتلئاً فارغا ثم ممتلئاً فلاتزال كذلك مادامت الحركة متصلة.

فاذا بلغ المحرك المستخدم لتلك الدابة المحركة لتلك الآلة ماأراد من الاملاء والتفريغ أمسك الحركة فوقف الدولاب عن الرفع والحط ، كذلك فعل الطبيعة إنما هي حركة متصلة بها عن آلة فلكية محركة دورية مربوطة بها النفس الكلية بقوة عقلية تبدو عن مشيئة الهية وعناية ربانية بأمر من هو لايعلمه الاهو ارادة اختيارية قاصدة الى أمر غير مدرك ادراك الحس فيكون داخلا فى جملة المحسوسات وانما يدرك من العلم انه به معرى عن الصفات والنهايات التى تنتهى اليها المخلوقات وتقف عندها الموجودات من افعال الجزئيات لكنه امر يقال عليه قول يطرد لا الي تعطيل ولاتبطيل اذ كان يقول : «ماخلق الله ذلك الا بالحق» وقوله : «انما امرنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون»

وبالامر كانت المكونات ، والارادة سابقة للكون ، والابداع الأول موضع الكون ، وبه كانت الاشياء أشياء خارجة من العدم الى الوجود ، وبكونها في المكان تحيزت وتميزت موجودة بذواتها عن موجدها الملقى لها الى ما دونه كالقاء الذكر ما يكون فيه بالقوة من النطفة الى الأنثى لتظهر بالفعل صورة موجودة بوجوده محتاجة الى التمام والكمال ، يتهيأ لقبول ذلك فيتحد به من قوة النفس وما يتصل بواسطة الشمس فيشرق عليه من أثر العقل ما تكون به حياة نفسه وكمال جسمه عند استكمال الآلة ، وكونه على أفضل حالاته .

فلذلك قلنا ان الدائرة الالهية والصور العقلية العلوية هي كتاب تلوح سطوره المكتوبة بقلم الارادة ولوح المشيئة المحفوظة فيه بحيث تكون حافظة له ، وبها يكون انبعاث قواها فيما دونه حتى تصير أشياء منها روحانية بسيطة نورانية بادية عنها بكونها في دائرة النفس الكلية فيستقر كل منها في مقام لايعدوه كالحروف المرتبة في سطورها المنظومة وخطوطها المرسومة مرتبة في أقسامها مستوية في نظامها لا يعدو بعضها بعضاً .

فالعقل منزل كل تلك الأمور على النفس والممد لها بها وهي المستفتحة لها منه وهو المنان بها عليها ، وهو ملتق لها من فيض باريه .

فلذلك قيل إن تشبه العقل من باريه أقرب من تشبه النفس لانه يتلقى جود باريه من أمره المتصل والنفس متلقية منه ما يمدها ونسبتها منه أقرب من نسبته ما دونها .

ثم كذلك الأفعال المادية عن كل قوة من القوي المتصلة بكل واحد من الموجودات وما يتعلق به وينسب اليه من أفعاله .

فأولها الأصول التي هي أمهات الفروع فهي الجواهر الثانية عن الجواهر الاولى المحضة المبرأة عن التراكيب المؤلفة والجواهر الاولى المخصوصة بهذه الصفة عالم العقل والنفس والجواهر الثانية هي القوى الطبيعية والهيولانية المخصوصة بعالم الافلاك العالية القائمة بحركاتها الملائكة الموكلون بها ، والفروع البادية منها

الامهات السفليات والاسطقساط الجزئيات والطبايع الجسمانية ومايبدو منهاويتكون عنها من الحيوان والنبات وخليفة الله فيها وأمينه عليها هو النفس الجزئية التي هي نفس صاحب شرع كل دور وهي المدبرة لها في العالم السفلي وهي المتحدة بالجسم المبني بالحكمة الموجودة باتقان الصنعة وهي المتمم لها أمور الطبيعة من أعمالها فهي ترتب كل شيء من ذلك في مرتبته وتستخرج من منفعته وتوصله الى غايته فهو في العالم السفلي والمركز الارضي خليفة الله وملكه الموكل بتدبير ما يكون في الارض من معادنها ونباتها وحيوانها ، وهي الدائرة الثانية وفلكها ذو حركة دورية مربوطة بها نفس جزئية متصلة بالنفس الكلية ، وفيه كواكب طالعة وأنوار لامعة وملائكة بالقوة يفعلون فيه مايؤمرون روحانيون بذواتهم الشريفة جسمانيون بأجسامهم الكثيفة ، ولكل ملك منهم جنود وأعوان .

واعلم أيها الأخ أن في هذه الدائرة الانسانية يتراءى ما يكون في الدائرة النفسانية والطبيعية اذكان الانسان المبدع لما يكون من ذلك والمبين له بالقول والعمل ، فالقول كالقول بحوادث الجو الفلكي وأحكام النجوم وصفة النفس وكيفية رباطها بالفلك المحيط ومادونه ومعرفة العقل بأنه أول الموجودات وأشرف الذوات وهو الناطق بتوحيد الله عز وجل وتنزيهه والوسيلة بينه وبين ما دونه من خلقه .

فأما العمل فمثل ماذكرناه في رسالة الصنائع العملية ونريد أن نذكر في هذه الرسالة صفة الدوائر الروحانية النفسانية وسكان كل دائرة من الملائكة وكيف يكون أفعالهم وتفاضلهم كما قلنا بالقرب من الله تعالى بالاعمال المقربة اليه المزلفة لديه . واذا فرغنا من ذكر الدوائر المستقيمة ذوات الانوار المضيئة والاشخاص البهية ذكرنا الدوائر الظلمانية المعكوسة وذوات الصور الشيطانية المنكوسة وبمعرفة ذلك تكون معرفة الانسان بحقيقة الجنة والنار وأفعال أهلها يخص كل شكل منها .

فاذا وقفت الى هذه الحكمة الشريفة وترقيت الى هذه الدرجة المنيفة تخص

أيها اخوانك البالغين وأحبائك المصطفين الذين تهذبوا بالاخلاق الحكمية وعرفوا المنازل العلمية

واعلم أن رسائلنا الناموسية الالهية هي جواهر ما بسطناه وذخائر ما ألفناه . وهذا الكتاب الذى ألقيناه اليك وخصصناك به جعلناه وديعة عند اخواننا أيدهم الله وايانا بروح منه

فصل

فى فعل الله تعالى الذى فعله بذاته وما يليق به من صفاته

اعلم أيها الأخ أن نسبة العقل من مبدعه أقرب من نسبة مادونه ونسبة مادونه لمن ينسب أولا منه أقرب ، وكذلك الافعال البادية عن كل قوة من القوى المتصلة بكل واحد من الأصول البادية وما يتعلق به من الصفات والتراكيب المؤلفة

ولما كان العقل هو أقرب الاشياء من باريه جل اسمه وأنه الفاعل لما دونه بامره وجب أن يكون هو فعل الباري تعالى الذي فعله بذاته وكتابه الذي كتبه بيده ، وهو الملك الذي ليس له فيه شريك يناوئه ولا ضد ينافيه بل هو خالص صاف لايقع عليه التغيير ولايجوز عليه التبديل ، مشرقة أنواره ظاهرة آثاره حاو لما بدا عنه ، محيط مايكون منه.

فهذا هو فعل الله الخاص به المنسوب اليه الذي لاتفاوت فيه .

ولما كان الفاعل يعطى فعله الخاص به صورته ومثاله ويؤيده بالقدرة التى تكون لها بها القوة على مايبديه من أعماله صار العقل موضعاً لامر الله عز وجل ومكانا لقدرته .

وقد جاء فى بعض الكتب المنزلة أن الله خلق آدم على صورته ومثاله، وقوله عز وجل : « وله المثل الاعلى فى السموات والارض »

وكذلك قال الحكماء ان فى المعلول توجد آثار العلة . وكذلك صارت الافعال

المحكمة والصنائع المتقنة تدل على حكمة صانعها وتنسب اليه ويكون موصوفاً بها . فلنذكر ما يليق بها من الصفة مثل ما لاق به من الفعل

اعلم أيها الأخ البار الرحيم أن صفات الباري جل جلاله بالتقريب من أفهام المخلوقين المنسوبة من أفعال الجسمانيين روحانية لا من حيث كونها في الروحانيات المخلوقات محدثات مبدعات فاعلات أفعالا تليق بها منسوبة اليها يكون بعضها من بعض مثل العلم والقدرة والاحاطة والحياة وما شاكل ذلك من الصفات ، وان ذلك متعلق بالعقل وما دونه حتى تكون متصلة بالانسان وبالحيوان ، ولكل منها بحسب ما يليق مما جعله الله فيه . ولذلك قال سبحانه : « أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » . ولما كانت هذه الصفات مشتركة فيها جميع الموجودات علمنا أن للباري سبحانه من جهة النزهة عنه صفات تختص به كفعله المخصوص به فطلبناها بالحرص والاجتهاد واستقراء كتب الحكماء وسؤال العلماء ومن عنده علم الكتاب من أهل الذكر كما قال تعالى : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » فوقفنا من ذلك على ما من الله سبحانه به علينا وهدانا اليه .

ونحن نذكر من ذلك ما يليق ذكره بهذا المكان وفيه كفاية لذوي الالباب ومن وفقه الله تعالى للصواب

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الأخ أن صفات الله تعالى التي لا يشركه فيها أحد من خلقه ومعرفته التي لا يعرف بها إلا هو انه مبدع مخترع خالق مكون قادر عليم حي موجود مبدع قديم فاعل .

وانه المعطي من جوده الوجود هذه الصفات وما ينبغي له ويليق فافاض على العقل من ذلك انه مبدىء محدث حي قادر مخترع عالم فاعل موجود ، فالعقل مبديء لما بدا منه ، وفاعل بمعنى مفعول ومحدث بمعنى انه محدث معلول ومعطى الحياة لمن دونه كما أعطى وموجود بوجود أفعاله الصادرة عنه .

وكذلك مايكون من صفات الروحانيين والجسمانيين واشتراكهم فيها وهي صفات جزئية يقال بها عليهم مقالة مجازية وهي مقرونة معهم باضدادهم كاقتران الوجود بالعدم والعلم والجهل والحياة بالموت والقدرة بالعجز والحركة بالسكون والنور بالظلمة .

فكل هذه الموجودات بالصفة فى الموصوفين بهامقارنة لاضدادهالا يوصف بها الباري سبحانه ، بل انه خالق الوجود والعدم فصار مخصوصاً بالخلقة،جاعل الموت والحياة فصار مخصوصاً بالبقاء موجد العلم والجهل فاختص بالعلم.

كذلك مايوجد من أفعال المخلوقين من الروحانيين والجسمانيين والأعمال فبحسب الودائع التى فيهم والآثار المفاضة عليهم باستفادة بعضهم من بعض حتى يكون سبحانه موجدهم كلهم ومعطيهم الحياة ثم لا يكون موصوفاً بصفاتهم فى المعنى ولايستحقونها بالشركة له فيها وهم ذوو درجات ومنازل ولكل واحد منهم صفة تزيد على مادونه بها ويتخصص بفضلها ، وذلك موجود لايخفى على من تأمله كوجود القدرة فى الحيوان كله من الحساس الى الانسان ،فان لكل شخص من أشخاصه قدرة يتميز بها من غيره حتى يكون نهايته منها قدرة الانسان عليها كلها اما بقوة جسمانية واما بجبلة نفسانية ثم العلم المخصوص به الانسان المتميز به عن الحيوان هم فيه مشتركون لاشركة المساواة بل شركة تنزيه وانفصال واستعلاء في الطبقات وترافع فى الدرجات حتى تكون نهايتهم فيه المعرفة لهم به : النبى فى زمانه والحكيم فى وقته المفاض عليه ذلك من القوة المتصلة به من العالم الاعلى المخصوص بالعلم الذي صلح له به أن يكون معلماً لمن دونه .

واعلم أن الانسان المعرف لهم أغنى الناس بما يحتاجون اليه هو خليفة الله سبحانه فيهم وأمينه عليهم ثم الحياة أيضا مشتركة بين الحيوان كله موصوف بالحركة الانتقالية وكل حيوان ذو حركة وحياة وليسوا هم متساويين لأنهم غير موجودين في حالة واحدة ، وهم ذوو أعمار قصار وطوال وبين ذلك حتى يكون المخصوص بالحياة الدائمة من انتقل من صورة الانسانية الى صورة الملائكة ومادون فلك القمر الى مافوق .

ثم كذلك صفة الروحانيين والملائكة وهم أيضاً مشتركون في هذه الصفات متباينون في الدرجات ولكل منهم جزء مقسوم وحد معلوم ، ثم يكون كذلك حتى يكون العقل نهايتهم فيها والسابق لهم اليها والمان عليهم بها ، ثم هو من الخضوع والخشوع والاعتراف بالعجز والتقصير عن الاحاطة بباريه وبلوغ كنه ماعنده والمعرفة ببدايته ونهايته على غاية لايبلغها الا هو ولا ينفرد بها سواه ولا يشركه فيها غيره ، ولذلك صار هو المعطى للنفس الخضوع والخشوع والحيرة في أمر المبدع سبحانه ولم يفض عليها من ذلك الا بما فتح عليه وألقى اليها بحسب ما ألقى اليه وهو الابداع الاول المفاض عليه صورة التمام والكمال . فاذاً أفعال الروحانيين من عالم العقل والنفس انما يعطونها بما أمر الله تعالى وهم بالقرب منه بحيث لايصل اليهم من دونهم . ولذلك صارت الملائكة الذين لهم من القرب منهم ماليس لغيرهم حتى يتصل ذلك بآخرهم وهم الملائكة الساكنون في فلك القمر ولهم من الافعال والاعمال ما يليق بهم مما ألقي اليهم ويفاض عليهم من المواد النفسانية والقياسات العقلية بالودائع التي فيهم من المشيئة الالهية ما يكون لهم به مواد النفس الجزئية والجواهر الجسمانية والقوى الطبيعية والاشخاص الارضية ليكون للحركة الاولى سابقة للمتحركة بها الى تمام المشيئة وبلوغ القضية الحتمية الموجبة الحركة الاولى وهذه الحركة حول قطب الدائرة النارية لوصول الموجودات ، فهي أبداً ينحط منها ما ينبث في حيز الوجود متحركا ليكون شيئاً معلوماً ، ويقول بالتحميد والتمجيد والتسبيح والتقديس والتنزيه : ان الباري جل أسمه لا موصوف بصفات الروحانيين من حيث هم محدثون فاعلون ومنفعلون ، ولا بصفة الجسمانيين المدركين بالحواس وانما صفته من حيث أفهامنا أنه قديم أزلي معلل العلل فاعل غير منفعل موجد مبدع مجوهر يبدي ما يشاء ويفعل ما يريد ، كل يوم في شأن لايشغله شأن عن شأن ، وليس هذا اليوم من أيام العالم وانما هو يوم من أيام الدائرة الالهية المرتبة في أفقها : الدائرة العقلية ، منشيء النشأة الاولى مبدع النشأة الآخرة لااله الا هو رب الآخرة والاولى رافع من وحده

الى جنة المأوى ويحط من جحده الى قعر جهنم السفلى وفعله الخاص ما كان بالأمر عنه .

فهذا هو الفعل الخاص به المنفعل عنه ذوات الخواص المثبتة أسماؤها في السطور المكتوبة في الرق المنشور المدرجة في البيت المعمور الذي لايدخله الا المطهرون ولايسكنه الا المحبورون بسعادات أنوار الطاعة الخاصة من المعاصي البعيدة بالقرب من أهل الطغيان الفاعلة مايرد منها ويصدر عنها الى من دونها صورة بالقوة لتكون مستقرة في اللوح .

ثم يبرز مثالها حتى يحصل فى الدائرة الطبيعية صورة نفسانية متحركة بلا زمان في مكان خارجة بذاتها عن الزمان منفعلة اليها في زمان فهي بذاتها الاول غير داخلة تحت حركة الزمان فسبحان خالق الزمان وموجود المكان ومكون الكيان وله الاسماء الحسنى والامثال العليا قال الله تعالى : « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ماتدعو فله الاسماء الحسنى » .

فهذه الصفات المحيرة لذوي الالباب والعقول فى معرفة الباري منها سبحانه بأنه لايشركه فيها أحد سواه وفعله الذي فعله بذاته وأوجده بكلماته موجودة فى موجوداته مسطورة فى أرضه وسمواته وهي آياته المكتوبة في الآفاق والانفس يتأمل الناظر فيها الواقف عليها الحق المبين ويعاين الصراط المستقيم .

فهذه معرفة صفات الله عز وجل وفعله المخصوص بها بما أوجبه الكلام النطقي والتعبير اللفظي بالآلة الجسمانية والصورة الانسانية والملائكة المقربين تقديساً وتسبيحاً وتمجيداً وتحميداً الا هو غير هذا ، وانما لكل أهل دائرة من العباد مايصلح لها ويليق بها كما أن معرفة الانسان بباريه هى أرفع وأعظم من معرفة الحيوان ، وحس الحيوان بذلك أقوى من حس النبات وللنبات من الحس بذلك أكثر مما للمعادن .

فأما حركة الجواهر المعدنية للعبادة والاقرار بالمبدع سبحانه فهو قبولها للنقش والصورة فهذه عبادتها وطاعتها وخضوعها وخشوعها ، وان منها ما يلتذ

ويشتاق الى الطاعة ومنها ماهو أسرع للقبول وأحسن في الصورة وأجل في القدر وأعظم في ذلك ودون ذلك ومنها ماهو في غفلة من ذلك لا يقبل الصورة ولا يذوب بالنار ولا له اشراق ولا صفاء ولا ينتفع به كالصم الصلاب والصرة والحجارة والأرضين السباخ .

وأما عبادة النبات فهي ما يظهر منه من الحركات وذهابه مع الهواء اذا ذهب يمينا وشمالا فهو راكع وساجد ومسبح ومقدس باصطكاك اوراقه وحركات قضبانه وما يبديه من أنواره وأزهاره وتسليمه ثمرته الى الحيوان ، ومنها ما لا ينتفع به ولا يصلح الا للنار .

وأما عبادة الحيوان فهي خدمته الانسان وذهابه معه حيث ما ذهب وما يكون من صبره على مايعمل به ومنه عاص منكر جاحد لطاعة الانسان عدو له كالسباع وأنواع الوحوش .

وأما عبادة الانسان فهي ما أوجبه الله تعالى عليه وهداه اليه وهو أجل العبادات الارضية وأعظم المعارف الحيوانية ، وله فضيلة النطق وشرف القدرة على ما دونه وكمال الخلقة واستواء القامة بمجرع من العالمين ، فهو كالحد المتاخم للحدين وكالواسطة بين الطرفين — فاحرص أيها الاخ بالعبادة والطاعة حتى تصل الى حيث يكون تسبيحك وتقديسك غاية أنسك وأعظم لذة تجدها نفسك ، فعند ذلك تأنف من الغذاء الجسماني ولا تحرص عليه ولا تشتاق اليه وتصير في روضة الملكوت بحيث تكون حياً لا تموت

فصل

واعلم أيها الأخ أن الانسان الغافل عن العبادة المنهمك في المعصية هو أخس من الحيوان وأخس من النبات وأخس من المعادن مردود الى أسفل السافلين لأن الجواهر المعدنية قبلت الصورة وهو لم يقبلها ، والشجرة ساجدة وراكعة لربها وهو لا يسجد ، والحيوان طائع للانسان وهو لا يطيع ربه ولا عرفه ولا وجده ونعوذ بالله من هذه الغفلة وهذا النسيان ونسأله التوبة والاقالة انه ولى الاحسان

فصل

في معرفة أفعال العقل

اعلم أيها الأخ أن العقل الفعال هو الابداع الاول والخلق الأكمل وأنه فعل الله الذي فعله بذاته وأوجده بكلمته وقدرته الذي قدر فيه وجوده الذي جاد به ويحقق هذا البرهان ان الراد علينا فيما ذكرنا لا يمكنه جحود ما أوردناه ولا خلاف عنده فيما وصفناه والا كان رداً للعيان .

ونعود فنقول ان للعقل فعلا يختص به ولا ينفرد عنه ولا ينفصل منه قريب بحيث هو .

ولما كان العقل لا يعدم جود باريه بل واجد له يجب أن يكون بحيث القرب منه تعالى مرتباً في قبضته واحاطته واتصال أمره به كذلك يجب أن يكون الابداع الثاني المنبعث عنه البادى منه المتوجه بالشوق اليه منه بدأ واليه يعود ، فهو بالقرب منه بحيث التوجه بالشوق اليه والاستفادة منه والاخذ عنه ما يكون له صورة القيام وهى النفس الكلية المرتبة فى قبضته وهو المفيض عليها الفضائل الموجودة فى جوهرها ، ولما تتلقى منه يكون تمامها وسعادتها وبما تلاحظ فى ذاتها العالية عليها المحيطة بها وبتأملها بدقة تأمل الاستقراء والشوق اليها والرغبة فيها يتهيأ لها بذلك انتساج ملاحظته فيها في دائرتها وحصولها فى ذاتها فاذا تأملت بملاحظتها واستمدادها عادت متمثلة لما رأت في دائرتها أشكالا كما يفعل التلميذ اذا امتلأ من تعليم مفيده عاد الى تمثيل ماتعلم بالتشبه والمحاكاة ، كما يوجد ذلك في الصبيان من محاكاة صنائع آبائهم والتشبه بهم في أفعالهم .

وانما جعل ذلك في جبلتهم وغريزة عقولهم ليكون قائداً لهم الى معرفة الصنائع والاعمال لما في ذلك لهم من النفع التام والصلاح العام لعمارة دار الدنيا .

فاذا صارت تلك النقوش والاشكال في دائرة النفس ورتبتها في آفاقها وبنيها في دائرتها ابتدأت بالقائها الى من دونها وتولت اثباتها فيه كثبوتها فيها وكونها

عنها ، فابتدأت القوى الطبيعية التي تحيط بالاجساد الهيولانية فتركب منها نقوش صورية وأصباغ نورانية موجودة في أجسام نورانية ، موجودة في أجسام ظلمانية وأجساد هيولانية لتشرق عليها أنوار نفسانية وتتحد بها قوى روحانية ، وصارت الحكم الملقاة عليها بقوة ملكية وارادة فلكية وبقوة عقلية ومشيئة الهية وظهرت الخلقة الآدمية والصور الانسانية قائمة بالحق ناطقة بالصدق مقرة بتوحيد الخالق سبحانه وتعالى ومقرة بحدوث خلقها واتقان صنعها وكمال بنيتها بوجود باريها ما أوجده فيها وقدمه عليها .

فهي صورة مماثلة لصورة العالم الكبير فلذلك سميت عالماً صغيراً ثم مادونها من صور الحيوانات وعجائب تراكيبها وبدائع تآليفها .

وصورة الانسان لنفسه كتاب مبين وصراط مستقيم في العالم الكبير وهو مافيه انسان واحد للنفس الكلية تدبر أفلاكه وتحرك كواكبه باذن الله تعالى ومشيئته وسابق ارادته كما يحرك نفس الانسان الذي هو عالم صغير جميع مفاصل جسده وأعضاء بدنه .

واعلم أيها الأخ أن لتلك الحركات النفسانية قوى متصلة بفلك القمر وما دونها من الاركان ومولداتها وأفعال تظهر فيها ومنها لا يحصى عددها الا الله سبحانه وتعالى ، كما أن لنفس الانسان في جميع بدنه ومفاصل جسده أفعالا كثيرة كما بينا فى رسالة تركيب الجسد وفي رسالة الانسان عالم صغير

واعلم أن جسم العالم كله مركب من احدى عشرة كرة — كما بينا في رسالة السماء والعالم وأن الفلك مقسوم نصفين وفي الفلك اثنا عشر برجا لمسير كواكبه ، وينحط من كل برج ما يسرى فيه من قوة كل كوكب ما يكون به ظهور فعل يختص به هو فاعل له وقائم بعمله ، كما أن الدائرة الاولى دائرة الفلك المحيط به والمحرك له النفس الكلية وفعله الخاص به تدوير مادونه معه والفعل الصادر عنه كون الدوائر على الاستواء في النظام وهو محيط بها وهي مرتبة في أفقه . وهكذا الى المراكز : بعضها في جوف بعض . وتنبعث من هذه الكواكب

الثابتة تأثيرات وقوى تتصل بما دونها فتودع فيهم الافعال التى تبدو عنهم وتظهر منهم فى الاوقات التى ينبغي فيها اظهار ذلك بمشيئة الله وقدرته

واعلم أيها الأخ أن دائرة الشمس في العالم العلوي دائرة شريفة عظيمة القدر والمنزلة عند الله تعالى وهى بمنزلة القلب فى الجسد والفلك المحيط كالرأس ، وبه يدوم دوام الحكمة ومن الشمس سريان القوة ، وذلك أنه يتصل بها من النفس الكلية قوة تختص بها وهي المعطية قوة الحياة لجميع الاجسام وبها يكون صلاح العالم وتمام وجوده وكمال بقائه . وذلك أنه تنبث منها قوة روحانية يكون بها استواء النظام وقوام الاشياء على أحسن قوام فيتلألأ العالم ويزهر وهي قنديل النور الذي لا يطفى وسراج القدرة الذي لا يخبو ، وهى بمنزلة المثل الأعلى في السموات لانها أشرف الموجودات السماوية والاشخاص الفلكية وقوتها كمثل الحرارة المنبثة من القلب في جميع أعضاء الجسد واختصاص أفعال الحرارة في كل عضو ويظهر فيه عنها، ويتكون فيه منها، ما يكون به نموه وبقاؤه واختلاف ماخرج منه ورجوع ما بدا عنه ، كذلك أفعال الروحانية الطبيعية ترد عوضاً عما باد واندرس من العالم فيعود مثله الى مكانه وهى مستولية على الاجسام الوضعية والاكوان المرتبة وروحانيات النفس المنحطة من الطرف الأعلى مما يلي العقل تختص شرايف روحانيتها وكرام ملائكتها بمواليد الملوك وأصحاب التيجان وأولى العز والرفعة والسلطان

واعلم أيها الاخ أن النفس ذات طرفين تنحط منها قوتان : قوة مما يلي الطبيعة وهى المتحدة بها من الافعال الطبيعية ، وقوة تنحط من الطرف القريب من العقل فتتصل بالصورة الانسانية وتتشكل بالاشكال الفلكية . فعندذلك يشرق العقل عليها ويصرفها بهاتين القوتين وينحط من النفس بواسطتهما من العالم الأعلى، فالطرف الاعلى ينحط من دائرة الشمس فيختص من الحيوان بالانسان ، ومن النبات بما طابت رائحته وزكت ثمرته وحسنت صورته ، ومن المعادن بالذهب ، ومن الجواهر بالياقوت . ولها من الافعال التمام والكمال ومن الصفات الاشراق

والضياء ومكانها من الارض مواضع الملوك والرؤساء وفعلها فيها الطهارة والنقاء والطرف الادنى ينحط بوساطة القمر المرتب في السماء الدنيا الموصوف بالزيادة والنقصان والاخذ والاعطاء والتفريغ والاملاء — ونحن نذكر من أفعاله مايختص به في موضعه ان شاء الله

﴿ فصل ﴾

واعلم أيها الاخ أنه ينحط من دائرة الشمس الى عالم الارض دائرة لموضع ملائكة تسميها الحكماء روحانيات ، ولهم صفات في الاسرار الناموسية والعلوم الشرعية تليق بهم وأفعال تنسب اليهم فهم بها معروفون وبما يظهر عنهم فيها موصوفون ، وأفعالهم ما يظهر من الملوك وما يختص بهم — كما قدمنا ذكره في كل الجهات — وما فيها من النبات والمعادن وجميع الموجودات كل ما قد علا وارتفع قدره وعظم ذكره ، وأفعالها المخصوصة بها وصفاتها المضافة اليها الحياة والحرارة التى تنبث من القلب في الجسد والاعتدال والكمال والتمام والصلاح والحسن والبهاء والنور والضياء والعظمة والجلالة ، فهذه افعال روحانيات الشمس في المعاملات ومقامات الملائكة المنبثين في العالم منها المنحطين من دائرتها لموضع الملوك والسلاطين الذين لبسهم الديباج الاصفر وحليهم الذهب الاحمر وتيجانهم مكللة بالجوهر ودوابهم خيل شقر وبراذين(١) صفر يقدمهم ملك كريم وشخص عظيم بيده راية صفراء مكتوب عليها بالنور : لا إله الا الله الحي القيوم معطى الحياة لكل حى جاعل الشمس والقمر آية للناظرين المتفكرين في خلق السموات والارض وما خلق ذلك الا بالحق سبحان ربك رب العزة عما يصفون «قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الملك انك على كل شيء قدير » .

وهؤلاء الملائكة الموصوفون بهذه الصفات المنسوبون الى هذه الدرجات

(١) البراذين : جمع برذون وهو الاتان الصغير من البغال والحمير ، راجع فقه اللغة للثعالبي

يطلعون بطلوعها ويغربون بغروبها ، وهم الملائكة الموكلون بدائرتها السائرون في فلكها المتصلون بعالم الارض بوساطتها ومنهم تشرق القوة النفسانية وبهم تضيء القوة العقلية فهم اذن أشخاصهم نفسانية وأرواحهم عقلية ومموادهم الهية فهم لايضيق بهم المكان ولا يغيرهم طول الزمان عن أفعالهم والمكان عن كيانهم .

فهذه المنزلة أجل منازل الروحانيين الفاضلين وهم الملائكة المقربون ومن دونهم اللاحقون بهم ، من تحتهم ومن فوقهم ملائكة موصوفون بصفات غير هذه كذلك حتى يكون فوقهم من هو أعلى وأشرف اذ كان هؤلاء روحانيون بذواتهم متصلون بالجسمانية بما يظهر فيهم من أفعالهم والذين فوقهم ملائكة عالون ، وهؤلاء المقربون من العالين وصفات الملائكة العالين تختص بهم من حيث ذواتهم وأفعالهم أنفس ناطقة وروحانياتهم كائنة منها نفسانيون وهم اللاحقون بالكرسي الذي وسع السموات والارض ، ومنهم الحافون من حول العرش ومنهم حملة العرش وكل في مقام كريم ومحل عظيم يسبحون بحمد ربهم

فاذا تأملت يا أخي ماوصفنا وتحقق لك ماذكرنا فقد تهيأ لك أن تصير بالصورة الملكية فتكون قد حزت الفضيلة والانسانية وتبرأت عن الصورة الحيوانية والصفة البهيمية وتصير من سكان السماء بروحك الزكية ونفسك المضيئة وتصير صورتك ذاتية نفسانية وروحك قدسية عقلية ومادتك إلهية وتستحق حينئذ مرافقة الملائكة المقربين والانبياء المرسلين والشهداء الصالحين وتدخل الجنان وتحل في دار الحيوان فيكون طوبى لك وحسن مآب .

واعلم أيها الأخ انه لايتهيأ لك ذلك بالمعرفة دون العمل ،ولا بالقول دون الفعل ، كما أنه لايمكنك أن تكون في الدنيا بمجرد نفسك ولطيف روحك دون جسمك والوسائط التي بين الموجودات وبينك

واعلم أن العمل هو سلم المعراج والمعرفة هي النور يسعى بين يديك فبالسلم ترتقي وبالنور تهتدي وفقك الله وايانا للعلم والعمل برحمته

فصل

دائرة زحل تنبث منها روحانيات تسري في جميع العالم من الافلاك والامهات والمواليد وبها يكون تماسك الصورة فى الهيولى وهي تعطى الاشياء الثقل والرزانة والوقوف والابطاء ، وموضعها من جسد الانسان الطحال ومايبنبث منه في الجسد من المرة السوداء وبذلك تكون أجزاء البدن من العظام والعصب والجلود وجمود الرطوبات ومن أفعاله البرودة واليبوسة ولها من الحيوان مااسود لونه وقبحت صورته ، ومن النبات مثل ذلك ، ومن المعادن الرصاص الاسود والقير وكل مااسود لونه وتنتنت رائحته ، ومن الارض والجبال السود والأودية المظلمة والطرق الوعرة والوحوش الذعرة الكريهة المنظر ، ومن عالم الانسان مايكون بهذه الصفة .

ومن أفعال هذه الروحانيات الموت وسكون الحركة والملائكة المنبثة منه في العالم موصوفون بما يبدو عنهم ويظهر منهم من أفعالهم وأعمالهم ليكون بذلك الفعل عذاب النفوس العالية والأرواح الساهية ، وهى كتب مطموسة وصور معكوسة .

وأفعال روحانيته في العالم البرودة واليبوسة والملائكة النازلون لقبض الارواح وموت الاجساد روحانيات موكلون بساعات الليل وهي اعداد لايحصيها الا الله وهم ركاب على دواب دهم يقدمها ملك بيده راية سوداء مكتوب عليها: لا إله إلا الله مقدر الليل والنهار وجاعل الظلمات والنور ، كذب العادلون بالله وضلوا ضلالا بعيداً : « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله »

ويختص من بقاع الارض بالمواضع الدراسة والاماكن المنقطعة والجبال الشامخة والطرقات الوعرة وهى عمار ماخرب من الارض وبهم يكون تماسك البحار في أماكنها وثبات أوتاد الارض وتماسكها ولولا ذلك لسالت أجزاؤها واختلطت بالماء وساحت في البحار .

فهذه الملائكة الموكلة بها تمسكها باذن الله عز وجل والفلاسفة تسمي هذه الملائكة روحانيات زحل ، والناموس يسميها ملائكة الغضب وجنوداً وأعواناً وهم الموكلون بقبض الارواح وملك الموت منهم

فصل

دائرة المشترى تنحط منها قوى روحانيات تسري في جميع العالم يكون بها اعتدال الطبائع وتأليف القوى المتنافرات وهي سبب المتولدات الكائنات وحفظ النظام على الموجودات وأفعال روحانياتها في العالم الكبير ماينبث من الكبد في جسد الانسان الذي هو عالم صغير الذي به يكون صلاح المزاج واعتدال الاخلاط وجريان الدم في الاعضاء وبه ينمو الجسد ويستوي البدن وتطيب الحياة ويلذ العيش وتأنس الارواح ، وروحانيته مستولية على مواليد الانبياء صلوات الله عليهم وأصحاب النواميس ومواضع الملائكة المنبثة من دائرته النازلين من فلكه الخارجين من بابه مواضع الصلوات وبيوت العبادات .

ومن الحيوانات الصور الحسنة المذبوحة في القرابين المفرقة لحومها في الصدقات والزكوات .

ومن النبات ما كان في غاية الاعتدال ونهاية النفع وله من الطيب الكافور ومن البخور ما كان معتدلا بين البرودة والحرارة والرطوبة واليبوسة ، ومن الثياب البيض والعمائم الكبار والطيالس ويختص بمواليد الحكماء والقضاة ومن يخدم في نواميس الانبياء ومقامات الحكماء ، والملائكة المنبثة منه سكان الفضاء ومدبرو الهواء وهم عدة لا يحصيهم إلا الله عز وجل ، وركاب على خيول بيض وشهب وبلق وثيابهم بيض وخضر يقدمهم ملك كريم وشخص عظيم بيده راية مكتوب عليها : لا إله إلا الله وحده لا شريك له [(جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق مايشاء) (وان من أمة إلا خلا فيها نذير) وهو على كل شيء قدير .

وتختص هذه القوى من المعادن بالأجساد البيض اللينة ، ومن الجواهر

اللؤلؤ والمرجان والبلور والزجاج ، ومن المياه ما كان حلواً لذيذاً يكون فيها الحيوان الحي وغير الحيوان وهو مختص بها وبه يكون منبعها ومع روحانيته يكون معراج الانبياء إلى ما أعد الله لهم من حسن المآب وجزيل الثواب ورضوان خازن الجنان منهم .

﴿ فصل ﴾

دائرة المريخ تنبث منها قوى روحانية تسري في العالم من الافلاك والاركان والمولدات وبها يكون النزوع والنهوض والسرعة في الاعمال والصنائع والترقي في معالى الدرجات وطلب الغايات والوصول الى التمام والبلوغ الى الكمال بالقهر والغلبة والعز والسلطنة.

وتختص أفعال روحانيتها وأعمال ملائكتها من المعادن بالحديد وما يتخذ منه من السلاح وما يصلح لوقود النار في النبات والاشجار ما يكون منه من الحرارة المنضجة لثمارها التى تمتص الرطوبات المائية والمواد الندية وبهذه الحرارة الغريزية يكون جذبها للبرودة الموجودة فيها ، ولولا هذه الحرارة لتلفت أصول النبات وغلبت عليها البرودة فتلفت واضمحلت وما بقيت وعدمت .

وفعلها المختص بالحيوان ما يظهر فيه من الغضب والتعدي والشر ، وكذلك في عالم الانسان ما يكون من الحروب والفتن ومن بقاع الارض مواضع النيران وعمل الحديد ومذابح الحيوان ، ومن جسم الانسان المرة الصفراء وما ينبث منها من الافعال في البدن من اللهيب والحرارة ولولا ذلك لغلبت القوة الباردة اليابسة على الجسد فتلف واضمحل .

وبالحروب والفتن يميز الله الخبيث من الطيب ويكون سعادة لقوم ونحساً للآخرين : (وليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة) وهذه الروحانيات أيضاً ملائكة غلاظ شداد لا يحصى عددهم إلا الله عز وجل يقدمهم ملك راكب فرسا أحمر بيده راية حمراء مكتوب عليها : لا إله إلا الله مقدر الموت والحياة (وله ما في السموات وما في الارض وما سكن في الليل والنهار يامعشر الجن والانس

إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض) الآية . (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) .

وهذه الروحانيات تختص بمواليد السلاطين وأصحاب السيوف وولاة الحروب وأصحاب الشجاعة والاقدام والنجدة والجراءة ، وهى تفعل من ذلك بضد ما تفعل روحانيات زحل إذ فعل روحانيات زحل القرار والهدوء وأعمال الحيلة وابطاء الحركة وطلب الفرصة

فصل

دائرة الزهرة تنبث منها قوى روحانية تسرى فى جميع جسم العالم وأجزائه وبها يكون زينة العالم وحسن نظامه وبهاء أنواره ورونق أزهاره وزخرف الكائنات وحسن الموجودات واعتدال النبات والشوق الى الزينة ومحبة الجمال وطلب الكمال كما ينبث من جرم المعدة شهوة الملاذ إلى جميع مجاري الحواس التى تستلذ المأكولات والمشروبات وروحانياتها تستولى على مواليد النساء والخدم ومن يجرى مجراهم ، وأفعال روحانياتها في العالم العشق والمحبة والتزين بالزينة الحسنة وتختص من المعادن بما يصلح للنساء من الآلات والاكاليل والحلى والخواتم ، ومن الجواهر بالدر ومن النبات بكل ماطاب طعمه ورائحته وحسن منظره من جميع أزهار الاشجار وروائحها وأدهانها وحسن منظرها وطيب ثمرها

ومن الحيوان بمثل ذلك ومواضعها في الارض أمكنة اللذات ومواضع الخلوات ، وروحانياتها ملائكة لايحصى عددهم إلا الله عز وجل ركاب حيوانات ملونة موشحة بالزينة يقدمهم ملك بيده راية مكتوب عليها : لا إله الا الله وحده لاشريك له (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق) . الآية وهى ذات النقش والتصوير وبهذه القوة ثبات النفس فى الهيولى

فصل

دائرة عطارد تنبث منها قوى روحانيات تسرى في جميع جسم العالم وأجزائه وبها تكون المعارف والعلوم والخواطر والالهام والرؤيا والوحي والنبوة ، كما

تنبث من الدماغ القوة الوهمية وما يتبعها من الذهن والتخيل والفكر والروية والتمييز والفراسة والخواطر والالهام والشعور والاحساس، وتستولى روحانياتها وتختص افعال ملائكتها الهابطة من المعادن الطبيعية بالزوابيق والارواح الصاعدة ومن جواهر ما كان ذا لونين مثل الجزع والبادزهر ومن الحيوان الزرافات وبقر الوحش وكل ماخف مشيه وأسرع في ذهابه ، ومن النبات مثل الادوية الفاضلة وتختص من عالم الانسان بمواليد الكتاب والوزراء والعمال وجباة الاموال . ويؤثر في العالم الصنايع والحرف ، ومن الكلام الشعر والخط والنظم وغير ذلك ، وملائكته النازلة من دائرته كرام كاتبون وحفظة حاسبون ذوو مناظر حسنة وصور بهية أرواحهم خفيفة وأشخاصهم لطيفة يقدمهم ملك بيده راية مكتوب عليها : لا إله الا الله وحده لا شريك له : « كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة »

فصل

دائرة القمر تنبث منها قوى روحانية تسري في جميع العالم وأجزائه ، فيها تنفس الموجودات في العالم جميعاً تارة من عالم الافلاك نحو عالم الكون من أول الشهر ، وتارة من عالم الكون نحو عالم الافلاك فى آخر الشهر وهي القوة المتوسطة بين عالم الافلاك ومعدن البقاء والتمام وبين عالم الاركان معدن الكون والفساد والهبوط والاتحاد كما تنبث من جرم الرئة القوة التى بها يكون التنفس تارة باستنشاق الهواء من خارج الجسد لحفظ الحرارة الغريزية على الجسد . وتارة تكون بارساله الى خارج لترويحه . فعند استنشاق الهواء تربو الرئة وتعظم ، وعند ارساله تهزل وتصغر ، كذلك القمر باستمداده مما فوقه تتسع دائرته وتهبط ملائكته بالمواد العلوية والخيرات السماوية فيفعل في العالم الزيادة والنماء والربى ، فعند ذلك تكثر مياه الانهار وتربو وتسمن الاجسام فلا يزال كذلك الى النصف من الشهر ويتكون في هذه المدة بعض المعادن ويتكون بعض الجواهر

وروحانياتها تفعل في المعادن الفضة والاجساد البيض مثل الملح والثلج وله من الجبال البيض ومواضع الثلوج وله من الحيوان ما يتكون من المياه ويكون غذاؤه منها وتستولى روحانياته وتختص أفعاله وجنوده بمراليد أصحاب العمارة مثل الوكلاء والدهاقين وأصحاب الجم ومن يفعل فى المياه .

وقد ذكرنا أيها الاخ ما يكون من أفعال روحانيات منازل القمر التى تسير فيها وتمر عليها وما يهبط منه ومنها الى العالم الارضى والمركز السفلى ومايكون منها ومايجب للعامل اذا أراد أن يعمل ما يعمله من معرفتها في رسالة السحر والعزائم ، وهذه القوة هي المخصوصة بتدبير عالم الكون والفساد ، وفلك القمر هو سماء الدنيا وملائكتها هى الموكلة بعالم الارض وهم عدة لا يحصيهم الا الله تعالى يقدمهم ملك بيده راية بيضاء مكتوب عليها بسواد : لا إله الاالله وحده لا شريك له « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون »

فصل

وهكذا ينبث من جرم كل كوكب من الكواكب الثابتة قوة روحانية تسرى فى جميع جسم العالم من أعلى الفلك الثامن الذي هو الكرسي الواسع الى منتهى مركز الارض وبهذه القوة ومع هذه الملائكة يكون النور الذي تشرق به السموات وتضيء الافلاك ويتصل بالشمس فتكون هى القنديل المضئ والكوكب الدري والنور الزاهر والسراج الأنور المتوقد « من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية » وينبث من نور الشمس في الهواء الاجسام الشفافة المجموع فيها النور والاشراق والضياء والحسن والبهاء ، وبهذه القوة تنحط صور الموجودات فتصير فى دائرة الطبيعة محفوظة فى الهيولى وبها صلاح العالم وقوامه وكونه على ماهوموجود باذن باريه تعالى ، ونهايات سكان السموات وهم الملائكة العالون وهم جنود الله الذين لا يعلمهم الا هو كما قال تعالى : « وما يعلم جنود

ربك الا هو وما هى الا ذكرى للبشر » وقال حكاية عنهم : « وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون » وهم سكان الكرسى الواسع ، وحملة العرش المحيط من فوقهم يمدونهم بالفيوضات الكاملة والنعم الشاملة وهم المرتبون في جوارب العالمين المستمعون لكلامه الفاعلون بأمره ونهيه ، وهم حملة الوحى والتأييد الى من دونهم المبلغون رسالات ربهم الى الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين

﴿ فصل ﴾

واذ قد ذكرنا صفة الدوائر الفلكية والملائكة السماوية والروحانيات الهابطة من الملأ الأعلى من لدن العرش الى منتهى المركز أسفل السافلين وبين ذلك دائرة ودائرة مافيها من السكان وما يظهر من أفعالهم فى الزمان بموجبات أحكام القران . فأول الدوائر التى دون فلك القمر دائرة الاثير وهي دائرة كرية نارية حادثة من تحريك فلك القمر وما يتصل به من أفلاك الكواكب ونيران حرارات دوران الافلاك واصطكاكاتها وتموجها وشعاعاتها وتجتمع كلها تحت فلك القمر وكيفية هذه الدائرة وردية متموجة متحركة مستديرة ينحط منها الى العالم قوى نارية والنار التى فى العالم منها ، ويكون وصولها الى العالم بوصول نور الشمس وهى الحرارة التى تنحل بنور الشمس مما دون فلك القمر ، تقوى فى الصيف وتضعف فى الشتاء لقرب الشمس منها ، اذا قاربت في بروجها من دائرة الارض يكون الصيف ، واذا بعدت في أوجها وعلى دائرة فلكها ضعفت هذه الدائرة ، وبضعفها يقوى فعل الدائرة المرتبة تحتها وهي دائرة الزمهرير ، ومن فعل دائرة الاثير في العالم يكون التسخين والنضج واصلاح الغذاء وهى النار المستضاء بها من ظلمات الليل وهى نار جزئية من النار الكلية

﴿ فصل ﴾

ومن تحتها دائرة الزمهرير وكيفيتها كريه لونها أزرق وتحمر وحدوثها من الهواء والبخارات الصاعدة من الارض، فاذا وصلت الى سطح كرة الاثير تعذر عليها

نفوذها فوقفت مرتبة تحتها، منها ينبث الى العالم ما يحدث في الشتاء من البرد والامطار والثلوج وما شاكل ذلك اذا بعدت الشمس وضعف فعل دائرة الاثير واستولت على الكواكب النارية فى اليبس ، وفعلها البرد والرطوبة ووصول قوتها يكون بوصول القمر ويزيد بزيادته وينقص بنقصانه

فصل

ومن تحت دائرة الهواء وكيفيتها مستديرة ممتزجة ولونها اسما نجوني وهو لون السماء وتبيض باشراق الشمس والقمر والكواكب عليه تضيء بالنهار وتظلم بالليل وهى مهيأة لقبول الانوار وتضيء بحسب قواها فيها ووصولها اليها واشراقها عليها وفعل هذه الدائرة في العالم تغذية الاجسام وحفظها على استواء النظام وترويح الحرارة الغريزية والنفس وحفظ القوة والحركة وطيبة العيش ولذة الحياة وهى معتدلة تميل مع ما يقوى عليها ويتصل بها تبرد في الشتاء بما يتصل بها من قوة الزمهرير ، وتحمى في الصيف بما يتصل بها من قوة حر الاثير وما يكون من فعل الشمس والقمر وبقية الكواكب ذلك تقدير العزيز العليم

فصل

ودون دائرة الهواء دائرة الماء وهي مستديرة حائطة بالارض والهواء حائط بها فا ينشفه الهواء ويصعد به ويعرج معه بالبخارات الصاعدة مع لطائف الأمهات حتى يتصل بدائرة الزمهرير ويسخن بحرارة الأثير وتشرق الشمس عليه مع شعاعات الكواكب فيصير مطراً وغيثاً يغاث به أهل الارض ويصير حلواً طيباً سائغاً لذة للشاربين .

ومنه ما يكون قبل صعوده ملحاً أجاجا كالبحار المالحة والمياه النابعة من السباخ — فانظر أيها الاخ هذه الحكمة وتأمل هذه الصنعة وانظر كيف يكسب الماء بطلوعه الى دائرة الزمهرير وبعده من دائرة الارض ويتصل به وتشرق عليه هذه الطبيعة واللذة والصفاء واللطافة والمنفعة ويصير مادة للاجسام وغذاء

للابدان وحياة للنبات والحيوان ! ولو بقي على الحالة الدنيئة والرتبة الناقصة لكان غير منتفع به .

وكذلك النفس اذا بقيت مع جسمها البالي ومكانها الدنيء لاتنال الفضائل التى بها تكون سعادتها وارتقاؤها في رفيع درجاتها وما تناله من اللذة والطيب في دار المعاد بعد مفارقة الاجساد وعند النقلة عن عالم الكون والفساد

فصل

وبعد دائرة الماء دائرة الارض وهى التراب وكيفيتها مستديرة ولونها أسود كثيفة جامدة ، وعلى بسيطها مستقر الجسمانيين وعلى ظهرها أشراق أنوار الروحانيين ، وفى البقاع الطاهرة فيها مسكن النبيين والصالحين وهى مهبط الوحى والملائكة المقربين وفي باطنها سكون المعادن وفي البقاع الطيبة يستقر الماء المعين الذى هو لذة للشاربين سطحها مما يلى الافلاك هو وجهها وهو مقر العالم الجسماني والخلق الانساني وهو دوائر عليها وخطوط فيها ، ولكل دائرة فعل يختص بها وعمل يظهر منها بحسب مايتصل بها من فوقها والذى دون فلك القمر مأوى الصم البكم الذين لايعقلون في أسفل السافلين .

وإذ قد ذكرنا الدوائر التى هى دون فلك القمر الى منتهى مركز الارض فلنذكر الدوائر التى على سطح الارض الكائنة فيها الصاعدة عنها المستقرة عليها

فصل

اعلم أيها الأخ أنه أول مابدأ في باطن الارض وتحرك بالكون، المعادن وهى دائرة كانت ذات قوة كامنة كثيفة وثقيلة منها صلبة ورخوة ذات ألوان وأصباغ وزيادة ونقصان ، ومنها مايقبل الصورة وينساق للفعل ولكل شكل منها فعل يختص به وقوة توجد فيه — قد ذكرناها في رسالة المعادن — ثم الدائرة التى فوقها التالية لها دائرة النبات ، وهى مرتفعة عن الارض بعد كونها مرتفعة نحو المحيط قابلة لما ينزل عليها ،وفعلها الغذاء للحيوان وهى الواسطة بينه وبين الارض

بما يتناوله من ثمارها وحبوبها وبما ينتفع به منها فيما يصدر اليه عنها وقد ذكرنا مايختص بكل نوع منها فى رسالة النبات

﴿ فصل ﴾

والدائرة التى من فوقها دائرة الحيوان وأفعالها وما يظهر منها وهى حائطة بدائرة النبات قاهرة لما يكون فيها تأكل منها وتتغذى بها ، ولكل جنس منها عمل وهو عامل له وفعل يختص به وفيها للانسان منافع — قد ذكرناها في رسالة الحيوانات — والدائرة المرتبة فوق هذه الدوائر ، التى هى لها كالفلك المحيط بالافلاك ، دائرة عالم الانسان اذ كان المتحكم فيها كلها فاول هذه الدائرة آدم وآخرها صاحب الدور الجديد في القران المستأنف .

وهذه النفوس الحيوانية المرتبة تحت الانسان بالطاعة له والانقياد لامره ونهيه هم الملائكة الذين سجدوا لآدم عليه السلام وأقروا بالطاعة وهم صور وأشباح للملائكة الذين هم سكان السموات وعالم الأفلاك والحيوانات العاصية للانسان المعادية له وهى مثل ابليس وجنوده وحزبه ، والشيطان وأتباعه . فقد بان بما وصفنا وتحقق بما ذكرنا معرفة ما في العالم الصغير والكبير ، وما يكون من فعل الانسان ويبدو منه ويظهر عنه من الافعال المتضادة والاعمال المتباينة وأنه صورة قد قهرت الصور ودائرة قد أحاطت بالدوائر التى دونها وفيها مثالات لما فوقها — وقد ذكرنا طرفا منه فى رسالة : (الانسان الصغير) — ونريد أن نذكر في هذه الرسالة ما يتفرع من كل دائرة من هذه الدوائر المجسمة والخطوط المركبة ونبتدىء بدائرة الانسان ومايوجد فيها من الاقسام المحيط بعضها ببعض حتى يكون آخرها فلك القمر وينتهي الى مركز الارض الذى هو مستقر الكثائف ووجود فعل اللطائف بالتمثيل واقامة الدليل

﴿ فصل ﴾

دائرة الناموس الالهي وأشخاصها القائمون بأمور النواميس وماأنزل اليهم من ربهم ، ومثلها في عالم الانسان مثل الفلك المحيط وكواكبه وما ينحط اليه

من السعادات في الدين والدنيا مثل مايتصل بالعالم كله من فيضان الكواكب الثابتة من الحيوان والسعادات واشراق النور والضياء ، وهذه الدائرة فى عالم الانسان بمنزلة دائرة الشمس فى عالم السموات ، ويقترن بها دائرة الملك والعز والسلطان وهى حاوية لجميع ما دونها من الدوائر في عالم الانسان محيطة بمادونها من العوالم ، وبهم يتصل منها العلم والحكمة والاخبار بما كان ويكون

﴿ فصل ﴾

الدائرة التى تليها دائرة أصحاب الحكم الفلسفية العقلية المرتبة فى أفق الدائرة الاولى وتنبث منها فى العالم الصنايع المحكمة والأفعال المتقنة مما يصلح للرؤساء والملوك ومايليق بهم.

ثم ما دون ذلك دائرة تحت أخرى حتى يكون آخرهم أدنى الصنايع وأخس الاعمال كما قال تعالى : ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات (١) وأحوج بعضهم الى بعض وجعل بعضهم لبعض سخريا .

فقد بان بهذا القول أن عالم الانسان درجات وطبقات ودوائر محيطة بعضها ببعض بادية بعضها عن بعض ، ويختص بكل دائرة منها من قوى الشمس وافعالها مثل مايختص بكل كرة وفلك من فعل النفس الكلية ومايسري فيها من قواها وروحانياتها في العالم وتهيأ قواها وروحانياتها في جهاته وتوكيلها ملائكته بموجوداتهم واقامتهم اياهم فى مواضعهم اللائقة بواحد واحد منهم ، وبمعرفة الانسان بنية جسده وكيفية فعل نفسه فى جسمه تكون معرفته بما فى العالم الكبير باسره وبتوحيد خالقه وتنزيه مبدعه ومعرفة آياته المكتوبة فى أرضه وسمائه وما أبداه واخترعه من مخلوقاته .

ولذلك قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الاخ أن الله عز وجل جعل جسم الانسان مركبا من تسعة جواهر

(١) لعله يقصد ايراد فحوي الاية لانصها

مبنياً على تسع دوائر مركبة بعضها في جوف بعض ليكون جسم الانسان بموجود بنيته وكمال هيئته مشاكلا للافلاك بالكيفية والكمية جميعاً ، لان الافلاك تسع طبقات مركبة بعضها في جوف بعض والفلك المحيط حائط بها كلها ، كما قال الله تعالى : (وكل في فلك يسبحون) . فكذلك جسم الانسان خلق من تسعة جواهر بعضها فوق بعض وآخر ملبد عليها محيط بها : تفصيل ذلك وهى العظام والمخ فيها والعصب والعروق وفيها الدم واللحم والجلد والشعر والظفر .

فالمخ فى جوف العظام وفعله تركيب العظام وحفظ القوة وتليين اليبس ، وفعل العظام مسك اللحم ونباته عليها ، وفعل العصب ضبط المفاصل ورباطاتها كيلا تنفصل ، وفعل اللحم سد خلل ذلك الجسم ووقاية للعظام لئلا تتصدع وتتكسر وفعل العروق جمع الدم فيها وجريانه الى أطراف الجسد وتحريكه بالنبض ، وفعل الدم مسك الحرارة وضبط الحياة واعتدال المزاج والحركة ، وفعل الجلد الاحاطة بجميع الجسم ومافيه وهو كالسور عليه ، وفعل الظفر ضبط الأطراف ومسكها وزمها لئلا تتكسر وتنتشر

﴿ فصل ﴾

ولما كان الفلك معموراً باثنى عشر برجاً كذلك وجد فى بنية الجسد اثنى عشر ثقباً مماثلة لها ، وكما أن في النفس الفلكية فى كل برج من أبراج الفلك قوى موكلة بها ، كذلك لنفس الانسان فى كل حاسة من جسمه قوى موكلة بها تصدر عنها وترجع اليها .

ولما كانت الابراج ستة منها جنوبية وستة شمالية كذلك وجد للانسان ست ثقوب فى الجانب الأيمن وست في الجانب الأيسر مماثلة لها بالكمية والكيفية جميعاً .

ولما كان في الفلك سبعة كواكب سيارة بها تجري أحكام الفلك في الكائنات وبها يكون نظام الموجودات ، كذلك يوجد فى الجسد سبع قوى فعالة منبثة من النفس الانسانية متصلة بالقوة الطبيعية بما يكون به صلاح الجسد ، ولما كانت

هذه الكواكب ذوات نفوس وأجسام وأفعال روحانية تفعل بما يظهر من فعلها في الموجودات من الحيوان والنبات ، كذلك يوجد في جسم الانسان سبع قوى جسمانية تفعل في الجسم ما يكون به بقاؤه ونموه وصلاحه بمواد سبع قوى وهي : الجاذبة ، والماسكة ، والهاضمة ، والدافعة ، والغاذية ، والنامية ، والمصورة : وسبع قوى روحانية مماثلة لقوى روحانيات الكواكب السبعة وهي القوى الحساسة وبها كمال الانسان وتمام أفعاله ، كما أن بالسبعة الكواكب زينة الفلك وقوامه واستواء العالم الأعلى ونظامه ، وهي القوة الباصرة ، والشامة ، والذائقة ، والسامعة ، واللامسة ، والناطقة ، والعاقلة .

والقوى الخمس تشبه الكواكب الخمسة وهاتان القوتان أعني الناطقة والعاقلة مشابهتان للشمس والقمر ، وذلك أن القمر من الشمس يأخذ نوره بجريانه في منازله الثماني والعشرين ، كذلك الناطقة من القوة العاقلة تأخذ معاني الموجودات وحقائق المرئيات فتخبر عنها بثمانية وعشرين حرفاً من حروف المعجم

ولما كان في الفلك عقدتان وهما الرأس والذنب وهما خفيتا الذات ظاهرتا الافعال ، كذلك وجد في جسد الانسان شيئان للمزاج صلاح وفساد : فاذا صلح المزاج استقام أمر الجسد واذا فسد المزاج اضطرب الكل ، وكذلك النفس إذا مالت الى العقل صحت أفعالها وتخلصت من كدر الطبيعة وأشرق العقل عليها واهتدت اليه وأنست به ، واذا مالت الى الطبيعة اضطربت أفعالها وقبحت أعمالها وبعدت عن علتها وغرقت في بحار جهالتها وانكسفت كما يكون انكساف الشمس والقمر بعقدة الذنب وما يحدث في الارض ويكون في ذلك من الامور الصعبة . كذلك المزاج بصلاحه يكون صلاح القوة الناطقة والقوة العاقلة اذا سلمت بنية الجسد وجرت على الامر الطبيعي صفت النفس ، واذا صفت النفس أشرق العقل عليها وأضاء فيها ، والعينان في الجسد مشاكلتان للشمس والقمر إذ هما سراجا الجسد وبهما تدرك النفوس صور الموجودات والالوان المرئيات بعادة اشراق ضوء الشمس والقمر ، وكذلك بقية سائر الحواس وكما أن في دوائر

الفلك وبروجه حدوداً ووجوها ودرجات ، كذلك يوجد في مفاصل الجسد وأعضاء البدن مفاصل وعروق مختلفة الاوصاف ، وكما أنه ينبث من قوى النفس الكلية في الكواكب السبعة والبروج الاثنا عشر روحانيات لها أفعال تختص بكل كوكب وكل برج وأنها تنحط الى العالم مع كل لحظة ودقيقة وساعة وحركة من حركات الزمان ، كذلك لنفس الانسان في جسمه ومفاصله أفعال وأعمال تظهر منها وتبدو عنها مع كل حركة من حركاته ولحظة من لحظاته ونفس من أنفاسه ، وكما أن نفس الانسان متصلة متحدة محركة بحركة الجسم مادام موجوداً بذاته ، قائما بادواته الى وقت مفارقتها اياه وخروجها عنه الى ما سواه ، كذلك النفس الكلية متحدة بالحركة الفلكية باذن باريها وكونها على ذلك الى المدة المقدرة والحكمة المدبرة

﴿ فصل ﴾

في مشاكلة جسم الانسان للدوائر التي دون فلك القمر

رأسه يشبه دائرة الاثير وهي النار من جهة شعاعات بصره وحركة حواسه وحرارة أنفاسه ، ومن فيه الى أصل عنقه مشاكل لدائرة الزمهرير لمرور الماء البارد عليها وجريانه فيها كما ينزل الماء من دائرة الزمهرير الى الارض ، كذلك من فم الانسان يكون وصول الماء الى جوفه ومايظهر فيه من البصاق وما يبدو من كلامه وأصواته وزجرانه ونهراته مثل الرعد والصواعق والثلوج المنحطة من دائرة الزمهرير ومثل ما ينفخ في فمه من الهواء البارد إذا أراد تبريد الحرارة ، وصدره مشاكل لدائرة الهواء وما يتصل من أنفاسه وما يسكن من رئته وما يكون من ترويح الحرارة الغريزية التي في قلبه ، وجوفه مشاكل لدائرة الماء لاستقرار الماء فيه والرطوبات التي لا تفارقه ، والنداوة اللازمة له ، ومن سرته الى قدمه مشاكل لدائرة الارض لاستقراره عليه وكونه ملازماً للارض بسعيه فيها والذهاب والمجيء ، ومن جهة أخرى ، رأسه كالفلك المحيط والقوى فيه كالملائكة الموكلة بالفلك المحيط

وكما ينحط من الروحانيات الى العالم ما يكون به صلاحه فكذلك تنحط من القوة العاقلة من الرأس الى الجسم ما يكون به صلاحها ، ومثل نبات شعر رأسه مثل فلك زحل وما ينبث من روحانياته وما يبدو عنه ويكون منه ثم كذلك الى ما دونه الى أن ينتهي الى فلك القمر موجود كل ذلك في بنية جسد الانسان — وقد ذكرنا هذا الفصل بتمامه فى رسالة (الانسان عالم صغير) وقوى نفسه الخاصة بها اذا اعتدلت وعدلت عن الطبيعة الى جهة العقل كانت كالملائكة وصارت أفعالها مشاكلة لافعالهم فاذا فارقت الجسم صارت اليهم وقدمت عليهم وان عدلت عن العقل الى الطبيعة صارت مثل الشياطين ومن حزب ابليس اللعين وصارت أفعالها تشبه أفعالهم وان فارقت الجسم وهى على ذلك صارت معهم فمستقبل الانسان بالجنة أشبه وهو ذات اليمين ، ومؤخره بالنار أشبه وهو ذات الشمال ، والقفا يشبه عالم الكون والفساد اذ كان ظلمة كله وهو الظهر وما يبدو منه ويكون عنه من خروج الغائط . والوجه عامر بالحواس والانفاس والانوار وهو عامر مأنوس كعمارة الافلاك ونور السموات . كما قال تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ولا صورة أحسن من الانسان المليح الوجه التام الخلقة الكامل البنية اذا اقبل ، ولا شيء أوحش من الانسان اذا أدبر ، وكذلك يوجد الانسان بين حالتين في معيشة دنياه وما يكون به صلاح جسده وقوام نفسه وهما الفقر والغنى ، فالغنى يسمى اقبالا والفقر ادباراً .

فبالغنى النعيم واللذة وبلوغ الغرض والشهوة ، وكذلك أهل الجنة لهم فيها مايشتهون ،مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ، وبالفقر يكون عدم المحبوبات وكثرة الهموم والاحزان والحسرة والندامة على مايفوتهم ممايناله غيرهم من أهل اليسار.

وكذلك أهل النار لاندامة كندامتهم على مايفوتهم من خيرات الجنة وما يناله أهلها .

وعلى هذا المثال اذا اعتبرت بنية الانسان وتأملتها وجدتها جميع الموجودات وفيها مثالات مافيها بأسرها فلذلك يسميها الحكماء عالماً صغيراً إذ كانت مشاكلة بجميع ما فيها لجميع ما في العالم الكبير

فصل

واذ قد وجدنا من وجود هذه الدوائر فى جسم الانسان بما وصفناه من دائرته وثباته من تركيب بنيته ، فلنذكر مايوجد من ذلك فى دائرة الحيوان التى هي تحت دائرة الانسان :

واعلم أيها الأخ أن الحيوان منه ماهو حسن الصورة مليح الأفعال حسن الاعمال ، ثم مادون ذلك حتى ينتهي الى أقبحه فى المنظر وشره في المخبر ، وهو دوائر بعضها جوف بعض ودرجات ومنازل ، والانفس التى فيها تعمل أعمالا مثل ماتعمل الروحانيات فى عالم الافلاك وسكان السموات ، فاحسنت صورته وأطاعت روحه وخدمت الأنفس الانسانية وكان ساجداً لها فهو يجرز أن يلحق بها فى تفضيلها ومنزلته من دائرته كمنزلة الملائكة من عالم الافلاك والسموات الساجدة لربها وكمنزلة الملوك والرؤساء من عالم الانسان ، وماقبحت صورته وعصى على الانفس الانسانية كان مثل ابليس العاصى المعتدي المستكبر على النبى فى زمانه والحكيم فى أوانه مثل فرعون وهامان وقارون وكل من ظلم وتعدى وأخذ ماليس له بحق وارتكب النهى وخالف الامر وأصر ولم يتب .

وكذلك النبات أيضاً يوجد فيه مثل ذلك ، منه ماهو مليح زهره طيب ريحه وثمرته ، باسق فرعه زكى أصله ونفعه ظاهر ، ومنه ماهو بالعكس من ذلك.

وكذلك المعادن أيضاً منها الرفيع فى قدره الحسن فى منظره مثل الذهب والفضة ومادون ذلك حتى ينتهي الى ماينتفع به كمنفعة غيره مما تقدم ذكره .

واذا كان ذلك كذلك فقد صح أن الخلقة باجمعها والفطرة باسرها أفلاك حائطة ودوائر جامعة محيطة بعضها ببعض مربوطة بعضها ببعض . وان العالم كله كجسم حيوان واحد وجميع القوى السارية فيه نفس واحدة ، والله سبحانه

محيط به احاطة ابداع واختراع وخلقة وتكوين أوجده بعد ان لم يكن شيئاً مذكوراً .

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الاخ البار أيدك الله وايانا بروح منه انك اذا تأملت هذه الآيات ونظرت الى افعال هذه الروحانيات وتفكرت فى خلق السموات والارض وما بينهما من الرفع والخفض . ثم نظرت الى هذا الهيكل المبنى بالحكمة وتأملت هذه الكتب المملوءة من العلوم ونظرت الى هذا الصراط الممدود بين الجنة والنار رجوت لك أن توفق للجواز عليه لعلك أن تنتبه من نوم الغفلة وتنجو من ظلمات بحر الهيولى وتنفك من أسر الطبيعة وترقى الى المحل الفاخر والمكان الطاهر بحيث لايلحقك الفساد ولاتحن الي محل الاجساد .

واعلم أيها الاخ ان الانسان مادام في الدنيا فلابدله من اعمال يعملها وأفعال يفعلها . وجميع مايبديه من اعماله ويصنعه من أفعاله فانما يظهر من قوى نفسه الشريفة وروحه اللطيفة فيصنع صنائع عجيبة ويفعل أفعالا وينظم الفاظاً منطقية وخطباً لغوية .

وهذه أيضاً أفعال روحانية تظهر بادوات جسمانية والمبدية لها قوة نفسانية منبعثة عن النفس الكلية . فما كان منها موضوعاً فى موضعه قائماً في حقه فهو مشابه لافعال الملائكة وما كان بالعكس من ذلك مثل فعل الخطايا والشرور وقول الزور والغضب والتعدي والظلم والزنا واللواطة وماشابه هذه فشابه لفعل أبليس والشياطين .

وقد ذكرنا فى الرسالة الجامعة معرفة هذه الرتب والمنازل المحمودة والمذمومة فى مواضعها وأشخاصها مثل الارض والمعادن والنبات والحيوان والانسان فان آخر المعادن مربوط بأول النبات وآخر النبات مربوط بأول الحيوان وآخر الحيوان مربوط بأول البشر (١) وآخر البشر مربوط بأول مرتبة الملائكة وذلك

(١) لعل انصار مذهب دارون يرون في هذا ما يؤيد رأيهم وان كانوا لم يجتمعوا مع اخوان الصفاء في صعيد واحد

اذا صفا (١) وأن هذه الدوائر فيها رتب متباينة مقسومة على طبقات ومنازل وانها تبتديء كالنقطة وتدم حتى تسير حائطة بعضها ببعض. وأن البارى سبحانه وتعالى جعل الموجودات كلها مشاكلة بعضها لبعض ، وجعل قصد العالم كله كقصد الفلك الذى يحويه والدائرة التى تؤويه ، كما قال تعالى : (وكل فى فلك يسبحون)

﴿ فصل ﴾

واعلم أيها الاخ أن البارى سبحانه جعل شكل الفلك كريا لان هذا الشكل أفضل الاشكال الجسيمة من المثلثات والمربعات والمخروطات وغير ذلك ، ولكل شكل من هذه الأشكال ومثل من هذه الامثال أفعال تصدر عنها وأعمال تكمل منها .

فاما ما تختص بالشكل الفلكي والمثل الدوري فهى أعظم الاشكال مساحة وأسرعها حركة وأبعدها من الآفات والأقطار المتساوية في الوسط ويمكنه أن يتحرك مستديراً ومستقيما ولا يمكن أن يوجد ذلك في شيء غيره ، ولهذا اقتضت الحكمة الالهية والعناية الربانية أن جعل شكل العالم مستديراً كريا والأفلاك والكواكب كذلك لما تبين من فضل هذا الشكل على الاشكال كلها ، وكل فلك يظهر فيه من أفعاله فيما دونه بحسب سعة دائرته وضيق ما دونها عن الاحاطة ، فعند ذلك تظهر فيه أفعال المرتب فوقه ، وفي هذا الفعل سر يدل على حكمة المبدع سبحانه ومعرفته اذ هو محيط بما خلق فاعل فيما اخترع لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه .

﴿ فصل ﴾

واعلم أيها الاخ أن فعل الشكل المستدير يظهر فيما دونه أكثر وأظهر من كونه فيما فوقه وما هو أوسع منه ، كما أن فعل المياه الحلوة اذا انصبت الى البحار

(١) وليس السوبرمان أو الانسان الجديد الاهذا الذي اسماه اخوان الصفاء انسانا ملكيا مع الفارق الكبير .

المالحة فانها لاتؤثر فيها لقلتها وكثرة ماء البحار واتساعها ، وكذلك ضوء الشمعة اذا وردت الى بيت فيه سراج فانه لا يتميز الضوء السراجي من الضوء الشمعي لغلبته عليه ، وكذلك ماهو أقوى وأبين من ضوء الشمعة اذا ورد عليها .

وعلى هذا القياس يكون فعل الشيء أبين وأقوى فيما دونه وما هو مرتب تحته ، ولما كان ذلك كذلك صارت النفس غير فاعلة فى العقل فعلا يغطي على فعله ولا يظهر عليه ، وصار العقل يفعل في النفس بالقوة والفعل جميعاً لأنه يعطيها صورة التمام والكمال ففعله اياها بالقوة كونها هيولانية موجودة في أول وجوده وابدائه اياها بالفعل الى حيث تكون ذات الموجودات ، فلذلك صارت أفعاله ظاهرة فيها ودائرته محيطة بدائرتها . وكذلك فعل النفس في الطبيعة بين ظاهر اذا كانت هى المتممة لافعال الطبيعة والمعطية لها الحسن والبهاء فالعقل اذن من فعل الله فهو المحيط به وبما دونه الباهر بنوره أنوار مخلوقاته كلها فهى منحصرة عن ادراكه انحصار الوقوف عن الاحاطة به بحيث أوقفها لا نفاذ لها من أمره ولاخروج عن حكمه ، كما قال جل اسمه : «وهو القاهر فوق عباده» . وهو المرتب لها مراتبها ومعطيها صور البقاء والكمال والتمام سبحانه لا إله إلا هو رب العرش العظيم والكرسى الذي وسع السموات والارض

﴿ فصل ﴾

والفلك المحيط دائرته أوسع الدوائر الفلكية والافلاك مما دونه كلها مستديرة مركبة بعضها في جوف بعض ، والفلك المحيط يدور حول الأرض فى كل أربع وعشرين ساعة دورة واحدة من المشرق الي المغرب فوق الارض ، ومن المغرب الى المشرق تحت الارض مثل الدولاب وفعله ظاهر بين فيما دونه من الافلاك كلها وهو المحرك لها ومعطيها ماهو موجود فيها ونازل عليها وواصل اليها وما يكون منها ويصدر عنها من الاعمال والافعال والنفس الكلية هى الفاعلة فيه مايفعله والمنالة له مايعمله ، وهى المحركة له ودائرتها مربوطة بدائرته حائطة به فهى تدور بالشوق

اليها وطلب القرب منها (١) إذ هي علته والفاعلة فيه بأمر الله عز وجل ما يشاء

﴿ فصل ﴾

واعلم أن كل كوكب من هذه السبعة يدور في فلك صغير مدور يسمى فلك التدوير، وتلك الافلاك أيضاً تدور في أفلاك خارجة عن المراكز وكلها مرتبة في سطح فلك البروج المحيط بسائر الافلاك وهو الدولاب ، ولو لم يكن الفلك والارض كريات مستديرات لما استوى هذا الدوران ولا استمرت حركات كواكبه وجرت أفعاله على ما ذكرنا وبينا بهذا الوصف .

واعلم أيها الاخ أن العالم بأسره من الجزئيات والكليات والفروع والامهات والانواع الكائنات من المعادن والنبات والحيوان والانسان وجميع ما على الارض من البحار والجبال والبراري والأنهار والخراب والعمران كرة واحدة والهواء محيط بها من جميع جهاتها والزمهرير والاثير وحوادث الجو وما حوى فلك القمر حائط بها كلها .

وأن شكل الجبال على بسيط الارض كل واحد قطعة قوس من محيط الدائرة ، وأما الفعل المختص بالجبال مما ينحط عليها وينزل اليها من روحانيات زحل كما قدمنا ذكره من الثقل والرسوب والامساك والاحالة بين مياه البحار وبين بسيط الارض لئلا يظهر عليها الماء فيغرقها ، وأما ارتفاعها في الهواء في وسط الارض وهي كالحيطان والربدات (٢) والشاذرونات لسوق الرياح والسحاب ما بينها الى المواضع المفتقرة اليها لطفاً من الله بخلقه ورأفة بعباده ، وكالاسوار التي تحصن ما دونها من العدو اذا أراد ما وراءها : وذلك أن البحار تريد أن

---

(١) لعل دورانها بالشوق هو ما يعبر عنه حديثنا بالجاذبية التي يزعمون أن أنشتين هو أول من اكتشفها وان كان اخوان الصفا لم تقع لهم على أنشتين ولا على أحد من قارة أنشتين نظرة أو ما يقرب من نظرة

(٢) الربدات : جمع ربدة والربدة مكان وراء البيوت ينتفع به ، والمربد : محبس الابل والغنم وقيل محل الاقامة للخفارة والرباط والحراسة

تغرق وجه الارض لشدة حركات أمواجها وأنها محصورة في أماكنها والجبال حاجزة بينها وبين الانساع على بقاع الارض لطفاً من الله بخلقه وبطول الجبال نحو فلك القمر ودائرة الزمهرير يكون صعود البخارات التي تتراكم الغيوم والسحاب والضباب منها ثم يثقل وتعصرها كرة الاثير بحركاتها فترد هابطة فيكون منها المطر والثلج . فاذا نزل لقيته رؤوس الجبال واستقر فيها فأودعته كهوفها وحفائرها وخللها أيام الشتاء فاذا جاء الصيف وحميت الشمس عصرت تلك المياه في الجبال وطلبت النفوذ منها والبعد عنها فتبرز العيون وتمد الانهار وتسقى القرى والمدن والسوادات والاراضى القحلة من شمس الصيف لتحيي وتنبت العشب للحيوان ويكون ذلك حياة العالم وذلك لطف من الله للجمهور

وأما البحار فالفعل المختص بها والحكمة في كونها مالحة فذلك لتمتزج ملوحتها بالهواء فتدفعه وتمزق الرطوبات وتقطع الأخلاط الغليظة ويتصل ريحها بالعالم فتزيل عنه الوخم لئلا يفسد الهواء فيؤدي الى هلاك حيوان الأرض أجمع ، فاذا جرت اليها الأنهار وتتابعت عليها الامطار لاتلبث فيها لانها لاتزيدها ولكنها تعيدها اذا شربتها ومصتها بخاراً وتنشأ منها غيوم وينشأ منها بخار كبخار القدر والحمامات ويتصاعد الماء منها الى الجو وتنشأ منها غيوم وتتصاعد الى أن تبلغ الى دائرة الزمهرير وتمضى الى الجبال والعمران — كما قلنا — وتنقل هناك وتنحدر من هناك الى بطون الأودية والأنهار والى البحار ثانيا ، كما كان في العام الاول الماضى كدولاب يدور ذلك تقدير العزيز العليم

فهكذا فعل الحيوان والنبات كل يفعل منها بحسب ما جعل فيه مبدعه ويسره له خالقه ، وكلها تكون من هذه الاركان وتتم وتكمل وتتكون وتبقى ماشاء الله تعالى ثم تفسد وتتلاشي وتصير ترابا كما كانت بديا ثم الله ينشيء النشأة الأخرى كما قال تعالى : « كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين » أعاذك الله أيها الأخ من الجهل والعمى .

وأما نحن فقد بذلنا مجهودنا في هداية الضالين وإرشاد التائهين وتنبيه الغافلين وخاطبنا كل قوم وصنف منهم بما هو أصلح أن نخاطبهم به في رسائلنا

ولاسيما في هذه الرسالة التي بينا لهم فيها أفعال الروحانيين ونبهناهم على وجود الطبيعة وظهور أفعالهـا في كثير من رسائلنا بما في بعضها كفاية لمن أنصف ولاسيما بما في رسالة السياسات وبما خاطبنا به المتفلسفين الشاكين ، وبما قد قلنا فيما يظهر من أفعال الكواكب في هذا العالم وماقد بيناه في عدة مذاهبهم الى هؤلاء منهم خصوصاً نقول :

أتراكم أصلحكم الله لم تقرؤ القرآن المنزل على لسان محمد صلى الله عليه وعلى آله أو لم تسمعوا ممن يقرأوه في كل وقت إن لم تكونوا أنتم قرأتموه من تكرار ذكر النفس في المواضع الكثيرة منها قول الله عز وجل : (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) هذا الخطاب الى من يتوجه أيها الجاحدون لوجود النفس جملة المنكرون لأفعالها أترونه مخاطبة لمعدوم غير موجود أو هو خطاب لموجود ؟؟ وقال عز وجل أيضا : (ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها وقال : (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ماعملت) . وقال عز وجل : (إن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربي) وقال تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى) وآيات كثيرة في القرآن في ذكر النفس وخطابها بالتأنيث ليعلم كل عاقل أنهـا هي شيء غير الجسد لأن الجسد مذكر لايخاطب بالتأنيث وكفى بهذا فرقاً وبياناً بين النفس والجسد ، وكيف يزعم هؤلاء القوم أصلحهم الله أن الانسان هو هذا الجسد المحسوس المشاهد الموصوف بالطول والعرض والعمق فقط لاشيء غيره ولاموجود معه سواه ، وقد يعلم كل عاقل إذا فكر وتأمل أمر الجسد أنه جسم مؤلف من اللحم والدم والعروق والعصب والعظام وغير ذلك من الاعضاء المذكورة في كتب التشريح وماشا كلها وأصله نطفة ودم الطمث ثم اللبن والغذاء ، ثم اذا حضره الموت عند مفارقة النفس إياه بلي جسده إذا شاء الله كما وعد جل ثناؤه

فأما النفس فهي جوهر سماوي نورانية حية علامة فعالة حساسة دراكة لا تموت بل تبقى مؤبدة إما ملتذة وإما متألمة فأنفس المؤمنين من أولياء الله وعباده الصالحين يعرج بها بعد الموت الى فسحة الأفلاك في روح وراحة الى يوم القيامة فاذا نشرت أجسادها ردت إليها لتحاسب وتجازى بها بالاحسان إحساناً وبالسيئات غفراناً ، وأما أنفس الكفار والفساق والفجار والأشرار فتبقى في عمائها وجهالتها معذبة متألمة حزينة خائفة الى يوم القيامة ثم ترد الى أجسادها التي أخرجت منها لتحاسب وتجازى بما عملت .

والدليل على صحة ماقلنا وحقيقة ماوصفنا قول الله عزوجل (النار يعرضون عليها غدواً وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) . وقال عز وجل : (ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) وقال تعالى : (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) وقال (ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار) الآية وقال تعالى : (يصلونها يوم الدين وماهم عنها بغائبين) وآيات كثيرة في القرآن في هذا المعنى تدل على بقاء النفس بعد الموت اما منعمة ملتذة واما متألمة معذبة

وفيما ذكرنا كفاية لمن اكتفى ونصح لنفسه واهتم لما بعد الموت وتفكر في أمر المعاد واستعد للرحلة وتزود للسفر وزهد في الدنيا ورغب في الآخرة قبل فناء العمر وتقارب الأجل والفوت

وارجو أن يكون ماقلناه كفاية في التدليل على وجود الروحانيين وأصنافهم في هذه الرسالة وفي رسالة السحر والطلسمات : فقد ذكرنا أن بعض المتقدمين زعموا أن النفوس تنقسم قسمين : أحدهما لايسكن الجثة ولا يتعلق بالأجسام وهو ينقسم قسمين أحدهما خير بالذات وهم الملائكة والآخر شرير بالذات وهم الشياطين . ونفوس أخرى متعلقة بجثة الكواكب لا تفارقها ولا تصبر عنها الا بمقدار وهي متصرفة في العالم صنفين من التصرف أحدهما بطبايع أجسادها على ماهو مسطور في كتب أحكام النجوم والثاني بنفوسها.

ونفوس أخرى متعلقة بالاجساد لا تفارقها ولا تصبر عنها الا بمقدار ما تفارق جثة لفسادها. ومن هذه الطبقة من النفوس نوع يسكن الجثة الانسانية ولا يفارقها الا كمفارقة النفس سائر أشخاص الحيوانات والنباتات ومصيرها الى بحر طوس لتعذب هناك الا أن تطلب الايقاف في الهبوط الى مادة تصلح لسكناها وتتمكن من درك نجاتها — على ماذكرنا بشرح طويل في رسالة علم النجوم والسحر والطلسمات —

وأما الجنس الآخر من الروحانيين المسمين في مواضع كثيرة بالشياطين والجن وسائر أجناس أرواح السوء فالقرآن مملوء بذكرهم أيضاً وكتب النصارى خاصة ومايتلونه في بيعهم يتكرر فيه ذكر الشياطين وأفعالهم مع المسيح وفي الانجيل ذكرهم في عدة مواضع فاقرأ الانجيل أيها الأخ أيدك الله وكتاب رسائل (قولوا من) فانك ترى فيها من هذا الفن سبباً كثيراً لولا خوف الاطالة لذكرنا لك منها فتزيدك معرفة بصحة ماقلنا من وجود الروحانيين وأفعالهم في هذا العالم

وأما في القرآن من ذكر ذلك فكثير أيضاً ويطول ذكره كله ولكن نذكر منه الآن مايحضر ذكره في هذا الوقت لتعلم أيها الاخ أيدك الله بطلان مايقوله هؤلاء القوم في تكذيب القول بوجود الروحانيين وجحودهم لافعالهم الظاهرة فمن ذلك في سورة البقرة : (فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين)

فهذا القول الذي نطق به القرآن يدل على وجود ابليس الذى لانراه بابصارنا ولانرى قبيله وهو يرانا وهو لا تدركه حواسنا مع شهادة القرآن بوجوده .

وقال عز وجل أيضاً فى هذه السورة (فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو) .

فكيف نكذب بمن هذا فعله ؟ وقال فيها : (واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر)

وقال عز ذكره (يأأيها الناس كلوا مما في الارض ولاتتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين) وفيها (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) .

وفي سورة النساء : (ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطاناً مريداً) وفيها : (ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبينا) وفيها (ومايعدهم الشيطان الا غروراً)

وفي سورة الانعام : (واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين)وفيها : (كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران الخ) وفيها (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم وما يفترون)وفيها (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم).

وفي سورة الاعراف(ولقدخلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن مع الساجدين) وفيها : (يابني آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايؤمنون)

فأي ذكر أبين من هذا وأقوى شهادة على وجود الروحانيين وأفعالهم العظيمة القوية .

وفي هذه السورة أيضاً (فوسوس لهم الشيطان ليبدي لهما ماووري عنهما من سوآتهما) وفيها : (يابني آدم لايفتننكم الشيطان) وأي شيء يكون من التحذير أكثر من هذا ؟ وفيها (قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها) وفيها (ولقدذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس) وفيها :(ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) .

وفي سورة الانفال : (واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم

من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني أرى ما لاترون اني اخاف الله والله شديد العقاب) .

وفي سورة يوسف (من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين أخواتي) .

وفي سورة ابراهيم : (وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي انى كفرت بما اشركتمونى من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم) .

وهذا من قول الشيطان عن نفسه ! ! وأما فعله بهم فما يجب أن يفكر فيه ويتأمله كل من يكذب به وبوجوده ويجحد أفعاله .

وفي سورة الحجر (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) وفيها : (الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين)

وفيها قال : « يا أبليس ما منعك أن تسجد إذ أمرتك » . وفي سورة النحل « واذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » وفي سورة بنى اسرائيل « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طيناً قال أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتنى الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاءكم جزاءاً موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم ومايعدهم الشيطان الا غرورا» .
وفيها « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » وفى سورة الكهف : « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا » وفي سورة الحج « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم » وهذا أيضاً من

فعله حتى بالانبياء عليهم السلام فتلافاهم الله بنسخ ما قد فعله الشيطان لهم. وفى سورة الفرقان : « وكان الشيطان للانسان خذولا » . وفي سورة النمل « قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوي أمين » وفي سورة القصص : « هذا من عمل الشيطان انه عدومضل مبين » . وفى سورة سبأ : « ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه» « فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » . وفيها (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين) وفى سورة الصافات (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحوراً ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) وفيها (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) وفى سورة ص (والشياطين كل بناء وغواص) (وآخرين مقرنين في الاصفاد) وفيها : (اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشراً من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى استكبرت أم كنت من العالين ؟؟) وفي سورة حم السجدة (ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين) . وفي سورة الاحقاف : (واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين) وفي سورة والذاريات : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وفي سورة الرحمن : (وخلق الجان من مارج من نار) . وفيها (يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان) . وفي سورة الملك (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعددنا لهم عذاب السعير) وفي سورة (قل أوحى الي أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا

قرآناً عجباً يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا) وفيها : (وإنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا) وفيها : (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) . وفي سورة الناس : (من الجنة والناس) . فهذه الاقاويل كلها على كثرة معانيها وفنون ورودها وعدد جهاتها التي حكيت عنها أراها كلها اشارات الى معدوم وغير موجود فقد ذكرنا منها ما فيه كفاية لمن اكتفى وترك المكابرة .

ثم قد استشهدنا بعدها ببعض من عشرين سورة مما يدل على صحة ما قلناه فيما تقدم بما يكفي ويقنع من كان منصفاً ، والآن قد وجب أن نقطع الكلام في هذا لأ نا قد بلغنا منه غرضنا الذي قضيناه به والحمد لله كثيراً ونسأله أن يوفقنا أيها الأخ للسداد ويهدينا واياك سبيل الرشاد وجميع اخواننا الكرام حيث كانوا في البلاد بمنه وكرمه وهو حسبنا وله الحمد دائماً أبدا كما هو أهله ومستحقه

تمت رسالة في كيفية أحوال الروحانيين ويليها رسالة في كيفية أنواع السياسات وكميتها

الرسالة التاسعة

من العلوم الناموسية والشرعية

في كيفية أنواع السياسات وكميتها

﴿ وهي الرسالة الخمسون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

اعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وايانا بروح منه أنا قد جعلنا في كل رسالة من رسائلنا فصلا جعلناه من لبها وخالصها إذا وفق له من فهمه وعمل به نال السعادة في الدنيا والآخرة ، وقد لخصنا ما قد أوردناه في رسائلنا الاحدى والخمسين ، في رسالة مفردة عن الرسائل سميناها « الجامعة » وهي خارجة من جملة الرسائل ، أوردنا فيها بيان ماأخبرناه في غيرها بأخص ما أمكننا منه فليس تكاد تجتمع رسائلنا كلها عند رجل واحد إلا من سهل الله تعالى له ذلك فعملنا تلك الرسالة لتنوب عن أخواتها ، غير أن الاصوب والاجود عندنا أن لا تقرأ الرسالة الجامعة إلا بعد قراءة رسائلنا الاحدى والخمسين . فانه إذا قرأها بعد قراءة هذه كثر نفعه وانفتح عليه ما انغلق من رسائلنا وإن وجدها وفاتته الرسائل أو بعضها لم يخل من فوائدها .

وأما هذه الرسالة فقد وسمناها بالسياسة والرياسة لتحمل نفسك على موجبها

وتقرأها على من يخصك من إخواننا الكرام — رحمهم الله — وتذاكرهم في أوقات نشاطك ونشاطهم فانك لا تخلو من فوائدها .

ونحن نأمرك أيها الاخ السعيد — بعد وقوفك على هذه الرسالة — أن تتبع ما أمرناك به فانك تنال السعادة العظمى ديناً ودنيا إن شاءالله تعالى ، وانما سميناه الفصل الجامع لانه جمع أصل سعادات المنافع إن شاء الله عز وجل

واعلم أن منفعة الانسان تكون من وجهتين لا ثالث لهما دنوية وأخروية وجسمانية ونفسانية .

وإذا كملت للانسان هاتان السياستان استحق اسم الانسانية وتهيأت نفسه لقبول الصور الملكية والانتقال الى الرتبة السماوية عند مفارقة الجسد بالحال التى تسمى الموت النازل عليه والاضمحلال الواصل اليه .

وانما جمعنا لك فى هذه الرسالة وصف السياستين ليحصل لك بها الكمال في المنزلتين فترقى بها الى منزل السعداء في الدارين ، فعليك بالاحتفاظ والصيانة له .

ونريد أن نصف لك صفة الذين يصلح أن تلقى اليهم وتمن بها عليهم ونختصر فى ذلك بأن نقول من كان صفته صفتك وطريقه طريقك فلا تبخل عليه فانه لا يحل أن تمنع الحكمة أهلها ، بل تلقيها اليه إذ كان فصلا جامعاً للخيرات وقولا تكمل به السعادات وينزل على العامل بعلمه البركات .

واعلم أيها الاخ أنه لما رأيناك متهيئاً لقبول الفوائد العقلية والصنائع العملية واسع النفس الناطقة لقبول الفوائد العقلية والذخائر العلمية الربانية زاهداً في الدنيا قليل الرغبة فيها متهاوناً بما لا يهمك من لذاتها ومحبوباتها منصرفا عنها متنزهاً عن شهواتها مترفعاً عن ملاذها قانعاً باليسير من قوتها صارفا عنايتك بكليتها الى صلاح نفسك الزكية وروحك الطاهرة المضيئة ، تنتقل من بلد الى بلد ومن بقعة الى بقعة طالباً للعلم مشتملا برداء الحلم حسن العبادة كامل الزهد بأخلاق رضية وآداب ملكية ونفس أبية وصورة جميلة وخلقة معتدلة وآلة كاملة وذهن صاف وخاطر مدرك وقلب خاشع وطرف دامع ، وتأملناك تأمل من حقق فيك ظنه وصدقته

عنك فراسته لما استجلاك بنور الله الذي أودعه فيك تنظر به الى مخلوقاته وتحسن به قراءة آياته كما قال الحكيم الصادق ﷺ وعلى آله : (المؤمن ينظر بنور الله) وقال تعالى : (يسعى نورهم بين أيديهم) . ونظرناك بهذا النور الموهوب لنا المجعول أولا في أبينا ابراهيم حتى رأى به ملكوت السموات والارض وكان به من الموقنين وصار وراثة تنتقل في ذريته الذين اتبعوه كما قال : (فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم) .

ولما رأيناك بهذه الرؤية الصادقة بعد اجتهادك وحرصك على الوصول الينا وشدة الطلب لنا وخلاصك من دياجي ظلمات زمان الجور وغلبة الشياطين وكثرة أعوان الظالمين وخمول الحق وانقطاع أهله بأنفسهم عن الجمهور والرعاع وتوعر طرقه وسبله ، فكنت من بين أهل زمانك كقادح زناد في ليلة ظلماء ذات رياح عاصفة وظلمات متراكمة وأهوية باردة يريد الاستضاءة بنوره في طريق فقد أدلته واندرست معالمه وذهبت دلائله ولم يبق منه إلا مسلك وعر داثر العلامات يصعب السلوك فيه والقصد لديه ، إلا على أصحاب اقتفاء الآثار الخفية بمعرفة سبقت عندهم بها وعلامات وصفت لهم وخفيت على الذين يريدون اطفاء نور الله بذهابها وازالتها لئلا ترفع حجة الله من أرضه وتنمحي آثار حكمته .

فلما أورت لك الزناد بنوره ودلك الدليل بظهوره ، حتى وصلت الى بقعة من بقاع الجنة وروضة من رياض الارض التي بها تبدل الارض غير الارض يوم العرض ، فيها : (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة) (تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً) . الآية وهم على شاطيء البحر المحيط من وراء جبل قاف عند مجر خط الاستواء : وهي بقعة يجمع طرفاها مابين شعاع الشمس عند طلوعها وغروبها يرى منها المنازل الثماني والعشرين المهيأة لمسير القمر وهي بقعة عالية على متن جبل الاعراف ، فلما تخلصت من أسفل السافلين حتى وصلت الى أعلى عليين بوحدتك وانقطاعك وغربتك عن أهلك وأوطانك وأحبائك وجيرانك وأصدقائك وأخلائك وذهاب نعيم جسمك وفقد مالك وولدك وصبرك على الفتن والبلوى وركوبك مطية الصبر وسلوكك

فى طريق وعر وارتقائك على جبال يصعب على غيرك طلوعها وهبوطك فى أودية لا يسهل على غيرك الهبوط فيها ، فكنت ما بين جبل ترتقيه ووحش مهلك تتقيه ومهمه دائر شاسع تخشى أن تضل فيه ، فلم تزل بين شدائد متكاثفة وأهوال مترادفة كصاحب سفينة فى بحر مظلم فى ليل مغيم قد غاب قمره واستترت أنجمه وعصفت به الرياح من كل جانب وارتفعت حوله الامواج من كل مكان وهو صابر على ماحل به يدعو الى ربه الوسيلة الى الخلاص والنجاة مما هو فيه ، فهو بسكانه يدير سفينته ويتجنب بها موارد الهلكة بمعرفته وبما ألهمه الله سبحانه من العلم والعمل بما يكون به نجاته ، فلم تزل تلك حاله حتى وصل الى مكان بغيته ومقر طمأنينته .

فلما وصلت أيها الأخ السعيد الينا واطلعت علينا وامتحناك بحيث نراك كما يمتحن مثلك ممن يصل الينا ويرد علينا فرأيناك صابراً نعم العبد لله عز وجل .

ولما رأيناك بهذه الصفة وعرفناك بهذه المعرفة لم يحل لنا ولا وسعنا في ديننا أن نكتمك النصيحة ولا نؤدي اليك الامانة لئلا ترانا بعين الخيانة وليصح عندك قول نبيك الصادق الفاضل السيد الكامل (سافروا تغنموا) فتعود راجعاً بعد طول سفرك بلا غنيمة تغتنمها ولا حاجة تبلغها ، فرأيناك وكان بالله توفيقنا بما رأيناه بالهام منه لنا ووحي الينا فى رؤيا صادقة أرانا ها عنه أن نجعلك داعياً الينا ودالا علينا ومبشراً بظهور أمرنا وانكشاف سرنا من رأيته من اخواننا وأهل ملتنا اذ كانوا لا يقدرون على ماقدرت عليه ولا يصلون الى ماوصلت اليه لتعذر الامور عليهم وصعوبة الزمان لديهم والاسباب المانعة والحوادث القاطعة وقد اخترناك لمقامك موضعاً تسكن فيه وتأوى اليه لا تصل فيه اليك أيدى الظالمين .

﴿ فصل ﴾

فاذا أنت وقفت على مانلقيه اليك فى هذا الفصل فاعتمد عليه واسكن اليه

فاذا صرت الى حيث كنت قبل وصولك الى حيث وصلت ، فابن لك داراً من القناعة وشيد بنيانها وارفع حيطانها واجعل بابها من الزهادة واجعل حاجبك عليها الفقر واجعل وطاءك وغطاءك ترك القنية الا ماتسد به الجوع وتستر به العورة .

واعلم أن هذه الدار اذا سكنتها أمنت من قطاع الطريق واللصوص ومصادرة السلطان وحسد الاخوان ، وقل جارك وبعد على الناس مزارك ، فاذا بنيت هذه الدار على هذه الاركان فليكن مقامك فيها على وجل وخوف من التواني عن شيء من اقامة السياسة النفسانية وأن تتغافل عن عمل الاعمال الناموسية وليكن مقعدك من هذه الدار في صدرها بعد احكامك جميع أمرها

﴿ فصل ﴾

في السياسة الجسمانية

فاما تدبيرك لجسمك فاذا اخترت العافية التي لا يصل الى جسمك معها الأذى من الغذاء فليكن غذاؤك من الموجود غير الممتنع عليك صنفين ثالثهما الماء اما ماينزل من السماء أو ماينبع من الارض — ماتيسر لك ، فانك مادمت على ذلك من قلة الأكل وترك الشبع وتعمد الجوع في الاوقات التي يصلح فيها استعماله كانت طبائعك على حالها لا يزيد فيها مايحتاج أن تنقص ، ولا ينقص منها ماتحتاج أن تزيده .

فان كانت العوارض النازلة بالجسم ليست من قبل الغذاء ولا من جهة التغافل عن اصلاحها ، نظرتها ان كانت من جهة اختلاف الاهوية المتصل بالجسم منها الأذى عدلتها بما يصلح لها مما علمته من السياسة الطبية ، وان كان ذلك بموجبات أحكام النجوم وماقدر فيها اطمأنت نفسك وحسن الصبر بك ولم تتهم نفسك أن الأذى دخل على جسمك من جهة تفريط في الغذاء ولا اكثار من الأكل والشرب .

واعلم أيها الأخ البار الرحيم انك اذا لم تحمل على جسمك من المآكل والمشارب والباءة والحركة الا معتدلا لازمتك العافية وعدمت الاسقام ، ومع ذلك فاعلم أن الاسقام والآلام لا تدخل على الاجسام الا بموجب حركة نجومية ومقادير سماوية ، وكذلك زوالها ، وانما صار ذلك مقدراً على الاجسام من أجل أنها ليست هي الذات الباقية ولكنها ذات فانية . فلذلك وصل اليها التغيير والاضمحلال والتقلب والزوال . واكثر الناس اذا نزلت الآلام والاسقام اتهموا فيها نفوسهم من كثرة ما يستعملون من المآكل والمشارب فيكثر غمهم وتدوم حسرتهم حتى أنهم اتخذوا أنفسهم أعداء لهم يرجعون عليها باللوم والتأسف على مافرط منهم فيكون ذلك أدوم لحسرتهم وأطول لغمتها

واذا أنت تيقنت ذلك سكنت نفسك وطاب لها الصبر على الاسقام النازلة والاعلال الواصلة الى الجسم ، واجعل اكثر شوقك الى الخلاص من هذه الدار ومفارقة هذا السجن لأنك اذا خرجت منه قدمت على ربك

واعلم أيها الأخ أنك لا تقدم على ربك ولا تصل اليه وصولا يجازيك به مجازاة من يستحق الثواب وأنت على هذه الحال

فاذا تحقق عندك ذلك هان الموت عليك فتمنيته وطابت نفسك ، فاذاحدثت تلك العلل والعوارض المحللة لتركيب الجسد بموجب الأحكام المقدرة ولم تر لنفسك في ذلك أمراً وصل ذلك اليك من جهته فليس بموصلة اليك الا الحكم المراد به صلاحك وخلاصك ونجاتك فتفرح بذلك ولا تحزن كما يحزن الممتحنون في أنفسهم بأجسامهم وفي أجسامهم بأنفسهم اذا نزلت بهم الأعلال والأمراض فيكثر خوفهم ويدوم حزنهم فزعا من الموت وهم يعلمون أنه لا بد ملاقيهم ، فحسرتهم لاتنقضي وغمهم لايفنى !! قد اشتغلوا بصلاح أجسامهم وأمر دنياهم عن صلاح أنفسهم وآخرتهم فهم مستعجلون لنعيمازائلا وسقما اليهم واصلا ، فهم لايخفف عنهم من عذابها ولايقضى عليهم فيموتوا موت اليأس منها والانقطاع عنها .

فاذا علمت ذلك وتدبرته وفهمته جعلته أمامك في سياسة جسمك وتدبير

جسدك ، فهذه سياسة يختص بها جسمك الكثيف الذي ليس له مقر إلا في الدنيا ولامكان الا فى الارض ولاصفة الا الطول والعرض والعمق ومايحويه وما يحيط به.

واعلم أنه محمول لاحامل — كما ظن كثير ممن لاعلم عندهم ولامعرفة معهم، أن الجسم حامل النفس وأنها زبدته وصفوة طبائعه وأنها تقوى بقوة الغذاء وتضعف بضعفه ، وليس الامر على ماظنوا ولا القضية كما توهموا وانما النفس حاملة للجسم وأعراضه وهى الذاهبة به في الجهات التى يجب لها ، وهي معه تدبره في مجيئه وذهابه وبها يستقر على مايجانسه ويشاكله من الكثائف ، اما فى جهة من الجهات الارضية من هبوط الى أسفل بحيث يكون له ثبات القدمين فى الهبوط واما طلوع الى فوق بحيث يمكنه مثل ذلك . واما استواء طيران فى الهواء وطلوع الى السماء فانها لايمكنها بهذه الطينة الكثيفة ترقيها الى هناك ، بل يمكنها الصعود بمجردها اذا تخلصت منه وانفصلت عنه

وذلك أن السفينة في البحر المحكمة الآلة المتقنة الأداة تمر فيه بمن يرب أمرها ويصلح حالها ومع ذلك فانها لاتسير الا بهبوب الرياح القائدة لها الى الجهة التى يختار صاحبها ، واذا سكنت الريح وقفت السفينة عن ذلك الجريان ، كذلك جسد الانسان اذا فارقته النفس لاتتهيأ له تلك الحركة التى كان يتحرك بها مع النفس ولم يعدم من آلته شيئا ولا ذهب منه عضو من الأعضاء إلا ذهاب الروح منه فقط ! والبرهان أن الريح ليست من جوهر السفينة ولا السفينة حاملة بل الريح محرك لها .

فاذا صح أن الريح محركة للسفينة وليس من جوهر السفينة ولا تقدر السفينة ومن فيها على استرجاع الريح بعد ذهابها بحيلة يعملونها أو صنعة يصنعونها ، كذلك ليست من الروح من جوهر الجسم ولا الجسم حامل للروح ولا يقدر أحد من العالم على استرجاع النفس إذا فارقت الجسم .

فياليت شعرى كيف يفسد هذا البرهان إلا بمكابرة العيان ! فاذا تحققت ذلك وعلمت أن جسمك انما هو سفينة معدة لهبوب الرياح ونزولها عليها علمت أن هلاك السفينة — اذا هلكت — يكون من حالين : إما بفساد من جهة جرمها

وانحلال تركيبها فيدخل الماء ويكون ذلك سبب غرقها وهلاكها وهلاك من فيها ان غفلوا عنها ولم يتداركوها بالاصلاح والتفقد لها كهلاك الجسم من غلبة احدى الطبائع متى تهاون صاحبه وغفل عنه ، كذلك النفس لا تبقى مع الجسد اذا فسد مزاجه وتعطل نظامه وضعفت آلته كما لا يتهيأ للريح أن تعود للسفينة كما كانت تسوقها قبل غرقها ، والريح موجودة في هبوبها غير معدومة من الموضع الذي كانت السفينة فيه قبل هلاكها ، كذلك النفس باقية في معادها كبقاء الريح في أفقها بعد تلف الجسم وانما يكون الغرق للمركب بفساد آلته وهلاك الجسم بفساد مزاجه وغلبة طبائعه .

وأما القسم الثاني فهو أن يكون المركب هلاكه بقوة الريح العاصف الهابة الوارد منها على السفينة ماليس في وسع آلتها حمله ولا القدرة عليه فتضعف الآلة وتنكسر الاداة ، فان كان من فيها من أهلها عارفين موجب ذلك الامر من نزول ذلك العاصف وأنه بموجب المقدار اطمأنت نفوسهم وسلموا الى ربهم ووعظ بعضهم بعضاً وصبروا على ما نالهم ، فان زاد بهم الامر حتى يبطح السفينة ما يكسرها ويكون منهم ما قضى ، كانوا مطمئنى النفوس ولا يتهمونها ، انما أصابهم ذلك لتفريط وقع منهم ، كذلك الاحوال العارضة للجسم من جهة الاحكام الفلكية والحركات النفسانية المنبعثة أولا من النفس الكلية التى تذهب بالاجسام وتهدمها لا دواء للمعالج والطبيب ولا للمريض أيضاً :

فأما الصبر عليها وقلة الجزع منها الى أن تزول أويكون بها الانتقال الى دار المعاد . فأحق ماصبر عليه وأولى ما استجيب له .

وبهذا الاعتقاد صح أن النفس هى جوهر غير الجسم وأنها هى الحاملة له المبتلاة به ، فاذا تصورت ذلك وصح عندك وتم لك العمل بهذه السياسة فقد استراحت نفسك من الهم والغم من أجله وبسببه .

فصل

في السياسة النفسانية

فيكون أخلاقك رضية وعاداتك جميلة وأفعالك مستقيمة تؤدى الامانة إلى

أهلها كائناً من كان من ولى وعدو ، وتأخذ نفسك بحفظها وترعى حق من استرعاك حقها وتحسن مجاورة جارك وتصفى مودة صديقك وتخلص المحبة لمحبك ، مع قلة الطمع وازالة الفزع فى مستعجل زائل وحادث نازل ، وتريد للغير ماتريد لنفسك . فقد جاء في كلام بعض الناس : (ان المؤمن لايكون مؤمناً حقاً حتى يرضى لأخيه مايرضى لنفسه (١) وليس هذا من جيد الكلام ! ! وانما قال الحكيم الفاضل (ع م) ان المؤمن لا يكون مؤمناً حتى يرضى لغيره ما يرضى لنفسه(٢) وهذا من شريف الكلام .

وسبيلك أن تعود نفسك عمل الخير لأنه خير ، لا تريد بفعلك عوضا ، ولا يحملك على فعله خوف . فتى فعلت لطلب المكافأة لم يكن خيراً وان لم تطلب المكافأة ، وانما أردت الذكر والاسم ، كنت أيضا منافقا ولم يكن خيراً والمنافق لايستأهل أن يكون في جوار الروحانيين

وأما سياسة الأهل من الاخوة والزوجة والاولاد والعبيد ومن يجري منك مجراها في النسبة الجسمانية فيجب عليك أن تسوسهم سياسة لا اختلاف فيها وتجريهم على عادة لاتعدل عنها إلا بموانع مانعة وأسباب قاطعة لئلاترجع باللوم على نفسك اذا جنوا عليك وتغيروا عما كنت تعهده منهم وتعرفه فيهم بحسب تغير سياستك واختلاف عادتك فتنسب التفريط الى نفسك فيكثر غمك ويبدو همك . فاذا سستهم سياسة ألفتهم اياها ورتبتهم عليها استراحت نفسك مع أن الأحب الينا والآثر عندنا الانفراد والوحدة ، ولكن لايكاد يتهيأ ذلك لجميع اخواننا ولانأمرهم به أيضا لئلا ينقطع الحرث والنسل

(١) مازعمه كلاما لبعض الناس هوحديث صحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم ونصه : « اتق المحارم تكن اعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس واحسن الى جارك تكن مسلما وحب للناس ماتحب لنفسك تكن مؤمنا »

(٢) وهذا أيضا حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم لكن صحة الرواية « لايؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه » وفي رواية للناس بدل أخيه وزيد في رواية أخرى (ويكره لهم مايكره لها)

واذا فعلت ذلك أحكمت سياسة الاهل وخصوصا النساء فأ كثر تفقد أحوالهن في كل وقت فانهن سريعات التلون كثيرات التغير يتغيرن مع الساعات ويضطربن على الاوقات : فيكون ضحك اليهن كثيراً ومن غير شعار منهن أن تكون مراعيا أحوالهن ، ولا يغررك منهن صلاح تعرفه فيهن فقد أنبأناك أن تلونهن كثير ، وان استفسادهن سهل يسير الا من عصمها الله تعالى منهن ، وقليل ماهم .

وأما أولادك وغلمانك وحواشيك فاياك أن تظهر لهم فاقة بعد أن تقوم بواجبك المفروض عليك ، فانه متى ظهر لهم منك اختلال أو حاجة نقصت منزلتك وقصر موضعك ، فلم يقم لك وزن ولاقامت لك هيبة ولاحاجة بك الى أن تكشف فاقتك الى من لا يزيد شكواك الاذلا ومهانة بل ضع عذرك عند كل واحد منهم على وجه لاتنسب معه الى فاقة ، وقف فهو أعود وأصلح

فصل

سياسة الاصحاب

اعلم أيها الأخ أن سياسة الاصحاب لاتكون الا بعد المعرفة بهم والاطلاع عليهم ومعرفة أحوالهم : أن لايخفى عليك من أمرهم صغيرة ولا كبيرة لتسوس كل واحد منهم السياسة التى تليق به دنيا ودينا

واعلم أنك متى كنت جاهلا بمعرفتهم لم تتم لك سياستهم ولم تبلغ رضاهم ولا يكونوا لك أصحاباً ، أو ما علمت أن صاحب الناموس لا يصاحب الا من عرفهم وخبرهم فاطلع عليهم اطلاع الاحاطة بهم ؟ واحرص أن تباعد بين معرفتهم بك وبينهم لئلا يطلعوا عليك كما اطلعت عليهم فيأتوك من حيث أمنت لأنه ليس كل من صاحبك يحق لك أن تثق به ولا تطمئن اليه لأن كثيراً ممن يصحب الانبياء انما تكون صحبتهم لهم لوقوع الحيلة بهم ومرادهم منهم الاطلاع على أسرارهم ليكشفوها ويظهروها لمن لا يعرفها وهم المنافقون .

فيجب أن تظهر لهم القرب بالبعد ، واللين بالغلظة ، والأنس بالوحشة ،

والكرم بالشح ، والانبساط بالانقباض ، والرحمة بالسخط ، والوعد على الجميل والوعيد على الذنب ، وقبول التوبة باللين ، والموعظة بالقاء العلم اليهم بمقدار ما يحتملونه وبحسب ما يستوجبونه . ولا يكون اعتقاد أهلك وذريتك وأزواجك وبنيك مخالفاً لما يظهر من اعتقادك لاصحابك واخوانك . فمتى لم يكن كذلك فلا أهل لك ولا أصحاب ولا دين ولا دنيا ولا علم ولا عمل ! !
وكيف يجوز للعاقل العالم أن يكون له أهل يتدينون بدين ويذهبون الى مذهب هو يأمر أصحابه بخلافه ، بل الواجب عليه أن يكون أهله وأصحابه بمنزلة واحدة عنده في التعليم ولا يخص أصحاب النسب الجسداني بما لا يبديه لاهل النسب الروحاني ، بل يجمعهم معاً في طريق واحد ويلقنهم التعاليم والمعارف والعبادات والفرائض : فيأخذ كل واحد منهم بحسب قوته واستطاعته ، فان عدل واحد من أهله وأقاربه الى الضد مما هو عليه وخالفه بعد تبرئه منه وأخرجه من جملته كما فعل رسول الله ﷺ بعمه أبي لهب وقال : « يا بني هاشم لا يأتيني الناس يوم القيامة بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم ، فاني لا أغني عنكم من الله شيئاً الا بعمل صالح » وكما قال تعالى حكاية عن ابراهيم خليله ﷺ : (وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) وقال الله تعالى : (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) الآية ، ويكون يراعي أهل الذكاء والفطنة ومن يقصد الاغراض التي يريدها بكلامه ويومئ بها في اشارته ومخبآت جواهره في تقاطيع أمثاله ونوادره ، فاذا عرفهم ميزهم بنظره وألقى القول اليهم في الاعتماد عليهم في تهذيب من دونهم حتى يوصلوهم الى مثل ما وصلوا اليه .

فاذا أحكمت هذه السياسة في الاصحاب والاهل ، الاقرب فالأقرب ، والابعد فالابعد ، فاحكم أمر العبادة والقرابين المقربة الى الله سبحانه والاعمال المزدلفة لديه .

فصل

في القرابين

فنذكر الآن العبادة والقرابين وهي نوعان لا ثالث لهما ، قربانان مقبولان صادقان ودعاءان مستجابان ، وهاهنا قربان غير مقبول ودعاء غير مستجاب وهو ما أخبر الله عنه أن ولدي آدم قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ودعاء الكافر الذي هو في تباب لا يقبل .

فأما العبادتان فاحداهما الشرعية الناموسية باتباع صاحب الناموس والانقياد الى أوامره ونواهيه والمسارعة الى ماجاء به وقضاه وحكم به على من استجاب اليه وتقرب الى الله سبحانه وتعالى بما ذكر أنه رضيه من القرابين والعبادات والطهارات والصلوات والصوم والزكاة والحج والجهاد والسعي الى البيوت العامرة والبقاع الطاهرة ، والاقرار بكتب الله ورسله وملائكته ووحيه وما شاكل ذلك في موجبات أحكام الشرائع واقامة النواميس والامتثال للاوامر والنواهي والنظر الى أفعال النبي ﷺ والاقتداء بأفعاله والتشبه به في جميع أفعاله ، كما قال الله : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) . والتضرع الى الله سبحانه بالدعاء والابتهال في وقت الاجتماعات في الاعياد والجمعات وعند ظهور الآيات ، فهذا هو الدعاء المستجاب والقربان المتقبل .

وأما العبادة الثانية فهي العبادة الفلسفية الالهية وهي الاقرار بتوحيد الله عز وجل — وقد تقدم ذكرها في صدر الرسالة الجامعة في شرح رسالة الارثماطيقي تقف عليه ان شاء الله .

وأما الدعاء والقربان المقبول المستجاب فاعلم يا أخي أنك متى كنت مقصراً في العبادة الشرعية فلا يجب لك أن تتعرض لشيء من العبادة الفلسفية والا هلكت وأهلكت وضللت وأضللت : وذلك أن العمل بالشريعة الناموسية والقيام بواجب العبادة فيها ولزوم الطاعة لصاحبها عليه السلام ، والعمل بالعبادة الفلسفية الالهية ايمان ولا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون مسلماً والاسلام سابق على الايمان كما قال الله تعالى على لسان رسوله ﷺ مخاطباً الاعراب المنافقين من أهل الشريعة

الذين كانوا يظهرون الايمان ويكتمون النفاق : «قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولـكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم» وانما تخصص أصحاب الرسول عليه السلام بعده بالصبر الذي رأوه كان يستعمله في العبادة والطاعة لربه فرضاً على نفسه وتعليما لاصحابه فقام بالامرين وكمل المنزلتين وحاز الفضيلتين ، لانه كان عليه السلام مسلماً مؤمناً عارفا بالدعاء في وقت الاجابة ، ولذلك كان لا يرد له دعاء وكان اماماً للمسلمين والمؤمنين عارفا بالفلسفة الالهية .

ولما تمت الفضيلة لواحد من أهله وأصحابه قال مفتخراً «أنا أرسطاطاليس هذه الامة» .

واعلم يا أخي ان اقتران العبادة الشرعية بالعبادة الفلسفية صعب جداً لانها موت الجسد في أقرب الاوقات وحصر النفس عن الامور المحبوبة بأسرها . وترك الرخصة في كل شيء منها والوصول الى ادراك حقائق الموجودات بأسرها

ونريد أن نشرح لك طرفا منها فتحصل لك رتبة من الدرجة الأولى وهو شبه المدخل والمقدمة لك لعلك تقوم بشيء منها فيحصل لك رتبة من الدرجة من حد العبادة والدعاء فى الاوقات المستجاب فيها من يدعو بذلك

﴿ فصل ﴾

واعلم أيها الاخ أن أفضل الدعاء فى السنة الشرعية والديانة الاسلامية في ليلة القدر وبعدها عيد الفطر وعيد الاضحية يوم النحر وعند البيت الحرام وبين الركن والمقام وعند معاينة هلال الفطر وعند بذل الزكاة لمستحقها ودعاء من يأخذها في وقت أخذها وطلبه اياها فان هذا دعاء مستجاب وقربان متقبل .

وأما العبادة الفلسفية الالهية فان أول درجة منها وهى التى كانت الفلاسفة القدماء والاجلة العلماء يأخذون بها أولادهم وتلامذتهم بعد تعليمهم أحكام السياسات الجسمانية والنفسانية والعبادات الناموسية الشرعية أن يكون لهم في كل شهر من شهور السنة اليونانية ـ على عدد التاريخ المعروف الى حيث ينتهى من أراد الاقتداء بتلك السنة — ثلاثة أيام في كل شهر يوم في أوله ويوم في وسطه ويوم في آخره .

فأما اليوم الاول من الشهر فيجب له أن يتطهر أنظف طهور ويتبخر باطيب مايقدر عليه من البخور ولايفرط في طهارته وصلواته المفروضة عليه في شريعة الناموس ، فاذا انقلب من محراب صلاة عشاء الآخرة جلس يسبح الله ويقدسه ويهلله ويكبره الى أن يمضي من الليل الثلث الاول ثم يقوم ويجدد الوضوء ويسبغ الطهارة ليكون طهور على طهور ونور على نور ،ويبرز من بيته الى أن يحصل تحت السماء بحذاء الجدي وهو النجم الذي يهتدى به قال الله تعالى «وعلامات وبالنجم هم يهتدون » فيتأمل الكتاب المبين ويتدبر آياته ويرى الملكوت دائما وهو يسبح الله ويقدسه ولا يدع التكبير والتهليل ليكون من الذين قال الله تعالى فيهم (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض) الآية ولايزال كذلك حتى يذهب من الليل الثلثان فيكون الثلث الاول قياماً بعبادة الناموس ، والثلث الثاني قياماً في التفكر في الملكوت

فاذا زال أوان الثلث الاوسط هبط الى الارض ساجداً بتذلل وخضوع لباريه فلا يزال كذلك ماقدر عليه ثم يرفع رأسه ببكاء واستغفار وتوبة واستعبار فيعدد ذنوبه على نفسه وينوي التوجه بحسناته وصالح أعماله ويدعو بالدعاء الافلاطوني والتوسل الادريسي والمناجاة الارسطاطاليسية المذكورة في كتبهم ، فلا يزال كذلك حتى يبدو الفجر فيقوم فيسبغ الوضوء ويتطهر فيرجع الى محرابه فيصلي صلاة الفجر ويجلس في مكانه الى ان تطلع الشمس فاذا طلعت الشمس وأقبل أول النهار ذبح بيده ان كان ممن قد اعتاد ذلك ماقدر عليه من محال الحيوان ويأمر باصلاح ما كان من الطعام ويأذن لاهله واخوانه بالدخول عليه والوصول اليه ويحضر ذلك بين أيديهم ، فاذا فرغوا من طعامهم حمدوا الله جل وعز اسمه وشكروه وخروا له سجداً شكراً له بما من عليهم ، ثم يخرج اليهم من الحكمة بحسب ما يوجبه الزمان ويسعه المكان ، ولايزالون كذلك بقية يومهم الى الوقت من عشاء الآخرة فيرجعون الى منازلهم ويتصرفون في معايشهم ويقومون بواجبات أحكام اديانهم الى اليوم الثاني : وهو يوم ليلة البدر اذا استكملت استدارته وتمت أنواره فيه في تلك الليلة وصبيحة ذلك اليوم كما فعل في اليوم الاول وأزيد قليلا ثم كذلك

الى وقت الانصراف بعد العشاء الآخرة من غد ليلة ثم فى آخر الشهر وهو اليوم الخامس والعشرون من شهره بينه وبين أول الشهر الجديد المستقبل خمسة ايام ويكون لمن اقتدى بهذه السنة في السنة ثلاثة أعياد

فصل

العيد الاول يوم نزول الشمس برج الحمل : وذلك أنه في هذا اليوم يستوى الليل والنهار فى الاقاليم ، ويعتدل الزمان ويطيب الهواء ويهب النسيم ويذوب الثلج وتسيل الاودية وتمد الانهار وتنبع العيون وترتفع الرطوبات الى اعلى فروع الاشجار وينبت العشب ويطول الزرع وينمو الحشيش ويتلألأ الزهر وتورق الاشجار وتكمل الانوار ويخضر وجه الارض وتتكون الحيوانات ويدب الدبيب وتنتج البهائم وتدر الضروع وتنتشر الحيوانات في البلاد ويطيب عيش أهل البر وتأخذ الارض زخرفها وتصير كأنها فتاة شابة طرية ، فيجب أن يكون ذلك اليوم عيدا يظهر فيه الفرح والسرور.

وكان الحكماء فى هذا اليوم يجتمعون ويجمعون أولادهم وشبان تلامذتهم باحسن زينة وأنظف طهور الى الهيا كل التى كانت لهم ويذبحون الذبائح الطيبة الطاهرة ويضعون الموائد ويكثرون البقول والالبان والحبوب مما تنبته الارض، فاذا أكلوا وفرحوا أخذوا في استعمال الموسيقى بالنقرات المحركة للانفس الى معالى الامور والنغمات اللذيذة بتلاوة الحكمة ونشر العلم فيكون بذلك راحة النفس وكمال الانس فلا يزالون كذلك بقية يومهم ثم ينصرفون الى اشغالهم

ولهذا اليوم اسم باللغة اليونانية معروف عندهم وهو اليوم الذي نزلت فيه الشمس رأس الحمل نوء الربيع

فصل

في العيد الثاني

فاذا نزلت الشمس أول السرطان فان ذلك اليوم العيد الثاني نوء الصيف وفيه يتناهى طول النهار وقصر الليل وانصراف الربيع ومجيء الصيف واشتداد الحر

وهبوب السمائم ونقصان المياه ويبس العشب واستحكام الحب وادراك الحصاد والثمار ، فيكون ذلك اليوم عيداً لاستقبال زمان جديد تابع للزمان الأول

وكانت الحكماء تجتمع فيه الى الهيا كل المبنية لذلك اليوم ، لانهم كان لهم لكل عيد هيكل لايدخلونه بذلك الزي الا في يوم مثله : فيدخلون الهيكل المبنى ويلبسون الذى يليق بطبيعة ذلك البرج ، وكذلك ما يكون يستعملونه من الطعام والشراب وما كان من الثمار الآتى بين التيبيس والترطيب في الطبقة الاولى فاذا قضوا مايجب عليهم في ذلك اليوم انصرفوا فلايجتمعون الى العيد الثالث وهو يوم نزول الشمس رأس الميزان .

فصل

فى العيد الثالث

فاذا نزلت أول دقيقة من برج الميزان استوي الليل والنهار مرة أخرى ودخل الخريف وطاب الهواء وهبت رياح الشمال وتغير الزمان ونقصت المياه وجفت الأنهار وقل ماء العيون وجف النبات ، فيكون ذلك اليوم أيضاً يوم عيد فيدخلون الى الهيكل المبنى لذلك اليوم ويكون استعمالهم من الأكل مايوافق طبيعة ذلك اليوم والزمان ، ومن نشر العلم مالاق به ولا عيد لهم بعده الى أن تبلغ الشمس آخر القوس أول الجدى .

فصل

العيد : الرابع يتناهي طول الليل وقصر النهار ويأخذ الليل في النقصان والنهار في الزيادة وينصرف الخريف ويدخل الشتاء ويشتد البرد ويسخن الهواء ويتساقط ورق الشجر ويموت أكثر النبات وتنحجر الحيوانات في أعماق الأرض وكهوف الجبال من شدة البرد فاذا كثرت الأنداء ونشأت الغيوم وأظلم الهواء وكلح وجه الزمان وهزلت البهائم وضعفت قوى الأبدان ومنع الناس التصرف والاجتماع بعضهم من بعض ويمر عيش أكثر الحيوان . وكانت الحكماء تتخذ هذا اليوم يوم حزن وكآبة وندم واستغفار ، وكانوا يصومونه ولايفطرون فيه .

واذا تأملت أيها الأخ هذه الأيام الثلاثة في السنة الفلسفية التي اتخذوها أعياداً وأفراحاً وكان فرحهم الأكبر في الأول منها ودونه في الاوسط ودونه فيما يليه وفي الآخر يوم حزن وكآبة الى أن يستأنف الدور الآخر عند رجوع الشمس الى أول برج الحمل ، وإذا أنعمت النظر الى أعياد الشريعة الاسلامية وجدتها موافقة لها وذلك أن نبينا عليه السلام سن لأمته في شريعته ثلاثة أعياد : فالأول منها يوم عيد الفطر وهو أعظم فرح يكون بخروج الناس من شدة الصوم الى الفطر كفرح أهل الارض بقدوم الربيع والخصب بعد ذهاب الشتاء، ثم عيد الاضحى وهو يوم تعب ونصب لأنه يوم الحج فيكون الوفد الشرعي فيه شعثاً غبراً ويحتاج فيه الى اراقة دم ويكون فرحاً ممزوجاً بغم ونصب، فيكون الفرح دون الفرح الاول كفرح الفلاسفة بالعيد الثاني من سنتهم : اذ كانوا يستقبلون الهجير والرمضاء والسمائم وشدة الصيف .

واليوم الثالث في السنة الشرعية يوم وصيته عند انصرافه من حجة الوداع بغدير خم وفرحه ممزوج لانه خالط ذلك بنكث وغدر موافقاً للعيد الثالث الفلسفي المتقلب فيه الزمان من الصيف الى الخريف فتتناهى حال الثمار وأخذها في النقصان والجفاف .

واليوم الرابع هو يوم الحزن والكآبة فهو يوم قبض فيه النبي ﷺ الى رضوان الله ومحل كرامته صلى الله عليه وآله وان كان عيداً له لما وعده ربه تعالى بقوله : « وللآخرة خير لك من الأولى » فهو بانتقاله الى جوار الله وكريم فنائه عيد له غير أنه مشوب بمصاب أمته وانقطاع الوحي وفقدهم شخصه الكريم

واعلم أيها الأخ أنا جماعة اخوان الصفاء أحق الناس بالعبادة الشرعية ومراعاة أوقاتها وأداء فروضها ومعرفة تحليلها وتحريمها لأنا أخص الناس بها وأولاهم بحملها وأقرب الناس الى من جاءت على يديه وأولاهم به وأحق الناس أيضاً بالعبادة الفلسفية الالهية والقيام بها والأخذ لها والتجديد لما دثر منها . فاذا أكملنا ذلك كانت لنا سنة ثالثة تتميز بها وتتخصص بعلمها ولنا ايضا ثلاثة أيام نتخذها أعياداً ونأمر اخواننا بالاجتماع فيها والسعي اليها .

واعلم أيها الأخ أن أعيادنا هذه ليست تشابه أعياد الفلسفة ولا الشريعة في الحقيقة لكن بالمثل ، لأن أعيادنا ذاتية قائمة بذواتها تظهر الافعال عنها ، وبها وفيها . وهي ثلاثة أيضا أول وأوسط وآخر والرابع أصعبها عملا وأشدها فعلا. وأمثال هذه الأيام الاربعة التى ذكرناها ووصفناها في الزمان بالحركات الفلكية وموجبات أحكام النجوم : الربيع والصيف والخريف والشتاء ، وفي الشريعة المحمدية والملة الهاشمية عيد الفطر وعيد الاضحى وعيد الغدير ويوم المصيبة به صلوات الله عليه ، وفي الشريعة الفلسفية نزول الشمس الحمل والسرطان والميزان والجدي في الصورة الانسانية أيام الصبا وأيام الشباب وأيام الكهولة وأيام آخر العمر .. به ذهاب الشخص ومفارقة الجسم للنفس ولذلك يبكى عليه ويكون عند أهله الهم والحزن والاسف على فقده كما حزن أهل بيت النبوة لما فقدوا سيدهم وغاب عنهم واحدهم وتخطفوا من بعده وتفرق شملهم وطمع فيهم عدوهم واغتصبوا حقهم وتبددوا ثم ختم ذلك بيوم كربلا وقتل من قتل من الشهداء ما افتضح الاسلام به .

ومن قبله ما أنال أحق الناس بما قامى أولاهم بالامر من بعده ثم من بعد غيبة صاحب الشريعة ﷺ قتل من بعده من أجلة أصحابه المساعدين له في اقامة الناموس معه مثل صديقه وفاروقه وذي النورين وما تواتر على أهله وأقاربه من المصائب فصار ذلك سبباً لاختفاء اخوان الصفاء وانقطاع دولة خلان الوفاء الى أن يأذن الله بقيام أولهم وثانيهم وثالثهم في الاوقات التى ينبغي لهم القيام فيها اذا برزوا من كهفهم واستيقظوا من طول نومهم .

واليوم الرابع يكون فيه حزنهم لغيبة سيدهم كما غاب أبوهم صاحب الناموس وما كان من الحزن والكآبة الواقعة بهم من بعده .

فأعيادنا أيها الأخ هي أشخاص ناطقة وأنفس فعالة تفعل باذن باريها ما يوحيه اليها ويلهمها من الافعال والاعمال : فاليوم الاول من ايامنا والعيد الفاضل من أعيادنا هو يوم خروج أول القائمين منا ويكون اليوم

الموافق له لنزول الشمس برج الحمل لمجيء الربيع والخصب والنعمة ونزول الرحمة والظهور والانتشار وهو يوم فرح وسرور لنا ولجميع اخواننا .

واليوم الثاني هو يوم قيام الثاني الموافق يوم قيامه يوم نزول الشمس أول السرطان في تناهي طول الليل وقصر النهار اذ كان فيه تصرم دولة أهل الجور وانقضائها وهو فرح وسرور واستبشار .

واليوم الثالث هو يوم قيامة ثالثنا الموافق لنزول الشمس أول الميزان واستواء الليل والنهار ودخول الخريف وهي مقاومة الباطل الحق وكون الامر على خلاف ما كان عليه .

ثم اليوم الرابع يوم الحزن والكآبة يوم رجوعنا الى كهفنا وكهف التقية والاستتار وكون الامر على ما قال صاحب الشريعة : «إن الاسلام ظهر غريباً وسيعود غريباً فياطوبى للغرباء» فيكون الأمر على مثل ما نحن عليه في وقتنا الى وقت البروز والخروج والرجوع بعد الذهاب كرجوع الشمس بعد ذهاب الشتاء الى برج الحمل « ذلك تقدير العزيز العليم » « ومامنا إلا له مقام معلوم» «ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله»

واعلم يا أخي أن في هذه المدة يميز الله الخبيث من الطيب ويرفع أهل العلم درجات لم يكونوا لينالوها إلا بصبرهم واحتسابهم في جنب ما يصيبهم فلا تنكر أيها الاخ ماذكرنا من أن الزمان لايدوم بصفائه ، إن الصفاء إنما يعرف بالكدورة والعدل بالجور ، والصحة بالسقم ، وإنما صفاء اخوان الصفاء لما أخلصوا الصبر على البلوى في السراء والضراء واستسلموا لربهم وانقادوا اليه بنفوس طيبة ساكنة مطمئنة .

واعلم أيها الاخ أن القربان كما ذكرنا قربانان شرعي وفلسفي لا ثالث لهما .
فأما القربان الشرعي فهو المأمور به في الحج من ذبح الحيوانات المذكورة الموصوفة على شرائطها من أجناسها المحمودة السالمة في المواضع التي يجب ذلك فيها وأجلها ما كان أكثر ثمنا وأحسن صورة وأجود غذاء لمن يأكلها ممن يفرق فيهم ويشبعهم ويكفيهم .

فاذا خرج ذلك من حله ودفع الى أهله بنفس طيبة ونية صادقة كان قرباناً مقبولا وكفارة نافعة ودعاء مستجاباً ، فهذا قربان شرعي .

وأما الفلسفي فهو مثل ذلك الا أن النهاية فيه التقرب بالأجساد الى الله سبحانه بتسليمها الى الموت وترك الخوف كما فعل سقراط لما شرب السم المذكور (قصته في كتاب فاذن) وكاستبشار أرسطاطاليس لما نزل الموت به لما حزن عليه تلامذته وما كان من خطابه ووصيته المذكورة في رسالة (التفاحة) .

واعلم أيها الاخ أن أعظم القرابين هو ترك النفس محبة الدنيا والزهد فيها وقلة الخوف من الموت وتمنيه .

وأما قربان اخوان الصفاء فهو قربان يجمع هذه الخصال كلها بأسرها شرعيها وفلسفيها وهو التقرب بما تقرب به ابراهيم من الكبش الممنون به عليه فداء لولده الذي قد رعى في أرض الجنة أربعين خروفاً ، فان تمكنت أن تتقرب بكبش رعى في أرض الجنة ولو شبراً فافعل ولا تقعد عنه واجتهد في ذلك لتكون قد بلغت المجهود وأقمت المثل وعمرت عالم الله تعالى ، وأرجو أن يوفقك الله لفهم ما تسمع ويجعلك من أهله .

ولما كان هذا الفصل جامعاً للفضائل النفسانية وعلمنا أنك متى امتثلت فيه الوصية كملت لك الصورة الملكية وكانت لك في معادك مهيأة لوصولك اليها ونزولك عليها ختمنا الرسالة بهذا الفصل وسميناه « الفصل الجامع للفوائد النافعة » وهو منها بمنزلة القلب من الجسد والرأس من البدن وهو نهاية الغرض بعد الوقوف على ما فيها والارتسام بجميع ما رسمنا والاعتماد على ما وصفنا .

واعلم أيها الاخ أن كلامنا هذا تشهد بصحته العقول السليمة وتسكن اليه النفوس الصافية المشتاقة الى ربها وتعضده الآيات المكتوبة في الآفاق والانفس وما في السموات والارض وما تدل عليه الكتب النبوية والتنزيلات السماوية وأفعال الانبياء واتفاقهم على هذه الاعمال التي ذكرناها والسياسات التي وصفناها وأفعال الحكماء من الفلاسفة القدماء وبنائهم الهيا كل في الارض على مثال ما هي مبنية في السماء .

واعلم أيها الاخ أن الشاك فيما ذكرناه والراد فيما وصفناه معـذور في ذلك لانه جاهل لا علم له ولا معرفة عند فهو لاه في سكرته وتائه في ضلالته !! فمن أراد أن يعرف صحة ما قلنا ويمتحن صدقنا من كذبنا فليفعل مافعلنا ويبـذل من نفسه مابذلنا ليحل له دخول الحرم والوقوف على المقام وزمزم ، فان رأى مايؤيد الشريعة المحمدية والملة الهاشمية ويقويها وينفي عنها شبه الملحدة وجحدة الانبياء فيقيم معنا بالرحب والسعة له مالنا وعليه ماعلينا ، وان رأى ما ينال في الشريعة فهو معذور في رفضه مثاب في تركه ، وليس على ماخرج منه ثواب عنه من العود اليه . وقد جاء في الخبر عن سيدنا رسول الله ﷺ انه قال (لا عين في معصية الله) بلغك الله ايها الاخ البار الرحيم منازل الابرار ونجـاك وايانا من عذاب النار وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد والقفار انه جواد غفار

﴿ تمت الرسالة التاسـعة في كيفية أنواع السياسات وكميتها ويليها رسالة في كيفية نضد العالم بأسره ﴾

الرسالة العاشرة

من العلوم الناموسية والشرعية

في كيفية نضد العالم بأسره

﴿ وهي الرسالة الحادية والخمسون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

اعلم أيها الأخ أيدك الله وايانا بروح منه أن العالم الكبير بأسره كرة واحدة تنفصل احدى عشرة طبقة : تسع منها هي أفلاك كريات مجوفات مشفات ، والكواكب أيضاً كلها كريات مستديرات مضيئات وحركاتها كلها دوريات.

وذلك أن الفلك المحيط بجميع مايحوي من الافلاك والكواكب يدور حول الارض في كل أربع وعشرين ساعة سواء دورة واحدة،وكذلك كل كوكب يدور في فلك مختص به أو دائرة حركة دورية في زمان معلوم، وكلما دارت دورة استأنفت ثانية — كما وصفنا في رسالة مدخل النجوم ورسالة السماء والعالم ورسالة الأكوار والادوار — ودون فلك القمر كرتان احداهما النار والهواء،والاخرى الماء والارض ، وكل واحد منهما كرى الشكل محيطات أواخرها متصلة بأوائلها بيان ذلك أن النار متصل أولها بفلك القمر وآخرها بطبيعة الزمهرير ، والزمهرير آخره متصل محيط بالماء والارض — كما وصفنا في رسالة الآثار العلوية —

وأما الارض بجميع بحارها وجبالها فكرة واحدة . واذا اعتبر بشكل الجبال والأنهار على بسيط الارض وتأمل تبين أن كل واحد منها كانه قطعة قوس من محيط الدائرة .

وأما شكل البحار فكل واحد كأنه قطعة من سطح جسم كري

﴿ فصل ﴾

وهكذا أحوال الكائنات اذا اعتبرت وتأملت تبين أن أكثرها كريات الشكل أو مستديرات : من ذلك أن أكثر ثمار الاشجار وأوراقها وحب النبات ونور أزهارها كريات الاشكال أو مستديرات .

وهكذا أكثر مصنوعات البشر — كما بينا في رسالة الهندسة — وأما احوالها فدائرة أيضاً يعطف أوائلها على أواخرها مثل دوران الزمان من الشتاء الى الربيع ومن الربيع الى الصيف ومن الصيف الى الخريف ومن الخريف الى الشتاء

وهكذا دوران الليل والنهار حول كرة الارض — كما بينا في رسالة الهيولى. وكذلك حكم دوران مياه الانهار والبحار والغيوم والامطار فانها كالدولاب الدائر وتلك الغيوم والسحاب تنشأ من البخار المتصاعد من البحار والأنهار وتسوقها الرياح الى القفار ورؤوس الجبال وتمطر هناك وتجتمع السيول في الاودية فتذهب راجعة نحو البحار ثم تصعد ثانية (ذلك تقدير العزيز العليم)

وكذلك حال النبات وتكوينه من التراب والماء والنار والهواء ورجوعه اليها في دورانها كالدولاب: وكذلك أن النبات يبدو وينشأ وينمو ويكمل حتى اذا بلغ الى أقصى غاياته ومنتهى نهاياته رجع عند البلى والفساد الى ماتكون منه

بيان ذلك أن النبات يمتص بعروقه لطائف الاركان ويصير ورقاً وحباً وثماراً يتناولها الحيوان ليتغذى ثم يستحيل في أبدان بعضها لحماً ودماً وبعضها يخرج ثفلا وسماداً ويرد إلى أصول النبات ليتغذى منه ويصير حباً وثماراً ثانياً ويتناوله الحيوان . فاذا تأمل هذا من حاله وجد كأنه دولاب دائر.

وأما أجسام الحيوان فانها كلها تعود الى التراب وتبلى وتصير ترابا ويكون

منها نبات ، ومن النبات حيوان — كما بين قبل — فاذا تأمل ذلك وجد أيضاً كأنه دولاب يدور .

وأما أحوال البشر اذا اعتبرت فكلها دائرة كالدولاب : وذلك أن الانسان يبدو كونه من النطفة ثم ينشأ وينمو ويتم ويبلغ الى أن تتولد منه النطفة فيشتهي العود الى حيث خرج لقضاء شهوته ونتاج مثله ، وكذلك بدأ كونه ناقص القوة ضعيف البنية ثم يرتقي ويتزايد الى أن يبلغ الى الأشد ، ثم يبتدي في الانحطاط والنقص الى أن يرد الى ارذل العمر كما كان بدياً كما ذكر تعالى فقال:(لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون) وكما قال سبحانه : (خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام مانشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً) وقال (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً)

﴿ فصل ﴾

واعلم أيها الأخ أن لهذه الموجودات التي تحت فلك القمر نظاماً وترتيباً أيضاً في الوجود والبقاء وهي مرتبة بعضها تحت بعض متصل أواخرها بأوائلها كترتيب العدد وترتيب الافلاك

بيان ذلك انه لما كانت أجزاء العالم محيطات بعضها بعضا وهي احدى عشر كرة : تسع منها في عالم الافلاك أولها من لدن فلك المحيط وآخرها الى منتهى فلك القمر وآخرها متصل بأوائلها — كما بينا في رسالة السماء والعالم — وكان اثنتان منها دون فلك القمر وهي كرة النار والهواء وكرة الماء والأرض وهي مقسومة على اربع طبائع : أولها الأثير وهي نار ملتهبة دون فلك القمر ودونه الزمهرير الذي هو البرد المفرط ودونه الماء المفرط للرطوبة ودونه الارض المفرطة

اليبس . وهذه الاربعة محفوظة كلياتها في مراكزها ومتصلة أواخرها بأوائلها ومستحيلة جزئياتها بعضها الى بعض — كما بينا في رسالة الكون والفساد —

وأما الكائنات منها التي هي جزئياتها فهي المعادن والنبات والحيوان ولها نظام وترتيب متصل آواخرها بأوائلها كتركيب الافلاك والاركان : بيان ذلك أن المعادن متصل أولها بالتراب وآخرها بالنبات ، والنبات أيضاً متصل آخره بالحيوان والحيوان متصل آخره بالانسان ، والانسان متصل آخره بالملائكة والملائكة أيضاً لها مراتب ومقامات متصلة أواخرها بأوائلها — كما بينا في رسالة الروحانيات — فنريد أن نذكر في هذا الفصل مراتب الكائنات من الاركان الاربعة التي هي المعادن والنبات والحيوان فنقول : أول المعادن هو الجص مما يلي التراب والملح مما يلي الماء وذلك أن الجص هو التراب الرملي يبتل من الامطار ثم ينعقد ويصير جصا .

وأما الملح فانه يمتزج بالتربة السبخة وينعقد فيصير ملحاً وأما آخر المعادن مما يلي النبات فهو الكمأة والقطن وما شاكلها يتكون في التراب كالمعدن ثم ينبت في المواضع الندية في أيام الربيع من الامطار وصوت الرعد كما ينبت النبات ، ولكن من أجل أنه ليس له ثمرة ولا ورقة ويتكون في التراب كما تتكون الجواهر المعدنية فصار من هذه الجهة يشبه المعدن ومن جهة أخرى يشبه النبات . فأما باقي أنواع الجواهر المعدنية ففيما بين هذين الحدين أعني الجص والكمأة وقد بينا في رسالة المعادن أنواعها وأجناسها وخواصها ومنافعها .

وأما النبات فنقول ان هذا الجنس من الكائنات متصل أوله بالمعادن وآخره متصل بالحيون بيان ذلك :

اعلم يا أخي أن أول مرتبة النبات وأدونها مما يلي التراب هي خضراء الدمن ، وآخرها وأشرفها مما يلي الحيوانية النخل . وذلك أن خضراء الدمن ليست بشيء سوى غبار يتلبد على الارض والصخور والاحجار ثم يصيبها المطر فتصبح بالغداة خضراء كأنها نبت زرع وحشائش فاذا أصابها حر الشمس نصف النهار تجف ثم تصبح بالغد مثل ذلك من نداوة الليل وطيب النسيم

ولا تنبت الكمأة ولا خضراء الدمن الا فى أيام الربيع في البقاع المتجاورة المتقارب ما بينهما لأن هذا معدن نباتى وذلك نبات معدنى

فصل

وأما النخل فهو آخر المرتبة النباتية مما يلى الحيوانية . وذلك أن النخل نبات حيواني لأن بعض أحواله وأفعاله مباين لاحوال النبات ، وان كان جسمه نباتياً ، بيان ذلك أن القوة الفاعلة منفصلة من القوة المنفعلة . والدليل على ذلك أن أشخاص الفحولة فيها مباينة لاشخاص الاناث ، ولفحولته فى أشخاصه لقاح فى إناثها — كما يكون في ذلك الحيوان — وأما سائر النبات فان القوة الفاعلة منه ليست بمنفصلة من المنفعلة بالشخص بل بالفعل حسب — كما بينا فى رسالة النبات — وأيضا فان النخل اذا قطعت رؤوس أشخاصه جفت وبطل نموه ونشوءه ، كما أن الحيوانات اذا ضربت أعناقها بطلت وماتت ، فبهذا الاعتبار بان ان النخل نبات بالجسم حيوان بالنفس اذ كان أفعال النفس الحيوانية أفعاله وشكل جسمه شكل النبات . وفي النبات نوع آخر فعله أيضا فعل النفس الحيوانية وان كان جسمه جسما نباتيا وهو الاكشوث (١) وذلك أن هذا النوع من النبات ليس له أصل ثابت فى الارض كما يكون لسائر النبات ولا له ورق كاوراقها بل هو يلتف على الاشجار والزروع والبقول والحشائش ويمتص من رطوباتها ويغتذي كما يفعل الدود الذى يدب على ورق الاشجار وقضبان النبات ويقرضها ويأكل منها ويغتذي بها ، وهذا النوع من النبات وان كان جسمه يشبه النبات فان فعل نفسه فعل الحيوان

فقد بان بما وصفنا ان آخر المرتبة النباتية متصل بأول الحيوانية واما سائر المراتب النباتية فهى ما بين هذين المرتبتين

فصل

واعلم يا اخى ان اول مرتبة الحيوانية ايضا متصل بآخر النباتية كما ان اول

(١) الاكشوث : نبات ملتف الفروع كثيفها يقوم على سوق غيره من النباتات والاشجار

النباتية متصل بآخر المعدنية واول المعدنية متصل بالتراب والماء — كما بينا قبل —

واعلم ان ادون الحيوان وانقصه هو الذى ليس له الا حاسة واحدة وهو الحلزون : وهي دودة في جوف انبوبة تنبت تلك الانبوبة على الصخور التى في بعض سواحل البحار وشطوط الانهار ، وتلك الدودة تخرج نصف شخصها من جوف تلك الانبوبة وتنبسط يمنة ويسرة تطلب مادة يغتذي بها جسمها فاذا احست برطوبة ولين انبسطت اليه وان احست بخشونة او صلابة انقبضت وغاصت في جوف تلك الانبوبة حذراً من مؤذ لجسمها ومفسد لهيكلها ، وليس لها سمع ولا بصر ولا شم ولا ذوق الا اللمس حسب .

وهكذا اكثر الديدان التى تكون في الطين في قعر البحر وعمق الانهار ليس لها سمع ولا بصر ولا ذوق ولا شم ، لان الحكمة الالهية لم تعط الحيوان عضواً لايحتاج اليه في جر المنفعة أو دفع المضرة ، لأنه لو اعطاها مالا تحتاج اليه لكان وبالا عليها في حفظها وبقائها

فهذا النوع حيواني نباتى لأنه ينبت جسمه كما ينبت بعض النبات ، ويقوم على ساقه قائما . ومن أجل أنه يتحرك بجسمه حركة اختيارية فهو حيوان ، ومن أجل أنه ليس له إلا حاسة واحدة فهو أنقص الحيوانات رتبة ، وتلك الحاسة أيضاً هي التى يشاركها النبات وذلك أن النباتات لها حس اللمس حسب

والدليل على أن للنبات حس اللمس هو إرساله عروقه نحو النهر والمواضع الندية وامتناعه عن إرسالها إلى ناحية الصخور واليبس ، وأيضاً أنه إذا انفق منبته في مضيق مال وطلب الفسحة ، وان كان فوقه سقف يمنعه من الذهاب علواً وترك له ثقب من جانب مال النبات الى تلك الناحية حتى اذا طال أخرج من هناك رؤوسه . وهذه الأفعال تدل على أن له حساً وتمييزاً بمقدار الحاجة اليه

فأما حس الألم فليس للنبات ، وذلك لانه ليس يليق بالحكمة الالهيـة أن تجعل للنبات ألماً ولم تجعل له حيلة الدفع كما جعلت للحيوان ، وذلك أن الحيوان

لما جعل له أن يحس بالالم جعل له أيضاً حيلة الدفع اما بالفرار والهرب أو بالتحرز أو بالممانعة (١)

فقد بان بما وصفنا كيفية مرتبة الحيوانية مما يلي النبات فنريد أن نذكر ونبين كيفية مرتبة الحيوانية ممايلي الانسانية فنقول : ان رتبة الحيوانية مما يلي رتبة الانسانية هي ليست من وجه واحد ، ولكن من عدة وجوه ، وذلك أن رتبة الانسانية لما كانت معدن الفضائل وينبوع المناقب لم يستوعبها نوع واحد من الحيوان ، ولكن عدة أنواع : فنهاماقارب رتبةالانسانية بصورةالجسدانية مثل القرد ، ومنها بالأخلاق النفسانية مثل الفرس الكريم الاخلاق ، ومثل الطير الانسي الذي هو الحمام ومثل الفيل الذكي القلب ومثل الهزار والببغاء الكثيرة الاصوات والالحان والنغمات ومثل النحل اللطيف الصنايع وماشا كل هذه الاجناس : وذلك أنه مامن حيوان يستعمله الناس أو قد أنس بالانسان الا وله في نفسه شرف قرب من نفس الانسانية .

وأما القرد فلقرب شكل جسده من جسد الانسان صارت نفسه تحاكي أفعال النفس الانسانية وذلك مشاهد منه متعارف بين الناس .

وأما الفرس الكريم فانه قد بلغ من كرم أخلاقه أن صار جسده مركباً للملوك فانه ربما بلغ من حسن أدبه أن لايبول ولايروث مادام بحضرة الملك أو هو راكبه ، وله أيضاً مع ذلك ذكاء واقدام في الهيجاء وصبر على الطعن والجراح كما يكون للرجل الشجاع كما وصف الشاعر :

واذا شكا مهري إلي جراحة عنداختلاف الطعن قلت له اقدما
لما رآني لست أقبل عذره عض الشكيم على اللجام وحمحما

وأما الفيل فانه يفهم الخطاب بذكائه ويمتثل الامر والنهي . كما يمتثل العاقل المأمور المنتهي

فهذه الحيوانات في آخر مرتبة الحيوانية مما يلي رتبة الانسانية لمايظهر منها من الفضائل الانسانية . وأما باقي أنواع الحيوانات فما بين هاتين المرتبتين

(١) الذي أثبته العلم أخيراً أن النبات يتألم ويحس ويفقد الحياة شيئاً فشيئا كما رأينا محاضرة العلامة بوز جاجاديس العالم الهندي ولقد كان ذلك بالمشاهدة العينية

واذ قد فرغنا من ذكر مراتب الحيوانية مما يلي رتبة الانسانيـة فنريد أن نذكر أولا رتبة الانسانية مما يلي رتبة الحيوانية :

اعلم أن أدون رتبة الانسانية التي تلي الحيوانيـة هي رتبة الذين لايعلمون من الأمور إلا المحسوسات ولايعرفون من الخيرات إلا الجسمانيات ولايطلبون الا صلاح الاجساد ولايرغبون الا في زينة الدنيا ولايتمنون الا الخلود فيها مع علمهم أنه لا سبيل لهم الى ذلك ، ولا يشتهون من اللذات الا الاكل والشرب مثل البهائم ، ولايتنافسون الا في الجماع والنكاح مثل الخنازير والحمير ، ولا يحرصون الا على جمع الذخائر من متاع الدنيا يجمعون مالايحتاجون اليه كالنمل ويحبون مالاينتفعون به كالعقاعق ، ولايعرفون من الزينة الأصباغ اللباس مثل الطاووس ويتحاربون على حطام الدنيـا كالكلاب على الجيف !! فهؤلاء وان كانت صورتهم الجسدانية صورة الانسان فان أفعال نفوسهم أفعـال النفس الحيوانية والنباتية .

﴿ فصل ﴾

وأما الرتبة الانسانية التي تلي رتبة الملائكة فهي رتبة الذين انتبهت نفوسهم من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وانتعشت بحياة العلوم والمعارف وانفتحت لها عين البصيرة فأبصرت بنور قلوبها ما كان غائباً عن حواسها من الأمور الروحانيـة والموجودات العقلية وشاهدت بصفاء جوهرها عالم الارواح ورأت بعين اليقين أصناف الخلائق الذين هم هناك ، وهي الصورة المجردة عن الهيولى الجسمانية وهي أجناس الملائكة وجنود ربك من الروحانيين والكروبين وحملة العرش أجمعين وعرفت أحوالهم وتبين لها سرورهم وملاذهم ونعيمهم فتشوقت نحوها ورغبت فيها وحرصت على طلبها وزهدت في نعيم أبناء الدنيا والكون في عالم الأجساد وتركت طلب شهواتها الجسمانية وأعرضت عن تناول لذاتها الجرمانية وصارت بفكرتها هناك وان كانت بجسدها هاهنا ، فأسهر ليله مفكراً ونهاره طاويا في طلب المعارف والبحث عن حقائق الامور ورضي من متاع الدنيا بكسرة يقيم بها حياة

الجسد وخرقة يوارى بها العورة الى وقت معلوم وعاش في الدنيا مع أبناء جنسه من الآدميين بجسده وهو بنفسه من أجناس الملائكة ·

فاجتهد يا أخي فى طلب ما طلبوه وارغب فى صحبتهم واقتد بسنتهم وسر بسيرتهم لعلك تحشر في زمرتهم الى الجنة دار القرار كما ذكر الله تعالى ووعد فقال جل ثناؤه (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) الآية وقال رسول الله ﷺ (المرء يحشر يوم القيامة مع من يحب) وقال (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) . وقد بينا طريق الانبياء صلوات الله عليهم وخصال المؤمنين المحققين في احدى وخمسين رسالة عملناها في غرائب العلوم وطرائف الآداب وتهذيب النفس واصلاح الاخلاق ، وفقك الله أيها الأخ لقراءتها وفهم معانيها والعمل بما فيها ان شاء الله تعالى

تمت الرسالة في كيفية نضد العالم بأسره ويليها رسالة فى ماهية السحر والعزائم والعين

الرسالة الحادية عشرة

من العلوم الناموسية والشرعية

في ماهية السحر والعزائم والعين

(وهي الرسالة الثانية والخمسون من رسائل اخوان الصفا وهي آخر الرسائل)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون

اعلم أيها الأخ أيدك الله وايانا بروح منه أنا قد ذكرنا في خمسين رسالة تقدمت لنا قبل هذه الرسالة فنون العلم وغرائب الحكمة ورتبناها وجمعنا فيها علوماً كثيرة وأغراضاً جمة وحكم بليغة ورتبناها بحسب ماتقتضيها درجات المتعلمين ومراتب الطالبين المستفيدين . فكما لا ينبغى أن نبذل العلم لمن ليس هو من أهله ولايعرف فضله ، فهكذا لا يجوز ولا يحل أن تمنع منه من هو مسترشد وطالب له ، ولا نبخل به على مستحق

فينبغى لمن حصلت له هذه الرسائل من اخواننا الكرام أن يدفع منها الى كل من يستحق ما يقرب من فهمه وما يعلم أنه يصلح له أو يليق بمرتبته أولا فأولا على الترتيب الذي رتبناه في رسالة الفهرست.

فكلما ارتقت نفسه في العلم الى درجة درجة ، وانتهت الى مرتبة مرتبة في المعرفة رقى الى مابعدها ودفع الى مايتلوها ، الى أن تبلغ نفسه الى حد كمالها.

وقد جعلنا الرسائل كلها على أربعة أقسام : القسم الاول رياضية يبتدىء بها

والقسم الثاني جسمانية طبيعية يتلو بها ، والقسم الثالث نفسانية عقلية من بعدها والقسم الرابع ناموسية الهية هي آخرها .

وهذه الرسالة هي آخر الرسائل من القسم الرابع وهي الحادية والخمسون نريد أن نذكر فيها ماهية السحر وكيفية عمل الطلسمات وأنها كأحد العلوم والمعارف المتعارفة وكبعض الحكم المستعملة ، ونستشهد عليها بما سمعناه من العلماء وعرفناه من كتب القدماء الذين كانوا فيما مضى قبلنا .

وأعلم أيها الأخ أيدك الله أننا رأينا اليوم أكثر الناس المتغافلين اذا سمعوا بذكر السحر يستحيل واحد منهم أن يصدق به ويتكافرون بمن يجمله من جملة العلوم التى يجب أن ينظر فيها أو يتأدب بمعرفتها، وهؤلاء هم المتعالمون والاحداث من حكماء دهرنا المتخلفين والمدعين بأنهم من خواص الناس المتميزين ، وذلك لأنهم لما رأوا بعض المتعاملين بهذا العلم والخائضين فى طلبه من غير معرفة له إما أبله قليل العقل أو امرأة رعناء أو عجوزاً خرفة بلهاء فرفعوا أنفسهم عن مشاركة من هذه حاله اذا سمعوا بذكر السحر والطلسمات أنفة منهم لئلا ينسبوا الى الجهل والى التصديق بالكذب والخرافات اذ كان أولئك السخفاء الطالبين لهذا العلم يطلبونه لاغراض لهم سخيفة دنيئة من غير معرفة توجب الطلبة ولا ما المقصود منه والغرض ، ولم يعلموا أن هذا هو جزء من الحكمة بل هو جزء وآخر علوم الحكمة لانه يحتاج قبله الى تعلم علوم تقدمه : فمنها علم النجوم الذي هو معرفة ثلاثة أشياء وهي الكواكب والافلاك والبروج

فالبروج أثنا عشر برجا والافلاك تسعة والكواكب المعروفة الف وتسعة وعشرون كوكبا ، فمنها سبعة سيارة — وقد ذكرناها في الرسالة الثالثة من القسم الاول من كتابنا هذا — وهو كالمدخل على علوم النجوم جميع ما يحتاج الى تقديمه من ذلك .

فأما سوى البروج والكواكب والافلاك فمنها العقدتان اللتان تسمى إحداهما الرأس والآخر الذنب . فالرأس يدل على السعود والذنب يدل على النحوس

وليسا هما كوكبين ولا جسمين ظاهرين ولكنهما أمران خفيان لخفاء ذاتيهما وظهور أفعالهما يدل على أن فى العالم نفوساً خفية عن الحس، أفعالها ظاهرة وذاتها خفية يسمون الروحانيين الذين ذكرناهم فى الرسالة التى هى قبل هذه الرسالة — وهم أجناس الملائكة وقبائل الجن وأحزاب الشياطين ، ويعرف ذلك أصحاب العلوم والسحر والطلسمات فاقرأ تلك الرسالة التى لنا قبل هذه الرسالة لتعرف هذا المعنى على التمام والكمال منها اذا قرأتها ويتحقق لك أيها الأخ ما هو موجود في العالم من أفعال الروحانيين كما ذكرناه ورتبناه وشرحناه فيها . فأما معرفة أفعال النجوم وتأثيراتها فيما تحت فلك القمر من بعد المعرفة بدلالاتها فهى من الحكمة الروحانية والتأييد الآلهى والعناية الربانية وأجل العلماء المشهورين بهذا العلم هو بطليموس صاحب المجسطي وغيره من الكتب التى له فى هذا العلم وغيره من العلماء

واعلم يا أخى أن الكواكب ملائكة الله وملوك سمواته خلقهم لعمارة عالمه وتدبير خلائقه وسياسة بريته وهم خلفاء الله فى أرضه يسوسون عباده ويحفظون شرائع أنبيائه بانفاذ أحكامه على عباده لصلاحهم وحفظ نظامهم على أحسن الحالات .

واعلم يا أخى أيدك الله أنه لايكاد يعرف كيفيات تأثيرات هذه الكواكب وأفعالها في جميع ما في هذا العالم من الاجسام والارواح والنفوس إلا الراسخون في العلم البالغون فى المعارف والناظرون في العلوم الالهية المؤيدون بتأييد الله وإلهامه لهم

واعلم يا أخى أن اول قوة تسرى من النفس الكلية نحو العالم ففى الاشخاص الفاضلة النيرة التى هى الكواكب الثابتة ، ثم من بعدها في الكواكب السيارة ثم من بعدها فيما دونها من الاركان الاربعة فى الاشخاص الكائنة منها من المعادن والنبات والحيوان

واعلم يا أخى أن مثال سريان قوى النفس الكلية فى الاجسام الكلية

الجزئية جميعاً كمثال سريان نور الشمس والكواكب في الهواء ومطارح شعاعاتها نحو مركز الارض

واعلم انه اذا اتفق في وقت من الزمان أن تكون الكواكب السيارة فى أوجاتها واشراقها ويكون بعضها من بعض على النسبة الافضل التى تسمى النسبة الموسيقية ، سرت عندها تلك القوى من النفس الكلية ووصلت بتوصل تلك الكواكب الى هـذا العالم فجرى أمر الكائنات على أعدل مزاج وأطبع طبائع وأجود نظام .

وتسمى تلك الاحوال سعادة ، وان اتفق أن يكون الحال على ضد ماذكرت كان الأمر بالضد ولا يكون ذلك بالقصد الاول ولكن باسباب عارضة كما بيناها في رسالة الآراء والمذاهب فى باب علل الشرور وأسبابها فتعرفها ياأخى من هناك .

واعلم ايها الأخ انه ليس في معرفة الكائنات قبل كونها صلاح لكل احد من الناس لان ذلك منغص للعيش ، وانما يراد هذا العلم ليترقى فيه الى ماهو اشرف منه ويعرف الشر الذى فيه بمعرفة الاسباب والعلل فتتنبه النفس من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وتنبعث من موت الخطيئة وتنفتح لها عين البصيرة وتعرف حقائق الموجودات وتتحقق أمر المعاد فتزهد في الدنيا وتهون عليها مصائبها ولا تحزن ولا تجزع اذا علمت موجبات احكام النجوم والفلك كما ذكر عن رسول الله ﷺ انه قال : (من زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات) وتصديق ذلك قول الله تعالى (لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) .

واعلم ايها الأخ ان هـذه العلوم تنقسم على خمسة اقسام : احدها علم الكيمياء الذى ينفى الفقر ويكشف الضر ، والثانى علم احكام النجوم الذى يدرك به ما كان ويكون ، والثالث علم السحر والطلسمات التى تلحق الرعية بالملوك والملوك بالملائكة ، والرابع علم الطب الذى يحفظ صحة الاجسام ويشفى نوازل الاسقام ، والخامس علم التجريد تعرف النفس به ذاتها وتشرف بعد تجردها

على مستقرها — وقد تكلمنا في رسالة لنا في النجوم بما هو كالمقدمة وما يحتاج اليه في معرفته قبل هذه الرسالة — وقد كان علم السحر والطلسمات تابعاً لعلوم احكام النجوم وتالياً له ومتعلقاً به وعليه . والمنافع به كثيرة مشهورة فقد سمع بخبر الطلسمات وكثرتها فمنها خبر الذى كان الرأس وتقلها الزيتون والطلسم الذى للتمساح ، وطلسم البق وطلسم الحيات وطلسم العقارب وطلسم الزنابير ، وغيرها مما يسمع بالاخبار عنه دائماً من قوم ولا يجوز عليهم التواطىء في اوقات مختلفة وعلى وجوه متفرقة

ومع هذا فلابد مما يورد على هؤلاء المنكرين لهذا العلم والمكذبين لمن يدعى صحته من الشهادات بعض ماذكر المتقدمون فى كتبهم وسطروه من أخبارهم .

ويحكي من ذلك ما كان واضح الشهرة لايخفى موضعه على طالبيه ولا يكذب قائله حتى لايجد السفهاء الى تكذيبنا سبيلا .

فنقول أن افلاطون الفيلسوف قد ذكر فى المقالة الثانية من كتاب السياسة على علو فى قدره أنه قال : أن جرجيس الذي فى أهل مدينة أوروبا كان رجلا يرعى الغنم وكان أجيراً لمتسلط كان فى ذلك الوقت على مدينة أوروبا وجاءت في ذلك الزمان أمطار وكان معها زلازل فانشق موضع من الارض وصارت فيه خسفة في الموضع الذي كان فيه ذلك الرجل الذي يرعى الغنم فيه

فلما رأى الرجل تلك الخسفة عجب منها ونزل اليها فرأى هناك أشياء عجيبة وكان مع سائر ماهناك فرس معمول من النحاس في يده كوى مشقوقة فاطلع فى جوف الفرس من تلك الكوى فاذا في جوف الفرس انسان ميت مقداره فيما يراه منه أكثر من مقدار انسان ولم يكن عليه شيء أصلا سوى خاتم ذهب كان في يده فأخذ ذلك الخاتم وخرج من الخسفة .

واتفق ان الرعاة اجتمعوا على ماجرت عادتهم من الاجتماع شهراً فشهراً لينهوا الى الملك أمر أغنامه وحضر معهم الراعى وهو لابس لذلك الخاتم ، فبينما هو جالس مع سائر الرعاة إذ عرض له ان ضرب بيده الى خاتمه فاداره في أصبعه حتى

صار فصه الى داخل مما يلي راحته فلما فعل ذلك خفي عن الجلوس الذي كانوا معه حتى لم يتبينوا انه جالس ولم يبصروه وجعلوا يتكلمون في أمره مما يدل على أنه قد انصرف عنهم .

وكان هو يتعجب من ذلك الكلام ثم انه ضرب بيده الى خاتمه فادار فصه الى خارج ، فلما أداره صار القوم يرونه.

فلما فهم ذلك ضرب خاتمه ليرى هل فيه هذه القوة فوجده يعرض منه ذلك الامر بعينه أنه متى أدار فصه الى داخل استتر واحتجب عن البصر ومتى أداره الى خارج ظهر وأبصره الناس.

فعند ذلك لما اختبر بهذا من أمره في خاتمه تلطف واحتال أن يصير في عدد الرسل الى الملك فلما وصل اليه قتله وصار معه الآن

تأمل هل ترى أن افلاطون الفيلسوف مع فضله وعقله كتب هذه الآية في كتاب من كتبه وهو الذي صنفه في السياسة ، وهو مع هذا يجوز أن يعتقد ويظن أنه يرى أن هذا الطلسم على الخاتم الذي تقدم ذكره قد عمل بالحكمة التي بعدها غاية حتى صار فى قوة الفعل الى الحد الذي ظهر منه في العمل الذى يعمل به ، وانما السبب الذى يدعو هؤلاء الاحداث الى التكذيب والانكار لمثل هذا هو مافيهم من الكسل وقلة الرغبة فى التعلم والأنفة وقلة الحياء ! يحمل هؤلاء على مايفعلونه من الجحود لهذه العلوم وتكذيب من قال بصحتها لانهم يجدون هذا أسهل عليهم وأخف مؤونة .

واياك أيها الأخ أن تسلك سبيلهم وتحتذى مثالهم أو تشاركهم أو تتشبه بهم بل يكون الطلب أبداً فكرك وإصابة الحق غرضك ، وفى اقتناء الحكمة ودركها شهوتك لتسعد بذلك وتفوز مع السعداء والشهداء.

ثم قد حكي ابن معشر جعفر بن محمد المنجم قال فى كتاب مذاكرته لشاذب ابن بحر : حدثنى محمد بن موسى أنس الخوارزمي ، قال حدثني محجب بن منصور المنجم قال وصلت أنا وجماعة من المنجمين الى المأمون وعنده جماعة وانسان قد

تنبي ونحن لا نعلمه وقد دعا بالقضاة ولم يحضروا بعد . فقال لى ولمن حضر من المنجمين : اذهبوا فخذوا طالعاً لدعوى انسان بشيء يدعيه وعن قوى مايدل عليه الفلك من صدقه وكذبه، ولم يعلمنا المأمون انه متنبي فجئنا الى بعض الصحون فاحكمنا الطالع وصورناه فوقعت الشمس والقمر فى دقيقة واحدة فى الطالع ، والطالع الجدى والمشترى فى السنبلة ينظر اليه !! فقال كل من حضر غيرى مايدعيه صحيح.

فقلت أنا هو فى صحة وله حجة زهرية عطاردية ، وتصحيح الذي يطلبه لايصح ولايتم لهولا ينتظم .

فقال من أين قلت : لان صحة الدعاوى من المشترى أو تثليث الشمس أو من تسديدها اذا كانت الشمس غير منحوسة ، وهذا الحال هبوط المشترى والمشترى ينظر اليه نظر موافقة الا انه كاره لهذا البرج والبرج كاره له ، ولايتم التصحيح والتصديق والذى قالوا من حجة زهرية عطاردية ضرب من المخرقة والتزويق والخداع .

فتعجب من ذلك فقال : أنت لله درك !

ثم قال أتدرون من الرجل ؟ قلت لا ، قال هذا الرجل يزعم انه نبى !

فقلت يا أمير المؤمنين فمعه شيء يحتج به فسأله فقال معى خاتم ذو فصين البسه فلايتغير منى شيء ويلبسه غيري فيضحك ولايتمالك نفسه من الضحك حتى ينزعه ، ومعي قلم شانى آخذه فاكتب به ويأخذه غيرى فلاينطلق إصبعه.

فقلت ياسيدى هذه الزهرة وعطارد قد عملا عملهما فأمره المأمون أن يفعل ماقال ففعله ، فعلمنا انه من علاج الطلسمات.

فمازال به المأمون أياما كثيرة حتى تبرأ من دعوى النبوة ووصف الحيل التى احتالها وعمل بها في الخاتم والقلم ، ثم وهبه المأمون الف دينار

ثم لقيناه بعد ذلك فاذا هو من اعلم الناس بعلم النجوم .

فأما ماقد ذكر في القرآن في مواضع كثيرة من ذكر السحر وتكرير ذكره

فمن ذلك ماقيل في سورة البقرة قال : (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ومايعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه وماهم بضارين به من أحد إلا باذن الله) .

فاذا كان قد بلغ من قوة السحر وعلمه أن يفرق بين المرء وزوجه فأي شيء بقي بعد هذا ؟ أوهل في ذلك الخبر شك بعد مانطق به القرآن وعرفنا منه صحته؟ وقد قال عز وجل في سورة المائدة : (واذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين) وقال عز من قائل في سورة الانعام : (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين) وقال عز وجل في سورة الاعراف : (قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم إذاً لمن المقربين . قالوا ياموسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين ؟ قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم) .

ألا ترى أن القرآن يستعظم سحرهم وقال تعالى في هذه السورة : (وألقي السحرة ساجدين) وفيها أيضاً : (وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) وفي سورة يونس : (أكان للناس عجباً أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر المؤمنين الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لسحر مبين) وقال تعالى في تلك السورة : (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين) وقال تعالى في سورة بني اسرائيل : (نحن أعلم به إذ يستمعون اليك وإذ هم نجوى اذيقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً) وفيها : (ولقدآتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني اسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون اني لأظنك ياموسى مسحورا) وقال تعالى في سورة طه : (قالوا

أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى) وفيها إن هذا لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما) وفيها : (فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) وفيها : (إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى).

وهذا أيضاً أيها الاخ أيدك الله كما تسمع وترى ماذكر القرآن من تكرير ذكر السحر في هذه المواضيع أتراه باطلا لا أصل له أعوذ بالله أن نسحر أحداً من الخلق وأن نقول هذا ! الآن نرجع أيضاً الى ماعليه أصحاب الشرائع الاخر وما في كتبهم التي يتدينون بها ويشهدون بصحتها فمنها مافي التوراة مكتوبة مايعتبره ويقر بصحته أمتان من الامم وهم اليهود والنصارى جميعاً والتوراة موجودة بايدي اليهود والنصارى باللغة العبرانية وباللغة السريانية وباللغة العربية لاخلاف بينهم فيها بل هم متفقون على صحتها وحقيقة ما فيها ، وفيها مكتوبة في قصة عيصو قال : (كان عيصو بن إسحاق صاحب صيد وكان كلما خرج الى الصيد خرج اليه ابن النمرود بن كنعان فيقول : صارعني على أني إن غلبتك أخذت صيدك ، وكان على بن النمرود قميص آدم خرج معه من الجنة وكان فيه صور لكل شيء خلقه الله من الوحش والطير ودواب البحر وكان آدم إذا أراد صيداً من شيء من الوحش أو غيرها وضع يده على صورته في القميص فيبقى ذلك الشيء حائراً واقفاً أعمى حتى يجيء فيأخذه . فكان كلما صارعه أخذ ابن النمرود عيصو ابن اسحق فضرب به الارض وأخذ صيده .

فلما طال ذلك على عيصو شكا الى أبيه اسحاق ما يلقى من ابن النمرود، فقال له اسحاق صف لى القميص فوصف عيصو فقال له اسحاق هذا قميص آدم ولن تغلبه مادام عليه فاذا جاءك يطلب المصارعة فقل له حتى تنزع القميص فصارعه إذا فعل ذلك فانك تغلبه فاذا غلبته فخذ القميص وعد .

فخرج عيصو يريد الصيد فجاءه ابن النمرود كعادته وطلب المصارعة فقال له

عيصو تنزع ثيابك ثم نتصارع فنزع ابن النمرود القميص ونزع عيصو ثيابه ثم اصطرعا فضرب عيصو به الارض وجلس على صدره ثم وثب عيصو وأخذ القميص والصيد ومضى في الهرب يعدو وأعجز ابن النمرود المشي في البرية فقال يابني : مادام القميص عليك فلن يغلبك ، فاذا مضيت الى الصيد فأردت أن تصيد شيئاً فضع يدك على صورته في القميص فيقف لك حتى تأخذه .

وكان عيصو إذا أراد صيداً من الوحش وضع يده على صورته في القميص فيقف أعمى لايبصر حتى يجيء عيصو ويأخذه .

فمن ههنا كان يدخل يده ويصيد بالقميص وهذا أيها الاخ خبر مشهور يعرفه جميع من يقر بصحة التوراة من اليهود والنصارى ولا يجحدونه البتة وأيضاً في التوراة في السفر الثاني منها في قصة يعقوب مع لابان خاله قال : (فلما ولدت راحيل يوسف قال يعقوب للابان وجهني وسر حتى انطلق واذهب الى بلدي ومكاني وأرض من أولادي وأعطي نسائي الذين وعلت معهم لك فقال لابان اخبرني كم أجرك أعطيك فقال يعقوب اربع وارعى غنمك واحفظها بالليل والنهار واسعي في جميع غنمك واعزل كل احمر سمين وكل أبقع وكل حمل ملمع ببياض في سواد وكل أملح ببياض من الغنم وكل اصلح أبيض من المعز فليكن ذلك أجري واشهد على هذا الظعن اليوم لكن بعد هذا اليوم على أغبر وأملح بياض وأحمر من المعز أو ملمع بسواد وبياض من الضأن فهو اجري ، فقال لا باس نعم ليكن كما ذكرت وعزل في ذلك اليوم التيوس الملمح ببياض وكل شيء في غنمه أصلح أو أبقع أو أحمر وكل ما كان فيها بيضاء وكل ملمع بسواد وبياض فجعلها على أيدي ولده وفرق يعقوب بين مرعى غنمه ومرعى غنم لابان وجعل بينهما مقدار مسيرة ثلاثة أيام وغنم كل واحد منهما على حدة في موضع وكان يعقوب يرعى سائر غنم لابان التي بقيت وأخذ يعقوب قضباً رطباً من لوز ودلب وقشر منها قشوراً وجعل من البياض في القشور وركز القضبان التي قشرها في مجرى الماء من المستقى في موضع ترد منه الغنم للشرب فيستقبل الغنم فتفرح وتتحرك أولادها في بطنها إذا رأت القضبان

تتنج الغنم حلحاً وملحاً ففي كل سنة أول ما يحمل الغنم متقدمة جعل يعقوب يركز تلك القضبان في المأمن المستقى ولا يركزها فى مؤخر الغنم فاستغنى الرجل وكثرت ماشيته).

فهذا أيضاً فى التوراة مالا يرفعه أحد فاعرفه أيها الأخ ثم أيضاً في كتب أخبار ملوك بنى اسرائيل التى تجري عندالیهود مجرى التوراة يذكر أنه كان فيهم نبى يقال له شمويل وهذا مشهور فى الانبياء عليهم السلام وله كتاب والنصارى واليهود معترفون مصدقون بنبوته وجلالة قدره وكتابه معهم ويذكر في الكتاب انه نصب لليهود ملكا يقال له طالوت وأمره الله تعالى بقتل العماليق ففعل إلا أنه خالف من قبل مواشيهم وسقط عن مرتبة الملك ومسح له داود دسبراً ومات شمويل وأقبل طالوت على قتل السحرة والعرافين فقتل من قتل وهرب من هرب ، وأقبل أهل فلسطين لمحاربته بجمع العرافين لهم ودخل الرعب من كثرة الجيوش المنصبة عليه ولم يجد من يسكن الى قوله كعادته من نبى ولاساحر ولا عراف ولا حاكم فقلق لذلك وقال لخاصته : اطلبوا لى ساحراً اسأله عن عاقبة أمري ، فدل على ساحرة فسكن اليها وسألها أن تحيى له نبيا يسأله فسألته أي الانبياء يختار أن تحييه فاختار شمويل فأحيته ، وفزعت عند رؤيته فصرخت فقال لها طالوت : لاتفزعي ماذا رأيت ؟ فقالت رجلا شيخاً بهيا مثل ملائكة الرب مشتملا ببرنس قدصعد من الارض فعلم طالوت أنه شمويل أرسله الله فدخل اليه وسجد بين يديه ، فقال شمويل : ياطالوت لم أرجعتنى وأحييتنى ؟ قال لما ضاقت بى الارض من أهل فلسطين ومحاربتهم اياي وزوال عناية الله عنى ومنعه الاحلام منى فدعوتك لأشاورك في أمرى . فقال شمويل ان الله تعالى قد نقل الملك الى صاحبك داود وغضب عليك وعلى بنى اسرائيل بما فعلتموه في مواشى العماليق وهو ناصر فلسطين عليكم ومديلهم منكم فتصير معي غداً في الاموات نخر مغشياً عليه وعرفته الساحرة فأقبلت اليه ومن كان معه ولم يزالوا به حتى أفاق وأضافهم ليلتهم وانصرفوا مصبحين ، فالتحمت الحرب فوقعت الهزيمة على العبرانيين فأكثر القتل فيهم وقتل طالوت

ثلاث بنين واتكأ هو على حربته فأخرجها من ظهره فاجتمع بنو اسرائيل على تمليك داود فدافع بهم من ناوأوهم .

فهذا كله أيضاً أيها الاخ قد وردت به الاخبار فمنها ماهو من جهة الفلاسفة ومنها ماهو من جهة الانبياء وكتب الشرائع ، ومنها ماهو مذكور في القرآن من ذكر السحرة بما قد حكيناه فيما تقدم .

أفترى هذا كله كذب لا أصل له وسخف وحماقة ممن يذكره عند هؤلاء المتعجبين المنكرين بأنفسهم المكذبين بما يسمونه بجهلهم تكبرا منهم وتيها وصلفاً لقلة عقولهم وقصر علومهم وقصورهم عن نيل العلوم الحقيقية فيجدون الانكار والتكذيب أخف عليهم والله المستعان ونسأله حسن التوفيق والاختيار . ونقول إن آخر ما سمعنا عمن ادعى علوم الطلسمات وأفعالها ممن نقلت الينا أخبارهم وبلغنا آثارهم اليونانيون وهؤلاء لهم عند الناس أسماء مختلفة فمنها الصابئون والحراسون والحتوفون ، وقد كانوا اذا أخذوا أصول علومهم عن السريانيين وعن المصريين على حسب تنقل الصنايع والعلوم في البلدان بما يحدث لها من السياسات والاديان ، وقد كان من رؤساء أوائلهم أربعة أولهم أغادمايون وهرمس ولومهرس وأراطس ، ثم تفرقت جيوشهم الى الفوثاغرية والارسطانونية ومن الافلاطونية والاقموروسية .

وهم يزعمون أن العالم متناه في مساحة الا انه كرى الشكل ويزعمون أنه ليس لوجوده مبدأ ثاني وانما هو متعلق بالبارى سبحانه وتعالى تعلق المعلول بعلته

وهم يزعمون أن العالم الارضى أيضاً تتم أموره باشياء : أحدها المادة القابلة للمزاج والتأليف وهي العناصر الاربعة ، والثاني النفوس المحركة والساكنة في أشخاصه والثالث تحريك العالم السماوى للعناصر الأربعة والمتولدات منها حتى تهيأ لقبول تأثيرات الانفس من التحريك والتسكين والجمع والتفريق والحر والبرد والرطوبة واليبس التى تمكن الصانع من تأثيرات الصنعة في المادة لكل مصنوع

والرابع حفظ الاله الاعظم سبحانه وتعالى لقوى جميع الموجودات عليها وإمداده بالمعونة لها وتتميمه لاغراضها ومقاصدها وقسمة الامور الموجودة على الكواكب السبعة .

وزعموا أن الكواكب الثابتة مقسومة على الكواكب السيارة ممتزجة من قواها ومعينة لها على أفعالها.

وزعموا أن الفلك التاسع المماس لفلك الكواكب الثابتة وهو المنتهى لفلك البروج مصور بصور تخصه.

وأن كل درجة من درجاته تنقسم قسمين أحدهما في الشمال والآخر في الجنوب، فيها صور قد وقفت عليها المراعات لتأثيراتها العارضة عليها على طول الزمان على مايذكره أصحاب الطلسمات.

ولما قسموا الامور الارضية على الكواكب السبعة ورتبوها تحت تدبيرها والتأثير فيهاجروا أيضاً على ذلك السبيل في أمر الجهات والأقاليم والنواحي والمدن والرساتيق.

وأما النفوس فعندهم أن منها مالايتعلق بالاجسام ولا يسكن الجثة بوجه من الوجوه لعلوها عليها وارتفاعها عن أوساخها وأقذارها.

ويسمون هذه النفوس الالهية وهي عندهم تنقسم قسمين: أحدهما خير بالذات ويسمونهم الملائكة ويتقربون اليها اجتلابا لخيرها.

والقسم الثاني شرير بالذات ويسمون أشخاصه الشياطين، ويتقربون اليها استكفاء لشرها وجعلوا لكل واحد منهم دعاء مقرراً وبخوراً معلوما وسياقة عمل يتوصلون به الى مايرومونه منهم.

ونفوس أخرى متعلقة بجثة الكواكب لاتفارقها وهي مع ذلك تتعلق وتتصرف في العالم الارضي صنفين من التصرف: أحدهما بطبائع أجسادها كما ذكر في كتب أحكام النجوم.

والثاني بنفوسها ونفوس أخرى متعلقة بالاجساد لاتفارقها ولا تصبر عنها الا بمقدار ماتفارق الجثة لفسادها.

ومن هذه الطبقة من النفوس نوع يسكن الجثة الانسانية ويتصرف بها وفيها ولايفارقها الا مفارقة النفس سائر أشخاص الحيوانات والنباتات ومضيها

الى بحر طوس يعنى كرة الأثير لتعذب هناك الى أن تطاب الانقلاب منه والهبوط الى مادة تصلح لسكناها أو تتمكن من ادراك نجاتها .

ويزعمون أنهم يقدرون على معرفة من هذه سبيله : وذلك بأن يشاهدوا أخلاقه وعاداته فاذا وجدوه شبيهاً بالبهيمة في تصرفه مع الطبيعة من غير فكر ولا روية ولا قبول علم ولا فكرة ولا نصرة دين أو تصفح لمذهب حكموا عليه بأن نفسه نفس بهيمة لا تصلح الا لعمارة الدار واقامة نوع الانسانية فقط .

والنوع الآخر نفوس يمكن فيها أن ترتقي الى الافلاك وتسكن بها وتتلذذ بها وفيها عند صحتها ويمكن أن تهبط عنها وتسكن الجثة وتتعلق بها عند مرضها وتلتذ وتعذب بها وفيها .

وهذه النفوس الانسانية البشرية وهم يزعمون أيضاً أنهم يمكنهم أن يعلموا الى ماذا تؤول اليه عاقبة الانسان بعد وفاته اذا فارق الدنيا وهو على مايشاء قدير من حاله .

وذلك أن لكل واحد من الآراء والديانات تصنيع بالمعتقد له الى صنف ما من صنوف الاخلاق وتحرك الى فن من الفنون في الاعمال كالمذهب الذي يشتد توحش أهله وتقشفهم ، والمذهب الذى يكثر الجدل فيه والمنافرة والمذهب الذى يكثر فيه قتل النفوس وأخذ الاموال والمذهب الذى يفرط فيه ذبح الحيوانات وأكل اللحوم الى غير ذلك من المذاهب الآخذة من الانهماك في شيء من الاعمال — فان هذه الاعمال اذا كثرت من الانسان البسته من الاخلاق بما توجبه عادته التي قد دام عليها وعرف بها .

وزعموا أيضاً أن كل صنف من أصناف الاخلاق وان كان موجوداً في الناس فانه في نوع مامن أنواع الحيوانات أقوى وأظهر ، وذلك ان الشجاعة في الاسد والختل في الذئب والروغان للثعلب والحرص للخنزير والسلامة للحمار والذلة للبعير والسهو للوزغة ، واللجاجة للذبابة والخنا للدب ، والولع للقرد والظلم للحية والسرقة للعقعق والاختطاف للبازى والفزع للارنب والاحتضار للظبى والغلمة للتيس والزهو للطاووس والغدر للغراب والنسيان للفأرة والاحتكار للنملة والممارسة للكلب والمواثبة للديك .

وأشباه ذلك من لوازم الاخلاق لاصناف الحيوانات وكل خلق من هذه الاخلاق مشترك فيه عدة من انواع الحيونات ويختلف فيه بالقلة والكثرة فيكون كل مقدار من هذه مقصوراً على نوع من الانواع .

فاذا كان الانسان وهو على حد ما من تلك الحدود انتقل الى ذلك النوع الذى حظه من ذلك الخلق المقدار الذى عليه قد مات ويشبه أن يكون هذا المسلك عكس مسلك صاحب الفراسة لان هذا المسلك يتطرق فيه من الخلق الى استخراج الاخلاق وفي كل جثة تحلها وطينة تخصها ، يخلط لها النعيم بالعذاب والألم باللذة ليكون ذلك خدعة لها ورباطاً بطول مدة تعلقها بها حصلت فيه من محبسها إلى أن يستوفي منها ماحصل عليها وتفي مالها (وماالله بظلام للعبيد) .

فهذا الذى قد ذكرته كله وحكيته عنه من أصولهم ومقدمات علومهم في تصحيح مذهبهم فى السحر والطلسمات

وان كنت تركت أكثر مما ذكرت وأسقطت أكثر مما حكيت تجنباً للاكثار وطلباً للاختصار ، فانى تركت ذكر ما عندهم في ذلك مما يجرى مجرى ما قد ذكر في كتاب الخواص كفعل المغناطيس وغيره من الخواص ، فانى تركته لظهوره . غير أنى أذكر جملة أخرى لتقف منها أيها الأخ أيدك الله على جميع أغراضهم وتصور أحوالهم في مطلوبهم وأنهم أيضاً زعموا أنهم لما استقرت عندهم هذه المقدمات وأنسوا بها وطال خوضهم فيها فرعوها وبنوا عليها وقالوا : فاذا كان هذا الذى تقدم ذكره مستقراً مستمراً وكانت الكواكب والنفوس المستعلية على الاجسام بهذه الحال من العلم والقدرة وكانت هذه هى المواتية لنا والمستعلية علينا فان الحاجة تضطرنا الى التقرب اليها والتضرع لها فى اصلاح ما فسد فينا وتسهيل ما عسر علينا وتسديد ما عدل عن الصواب من أفكارنا وآرائنا ، ليحصل لنا بذلك أمران : أحدهما طيب العيش في الدنيا ، والثاني التمكن من الاخلاص الى الآخرة .

وكانوا اذا أرادوا التقرب الى كوكب أو الى نفس منها عملوا الاعمال التى قد وقع لهم أنها موافقة لطبيعته ، وسألوا عند ذلك حاجتهم التى هي داخلة تحت

قدرته ويقولون : انهم اذا عملوا صنفاً من أصناف الاعمال الطبيعية وتقربوا بها الى الكواكب المراعى لها من غير تعرض لشيء مما يتعلق على أحكام النجوم فانه يكون التأثير عنه في قضاء الحاجة ضعيفا لانفراد ذلك الكوكب منها بالارادة فقط

وهكذا اذا عملوا وسلكوا مسلك الاختيارات النجومية في التماس الحاجة من غير مراعاة الاعمال الطبيعية كان التأثير فى قضائها ضعيفاً أيضاً بل لايكاديتم فى أكثر الامر لانفراد الكوكب فيها بالطبيعة فقط كما تسمع وترى كثيراً ممن يتعاطى ذلك ويطلبه بجمله من غير وجهه ويرومه من غير جهته من البله والعوام القليلى المعرفة بهذا الأمر الجهال بأصول هذه الصناعة أعنى صناعة الطلسمات والسحر ويزعمون أنهم اذا جمعوا بين الأمرين وسلكوا في طلب حوائجهم السبيلين اجتمعت لهم فيها طبيعة الكوكب وارادته وكان ذلك أوكد السبب وأحمد في الطلب وبلوغ الغرض .

ويزعمون أن ذلك العمل ان صدر عن سريرة مدخولة ونية مضعوفة جرى مجرى العبث والولع وسقط الانتفاع به ، وربما كان داعيا الى العكس له والمضرة فيه وبه ، وكانوا ينظرون الى المدن التى في قسمة كوكب ما من الكواكب على ما أدتهم التجربة اليه كما هو موجود مذكور في كتب أحكام النجوم فيميزونها وينظرون أيتها في ولايته اذا كانت في شرفه ، وأيتها في ولايته اذا كانت فى بيته ، وأيتها في ولايته اذا كانت فى جده ، وأيتها في ولايته اذا كانت فى وجهه . فاذا تميز لهم الاستقرار لأحوالها والتصفح لحوادثها انتظروا حصول ذلك الكوكب فى بعض تلك الحظوظ فابتدؤا ببناء هيكل لذلك الكوكب لتلك المدينة التى ذلك الحظ مقصور عليها وصوروا معه مراعيه من الكواكب والصور التى تكون في درجته ووضعوها في ذلك الهيكل وسنوا له سنة أعمال وثبتوها في دستور يتركونه عند سدنته ويضيفون اليها ذكر الامور التى تصلح أن يسألها اذا كان في ذلك الحظ من حظوظه مما هو داخل تحت قسمته وجعلوا ذلك اليوم

من كل سنة عيداً لذلك الكوكب فى ذلك الهيكل فكان الانسان من عامتهم اذا عرضت له حاجة ما استغنى فيها فسأل عنها في حيز أى الهيكل فاذا عرفوه نذر لذلك الهيكل نذراً يليق به وخرج به اليه في يوم عيده وفعل الافعال المسطورة له وسأله حاجته .

والمثال فى ذلك تمييز الحوائج أن الشمس مثلا اذا كانت فى الحمل — هو شرفها — جعلت في درجة الطالع وكانت الحوائج التى يمكن أن يسحربها انما هي ما كانت من الامور في قسمة البرج الخامس من الولد واللذة والفرح بسبب برج الاسد الذى هو الخامس من طالعها ، فاذا كانت فى الاسد جعلت فى درجة الطالع كانت الحوائج التى تمكن أن يسحر لها انما هي ما كانت من الامور متعلقة نفسها بالديانات والربانيين والقضاة ونحوها من الاسفار بسبب برج الحمل الذى هو شرفها وهو التاسع من الطالع ، والقمر اذا كان في الثور الذي هو شرفه وجعل في الطالع فانما يتم من الحوائج ما كانت في القسمة الثالثة من الاخوة والاخوات والقرابات والاسفار القريبة بسبب السرطان الذي هو الثالث من الطالع ، واذا كان فى السرطان وجعل فى الطالع ، فانما يتم به الأمور وتقضى به الحوائج ما كانت فى قسمة الحادية عشرة من الرجاء والسعادة على ذلك سائر حظوظ الكواكب وجعلوا الكواكب السيارة من الهياكل بحسب ماأوجبه عدة حظوظها وكانت للشمس منها عدة اشرافها

قالوا : وللقمر عدة أشرافها أنبياء النواميس والسنن وكذلك لبقية الكواكب السيارة . وزعموا أن التجربة أدتهم الى ذلك والى معرفة قوى تأثيراتها فنها (كلب الجبار) وهو الشعرى العبور ومنها (الاورون) وهو الجدي ومنها (هروس) وهو الرامي ومنها (السهى) وهو الكوكب الصغير الذى فى بنات الشعرى الكبرى . وعملوا أيضا هيا كل أخرى كأنها النفوس المجردة وأجروها مجرى الكواكب والحوائج منها (الفلوطى) وهو الملك الموكل بالجحيم والهاوية ومنها (لفوسدور) وهو الملك الموكل بالبحر ومنها (للموجاس) وهو الملك الموكل بالرياح

ومنها (لميس) وهو الموكل بالروائع العارضة من الجن ومنها (الفرطوس) وهو الملك الموكل بالامواج الى غير ذلك مما تخيلوه فتمت لهم بذلك سبعة وثمانون هيكلا ثم عملوا على هذا الوجه من العمل هيكلا فى وقت كانت الكواكب السيارة كلها فى حظوظها وقسموه قسمين فجعلوا احدهما للرجال والآخر للنساء وفى كل واحد من قسميه بيت عظيم ليس فى حيطانه نقب ولا فى بابه شق حتى اذا اطبق بابه لم يبق منه شيء من الضوء البتة وجعلوا بابه مما يلى الجنوب وصدره مما يلى الشمال وصوروا باسمائها البروج الاثنى عشر وعملوا صور الكواكب السيارة كل واحد منها معمول من المادة الموافقة كالشمس من الذهب، والقمر من الفضة، وزحل من الحديد، والمشتري من الزئبق، والمريخ من النحاس، والزهرة من القلعى، وعطارد من الاسراب

وجعلوا كل واحد على صورته التى يكون عليها في برج شرفه مما هو مبين في كتب أحكام النجوم وبين يديها مطرح لطيف عليه سبعة أقراص جوارى قد وضعت على مثال المرامي ووجهها الى التماثيل، وعلى كل واحد منها مجهود حربه معمولة من دابن أحمر كل واحد منها على اسم كوكب من الكواكب السبعة والقريبة من الاصنام للقمر ولها دور واحد: البعيد منها لزحل ولها سبعة أدوار وكل واحد منهن، فأدوارها على مرتبة كونها، وفى كل واحدة منهن مجمرة ولها بخور مفرد: فالتى للشمس العود، والتى للقمر الكافية، والتى لزحل الميعة، والتى للمشتري العنبر، والتى للمريخ السندروس، والتى للزهرة الزعفران، والتى لعطارد المصطكى، وعن شمال الكواكب ابريق شراب وثلاثة قضبان طوال من خشب الطرفا، قد قطعت من شجرتها قبل صياح الديك وسكين حديد نصابها منه، وخاتم حديد فصه منه لطيف فى قدر الظفر منقوش عليه صورة جرجاس رئيس الابالسة فاذا حضر عند ذلك وهو هيكل جرجاس وفيه يدخلون أحداثهم وجواريهم الى دينهم، وفيه تذبح الديكة وفيه تلاوة السرين اللذين سنذكر حاليهما فيما بعد، فيأتي رئيس الكهنة فيدخل الى بيت من الرجال ويقعد على ذلك المطرح يحاذي المادة قبل غيبوبة الشمس ويطبق الباب والسرج تشتعل والدخن تفتر

وهو جاث قد افترش رجله اليسرى ونصب اليمنى ووضع ابهامه وسبابته ووسطاه من يده اليسرى بالارض ورفع مثلهن من يده اليمنى وأقبل يقول في ذلك الوقت قبل صياح الديك قولا هذا معناه : ياجرجاس الجراجسة وابليس الابالسة وكبير الشياطين وعظيم الجن أجمعين أسألك وأتضرع اليك وأطرح نفسي بين يديك عالماً أنه لايخلصني الا رضاك ولا ينجيني الا مداراتك اذ كنت مني جاريا مجرى الحس وساكنا مسكن النفس ومتصرفا فيما تحت شعاع الشمس .

اخلاطنا بك مثورة وأعضاؤنا مختلفة وخلقتنا مشوهة وأفكارنا مبلبلة وأقدامنا مزلزلة .

وقد عزمنا في صباح ليلتنا هذه على ادخال بعض احداثنا في دعوتنا واسماعه سر ملائكتنا فأحضر معنا وأشهد لنا وعلينا واصرف شرك وبليتك غداً واطرد ذوي المكر والخداع من أصحابك عن موقفنا .

وأنا أقرب اليك وأذبح بين يديك عدواً من أعدائك أزرق مربيقاً أفلق قد طال ماعاداك بطبعه وكان ذلك بحمده وتسنم الى بنا الجرار وتسلق الى غصون الاشجار وصوح في وجوه الاشجار وصفق بصفيق السماوية والانذار ، فارتاع له جنابك وتلجلج من خوفه لسانك ، ودبرت باقباله هاربا عنه ونفرت بنفوره مذعوراً منه واجعل لك ذلك رسماً مرسوماً وقانوناً معلوماً في كل حدث اسمعه سري وأحركه لك في شيء تصلح به أمري ، حتى اذا صاحت الديكة أمسك عن كلامه وأقبل على ماينتفع به من نوم أو غيره فاذا اسفر الصبح اقبل. وقد اجتمع من حضر من رجال اهل دعوته وحدهم وجيء بالاحداث الذين يريدون ادخالهم الدعوة واسماعهم السر فوقفوا على باب بيت السر ويعرى أحدهم ويقبض على عضده كاهنان فيدخلانه وهو مشدود بعصابة وهو يمشي القهقرى حتى يصل الى ذلك البيت الى رئيس الكهنة ومعه رجل يكفله ويطبق الباب والسرج تتقد والمجامر تدخر فيقول له رئيس الكهنة : أتحب ان تدخل في ديننا فتسمع ملائكتنا ؟ فيقول نعم . فيقول له على انك ان خرجت عن ديني او اظهرت احداً على سري أذل الله رأسك بهذا الذي تحت قبضتي بين أصحابي وأسقطا كليلك من ورائك ، فيقول نعم .

فيقول : لكن إن أقمت على ديني وحفظت سري فان رأسك يكون بين أصحابك عالياً وأكليلك ثابتاً .

ثم يقول لكفيله : أتكفل أنت على اقامته على ديني وحفظ سري فيقول نعم فيضجعه الكاهن على ذلك البساط قدام المائدة على جانبه الايسر ويتلو على رأسه أسماء الملائكة المذكورة والمرتبة ، وهي سبعة وثمانون اسما وجرجاس رئيس الأبالسة.

ثم بعد ذلك يقول : طوباك إذ صرت من أهل الاستماع لهذه الاسرار وان لم تكن لله طاهراً فان الله يطهرك .

ثم يتناول تلك السكين التي وصفتها ليذبحه بها فيتقدم كفيله فيقول له : فادفع الي خاتمك رهناً عنه انه يحفظ المناسك ويقيم على الدعوة ويكتم السر فيدفع اليه خاتمه والديك .

فيقول الكاهن : فانا إذاً أقبل نفساً بدل نفس وندبا بين يدى الشمس المحيية للنفوس وجرجاس رئيس الأبالسة .

ثم يترك الديك على عنق الغلام ويذبحه وهو يقول : ياجرجاس ملك الابالسة اقبل هذه الذبيحة واترك هذا الغلام لأبويه وللملائكة

ثم يحمى ذلك الخاتم الحديد بالسراج ويكويه على ظهر ابهام يده اليمنى وقد أمسك بها تسعة وتسعين ويكويه ببعض تلك العيدان من الطرفا الى صدره وجبهته كيا خفياً لئلا يظهر .

ثم يلبسه ثياباً جدداً بيضاً وخفاً من جلود ذبائح الملائكة ويشد وسطه بعمامة ويعطيه فطور ملح يرسمه رسما مثلثاً ، وكذلك يفعل بسائر أصحابه

وأما جمهور الناس فانهم يكونون خارج بيت السر في الهيكل ومايليه يقضون تفثهم ويوفون نذورهم ويذبحون قرابينهم من أصناف الحيوانات ومن الديكة لجرجاس رئيس الأبالسة كما ذكر افلاطون في كتابه المسمى (فاذون) من أن سقراط الحكيم معلمه أوصى عندموته فقال: اذبحوا عني ديكا في الهيكل فانه نذر علي ، فكانت هذه وصيته آخر عهده من دار الدنيا وأ كاون لحوم سائر ذبا محهم

لئن شاؤا كيف شاؤا الا لحوم ديوك نذر السر فانها لاتا كلها إلا بروح الكهنة في بيت السر حتى إذا فرغ رئيس الكهنة من الاخذ على الاحداث شرع في اسماعهم السر ، وذلك أن لهم صنفين من الكلام كل واحد أطول من سور القرآن الطوال : أحدهما يسمونه سر الرجال والآخر يسمونه سر النساء ، فسر الرجال لايسمعه إلا الرجال ، وسر النساء لايسمعه الا النساء والسران جميعاً متساويان فى عدد الالفاظ والحروف .

وان الفاظهم جميعاً اذا نثرت ثم نظمت نظاماً تكون فيه كل كلمة أحدهما بين لفظتين من الآخر حدث منهما تأليفات كثيرة وأنه يكون في جملة تلك التأليفات أربعة تأليفات كل واحد منها يتضمن قوانين وبراهين علم من العلوم الاربعة التى أحدها الطب الذى تصح به الاجسام وتنفي به الاسقام والآلام ويتمكن من الانتفاع بسكنى الدار .

والثانى علم الكيمياء الذى به يدفع الفقر ويكشف الضر

والثالث علم النجوم وأحكامها الذى به يطلع على مايكون قبل أن يكون.

والرابع علم الطلسمات الذى به يلحق الرعية بطبيعة الملوك ، والملوك بطبيعة الملائكة والذى يمنع من كشف هذه العلوم وبذلها للجمهور من العامة مايتخوف به على الخاصة إذ كانت العامة بما هي عليه من الضعف في الهمة وقلة العلم وقوة الشر بسوء الاخلاق وقبح العادات ينهمكون فى الشهوات كيف كانت ويتناولونها من أين وجدت ولا يراعون فى ذلك رجوعا إلى دين ومروءة ومعرفة بالواجبات والمحظورات ، فيفسد بذلك الترتيب المحمود ويخرج عن الحد المعروف إذا دخل العامى الى معرفة علم الكيمياء مثلا اذا أنفق ماينفقه فيما لايحصل إلا فيما أباحته له الشريعة.

وهكذا إذا علم مالايجوز أن يعلم من علم الطب من الشمومات والخواص التى هى قوى الأدوية من المعادن وغيرها.

فينبغي أن يصان أيضاً هذا العلم عمن لايستحقه ويمنع عمن ليس هو أهلا لاستعماله .

فانه اذا علم العامي الذى تقدم ذكره ووصفه من علم الطلسمات مالا يجوز

لمثله أن يعلمه ولا يستعمله كانت الحال فيه كالحال التى حكاها افلاطون الفيلسوف في كتابه في السياسات .

وقد تقدمت حكايتنا لذلك في صدر رسالتنا هذه من حال الراعى الذى قتل الملك وجلس فى الملك مكانه من غير أن يكون له أهلا ولامستحقاً لذلك

وقد كان من المعظمين عندهم قولوس وأسروا الروم ورثة السر (قلبه بوار) وهى التى حرمت منه المعزى وجعلتهن للقربان فقط خالصة وان لا يقربهن حامل ولايأكل لحومهن .

ويعظمون آروس وصب الماء الذى سقط من الآلهة في أيام اسطرونيقوس وخرج قاصداً الى بلد الهند تخرجوا في طلبه فلحقوه وسألوه أن يرجع اليهم فقال لهم : اني لا أدخل بعد هذا بلد حران ولكن أجيء الى كاذى ومعنا كاذى ههنا هو مكان في شرق حران وانفقد مدينتكم .

وهم الي اليوم يخرجون في يوم عشرين من نيسان من كل سنة لتوقع ورود ذلك الصنم يسمون ذلك العيد عيد (كاذي) فانتظارهم لورود هذا الصنم مثل انتظار اليهودى للموسيح وهم يحفظون الجناح الأيسر من الديك الذى يذبح في بيت سر الرجال ويعلقونه على الحوامل واعناق الصبيان على سبيل الحرز .

ومن رسومهم العامية أيضا استكثارهم من الأكل والشرب وتوسعهم فى النفقة في أول يوم من نيسان وهو رأس السنة عندهم . فهذا ماعرفناه وسمعناه من الاخبار والدلائل على تصحيح الرأى فى علوم النجوم وما يتبع ذلك من علوم السحر وعلوم الطلسمات .

وأما الاحتجاج على كل حال فصلا فصلا ومعنى معنى واقامة البرهان على دون ذلك ونصرته ، فكتب القدماء والفلاسفة مملوءة به وهو أكثر من أن نحصيه في كتاب واحد وفى رسالة واحدة .

فأما قوة الرقى والعزائم والوهم والزجر وما أشبه ذلك وتأثيراتها ، فان من شاهد الافعال التى تورثها الأدوية والعقاقير في الاجساد وفي الانفس المقارنة للاجساد من أصناف التأثيرات وما قد تشاهده أيضا وتسمع به من تأثيرات

بعض الادوية والعقاقير والاحجار في بعض كحجر المغناطيس في الحديد ، وجذبه وجذب السقمونيا في الصفراء وجذب الحجر الأرمني في السوداء وحجر الشب ومنفعته لوجع المعدة اذا حمل عليها من خارج ، ومنفعة ذيل الذئب للقولنج ، ومنفعة الخيوط المنخق بها الأفعى إذا ألقيت على خارج من به ذبحة ، ومنفعة عود الصليب من الداء الذي يسمى أم الصبيان ، ومضرة الارنب البحرى في الرئة لأنه يقرحها والزرانيخ تقرح المثانة ، والمرادسنج اذا القي في الخل بدل حموضته بالحلاوة ، واذا ألقي في النورة سود البدن ، وحجر المغناطيس الذي يجذب الحديد اذا هو دلك بالثوم بطل الفعل عنه ، فاذا غسل بالخل عادت تلك القوة اليه ورجع الى فعله . ومثل هـذا كثير جداً يطول شرحه وتعديده — وقد ذكر منه كثير في كتب الخواص وجربه كله أو اكثره من ينشط من النار بتجربته — فقد شاهد هذه الامور خاصة من الجمادات وكيف تؤثر التأثيرات الظاهرة بعضها في بعض : فقد رأينا تأثيرات النفس الناطقة في النفس الحيوانية من أصناف التأثيرات في قمعها لها وكسرها لقوتها ، وما هو مذكور مسطور في الكتب المصنفة في اصلاح الاخلاق للفلاسفة وفي كتب الدين وفيما ذكر من الوعد والوعيد ومما تكسر به الاخلاق الرديئة والافعال القبيحة من المقاومة لها بأضدادها من الافعال الجميلة كمن يقهر الحدة التي هي من قوى النفس الغضبية التي تسمى النفس الحيوانيـة بالحلم الذي هو من قوى النفس الناطقة ويقهر العجلة بالاناة والشهوة بالعفة وسائر الاخلاق الرديئة والافعال الجميلة المحمودة ورأينا ما تؤثر أيضا النفس الناطقة في النفس الشهوانية ، ولا سيما اذا استعانت الناطقة على الشهوانية بالنفس الحيوانية التي تسمى الغضبيـة بقهرها لها بها وبقمعها حتى تنقاد لهـا وتذللها وتقيمها على الاعتدال في سائر أحوالها حتى لا تخرج عن العدل وعما توجبه السياسة الفلسفية والأوامر والنواهي الشرعية والسنن الدينية حتى لا تدعها تخرج عن ذلك ولا تجاوزه الى مالا يحل في الشريعة ولا الى مالا يجوز في العدل عند الفلاسفة .

ثم قد رأينا أيضا ماتؤثر النفس الناطقة فى النفسين البهيمتين : أعنى الغضبية والشهوانية اللتين فى الحيوان بما قد استخرجته من الاسباب المؤثرة فيها كالزجر وما تفعله من الزجر فى نادى الحيوانات كما يفعله الرائض بالخيل وتذليله لها للركوب وغير ذلك ، كما يفعله الفيال بالفيل من رياضته وتذليله وغير ذلك مما يجذب به النفس الناطقة النفس البهيمية الى تدبيرها وسياستها ، وكما يفعل الصفير للخيل والبقر عند شربها والحداء للجمال وغيرها وما يفعلونه اذا أرادوا حثها على السير أشاروا اليها باشارات قد عودوها هى حتى تنقاد لهم الى ما يريدونه منها وما يفعلونه اذا أرادوا منها أن تقف وتمسك عن السير امسكت ووقفت لهم ونفوسها تقبل هذه الاشارات المختلفة على اختلاف طبائعها ، والزجر للخيل والبغال والحمير غير الزجر للابل والبقر والغنم وكل جنس من هذه وكل نوع منها يراض باشارة ما غير الاخرى تؤثر فيه تلك الاشارة ويكون خاصة فيها فتؤثر تلك الاشارات المختلفة في أنفس الحيوانات وتقبلها منهم أنواع الحيوانات قبولا ظاهراً واضحاً على اختلاف طبائعها وتقهرها النفوس الناطقة وتجذبها الى ما تريد منهـا على اختلافها كاختلاف تأثيرات العقاقير على اختلاف طبائعها فى الاعضاء المختلفة بالخواص التى فيها . فهذا أيضاً دليل على أن الرقى والعوذ (١) تعمل فى الانفس وتؤثر فيها على قدر جواهرها وطبائعها .

ثم أن الحكماء دلت على الخواص التى فى العقاقير والادوية على طبائعها وأثبتت كل طبع وكل خاصية لمـاذا يصلح وينفع ، ولمـاذا يضر ويؤذى ، ولأي داء ينفع ولأي عضو من الاعضاء يضر .

كذلك أيضا قد دلت على هذا الرقى والعوذ والنشر وأثبتت ما يفتح لكل شيء من الحيوان وما يخصه مثل رقية فم السرور ورقى الحيـاة ومثل ما تؤثر

(١) العوذ : بضم العين بعدها واو مفتوحة وذال مضمومة جمع عوذة من عوذ بعين مفتوحة وواو مشددة وأعاذه إعاذة رقاه ودعا له بالحفظ . وعوذه بواو مشددة طلب له الحفظ وعلق عليه العوذة .

رقية العقرب ورقية الزنابير وغير ذلك من الحيوان ، ومثل ما يؤثر السحر في أنفس الآدميين وأجسادهم وهو شيء يطول الشرح فيه — وقد حكينا فيما تقدم من رسالتنا هذه ماقد دل على صحة القول به وصحة العلم بالطلسمات وفي بعض ماذكرناه كفاية في الدلالة على صحة القول به وصحة العلم لمن وقع بما قلناه فيه — وأما هذه الرقى والنشر والعزائم وما يشاكلها فانما هي آثار لطيفة روحانية من النفس الناطقة تؤثر في النفس البهيمية وفي الحيوان . فمنها مايحركها ويزعجها ومنها ما يقمعها ، ومنها ما يعمل فيها تأثيرات قوية اعمالا مختلفة فيه اصابة بالعين وربما شجه وربما صرعه

فقد رأينا كثيراً من يصرع الانسان في أقل من ساعة اذا جلس بين يديه ! وانما ذلك أثر لطيف يبدر من نفس فيعمل في نفس أخرى كما يبدر الشرر من النار فيقع في الأجرام فيحرقها ، إلا أن الذى يبدر من النفس روحاني لطيف لانه يخرج من النفس اللطيفة ويعمل في لطيفة مثلها ، والذي يخرج من النار هو أكثف منه على قدر كثافة النار ويعمل في الأجرام الكثيفة ويكون سبب هذا الأثر — اذا نظرت وتصورت صورة المنظور اليه — في الفكر والفكر هو أحد حواس النفس الناطقة ، ومؤدي ما يحيط به الى النفس بدر من النفس بادر فأثر في نفس المنظور اليه فصرعه .

وهذا موجود ظاهر في الملقوعين (١) وكثير من الناس من يدفع هذا ولا يؤمن به ولا يصدقه وهو شيء واضح مشاهد ومايسمعه دائماً .

فيحكى عن قوم من أهل الهند أنهم يؤثرون في غيرهم بأوهامهم أشياء عجيبة ينكرها أكثر الناس ، وبذلك يدفع السحر — كما حكينا في هذه الرسالة عنهم — ويدفع الرقى والوهم لان مثل هذا هو من اللطائف التى تشبه الغيب ولكنه موجود وفي الملقوعين خاصة ظاهر وانما يدفعه من يدفعه من جهة أنه قد تشبث بدعاوي

(١) الملقوعون : جمع ملقوع والملقوع من أصابته العين . والملقوع أيضاً من لدغته الحية . واللقاع بفتح اللام المشددة وضمها : الذباب الاخضر الذى يلسع الناس الواحدة لقاعة بفتح اللام وضمها . والمعنى الاول هو المراد كما يفهم من سياق الحديث والله أعلم

كاذبة قد أصلتها أصحاب المخاريق الكذابين ودسوها فيما يشبه ذلك الجن — كما قد حكينا في صدر هذه الرسالة في معنى تكذيبهم بما يستمعونه من ذكر السحر وذكر عمل الطلسمات اذا سمعوا من بعض الطالبين له من الجهال الخائضين في طلبه والمتعاطين له من غير معرفة به أصلا ولا عرفوا أصوله مثل انسان أبله قليل العلم والعقل جميعاً أو امرأة رعناء جاهلة أو عجوزة كذبوا هؤلاء ورفعوا أنفسهم عن أهل هذه الطبقة اذ ظهر لهم نقصهم وجهلهم اذ وجدوا أكثر هذه الامور التى قد أفسدها أولئك الجهال الكذابون باطلة — حكموا على جميعها بالبطلان ، ولان الذي هو من جهة الكذابين هو أكثر وأعم .

فأما الاصل الذي هو من الحكماء فهو صحيح وعن الاصول الصحيحة وهو قليل جداً .

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : (السحر حق والعين حق) . وروي أنه ﷺ سحر به وأن السحر استخرج من الجب والحديث في ذلك مشهور(١) وروى عنه ﷺ أنه أمر رجلا لقع صعداً أن يرقى له ، وهذا أيضاً حديث مشهور . وانما أمر الرجل أن يفعل له ليزول عن الملقوع ما أثرت فيه العين بما بدر منها وأن يزول ذلك بما يبدر منه ، ولانه ﷺ علم ذلك بخصوصيته وكيفيته وعرف السبيل فدل عليه .

ومثل هذا ما نشاهده من التثاؤب ونرى إن تثاءب رجل تثاءب جليسه حتى ربما يتثاءب جماعة من مجلس واحد .

وهذا من جهة العدوى وهي أيضاً أثر يؤثر فيبدأ من النفس التى ينظر اليها ويؤثر فيها — وهذه الصفات التي ذكرناها دليل على تأثير الرقى والنشر والعزائم في الأنفس البهيمية التى فى أصناف الحيوانات وانما ترى الراقى يستعين على الرقية بالنفث والنفخ وغير ذلك لان النفث والنفخ هما من جوهر هذه البهيمة بحركة من النفس المنطقية ويؤثران فيها كما يؤثر الصفير والنفير وسائر الاشارات التى

(١) الحديث الوارد في هذا حديث مدسوس واعتقاد أنه صلى الله عليه وسلم يؤثر فيه السحر كفر صراح لا يقول به مسلم لانه لا يتفق مع مقام الرسالة وما يجب لصاحبها من عصمة عن الزلل والخطأ وغيبوبة العقل وما ورد من أمره بالتعوذ لا يفيد أن سحر وانما هو تشريع لامته

ذكرناها . وانما يقف على حقائقها واللطائف التى فيها الحكماء المطهرون الذين أيدوا بالوحي من الله عز وجل فهم يعرفون سبب كل شيء وفيماذا يؤثر والى أي جوهر من الحيوان يؤدي : فنها ما دلوا عليه ووقع فى أيدي الناس وعملوا بها كما يرى ، مثل مادلوا على حجر المغناطيس ومافيه من الطبع الذي يجذب الحديد . ومثل هذا لو كان خبراً ماصدق به كثير من الناس وكذبوه كما كذبوا غيره مما لم يشاهدوه ولايعرفوه ، ولكن العيان والمشاهدة في الاجساد الحجرية والعقاقير المواتية . أفليس يمكن أن يكون مثل هذا في الحيوان مع ما فيه من الفضل على الموات بالنفس البهيمية الممتزجة المتهيئة لقبول أثر النفس الناطقة فيها ومايشاهد من أفعالها ولاسبيل لنا الى ادراكها أكثر مما أدركناه ومعرفة كيفيتها وعللها والاسباب إلا بتوفيق من الحكماء الذين خصوا بعلمها عليهم السلام : فنهم من أعطى كثيرا منها كما روي عن المسيح عليه السلام أنه كان لايمر بحجر ولا شجر ولا بشيء من الاشياء إلا ويكلمه ويعرفه لما يصلح له . ولم يكن ذلك الكلام من المهات جوابا بل كان اشارة وتوهيا واعتباراً وكان عليه السلام يعرف ما فيها بوحي من الله تعالى خالقها وهو يورث الحكمة من يشاء من عباده المصطفين صلوات الله عليهم أجمعين ورحمته وبركاته .

والآن قد مضى من الكلام فى هذه الرسالة أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وايانا بروح منه ، ما نظن أن لك فيه مقنعا وكفاية من جهة السمع والخبر ولاسيما اذا كنت تأملت ماقد تقدم لنا من الكلام في خمسين رسالة عملناها قبل هذه ، فهي مقدمات لها ومعينة فى احاطة علمك .

فلهذا نريد الآن أن نقطع الكلام ههنا لبلوغنا غرضنا لتمام هذه الرسالة الاخيرة التى هي آخر الرسائل التى ضمنا لك علمها ووفينا بتمامها أعانك الله وايانا أيها الاخ البار الرحيم على مايرضيه ووفقنا واياك فيما أدنانا الى مقصوده بنا وبلغنا الى غاية مشيئته فينا من الكمال الذى قصدنا . فله الحمد منا ومن جميع اخواننا الكرام دائما أبداً بلا زوال ولا انقطاع كما هو أهله ومستحقه وهو حسبنا ونعم الوكيل

بيان حقيقة السحر وغيره

اعلم أيها الاخ أيدك وايانا بروح منه أن السحر ينصرف في لغة العربية على معان كثيرة قد ذكرها أصحاب اللغة العارفون بها وأصحاب التفسير لها .

ونريد أن نذكر منها مايليق بكتابنا هـذا ليكون دليلا على ما نورده من القول فى هذا الفن : فمن ذلك أن السحر في اللغة العربية هو البيان والكشف عن حقيقة الشيء واظهاره بسرعة العمل واحكامه ، ومنه الاخبار بما يكون قبل كونه والاستدلال بعلم النجوم وموجبات أحكام الفلك ، وكذلك الكهانة والزجر والفال ، فان كل ذلك انما يوصل اليه ويقدر عليه بعلم النجوم وموجبات الاحكام الفلكية والقضايا السماوية .

ومن السحر قلب العيان وخرق العادات . ومنه مايعمل من الخيال والحكايات والتمثيلات ، ومنه الدك والشعبذة ، ومنـه البخورات المنتنة التى تجلب الصرع والبله والحيرة وماشا كل ذلك .

وهو ينقسم أقساما كثيرة ويتنوع أنواعا شتى ويقال عليه في جميع اللغات بأقوال مختلفة قد ذكرتها العلماء وبينتها الحكماء ومنه سحر عملي ومنه سحر علمي . ومنه حق ومنه باطل ، ومنه مارميت به الانبياء ووسمت به الحكماء ، ومنه ما يختص بعلمه النساء والعرب تقول اذا أردت السرعة في البيـان واقامة الدليل والبرهان : سحرني فلان بكلامه ! واذا كشف الغطاء وأزال الشبهة يقول العلماء أتى بسحر عظيم سحر به العقول . ومن ذلك قول النبى ﷺ فى رجل مدح صاحباً له فصدق ثم ذمه فصدق في مقام واحد : (إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا)

كذلك لما رأت الامم الماضية والقرون الخالية من الانبياء مارأت من المعجزات الباهرات والآيات الظاهرات والبيان اللائح والدليل الواضح سموهم سحرة ، ووسموا به الحكماء لما رأوهم يخبرون بالكائنات فيتكلمون بالانذارات والبشارات بما يكون في العالم من السرور والخيرات ونزول البركات والنعمات ، فنسبوهم الى الكهانة لما عميت عليهم الانباء ولم يعرفوا النبوة والانبياء عليهم السلام وزعموا أن لهم أصحابا من الجن يأتونهم بأخبار السماء فيعلمون بذلك ما كان ومايكون.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه حكاية عن هذه الطائفة ما رميت به الأنبياء من السحر مثل ماقال فرعون لما جاء موسى عليه السلام بالمعجزات لقومه لما رأوا من موسى وهرون : (ان هذان لساحران يريدان أن يخرجا كم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) . عنى بذلك أن موسى عليه السلام انما يعمل ما يعمله بتخيل وتحيل وشعبذة لا حقيقة لقوله ولا صحة لعمله ، مثل ما أشار عليه هامانه وسول له شيطانه بقوله : (وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم) . يعنى كل مشعبذ ومخرق [1] ومنمق لقوله ومافق لعمله ، وما كان من قصته وتسليم السحرة الى موسى وهرون عليهما السلام وما كان منهم ورجوعهم عما كانوا عليه نادمين وتبريهم مما كانوا يعملون وقولهم : (آمنا برب موسى وهرون) . ومثل ماقالت الجاهلية المشركون فى نبينا محمد ﷺ انه ساحر كذاب قال الله تعالى : (وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) .

وكل نبى نطق وكل حكيم صدق وأتى بالمعجزات وأظهر الآيات ألقى عليه هذا الاسم وعرف بهذا الوسم عند الامم الطاغية والأحزاب الباغية تكذيبا للانبياء ورداً على الحكماء .

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أن ماهية السحر وحقيقة هذا هو كل ماسحرت به العقول وانقادت اليه النفوس من جميع الاقوال والاعمال بمعنى التعجب والانقياد والاصغاء والاستماع والاستحسان والطاعة والقبول .

فأما مايختص منه بالانبياء صلوات الله عليهم فكالعلم بالامور التى ليست في وسع البشر العلم بها الا من جهة الوحى والتأييد وأخذها من الملائكة وهي الكتب المنزلة والآيات المفصلة والامثال المضروبة الدالة على حكمة الله سبحانه وتوحيده وبيان الحلال والحرام وايضاح القضايا والاحكام والأخبار بالغيب بما كان وما يكون ، ولذلك كانت الجاهلية تقول لمن اتبع الرسول ﷺ ودخل الاسلام قد صار فلان الى دين محمد وقد عمل فيه سحره .

(١) المشعوذ والمشعبذ : من يريك الشىء على غير حقيقته لخفة اليد وسرعة الحركة . والمخرق : الكاذب المموه المختلق . وقد أخذ هذا اللفظ للدلالة على التمويه والكذب من مخاريق الصبيان المفتولة التى يلعبون بها

فهذا هو السحر الحلال وهو الدعاء الى الله سبحانه بالحق وقول الصدق ، والباطل منه ما كان بالضد من مثل مايعمل به اضداد الانبياء وأعداء الحكماء من تمميق الباطل واظهاره ودفعهم الحق وانكاره بالباطل من القول وادخال الشكوك والشبه على المستضعفين من الرجال والنساء ليصدوهم عن سبيل الله وطريق الآخرة وليسحروا عقولهم بالباطل وليحولوا بينهم وبين الفوز والنجاة وهم شياطين المشركين ورؤساء المنافقين في الجاهلية والاسلام، وهم في كل عصر وزمان يصدون عن دين الله سبحانه ماقدروا عليه ، ويزيلون من سنة الناموس بسحرهم ماوصلوا اليه . فهذا هو السحر الحرام الباطل الذي لا ثبات له ولا دوام والذى لا برهان عليه ولا دليل صادق مرشد اليه والعامل به ملعون والمصدق مفتون والطالب له مشئوم.

﴿ فصل ﴾

وأما السحر المذكور في القرآن المنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت فان العامة قد قالت فيه أقوالا مسترذلة لاصحة لها .

ولهذا القول معنى دقيق قد ذكرته العلماء الذين عندهم علم من الكتاب لمن وثقوا به من خواصهم وأودعوه عند أولادهم النجباء واخوانهم الفضلاء .

ونريد أن نضرب في ذلك مثلا قد حكي وخبراً قد روي يقرب به عليك فهم ماتريد الوقوف عليه والوصول من ذلك اليه وبالله التوفيق

﴿ فصل ﴾

حكي أن ملكا من ملوك الفرس كانت له نعمة ظاهرة وهيبة قاهرة وسلطان عظيم وملك عقيم ، وكان له وزير له رأي وعزيمة قد رأى السعادة في تدبيره والكفاءة في توزيره قد كفاه أمر التدبير مما يحتاج اليه فهو مشغول بلذته وتناول بهمته في لذة من عيشه وأمان من مصائب الزمان وحوادث الايام.

والوزير يورد ويصدر بحميد رأيه وجميل نيته وحسن طويته ، فاقام الملك

على ذلك مدة من دهره وبرهة من عمره

فلما كان فى بعض الاوقات عرضت للملك علة كدرت عليه عيشه ونغصت حياته فتغير لونه وهزل جسمه وضعفت قوته واشتغل من تلك العلة واستدعى وزيره وقال له : قد ترى ما نزل بي من هذه العلة التى قد حالت بيني وبين اللذات حتى قد تمنيت الموت ومللت الحياة.

فرق له الوزير وبكى عليه ثم خرج فجمع الاطباء والتمس الدواء ولم يدع مستطباً ولا معزماً ولا صاحب نجامة وكهانة إلا أحضره وأعلمهم علة الملك وما يجده من الألم والوجع وأنه يشكو ضربان جسده والتهاب حرارة في قلبه وكبده فكل قال وما أصاب وعمل وما أفلح وعالج فما أنجح .

واشتدت تلك العلة بالملك واشتغل الوزير بذلك عن تدبير المملكة وسياسة الخاصة والعامة من خدم المملكة ورعيتها واضطربت الاعمال وعصت العمال وكثرت الخوارج في أطراف المملكة وأقاصى الدولة فعظم ذلك على الوزير وتحير وخاف على الملك الهلاك فعاد الى جمع الحكماء وإحضار العلماء ومن قدر عليهم من الشيوخ القدماء وأعاد عليهم القول واستدعى منهم الجواب وكان فيهم شيخ كبير قد عرف وجرب فقال :

أيها الوزير ان العلة التى بالملك معروفة بظاهرها خفية بباطنها ومثل هذه العلة لايكون إلا عن حالين : أحدهما في النفس والاخرى في الجسد.

فالذى في النفس ينقسم قسمين : فأحدهما يختص بالنفس الناطقة والقوة العاقلة والآخر يختص بالنفس الحيوانية والقوة الشهوانية

والذى يختص بالجسم أيضاً ينقسم قسمين : بالحر واليبس والآخر بضده وهو البرد والرطوبة.

وأما مايختص بالنفس الناطقة فهو الفكر في المبدع جل جلاله وما أبدع والحيرة فيما خلق وبرأ وأنشاء واعمال الروية وإجالة الفكر في كيفية الابتداء والانتهاء وما شا كل ذلك من الامور الالهية.

فان النفس اذا غرقت في هذا الامر وانغلقت عليها أبوابه وتعذرت أسبابه ضاقت وحرجت فأحرقت طبيعة الجسد فضعفت القوى الطبيعية عن تناول الغذاء وحدث بالجسم ماترى من الضعف والتغير والهزال والضنى .

ولا يزال ذلك كذلك يتزايد مادامت تلك العلة مستدامة والخاطر مشغولا بها والأبواب عليه مغلقة والأسباب متعذرة ولا يجد من يفتح عليه ما انغلق من أبوابه ويسهل ماصعب من اسبابه.

وأما القسم المختص بالنفس الحيوانية والقوة الشهوانية فكالعشق للصورة البهيمية من النساء والصبيان والاحداث والمردان مثل مايعرض للعاشق إذا غاب عنه معشوقه وحيل بينه وبين محبوبه فيظهر به من الضعف والتغير مايكون به تلف الجسد وانحراف المزاج وفساد البنية ، وربما دخل عليه زيادة أدته الى الماليخوليا واحترق ووصل المرض الى شغاف قلبه فهلك وباد .

وأما مايكون فى الجسد من العلل العارضة من جهة الطبائع الأربع فان لكل علة تحدث من فساد المزاج غلبة الطبايع بعضها على بعض فله علامات يستدل بها على تلك العلة ومواضع يقصد بالادوية اليها ولا يجب للطبيب الحاذق أن يبدأ بدواء العليل إلا بعد السؤال له عن السبب فى تلك العلة ماهو؟ وكيف كان؟ وعما كان ؟ وما أصله ؟ أهو شيء من المأكولات أسرف في أكله ؟ أم مشروب أسرف فى شربه ؟ أو غم عرض له ؟ أو هم دخل عليه ؟ او حال اشتغل به قلبه وفكره ؟ أو صورة حسنة رآها فوقعت في قلبه ثم حيل بينه وبينها ومنع من تناول لذاته منها ؟ وأي موضع يجد الوجع من جسمه ؟ وبماذا يختص من أعضائه وأي شيء يشتهيه ؟ وأى حديث يلهيه ويرضيه ؟ وأي سماع يطربه ؟ فاذا أخبر العليل طبيبه بشيء مما ذكرناه اذا سأله وكان العليل صحيح العقل ازداد الطبيب الماهر علماً به واستشهد على ماأخبره لفظا بما يدل من البرهان عليه بالحس ، وما تبين له من صحة النبض مما يستدل به على صحة ما أورده المريض

ويسترشد الطبيب على قول المريض وشهادة النبض بشاهد آخر وهو الماء . فاذا اتفق النبض والماء مع شكوى المريض فقد عرف حينئذ الطبيب العلة ومايختص

بها من الاعضاء فان تغلبت احدى الطبائع وضعفت الاخرى أرسل الى ذلك العضو مايوافق طبيعته ويلائم قوته لينقمع به ضده الذى يضايقه فى مكانه بالملاطفة والتدريج ولايحمل عليه بالدواء الحاد في أول دفعة ، فانه ربما أحدث له ذلك فساداً لايرجي صلاحه . والمثال فى ذلك النار المشتعلة في الحطب أول ماوصلت إليه فانها اذا قويت والقى عليها الماء ازدادت حرارتها وقويت بخاراتها فأتلفت ماوصلت اليه واحتوت عليه . فاسأل أيها الوزير عن بدء هذه العلة كيف كانت وما السبب فيها والحال الموجب لها ؟ فلعلنا اذا عرفنا ذلك نتداركه بالملاطفة وحسن التدبير ان شاء الله . قال الوزير : أيها الحكيم ان في أدب وزراء الملوك ومن الواجب على من صحب الملوك أن لايبدأهم بالسؤال لهم عما لايجب له السؤال عنه ولايهجم عليهم بذلك الا أن يبدأوا به ، ولايطلب الدليل على مايقولونه بل يستمع ويصدق ويسلم اليهم فى جميع أمورهم ولايعترض عليهم في أفعالهم وأعمالهم وأنا أهاب الملك وأخاف منه أن أسأله عن شيء لم يبده وحال يخفيها ولم يطلعنى عليها ، لاسيما في أمر نفسه وجسمه . قال الحكيم : أيها الوزير انه لاسبيل الى شفائه ومعرفة دوائه الا بعد الابانة عماذكرته لك وأنا أرى أن سؤالك له عن أمره وما أخفاه من سره يكون سببا لحياته ونجاته ان شاءالله ، فاذا أعلمك ذلك فاعلمني به واحفظه عنه لئلا تنسى مما يحكيه شيئاً

ثم انصرف ذلك الشيخ ومن حضر المجلس من الاطباء ونهض الوزير فدخل على الملك فلما رآه أنس به وأدناه بقربه وسأله هل وجد له دواء واتجه له عنده شفاء ؟ فأكثر الوزير من الدعاء له ثم أقبل عليه فسأله عن بدء العلة كيف كان ؟ وما الذى كان السبب في حدوثها به ؟ فلما سمع الملك من وزيره هذه المسالة التى لم يكن سأله عنها قبل ذلك أمر من كان بين يديه من خدمه أن يقعدوه ويسندوه ففعلوا ذلك ، ثم أمرهم بالبعد عنه ، فلما رأى الوزير ذلك خاف على نفسه وفزع واستوى الملك جالساً على فراشه وقال له : ادن مني وأعد هذه المسألة علي وأصدقني فاني أرجو الشفاء بصدقك اياى وانك قدرت على الدواء فى ازالة الداء ان شاءالله

فاني لم أسمع منك هذا السؤال قبل هذا، والواجب على الملوك في أدب المملكة أن لا يبدؤا من يلم بهم من عبيدهم وخواصهم بكشف أسرارهم وبما يحدث منهم في خلواتهم وما يجيلونه في أفكارهم، لا سيما اذا لم يجدوا له أهلا يكشفونه لهم ويودعونه عندهم ويرجون بهم فتح ما انغلق عليهم بابه وتعذرت أسبابه.

وقد كنت في طول هذه المدة التي حدثت بي فيها هذه العلة أريد من يسألني عن ذلك فأبديه له فلم أجد سائلا يسألني عن ذلك، وكلما عدمت من أبث اليه الشكوى وأخرج اليه بما أجد من البلوى صعبت العلة علي وتزايدت المحنة لدي

فلما سمع الوزير ذلك من الملك تحقق قول الشيخ الحكيم المجرب وعلم أنه صدق وأصاب.

وقال له الوزير: أرجو أن أكون موضعاً لهذا الامر وكشف هذ السر

فقال الملك ان شاء الله ثم ابتدأ الملك فقال: اني كنت في بعض الأيام قد ظهرت نعمة الله تعالى علي وأحضرت أجلها لدي وأمرت باخراج ما في خزائني من الجواهر النفيسة والآلات الثمينة مما جمعته أنا في أيامي وما ورثته عن آبائي فاحضر بين يدي في خلوة من حشمي وعبيدي وخزاني الذين كانوا نقلوه الى بين يدي فرأيت منظراً أطربني غاية الطرب وفرحت بها وطربت لها وأخذت منها بالنصيب الأوفر والحظ الأجزل من الغبطة والسرور والجذل والحبور فكبرت نفسي وعظم قدري وظننت أني قد وصلت الى مالم يصل اليه أحد غيري وأني من أسعد السعداء، ثم اني نمت فرأيت في منامي كأني في تلك الحال على أحسن ما يكون وأتمه وأكمله، وكان رجال دولتي وعبيد مملكتي كلهم قيام بين يدي خاضعون لي ساجدون سامعون لقولي مطيعون لامري وأنا على سرير مملكتي في محل كرامتي.

فبينما أنا كذلك اذ رأيت رجلا شابا مليح الصورة حسن الاثواب لم أره قبل ذلك الوقت ولا عرفته وكأنه بالقرب مني ينظر الى نظر المستهزىء بي غير هائب ولا خاضع بين يدي ولا مسلم علي، مستقل بجميع ما أنا فيه وكأنه يملك مالا أملكه ويقدر على مالا أقدر عليه ويصل الى مالا أصل اليه فغاظني ذلك منه وكأني قد هممت بالايقاع به وأمرت به من كان بين يدي من خدمي وأصحابي من جميع أهل

مملكتي ورجال دولتي أن يقعوا به ،وهو قائم في مكانه يضحك بي ! وكأنهم لم يصلوا اليه ولاقدروا عليه وكأنه قد زاد استهزاؤه بي واستهزاؤه ولم يهله شيء مما رآه .

فلما رأيت منه ذلك هالني وأفزعني فقمت من مكاني وتنحيت عن سريري ودنوت منه وقلت له : من أنت ومن أين أنت وكيف وصلت الي ومن أين دخلت علي ؟ فقال لي يامسكين يامغرور بسلطان الارض والملك الجزئي . أي ملك أنت انما أنت مملوك ولست بمالك ! فلم تدعي المحال وترضى لنفسك بالكذب وجميع ماأنت فيه زائل مضمحل ؟! فانه عما قليل يفارقك وتفارقه وانما الملك الملك السماوي والسلطان الالهي ، فان بادرت وعملت مايقرب الى ربك وصلت اليه وكنت ملكا بالحقيقة ونلت ملكا لا يبلى ولذة لاتفنى فتكون ملكا بالحقيقة تفعل نفسك — اذا زكت وروحك اذا صفت — ما أنا فاعل وتصل الى مثل ما أنا اليه واصل .

ثم انه ارتفع من الارض وأقبل يمشي في الهواء ويجول في الفضاء الى أن رأيته وصل الى السماء وغاب عني فلم ير وسمعت هاتفاً يقول : (لمثل هذا فليعمل العاملون) .

فلما رأيت ذلك منه أيقنت اني لست بمالك واني مملوك كما قال واني لست بعالم واني جاهل واني لست بانسان واني حيوان ، ثم انتبهت وأجلت الفكر وأعملت الروية وكثر تخيلي لذلك الشخص وما قال لي ورأيت من مملكتي وسعة قدرته ولمكان الذي رقي اليه واشتهيت المعرفة بالعمل الذي هو وصل اليه ،فاشتغلت بهذا الشأن عن جميع ما كنت بسبيله من تلك اللذات وانقطعت عن جميع الشهوات وزهدت في المأكول والمشروب وأقبلت أجيل فكري وأقلب نظري في أهل المملكة ورجال الدولة فلم أر فيهم من يصلح أن أكشف له هذا السر ورأيتهم كلهم مشاغلا بالحال التي أزري بها على ذلك الشخص واني واياهم مماليك وأن الاسماء التي استعرناها لا تصلح لنا ولا تليق بنا وأنها ذاهبة زائلة عنا وخشيت أن أبدي أمري الى من ليس هو من أهله فأنسب الى الجنون وقلة العقل ، فصمت عن الكلام وزادني الفكر الغم والهم والاسف فحدث بي من ذلك ماترى من التحول والتغير والصفات .

فهذا هو سبب وجعي ومبدأ علتي وأظن اني خارج من هذه الدنيا بهذه

الحسرة ان لم أصل الى العمل الذي يوصلني الى ما وصل اليه ذلك الشخص الذي رأيته وقد خرجت اليك بأمري وكشفت لك ما أخفيت من سري ، فان كان لى عندك فرج فمن به علي ، وان عدمت ذلك فاكتم سرى ولا تخرج الى أحد بشيء منه كما خرجت به اليك من أمري لئلا أنسب الى الجنون وزوال العقل فيذهب الملك مني ومنك ويطمع فينا الاعداء لان علة زوال العقل أصعب العلل ، متعذر دواؤها معدوم شفاؤها .

ولكن قد طمعت أن لى عندك فرجا لما رأيتك قد سألتنى عن هذا السؤال ولم يكن هذا من عادتك معى ، ولمعرفتى أن فيك من الادب الذي يصلح للملوك ما لا يحملك على مثل ما أقدمت به على من ابتدائك لى بالسؤال عن سري الذي لم أبده ، فأصدقني كما صدقتك .

قال الوزير : فأعدت عليه ما كان وماجرى من الشيخ الذى أشار علي بذلك وأمرني به .

فقال : علي بالشيخ فقد وضع يده على الداء وأرجو ان يكون عنده الدواء، فخرجت من عنده وأحضرت ذلك الشيخ وقصصت عليه الحال من أولها الى آخرها فبكا وقال : انكشفت العلة وعرفنا دواءها وقدرنا على شفائها ان شاء الله . ثم نهض معي حتى دخلنا على الملك فلما رأى الشيخ فرح به ورفعه وأقبل عليه وأنس به وأقبل يعيد الحديث عليه من أوله الى آخره ، فأقبل الشيخ على الملك وقال له : ان العمل الذى يوصل الى مثل مارأيت لايكون الا بعد العلم بتوحيد الخالق جل جلاله ومعرفته حق معرفته ، فاذا صح لك ذلك وعلمته ابتدأت تشرع في تعلم العلم المؤدى بك الى عبادته الموصل لك الى جنته ودار كرامته ، فاذا أحكمت العمل بتلك العبادة وصلت الى مرادك ونلت غرضك ، ولايكون ذلك الا بعد ترك جميع ما ملكته وقدرت عليه من أمور الدنيا .

قال الملك : قد رضيت بذلك وطابت نفسى به وقد تعجلت بترك جميع ما كنت فيه وتمنيت الموت والراحة من هذا العالم.

فقال الشيخ : ان هذا العلم غير موجود عند أحد فى بلدنا هـذا وانما هو

موجود بحقيقته عند رجل من الحكماء مقامه في أقليم الهند بجبال سرنديب تحت خط الاستواء فإن عنده مفاتيح ما انغلق من هذا الامر وصعب من هذا السر

قال الملك : فأنى لي بالوصول اليه والقدوم عليه وأنا على ما ترى من نحول الجسم وضعف القوة وكثرة الاعداء وما تراه من اضطراب الحال وفساد الاعمال والعمال وكثرة الخوارج علينا والاعداء لنا وتمنيهم الوصول بالأذية الى وانتزاع ما في يدي من هذه المملكة الفانية والقنية المضمحلة وإن كنت غير متأسف على فقدها ولا حزين على زوالها بعد ما سمعت ورأيت ، وإنما أخشى أن أدرك اذا خرجت منها وبعدت عنها فأقتل وأموت في الطريق ولا أصل إلى ما تكون به السعادة بعد الموت وأكون قد تعجلت الذل والهوان في الدنيا وسرعة القدوم عليه في الاخرة .

قال الشيخ : صدق الملك فيما ذكر ولنا في ذلك تدبير آخر

قال : وما هو ؟

قال : أنا أكتب الى الحكيم اعلمه بالحال وننظر ما يكون من جوابه فنعمل به ان شاء الله.

قال الملك : إفعل ذلك ، وخف على الملك ما كان يجده وسكنت نفسه إلى قول الشيخ .

وقال للوزير اعلم انى قد وجدت العافية وقد سكنت تلك الحركة الفكرية وبردت الحرارة التى كنت أجدها في قلبي واستدعى من الطعام والشراب ما أمسك به القوة ودعت اليه الحاجة وفشا في أهل المملكة من اعمال الدولة أن الملك قد أفاق من علته وزال عنه ما كان يجده .

ففرح الناس بذلك وسكنت الفتنة فتسارعت الخوارج الى الطاعة وعمت البركة وشملت النعمة وعاد الامر إلى أحسن ما كان في مدة يسيرة وقويت نفس الملك ووثق بما وعده الشيخ الموفق الرشيد فكتب الشيخ الى رب بيت الحكمة في ذلك الزمان يعلمه بما جرى ويسأله أن ينفذ اليه من يراه ليفتح عليه من العلم ما يصلح له ويعلمه ما ينبغي له في جسده .

فلما وصل الكتاب الى الحكيم ووقف عليه استدعى تلامذته وكان له اثنى عشر تلميذاً حاضرين معه فاعلمهم بما وصل اليه وقرأ عليهم الكتاب فقالوا مرنا بما تريد لنمتثله ونأتي فيه بما تؤمله ، فأفرد رجلين منهم وقال لهما اذهبا الى الملك فاذا دخلتما عليه فليبدأ به أحدكما فيلازمه حتى يبلغ في العلم الرياضى الى حد يجب له اذا وصل اليه ووقف عليه الارتقاء الى العلم الالهى ، ثم ينفصل عنه ويلازمه الآخر حتى يوقفه منه عند الحد الذي ينبغي له ، فاذا رأيتماه قد حسنت أفعاله وزكت أعماله فانصرفا عنه ولا تطلبا عليه جزاء ولا شكوراً .

ثم ابتدأ بوصيتهما وبتحذيرهما من الوقوع فى حبائل الدنيا وشبكة ابليس وقال لهما : إنكما في مكان بعيد عن محاسن الدنيا وزخارفها ونضارتها وبهجتها وما يجده أهلها من فتنتها ، وستردان على الملك على مملكة واسعة ونعمة ظاهرة ولذات متواترة وإياكما الميل الى شيء منها والمحبة لها فانكما ان فعلتما ذلك وملتما الى شيء مما تريانه انفسدتما وأفسدتما وخرجتما من الصورة الانسانية الى الصورة الحيوانية والرتبة الشيطانية بالفعل وخرجتما من فسحة الجنان وروضة الروح والريحان وجاورتما الشيطان فى دار الهوان ، وخرجتما من سعة الكل الى سجن الجزء.

قالا سمعنا وأطعنا وتوجها من حيث هما الى أقليم الملك ، وكتب الحكيم الى الشيخ يعلمه بذلك وجعله عيناً عليهما ينقل اليه أخبارهما وما يعملانه ويعاملان به الملك .

ثم قدما على الشيخ بالذى هما عليه من الشعث وقلة الجمال ما يليق بالنساك من الفقر وسوء الحال .

فأخبر الملك بقدوم الرجلين من عند الحكيم ففرح بهما الملك واستبشر ، ثم أمر بايصالهما اليه فدخلا عليه فقام لهما قائما على قدميه وأمرهما بالجلوس فجلسا مجالس العلماء المفيدين وجلس الملك والوزير مجالس المتعلمين المستفيدين .

ثم تقدم المبتديء بالعلم الرياضى فعلم الملك والوزير حتى أحكماه وتعلماه : الملك ووزيره ، وقاما بموجباته وأحكامه .

ثم انفصل الاول وتقدم الثاني فتلا عليهما الحكمة الآلهية إلى أن بلغا من ذلك غاية ما كان عنده واستفادا ما كان في وسعه .

فلما فرغا مما أمرا به وأرادا الانصراف أقبل الملك عليهما وقال :

انى لا أجد لكما مكافأة على مافعلتماه بى وتوليتماه من أمرى الا أن اسلم اليكما ملكي فتتدبرانه وتحكمان فيه بما اردتما وقد أبحتكما جميعه وهو عندي قليل لكما .

فلما سمعا ذلك منه ردا عليه رداً جميلا وانصرفا الى مكان كان الملك قد أعده لهما فتشاورا فيما عرضه الملك عليهما وأهداه اليهما من ملكه وقد مالت أنفسهما الى مارأياه من حسن الدنيا وبهجتها وماعايناه من حسن قنيتها وطيب لذتها فقالا : لا بأس أن تجتمع لنا المنزلتان ونتال السعادتين : الملك فى الدنيا والآخرة، وعزما على قبول ما أهدى الملك اليهما من ملكه والجلوس فيه والقيام به، ثم خلا الملك بوزيره فقال له :

اعلم ياأخي أن هذه الدنيا فانية ولسنا مخلدين وقدنلنامن لذاتها ونعيمهاماقد نلناه ووصلنا منها الى ماوصلنا اليه وقدرنا عليه فهلم بنا نتخلى منها ونلزم مداومة النظر في هذا العلم الشريف والعمل اللطيف الذي نصل به الى الفوز والنجاة من بعد الموت فاننا لانشك فى وصول الموت الينا ونزوله علينا فلعلى واياك نجتمع فى الملك السماوي كاجتماعى واياك فى الملك الارضى ، فقال افعل . وقويت نيتهما وطابت أنفسهما بذلك

فلما دخل الرجلان فى وقت دخولهما على الملك أعاد القول عليهما وما يريده من تسليم الملك اليهما ورجا بذلك سعادة المملكة وأهلها بتدبيرهما وحكمتهما ورجا لاهل بلده ومن يكرم عليه من أهله أن يصلوا الى مثل ماوصل اليه من ذلك العلم والعمل فتعم البركة وتشمل النعمة وتكمل السعادة فقبلا ما أهداه اليهما وتقلدا مااعتمد فيه عليهما وجعل أحدهما وهو المعلم له العلم الآلهي في مقام المملكة وصاحبه فى مقام الوزارة .

واشتغل هو ووزيره في مداومة النظر في العلم والقيام بالعمل والاجتهاد في العبادة والزهادة في الدنيا والتهاون بها واطراح شهواتها وترك لذاتها

فكتب الشيخ الى الحكيم بذلك فأيس من عودتهما اليه وعلم أنهما قد افتتنا بما رأياه ومالت أنفسهما اليه وتمنيا الخلود فيه وأقاما على ذلك في تدبير الملك وسياسة المملكة الى أن مات الملك ولحق به وزيره بعد مدة يسيرة وصار الى رحمة الله سبحانه ودار كرامته ونالا الملك السماوي ووصلا اليه ، وافتتن الرجلان بالدنيا وتخليا عن العلم والعمل وانهمكا في اللذات الدنيوية واسترجع الحكيم ما كان أودعهما اليه من حكمته فنسيا ما كانا له ذاكرين وغاب عنهما ما كانا له حاضرين وفارقا ملك السماء وأخلدا الى ملك الارض فأهبطا من الجنة وبعدا من الرحمة وانقلبا على عقبيهما خاسرين فأهارا (١) وأمارا من حضرهما بما فعلا ، وافتتن الناس بهما (وتعلموا منهما ما يضرهم ولا ينفعهم) وبدت سوءاتهما ، وقالوا : هذان العالمان اللذان كانا يأمران بترك الدنيا والزهد فيها قد عادا الى ما كانا ينهيان عنه ويحذران منه ، ولو لم يعلما أن العاجلة هي النعمة الحاصلة لما اختاراها ولا رجعا اليها بعد ما علما ، وزاد بهما جموح الطغيان واستحوذ عليهما الشيطان فأنساهما ذكر الرحمن فصارا أعداء للحكماء وأضداداً للعلماء

وكتب الحكيم الى الشيخ يأمره بالتنحي عنهما والبعد منهما خوفاً عليه من شرهما ففعل ذلك .

وأقبلا على تناول أمور الدنيا وشهواتها وفارقا السحر الحلال الذى أنزل عليهما وأمرا بفعله وعمله وكان به نجاة من نجا ورجعا الى السحر الحرام فضلا وأضلا .

وهذا حديث يدل على حالة الملكين هاروت وماروت وما كان من أمرهما

---

(١) هار بتشديد الراء مهارة بمعنى هر في وجهه ومنه المثل (شر أهرم) يضرب في ظهور أمارات الشر ومخايله ، والهرارات : كوكبان هما النسر الواقع وقلب العقرب . وأمارا : أتيا امرأ بكسر الهمزة ، والامر المنكر من الفعل والقول

وهبوطهما من السماء الى الارض ومفارقتهما جوار ربهما والملائكة الذين كانوا معهما كمفارقة إبليس للملائكة باستكباره وعصيانه ، ومفارقة آدم للجنة التي كان فيها بما كان من خطأه ونسيانه . فهذا بيان ماهية السحر والسحرة والعمل به وكمية أقسامه وما الحق منه وما الباطل بحسب ما احتمله البيان واتسع له الامكان .

فصل

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه أن مداوة العلل الحالة بالاجسام والعلم بذلك من أجل المعلومات الطبيعية والمعارف الجسمانية كما قال النبي ﷺ العلم علمان : « علم الاديان وعلم الابدان » وهو أيضا ضرب من السحر الحلال لأنه قلب العادة من حال الفساد الى الصلاح ومن النقصان الى التمام ، والسحر الحرام منه ما كان الضد من ذلك كادخال الفساد على الاجسام وما يكون تافها وفساد أمزجتها وانحلال طبائعها مثل ما يعمل بالسموم القاتلة ومايتخذ لذلك من الادوية والعقاقير الفاعلة بخصائصها وما تفعله في الاجسام من العلل والاسقام ، فكل من فعل ذلك وأقدم عليه بالعمد والقصد الى فساد الصورة الانسانية بسبب دنيا ينالها أو شيء من قنيتها فهو ساحر مفسد في الارض ممن حل قتله ونفيه من الارض ، وهو ممن حارب الله عز وجل ورسوله وسعى بالفساد وممن استحق قطع الاعضاء وفساد الصورة مثل مافعل فرعون بالسحرة لما رآهم وقد أفسدوا عليه ما كان يعمله وأسقطوا هيبته عند أصحابه والملأ من قومه

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه أن كثيراً من الاطباء المبتدئين وغير المجربين يقتلون العليل ويزيدون المرض بالمرضى فيخطئون من حيث ظنوا أنهم قد أصابوا فكم من عليل قتلوه ومن صحيح أسقموه ومن ذي سلامة أعطبوه ، والتفقد لهذا الباب والتحرز منه والتنبيه عليه والارشاد اليه فيه فائدة جليلة .

ونريد أن نبين لك ما يكون تعلمه من ذلك فانه لا بد لك من استعماله اذ

كانت الاجسام مرتهنة بحدوث الآلام والاوجاع والاسقام والداء والدواء لأن من شأن اخواننا أيدهم الله وإيانا بروح منه — المعرفه بجميع العلوم والاطلاع عليها ومعرفة أهلها

فاعلم أيها الأخ أنه يجب على من أراد العلم بصناعة الطب أن يبدأ أولا بدرس الكتب على الحكماء وقراءتها على العلماء ومعرفة مقدمات العلل والاسباب التي تكون منها وتحدث عنها ومعرفة جميع الادوية لاخلاطها على النسبة الفاضلة والقسمة المعتدلة ومعرفة الطبائع الاربع واختلافها ، وكيف تكون صحة المزاج في وقت الصحة وكيف يكون فساده في وقت الفساد ، وكيف يعرف وزن بنية الجسد في جانبيه معرفة هندسية . فاذا صح ذلك له وأحكمه وعرف العلامات الدالة على العلة في النبض والماء وماينفصل عن الجسد ويخرج من الفضول الحادثة عن العلل العارضة ، وبعد ذلك ابتدأ بتعلم الصناعة النجومية والاحكام الفلكية لأنها هي الأصل والعمدة في جميع الاعمال الارضية وما يعرض في الاجسام الطبيعية .

فاذا عرف من ذلك بحسب ما وفق له وأحكمه وعرفه فحينئذ وجب له التقدم الى العليل ، فاذا رآه وعرف علته وسأله عن بدايتها وسمع كلامه إن كان ذا سلامة في عقله ، وان عدم ذلك نظر في شواهد أدلته وما يبدأ منه من علته . فاذا صح له ذلك نظر في مولد العليل فان أعدم ذلك نظر في الطالع الذي دخل عليه فاذا رآه يوجب السلامة نظر في بيت الحياة وصح له ذلك أقدم على دوائه بنفس واثقة بسلامته وأخذ في تلطفه في دوائه الذي يصلح لتلك العلة غير شاك لزوالها وغير يائس من برئها فيقوى على العمل بالعلم ويكون في فعله ذلك تابعاً لاعمال الحكماء وأفعال الانبياء لأنهم لم يدعوا الى الله عز وجل ولم يظهروا ما علموه حتى عرفوا الاصول وموجباتها والقرانات وأحكامها .

فلما تحققوا ذلك علموا مراد الله سبحانه من خلقه معرفته، وتوحيده وعبادته وانه عز اسمه لذلك خلقهم وبسببه أوجدهم .

وأي نفس عدمت ذلك كانت ناقصة غير كاملة ومريضة لا سالمة فوجب عليهم التقدم الى أصحاب العلل النفسانية في الاوقات التي أوجبت لهم التقدم اليهم والتحنن عليهم وعلموا أن دواءهم ينفع وعلاجهم ينجع مثل ما فعل الطبيب الحاذق بأهل المدينة التي دخلها المذكورة قصته في رسالة اعتقاد اخوان الصفا.

فعند ذلك دعوا الى الله سبحانه بالتذكر والموعظة الحسنة من اقامة الدين وسنة الناموس وما أوجبه ذلك الزمان وحكم بذلك تأثير القران وكانت أدويتهم وعقاقيرهم التي تفعل في أمراض النفوس مثل ما تفعل الادوية والعقاقير في الاجسام بما أظهروه من الآيات وعملوه من المعجزات اعذاراً وانذاراً وتخويفاً ومنعوا من أشياء كان الناس يعملونها وحذروا منها وحرموها على فاعلها، كما يفعل الطبيب بالعليل من منعه من المآكل الرديئة والاشربة وما يكون به قوة الداء وضعف الدواء، كما قال عز اسمه: (وما نرسل بالآيات الا تخويفاً) والانبياء صلوات الله عليهم ضمنت لاهل الطاعة الجنة ولاهل المعصية النار، كذلك الطبيب يعد العليل ان قبل وصيته وصبر على استعمال ما يأمره وترك المخالفة له بطيب العيش والعافية والحياة، فانه متى عدل عن ذلك الى ضده مات وهلك.

ومعجزات الانبياء وآيات الحكماء تنقسم على أقسام كثيرة مختلفة متباينة قد خص كل شيء في كل زمان بموجب كل قران بشيء منها، كذلك أدوية الاطباء تختلف بحسب اختلاف العلل.

ومن المعجزات ما يكون رحمة ونعمة ومنها ما يكون سخطا ونقمة عند الخروج من الطاعة وارتكاب المعصية، فالنعمة والرحمة من ذلك ما ظهر من فضل النبي في ذلك الزمان الموجب لظهوره وما جاء به من الخيرات والبركات والمواد المتصلة به ونزول النصر عليه من عند الله وقوة من استجاب اليه واتساع دوره وعلو ذكره ورفيع قدره ومنفعة أهل ذلك الزمان به واجتماعهم على دينه وازالة الشك منهم في نفسه.

وأما ما يكون من المعجزات به والسخط والبلية على من أنكره وكذبه واستكبر عليه وأنف من الانقياد اليه مثل ما حل بقوم نوح من الطوفان العظيم، ومثل

ما نزل بقوم هود من الريح العقيم ، وبفرعون وزملائه من الغرق ، وبقوم صالح لما عقروا الناقة . وهذا مذكور في القرآن من القصص عن أخبار الانبياء المتقدمين والامم المخالفين .

واعلم يا أخي أن العلم والعمل المختص بالانبياء صلوات الله عليهم وما أظهروه من المعجزات والآيات فهو علم الهي وتعليم رباني يتصل بهم من الملائكة وحياً وإلهاماً وليس هو تعليما أرضياً ولا علما جزئياً وانما هو تأييد كلي وفيض عقلي وانما يخرجون منه الى العالم بحسب ما يحتملونه ، ومن المعجزات ما يكون به الاعذار والانذار . ولو أرادوا هلاك الامم الذين كذبوهم والفرق الذين أنكروا عليهم في أول مرة لفعلوا ، وان فعلوا لكانوا بخلاف ما أرسلوا له لانهم انما أرسلوا لاصلاح الفاسد وأيدوا بوسع الطاقة في الاحتمال والصبر على الاذى وترك الكبر والغضب والحمية واستعمال الرفق والتأني في الامور لما يرجى بذلك من الصلاح العام للعالم ونجاة الذين أرسلوا اليهم وخلاصهم من الجهل والعمى ، فاذا لجت الامم الطاغية والاحزاب الباغية في العصيان واستحوذ عليهم الشيطان بعد أن وجبت عليهم الحجة واتضحت لهم المحجة ، أتت الأنبياء بالآيات وأظهرت المعجزات وخرقت العادات وأحاطت بالذين كذبوهم البلايا وحلت بهم الرزايا وهلك منهم من هلك عن بينة وحيي من حي عن بينة ! فضعفت قوة ابليس وانطفت نيرانه وتفرقت عنه شياطينه وهلكت أعوانه وخرست ألسنتهم واندحضت حجتهم . كذلك الطبيب اذا خالفه العليل أول مرة صبر عليه ورفق به وداواه بالملاطفة وسهل عليه الامر ، فاذا تمادى في الخلاف والخروج عن طاعته ومخالفته فيما يأمر به واستعمال ما ينهاه عنه خلاه ومراده لنفسه فيهلك .

وبهذا الشان يكمل لك يا أخي معرفة مداواة الانفس والاجسام فتكون قد أحكمت السياستين وعرفت المنزلتين .

وانما أردنا بما ذكرناه تنبيه اخواننا — أيدهم الله بروح منه — والحث لهم على الاجتهاد في معرفة العلوم كلها بحسب ما يتفق لهم ووقفوا عليه ووجدوا السبيل اليه ، وجعلنا ما أوردناه في هذه الرسالة مقدمات ومداخل وطرقا ومنازل الى نهايات

العلوم وغايات الحكم لعلهم اذا نظروا فيها ووقفوا عليها تشوقت نفوسهم الى علم ما غاب عنهم منها فيجدون في الطلب ويسألون أهل العلم عما لا يعلمون ، كما قال عز اسمه : (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وكما قال الرسول ﷺ (استعينوا على كل صناعة بأهلها) فعند ذلك يصيرون هداة مهذبين قد وقفوا على الصراط المستقيم

فصل

اعلم أيها الاخ أيدك الله وايانا بروح منه أن العلماء العالمين بعلم النجوم والهيئة وحوادث الجو وأصحاب الفال والكهانة والزجر وحدوث الروحانيات وأصحاب عمل الطلسمات والعلامات والآيات والخبايا وما شا كلها فانهم لا يتهيأ لهم ذلك الا بعد معرفتهم بالاصول ومايبدو منها من الفروع

فاذا صح لهم ذلك عملوا بحسب ما ينبغي لهم أن يعملوه من هذه الاشياء ويخبروا به بالدلالة على مايكون منه ويحدث عنه ، وهم في ذلك متباينون في الدرجات متفاوتون في الطبقات بحسب اجتهادهم في التعليم ومداومة العلم ومجالسة العلماء ومرافقة الحكماء والاشتغال بالدروس في الكتب الموضوعة فيها والتبحر فيها بصفاء الذهن وأعمال الروية واستقراء ماكان ليحكم به على مايكون ومعرفة مواليد السنين وموافقتها فى الحساب والنسب ومعرفة التواريخ والبدايات وما يكون في ابتداء الاعمال من الطوالع ومايوجب دوام ذلك وما يوجب الكواكب الثابتة وزواله وتغييره بانتقالها من مثلثة الى مثلثة واجتماعات الكواكب ونظر بعضها الى بعض وارتفاعها في أوجاتها وترقيها فى درجاتها وهبوطها فى حضيضها . فاذا نظروا نظر التأمل والاستقراء لواحد واحد منها ، كان من له ذلك قريباً من الاصابة في أحكامه

فاذا وقعت له الاصابة وذاق حلاوتها فما أقل ما يخطئ فانه بالاصابة تقوى بصيرته ويزيد فى سعيه واجتهاده ويستحلى الظفر بالصدق ويحرص فى أن تكون أقواله صادقة وأحكامه صحيحة ، فعند ذلك يبرع في العلم على أقرانه ويصير

رئيس أهل زمانه فتنكشف له الاسرار وتصير ما بين يديه جلية لا يغيب عنه شيء منها ويصير بنفسه الزكية ورويته الفكرية وتخيله الصادق كالفلك المحيط المطلع على مادونه فهو يخبر بما يكون قبل أن يكون في أقرب نظر وأيسر ملاحظة ، ثم كذلك من دونه كما وفق له ورزق الظفر به .

وهذا الفن من هذا العلم يسمى نجامة وكانت الجاهلية تسميه زجراً وكهانة وهو ضرب من السحر أيضا وبه ينصب الطلسمات ويعمل الاعمال . ونريد أن نذكر فناً من العلم بذلك وكيفية الحكم والاطلاع عليه شبه المقدمة والمدخل ليكون دليلا على ماذكرناه وبياناً لما وصفناه وبرهاناً لما قدمناه ان شاء الله

﴿ فصل ﴾

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه أن العلم الذى به المعرفة بالاشياء الحادثة والامور الكائنة التى تقوم وتدوم وتكون عواقبها بحسب موجبات ما يكون من الحركات السريعة والبطيئة هو ما يجب على الناظر فى ذلك الراغب فى علمه أن يعرف الاوقات والاحايين التى يكون فيها الابتداء بالاعمال والافعال بأدق النظر وأصح التأمل حتى يعرف ماهو كائن من ذلك الابتداء وما تصير عاقبته اليه وهو أن يعرف مواضع البروج الاثنى عشر والكواكب المضيئة والنجوم السيارة والثوابت والطوالع في الفلك والعلم بمواضع السهام وما الى آخر الاثنى عشر برجا والاوتاد وولاة الزمان وأرباب الساعات والاديان والمدبرى أرباع السنة ، الناظرين على الايام والساعات وتقويم الحساب السبعة فى طولها وعرضها وأن ينظر فى ذلك نظراً صحيحاً وحساباً مصححاً ويقوم الطوالع اقامة مستوية مصيبة ، ويقوم حساب البروج والاوتاد بدرجاتها ودقائقها وموضع الرأس والذنب وموضع السهم الذى كان به ذلك العمل والاجتماع والامتلاء والاجزاء والاثنى عشر برجاً والطالع وصاحبه وصاحب اليوم والساعات ، وأين موضع القمر الذى هو أنفع الاشياء في النظر وأصدقها فى الخبر وأحسنها دلالة على

ما يحدث في عالم الكون والفساد اذ كان هو أكثرها اختصاصاً بتدبيره وكيف سلامته من النحوس وبعده من الطريقة المحترقة .

فان جميع ما كانت بداية العمل به في وقت سلامته وحسن استقامته كانت عاقبته محمودة ونتيجته سالمة ومنفعته كاملة ويكون دوامه وقوامه بحسب ابطاء الحركة وسرعتها وما دلت عليه أدلتها وان كان متصلا بالنحوس هابطاً في ناحية الجنوب أو يكون في آخر البروج أو في أول درجة منها ثم لم يتمها فان ذلك رديء أو يكون في هبوطه أو خالياً عن صاحب بيته لا ينظر اليه أو ساقطا عن الوتد أو يكون مع الجوزهر ، فان ذلك الابتداء لا قوام له وأعرف الكوكب الذي انصرف عنه القمر والكوكب الذي يتصل به القمر في وتد هو أو ما يلي الوتد أو ساقط لان القمر اذا كان ساقطاً لم يكن فيه خير الا أنه يكون في الموضع الثالث من الطالع ، وان كان صاحب بيته ساقطاً ، لانك ان وجدت صاحب بيت القمر في الوتد الطالع أو وسط السماء أو الحادى عشر أو الخامس فكان شرقياً مستقيم السير ، كان بذلك موافقاً للأمر الذى تبتدىء به كالزهرة لأمور النساء والسرور ، وكموافقة المشتري الملل والاديان والذكور ، وموافقة عطارد للكتابة ، والشمس للسلطان ، والرياسة ، والقمر للتعليم والرسل .

وينبغي أن تنظر في كل علم تبتديء به الى الشمس والقمر وأصحاب شرفيهما أو حدودهما ثم تنظر الى وسط السماء لأنك متى وجدت هذين الموضعين نقيين من النحوس ويكون أصحابهما أعني شرفيهما أو صاحب الطالع في موضع حسن ، فان الابتداء يكون محموداً تاما ذا فضل ولا سيما ان سامتت السعود المضيئة وكان صاحب الطالع شرقيا لان تشريق الكواكب يدل على المغالبة والظفر والتمام والسرعة في درك الحاجة وغربي الكواكب وان كانت في وتد يدل على الابطاء والثقل والتطويل ، وان وجدت القمر في موضع حسن وصاحبه ساقط ، فان الابتداء بالعمل وحسن عاقبته رديئة وان وجدت القمر وصاحبه ساقطين فاقض برداءة أول العمل وآخره وإن كان القمر وصاحبه بموضع حسن فان العمل تام

على ماطلب صاحبه بتمامه وقوامه — ولا سيما ان كان صاحب الطالع في وتد ، وهو سعد ، وان كان نحسا وموضعه صالح فأنفع الاشياء أن يكون المشتري أو الزهرة في الطالع فان ذلك يدل على تمام العمل وحسن العاقبة واستعجال منفعة وعموم بركة ، لاسيما اذا كان القمر متصلا بالسعود : وذلك السعد ليس بناقص ولا راجع فهو موافق لكل عمل الا لعبد أراد الاباق من سيده وأخذ ما ليس له

فصل

أعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أن القمر أول الكواكب بتدبير ماتحته من عالم الكون والفساد وهو الواسطة ، ولذلك يحتاج أن تنظر أولا في ذلك الى مايكون من سعادته ونحسه ، ثم تعرف زيادته في بدايته ، وانه من وقت انصرافه عن الشمس يبتدىء بالقوة ثم يتغير عند تسديسه اياها وتربيعه وتثليثه ومقابلته لها ، وتكون قوته على قدر الكوكب الذي يتصل به عند ذلك وجوزهره والحد الذي فيه ذلك التربيع والتثليث والتسديس والمقابلة . فان وجدت القمر زائداً في نوره فان ذلك أفضل في الاعمال التي يستحب فيها الزيادة واذا نقص من ضوئه فان ذلك أفضل في الأمور التي يستحب فيها الانتقاص

وكذلك اذا انفصل القمر من الشمس إلى أن ينتهي الى تربيعها الايسر فانه صالح لطلب الحق .

واذا انفصل من تربيعها الايسر الى أن ينتهي الى مقابلة الشمس فذلك جيد للمبتديء بالخصومات والجدل والمناظرات في الاشياء.

وأما مابين المقابلة والتربيع الايمن فموافق للمظلومين بالخصومة والدين ، ثم الى أن يصل الى مجاسدة ، موافق لاصحاب العمل بالعلم وطلب الحق .

فصل

في سعادة الطالع وقوة الساعة

أفضل سعود الطالع والكواكب اذا كان سعداً في البرج الذي هو فيه ويكون سعداً في البرج الثاني منه .

والبروج المنقلبة تصلح لكل أمر فيه مغالبة ونخر لاسيما الجدي والحمل وذوات الجسدين لاصحاب العمل بالسحر والحيل ، والثابتة لاصحاب العقدوالربط ونصب الطلسمات ومايريد به صاحب الثبات

فان أردت عملا يدوم ويقوم من علاج ذهب أو فضة أوعمل شيء يربطه روحانية ، فليكن القمر والطالع ببرج ثابت وذي جسدين

وان اردت الابتداء بعمل تريد معاودته فى كل يوم فليكن الطالع برجا ذا جسدين والقمر فى برج منقلب ينظر الى الطالع .

فان أردت العمل بدوام ثباته وقوته فليكن ذلك والطالع برج ثابت ذو جسدين والقمر فى برج ثابت متصل بصاحب بيته من تثليث أو تسديس وصاحب بيته بريء من النحوس والاحتراقات والرجوع .

فان لم يمكنك ذلك فليكن القمر متصلا بالسعود وليكن ذلك السعد ينظر إلى صاحب الطالع من تثليث أو تسديس واحذر المقابلة والتربيع فان أقوى مايكون نظر السعود من التثليث والتسديس

ثم أضعف مايكون نظر السعود من التربيع والمقابلة وأضعف مايكون نظر النحوس من التثليث والتسديس ، وأقواها من التربيع والمقابلة فافهم ذلك وأعرفه .

فاذا اتصل القمر بصاحب بيته من صداقة وكان نحساً كان أيضاً صالحاً في الحوائج وجميع مايعمل وإذا كان سعداً وهو ينظر الى الطالع كان أجود وأحسن وأحذر من جميع الاعمال كلها من موضع القمر مع الذنب ونظره الى النحوس من التربيع والمقابلة والمقارنة واحذر في جميع الامور والاعمال من فساد القمر فانه يدل على العسر والعناء والتطويل فى العمل والمشقة فيه بنقصانه ولاسيما ان كان نقصانه من الانواع الثلاثة التي هي الضوء والحساب والسير ، وأفضل ذلك أن يكون زائداً فيها جميعاً ولاينظر اليه المريخ بشيء من النظر لان نظر المريخ إلى القمر في زيادة منحسة عظيمة.

وكذلك نظر زحل الى القمر اذا كان القمر ناقصاً ، وأقوى مايكون القمر بالليل اذا كان فوق الارض ، وأقوى مايكون الطالع بالنهار وأن يكون القمر تحت الارض .

ومن أفضل الاشياء أن يكون القمر والطالع فى بروج مستقيمة المطالع ،فاذا كان كذلك دل على السرعة في الحاجة والنجاح ولاسيا اذا كان فى بروج ثابتة وذوات جسدين

واعلم أن الحمل أسرع البروج المنقلبة تقليباً ، والسرطان أكثرها تقليباً ، والجدي أكثرها سعياً ، والميزان اقواها وأعدلها

واعلم أن الاوتاد أسرع في تمام العمل والفراغ من غيرها ويلى الاوتاد ابطاء والساقطة بطيئة وهيئة فشلة .

وأسرع مايكون العمل أن يكون سعد في الطالع أو مع القمر ويكون مستقيم السير .

واعلم يا أخى أيدك الله وايانا بروح منه أن العلم بعواقب الاعمال انما يعرف من صاحب تثليث بيت القمر وصاحب الطالع وبقدر مواضعهما وحالهما ونظر الكواكب اليهما فقل فى مثل ذلك واحكم على عاقبة الأمر بما لاح لك فيه ان شاء الله .

﴿ فصل ﴾

واعلم ياأخى أن ذوات الجسدين من البروج أكثرها وجوها وصوراً وهي تصلح للشركة والمؤاخاة ، وما عمل فيها من شيء فانه يعود مراراً :

واذا كان القمر والطالع في برج ذى جسدين ونظر الى السعود فان ذلك جيد لانها زائدة صالحة موافقة لكل عمل ، والجوزاء أكثرها وجوها وأوفقها للصناعة والحساب والمنطق والتجارة والترويج أيضا ، والسنبلة تصلح للأخذ والاعطاء والكتابة والادب ، والقوس يصلح لامر السلطان والرياسة ولاصحاب الجراءة والبأس والنجدة ، والحوت يصلح للغاصة في البحر ومن يعمل فيه ونحو ذلك .

والبروج الثابتة موافقة لكل عمل يحب صاحبه ثباته وطوله لأن القمر والطالع أقوى دلالة اذا كانا فيها واذا ابتداء بالعمل فى برج ثابت دل على ثبات ذلك العمل بطوله وتمامه فى آخره ، فان كان ذلك نحسا أتاه الشر منه .

والعقرب أخف الثابتة ، والاسد أثبت ، والدلو والثور ، أرطب . ولا تدع النظر في سهم السعادة وصاحبه لانهما اذا كانا فى ابتداء العمل بمواضع حسنة دلا على صلاح ذلك العمل وحسن عاقبته . وأفضل ذلك أن يكون صاحب السهم مشرقاً في مكان معروف .

فاعرف الصور والاشياء على مناظرة القمر لرب ذلك البرج والطالع واجعل القمر يناظر ربه أبدا فانه أسرع لما تريد من الاعمال وانجح لها بتوفيق الله تعالى

﴿ فصل ﴾

قال بطليموس ان مثل الكوكب اذا لم ينظر الى بيته كالرجل الغائب عن منزله وداره فلا يستطيع أن يدفع عنها ولا يمنع منها ، واذا كان رب الطالع ينظر الى بيته فهو بمنزلة رب الدار الذى يحفظها ويمنع منها وهو بعيد عنها فاجعل القمر فى جميع الابتداء فى موضع حسن جيد ولا تتوان فيه أو اجعله مع السعد أو يتصل بسعد واجعل البرج الذي تريد منه الحاجة يكون مسعودا .

واعلم أن سهم السعادة في الابتداء والمسائل يحتاج اليه فلا تسقطه عن مناظرة القمر أبدا ومقارنته فان للقمر شركة في سهم السعادة ولا تلتفت الى الدرجة التى يطلع فيها لان كل صورة ودرجة تطلع من تلك الصورة موافقة لامر واحد وأمرين وأكثر من ذلك . واعلم أن البروج المنقلبة تصلح لما يكون فيه المغالبة والاجتهاد

﴿ فصل ﴾

اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أن جميع مايجرى فى عالم الكون والفساد المرتب تحت فلك القمر من جميع مافيه من كبيرة وصغيرة وحية وميتة وناطقة وصامتة ، ومن ذى نمو وزيادة وكل ذى نور ومحاق فبتدبر فلكى وأمر سماوى

لايخرج عن النظام الذي ركبه بارئه — عز اسمه — عليه وجعله فيه لا يعدوه وكل مستقر في مكانه اللائق به .

وأفعال الكواكب روحانياتها تسرى في عالم الكون والفساد كسريان القوى النفسانية في الاجساد : فلكل كوكب في الفلك وجوه وحدود ، ولحدودها درج ، ولها صورة تنحط من كل صورة الى عالم الكون والفساد ، روحانية متصلة بمثلها مرتبطة بشكلها ! وهي موكلة بها المدة المقدرة لها وهم ملائكة الله سبحانه الذين لايحصى عددهم الا هو ولاتنزل الا بأمره وحكمته .

ولما كان العلم بذلك يوجب لمن علمه الفضيلة الانسانية وهي التصور بعد الموت بالصور الملكية أوردنا منه فى رسائلنا ماصلح أن نورده الى اخواننا الكرام أيدهم الله وايانا بروح منه ليقفوا عليه فيكونوا قد اطلعوا على مقدمات العلوم ومباديها فيكون معينا لهم على التمهر فيها ومشوقاً لهم على الاطلاع عليها ، ولئلا يجهلوا علما من العلوم ويتعدوا رسما من الرسوم حتى لا يبغضوا العلم فيعادوا حامله ويصدوا عنه طالبه ، وانما وضعنا هذه الرسالة في معنى ما ذكرناه وماهية ماوصفناه من السحر والعزائم والكهانة والرق والفال والزجر — بما بينا ذكره فيما بعد ان شاء الله تعالى تنبيها للنفس اللاهية والارواح الساهية الذين لامعرفة لهم بكيفية الموجودات ولا دراية بسريان الروحانية ولا بما تظهره فى عالم الكون والفساد فأردنا إعلامهم وإيقافهم على معنى ماخفي عنهم وصعب عليهم

واعلم ياأخي أن جميع الاعمال والصنايع والحرف والمهن ومايجرى بين الناس من الاخذ والاعطاء والبيع والشرى والجدل والكلام والاحتجاج في الاديان واقامة الدليل والبرهان ومايكون من خرق العادات وقلب الاعيان وتحويل الاشياء بعضها الى بعض ومزج بعضها ببعض فكل ذلك سحر وعزيمة والعالم كلهم قائمون بعلمه وعمله ، ولكن كل عمل يعمل بحسب استطاعته وبلوغ سعيه ومايجد السبيل اليه بقدرته وطاقته وكل ذلك بتدبير فلكى موجب لكل عاقل ماهو عامل وقائم بسبيله لايفوته ولايتعداه مادام ذلك الحكم مستمراً في مجراه حتى ينتقل منه الى سواه .

وقد ظن كثير من الناس ممن لا علم لهم ولامعرفة عندهم أن مايجري فى العالم

الأرضى والمركز السفلى لا يكون إلا منه ولا يظهر الا عنه ، وقد عدموامعرفة الاصل في ذلك ولو علموا وتحققوا أن الحركة هي سبب النشوء لبان لهم أن أصل الحركة الدورية هو الفلك المحيط والمحرك له هو النفس الكلية بأمر البارى جل جلاله ، ولذلك أهملوا النظر في علم النجوم ودعاهم جهلهم بمعرفتها الى الرد على أصحاب العلم وعادوهم وانحازوا عنهم فانفردوا منهم ونسبوا جميع ما يجري في العالم من الخير والشر ، والعرف والنكر ، والمحمود والمذموم ، الى فعل البارى سبحانه وأنه هو مريده والامر في حكمة البارى عز اسمه بخلاف ماظنوه وغير ماتخيلوه إذ كان أصل الخلقة خيراً كله جوداً كله لاتفاوت في خلقه النورانى وفيضه الروحانى . وقد بينا هذا المعنى في الرسالة الجامعة

واعلم يا أخي أن معرفة خلق الكواكب على ما وصفتها الحكماء وأخبرت بها العلماء مما ينبغى لك أن تعلمه ولا يسعك أن تجهله

واعلم انه العلم الذى كانت الكهنة يقدرون به على ما يعلمونه من الأعمال المستحسنة ، وكذلك أصحاب الزجر والفال .

ونريد أن نذكر في هذا الفصل شيئاً من ذلك لنعرفه فتعمل به اذا احتجت الى العمل به ان شاء الله

﴿ فصل ﴾

في معرفة خلقة الكواكب والبروج على ماذكرته الحكماء

(الحمل) ذو جثة مجوفة عظيم الوسط براق يتلألأ صلب فيه اعوجاج (الثور) مجوف عظيم الجثة كبير متصل به شىء صغير الى البياض مائل يابس المغمز خشن اللمس (الجوزاء) دقيق الوسط عريض الطرفين طويل فيه اعوجاج مصمت (السرطان) كثير العدد خشن اللمس يتفتت (الأسد) براق يتلألأ صلب شديد الصلابة عريضه أكثر من طويله له انحراف (السنبلة) كثيرة العدد مجتمعة لها أصل واحد لها جثة حسنة اللمس ضعيفة الجسد أعلاها غليظ وأسفلها دقيق (الميزان) طويل مشبخ يدخل بعضه فى بعض ملتو بعضه على بعض مختلف الجوهر

ينتشر وينطوى (العقرب) طويل محوزمجوف (القوس) مصمت النصف الأول والنصف الاخير مجوف أصهب يابس الى الحمرة مائل (الجدى) كحلى مجوف مستقيم مثل القصب والبردى (الدلو) أخضر مصمت كله إلا خمس درجات من آخره فانه مجوف (الحوت) أبيض الى الخضرة النصف الاول منه والثانى أبيض الى آخره .

فصل

في خلقة الكواكب

الشمس : مدورة براقة ينتشر لها ضياء وحسن وصف تنقي الانسان وتجلى الغم .

القمر : مدور فيه كسر وثلمة إذا كان ناقصا ، مدورمستدير العرض إذا كان تاما كاملا أكحل الالوان أسود صقيل فيه بعض الصفاء

عطارد : صغير خفيف حقير ينتشر وينطوي

الزهرة : مختلفة مشرقة اللون طيبة الرائحة ذات نماء لها ثمان زوايا براقة تثنى .

المريخ : أحمر يابس في حمرته كمودة صحيح طوله أكثر من عرضه

المشترى : أصفر كريم الجنس طويل عريض فيه انحناء والتواء

زحل : أسود حقير خسيس كريه المنظر كريه الرائحة مربع في تربيعه اعوجاج .

فصل

اعلم يا أخى أيدك الله وايانا بروح منه أن الاخبار عن الأشياء الكائنة الغائبة عن نظر العين بالخير والشر وبما في الضمير من الامور المكتمة في نفس الانسان السائل فهو أيضا سحر وكهانة ، وهو مما ينبغى لك أن تعرفه ليتبين لك صحة ماذكرته الحكماء من ذلك .

ونريد أن نبين لك شيئاً منه ليكون معينا لك على ماتريد أن تقف عليه مما رغبت فيه وسألت عنه

فصل

اعلم ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه أن علماء الهند هم العارفون بصناعة النجوم المخصوصون باسم الكهانة ويلحق بهم في العلم بذلك حكماء الفرس ومن بعدهما اليونانيون

وأما الزجر فمختص به العرب في الجاهلية ، وبعد ذلك الفال في الاسلام وقد وضعت في هذا العلم كتب مستحسنة بينوا فيها من هذا البيان مايكون في الوصول الى بلوغ الغرض منه ، فاذا أردت ذلك وسألك سائل عن خبر أو ضمير أو خبي يريد منك الاخبار به والقول عليه ، فاحكم على ذلك من ارباب الساعات .

مثال ذلك اذا سألك رجل عما في يده في أول ساعة الزهرة فاعلم انه شيء أبيض حسن اللون طيب الرائحة مما يدخل النار ويخرج كالفضة .

وان جاءك في وسط الساعة فانه شيء حسن طيب الرائحة من العطر

وان جاءك في آخر الساعة فانه شيء ضعيف لين مما ينسب الى الماء

وان جاءك في أول ساعة الشمس فهو صغير من نبات الارض ، وان جاءك في وسط الساعة فانه ذهب أو نقرة أو حلي من ذهب مدور أو دينار ، وان جاءك في آخر الساعة فانه شيء رقيق ناري شبه القوارير

القمر : ان جاءك في أول ساعاته فانه فضة قليلة فيها رداءة أو خاتم فيه فص أسود أو نقرة أو فضة ناقصة العيار ، فان جاءك في وسط الساعة فانه شيء مدور فيه صدع أو كسر كالدرهم المكسور أو ورد أو شيء من الكافور ، وان جاءك في آخر الساعة فهو زرنيخ أحمر أو أصفر

المريخ : ان جاءك في أول ساعته فانه شيء طويل احمر النحاس أشبه ، بذلك وان جاءك في وسط الساعة فهو شيء أحمر عريض اما حلقة أو امرأة وان جاءك في آخر الساعة فهو شيء حاد طويل مثل السنان أو الخنجر .

عطارد : ان جاءك فى أول ساعته فاعلم انه كتاب أو ديوان حساب ، وان جاءك في وسط الساعة فاعلم انه نبات الارض الى السواد وما هو عريض يابس وان جاءك فى آخر الساعة فهو حجر مثقوب أوحب لؤلؤ أو دراهم أو شيء منقوش أو فيه صورة

المشترى : ان جاءك في أول ساعته فهو جوهر ياقوت أو لؤلؤ، وان جاءك في وسط الساعة فانه خرز أو بلور وان جاءك فى آخر الساعة فانه شيء مثل خاتم ساذج فصه ، أوفصه فيروزج

زحل : ان جاءك فى أول ساعة فاعلم انه حديد أو رصاص ، وان جاءك في وسط الساعة فانه من نبات الارض ثقيل ، وان جاءك في آخر الساعة فهو لا محالة شيء مثل عناب أو نبق أوشبه ذلك.

فصل

فى معرفة ارباب الساعات

اعلم يا أخى ايدك الله وايانا بروح منه انه اذا صح لك معرفة هذا العلم من هذا الباب قدرت على الاخبار بما شرحناه في الفصل الذى قبل هذا : وهو أن تعلم ان الكواكب السبعة التى هي ارباب الأيام السبعة .

فرب يوم الأحد الشمس ، ورب يوم الاثنين القمر، ورب يوم الثلاثاء المريخ ورب يوم الاربعاء عطارد ، ورب يوم الخميس المشترى، ورب يوم الجمعة الزهرة والسبت زحل

فاذا كان رب اليوم كوكباً من الكواكب فهو مدبر الساعة الاولى من ذلك اليوم ثم رب الساعة الثانية الذي دونه ، والذي بعد رب الساعة الثالثة ، وكلما انتهى الى رب اليوم ابتدأ بالعدد الى تمام اربع وعشرين ساعة كيوم الاحد مثلا فانه للشمس وهو رب الساعة الأولى والزهرة رب الساعة الثانية وعطارد رب الساعة الثالثة ، وكذلك ساعات ارباب كل يوم

﴿ فصل ﴾

في معرفة ماتدل عليه الكواكب من اعضاء الحيوان

(لزحل) الأذن اليمنى في ظاهر الجسم وفي داخله الطحال .

(وللمشتري) الاذن اليسرى ومن داخله الفؤاد .

(وللمريخ) المنخر الايمن ومن داخله الكليتان

(وللشمس) العين اليمنى بالنهار ومن داخله المعدة

(وللقمر) بالليل العين اليسرى ومن داخله الرئة.

(الزهرة) لها من خارج الجسم والوجه والصدر ومن داخله القلب

(ولعطارد) اللسان ومن داخله المرارة

﴿ فصل ﴾

في معرفة الخبيء

اذا كان حيواناً فاستدل على خلقة رأسه بخلقة رأس الطالع، وعلى خلقة صدره بخلقة صدر وسط السماء وعلى خلقة بطنه بخلقة وسط السابع ، وعلى عدد ارجله وخلقته بخلقة ارجل الرابع وعددها ، وعلى حسنه وقبحه بمشاهدة السعود والنحوس ان كان القمر منحوساً فان الذي سألت عنه من اعضاء الجسد قبيح وإن كان مسعوداً فانه أحسن

﴿ فصل ﴾

في معرفة الخبيء من الثاني عشر وصاحبه

ان كان الثاني عشر برجاً هوائياً فهو من الهواء وان كان أرضياً فمن الارض وان كان مائياً فمن الماء وان كان نارياً فمن النار .

ثم انظر الى صاحب الموضع كذلك وامزجهما فان كان أحدهما أرضياً وصاحبه مائياً فهو نبات ، وان كان أحدهما مائياً وصاحبه أيضاً فهو جوهر جسدي مثل الاجساد والكباريت ، وان كان أحدهما أرضيا والآخر هوائياً فهو من

الحيوان الذي ينحل من الارض ، وان كانا أرضيين فهو أرضي ، وكذلك في جميع الاشياء .

﴿ فصل ﴾

في معرفة ماتدل عليه الحدود من كلام حكماء الفرس

الحمل حد المشتري وهو الاول ست درجات يدل علي جوهر أبيض وأصفر يعمل بالنار ، الثاني الزهرة ثمان درجات يدل على شيء شديد يابس يضرب الى السواد والى الصفرة تذيبه النار وكل ذلك مدحرج أو مدور الى العرض ما هو الثالث عطارد سبع درجات يدل على نقش سواد أو على شيء كتابة أو نبات أسود . الرابع المريخ خمس درج يدل على شيء طويل أحمر يشبه النحاس ، الخامس زحل أربع درجات يدل على حديد أو رصاص أو شيء أسود أصله رديء أو ميت أو شيء لا قيمة له .

(الثور) الاول حد الزهرة ثمان درجات : نبات الارض ، لكنه جوهر أبيض من نبات أبيض ، الثاني حد عطارد سبع درجات نبات الارض لكنه جوهر قد تغير عما كان عليه ، الثالث حد المشترى سبع درج حيوان ذو أربع قوائم مما يكون له قرون ، الرابع حد زحل درجتان جوهر من جنس الارض لكنه شديد خشن يابس أسود ، الخامس حد المريخ ست درج حيوان يأكل اللحم

(الجوزاء) الاول منها حد عطارد سبع درجات حيوان من جنس الناس ومن الطير العقبان مما يأكل اللحم ويستأنس بالناس ويألف البيوت وينطق ، الثاني حد المشترى ست درجات حيوان الأنس ومن الطير القصار الأعناق وكل ذلك الى البياض ، الثالث حد الزهرة سبع درجات حيوان ذو ألوان مختلفة من الطير لا واحد ولا اثنين مختلفة ألوانها ، الرابع حد المريخ ست درجات الحيوان الانسي ومن الطير مما يأكل اللحم ، الخامس حد زحل أربع درجات حيوان يضرب الى السواد

(السرطان) أول حد منه لبهرام ست درجات سباع الماء وجوهر قد عمل بالماء والنار والثاني للمشترى سبع درجات جوهر الماء مما يؤكل وينتفع به الثالث حد عطارد سبع درجات حيوان . ومن الطير ما يأكل اللحم حسن المنطق صغير فيه لونان . الرابع حد الزهرة سبع درجات جوهر يخرج من الماء أو حيوان لين أو شيء ريحه طيب . الخامس حد زحل ثلاث درجات حيوان لكنه لا ينتفع به وهو أسود فيه حمرة ضخم لا يكون الا في الماء

(الاسد) أول حد منه لزحل ست درجات شيء شديد لا ينتفع به يابس مثل الحجر ولكنه الى الطول ماهو . الثاني حد عطارد سبع درج جوهر أسود يابس لا ينتفع به دنس ، الثالث حد المريخ خمس درج جوهر أسود لا ينتفع به دنس ، الرابع حد الزهرة ست درجات ، شيء النصف الاول منه يابس والنصف الآخر ردىء لا ينتفع به ، الخامس حد المشترى ست درجات ذو أربع قوائم يأكل اللحم ويستوحش من الناس ضخم

(السنبلة) أول حد منها لعطارد سبع درجات نبات صغير ثقيل الى الطول ماهو ، الثاني للزهرة ست درجات نبات لا يكون له ثمر عظيم جوفه أطيب من خارجه ، الثالث حد المشترى خمس درجات شيء دسم عزيز ، الرابع حد زحل ست درجات شجرة كثيرة الشوك ثمرها أحمر له لونان وله نور حسن حار يابس الخامس حد المريخ ست درج حيوان جسيم طويل يضرب الى السواد كثير الارجل صبور

(الميزان) الاول لزحل سبع درجات شيء أسود ، الثاني حد الزهرة خمس درجات حيوان يطير وما لا يطير لا يكون له قوائم عدو للناس ، الثالث حد عطارد خمس درجات حيوان ثقيل لا ينتفع به ، الرابع حد المشتري ثمان درجات شيء أبيض مؤنث ، الخامس حد بهرام خمس درجات حيوان يأكل اللحم وفيه ألوان

(العقرب) أول حد منه للمريخ ست درجات حيوان يكون في الماء

ويؤذى دواب الماء ويكون كثير القوائم ، الثاني حد الزهرة خمس درجات جوهر فى الماء حسن ينتفع به ، الثالث حد المشترى ثمان درجات حيوان يكون في الماء دقيق طويل ينتفع به يأكله الناس ، الرابع حد عطارد ست درجات جوهر يكون في الماء يابس منتن ، الخامس حد زحل خمس درجات حيوان لاينتفع به شبه شيء قذر

(القوس) أول حد منه للمشتري ثمان درج جوهر عزيز شبه حجر ، النصف الأول والنصف الثانى حيوان ذو أربع قوائم ينتفع به ويحمل عليه الثانى حد الزهرة ست درجات النصف الاول حيوان ، والنصف الثاني جوهر احمر عزيز ، الثالث حد عطارد خمس درجات النصف الاول حيوان والنصف الثاني جوهر لاينتفع به ، والرابع زحل ست درجات جوهر أسود يذاب بالنار أحمر أصم ، الخامس المريخ خمس درجات حيوان مفسد عدو للانسان

الجدى أول حد منه للزهرة سبع درجات جوهر نباتي الثانى عطارد سبع درجات من جوهر الارضين طير قد تشبه الماء والنار ، الثالث حد المشترى ثماني درجات حيوان ذو أربع قوائم ذو قرون الرابع حد زحل اربع درجات جوهر شديد يعمل بالنار لايذوب حديد ، الخامس حد بهرام اربع درجات جوهر شديد تذيبه النار ويضرب الي الحمرة ، نحاس

(الدلو) أول حد منه لزحل سبع درجات حيوان من دواب الارض مما يتأذى به الناس الحد الثاني للزهرة ست درجات حيوان ، الحد الثالث للمشترى سبع درجات حيوان يشبه الانسان وطير يشبه دجاجة تربي في الماء الرابع حد المشتري خمس درج يأكل اللحم أكثر ما يكون من الطيور يشبه النسر والعقاب ، والخامس حد المريخ خمس درجات الحوت أول حد منه للزهرة اثنا عشرة درجة ، ثياب تصنع من وبر الحيوان قوى متشابه الالوان . الثانى حد المشترى أربع درجات حيوان يكون في الماء الثالث حد عطارد ثلاث درجات نبات يكون في الماء لاينتفع به الا في النار ، والرابع حد المريخ تسع درجات حيوان

تكون في الماء يؤذي ما يكون فيه من الدواب الخامس حد لزحل درجتان حجر ودع يتكون في المـاء على ساحل البحر يحمل حديداً وحجراً عليه حديد

فصل

في معرفة النوبهرات من كلام حكماء الهند

الحمل أول نوبهر فيه ذهب ،الثاني نبات ، الثالث نبات أخضر ، الرابع ذو أربع قوائم ، الخامس ذهب ، أو ياقوت أحمر ، السادس حيوان ذو رجلين ، السابع نبات ، الثامن صقر أبيض ، التاسع ذو رجلين . (الثور) أول نوبهر منه نبات ، الثاني حجر ، الثالث ذو روح وقوائم ، الرابع ذهب ، الخامس نبات ، السادس انسان ، الثامن صقر أبيض ، التاسع روح ذو رجلين . (الجوزاء) أول نوبهر منه نبات ، الثاني شبهه ، الثالث انسان ، الرابع نبات ، الخامس رصاص أو قلعي أو أسرب ، السادس من دواب الماء ، السابع ذو أربع قوائم ، الثامن نبات من الأرض ، التاسع ذو رجلين . (السرطان) أول نوبهر منته نبات ، الثاني جوهر أو صدف ، الثالث حب ، الرابع نبات ، الخامس حديد ، السادس برذون أو بغل ، السابع نبات ، الثامن جوهر أو حجارة ، التاسع دواب الماء . (الأسد) أول نوبهر منه ذهب ، الثاني ذو أربع قوائم ، الثالث انسان ، الرابع حية ، الخامس أسد أو نمر ، السادس ذو أربع قوائم ، السابع امرأة ، الثامن عقرب أو حية ، التاسع برذون أو بغل . (السنبلة) أول نوبهر منه صوف ، الثاني حرف ، الثالث انسان ، الرابع شاة ، الخامس جاموس ، السادس طير ، السابع العلق الذي يكون في الماء ، الثامن كلب ، التاسع امرأة . (الميزان) أول نوبهر منه نبات ، الثاني سهم ، الثالث ذو أربع قوائم ، الرابع مثله أو غراب أو ضبع ، الخامس طير يأكل اللحم ، السادس امرأة ، السابع ملح ، الثامن دواب ، التاسع نبات . (العقرب) أول نوبهر منه زنبور أو عقرب ، الثاني دب أو قرد ، الثالث فراخ حدأة أو رخمة ، الرابع سيف ، الخامس عقرب او حية ، السادس فيل ، السابع

سلحفاة ، الثامن انسان ، التاسع نعامة . (القوس) أول نوبهر منه ذهب ، الثاني نبات ، الثالث انسان ، الرابع نبات ، الخامس أسد ، السادس جارية ، السابع نبات أخضر ، التاسع برذون أو إنسان . (الجدي) أول نوبهر منه ضب ، الثاني صدف ، الثالث انسان ، الرابع دجاجة أو ديك ، الخامس فيل ، السادس ريح السابع سيف ، الثامن نبل ، التاسع انسان . (الدلو) أول نوبهر منه حرف ، الثاني انسان ، الثالث طير أو عنز ، الرابع جمل أو حمار ، الخامس حيوان غريب السادس جوهر الماء ، السابع خنزير ، الثامن نبات ، التاسع انسان . (الحوت) أول نوبهر منه طير الماء ودواب الماء ، الثاني طير الماء ، الثالث فضة أو لؤلؤ أو صدف أو زبد البحر ، الرابع قوائم أبلق ، الخامس حيوان يأكل اللحم ، السادس برذون أو رجل ، السابع إنسان ، الثامن تمر أو بر ، التاسع سمكة

فصل

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أن لأصحاب هذه الصناعة والحكم على هذه المسائل دلائل كثيرة تركنا ذكرها والاستقصاء فيها إذ كنا انما نذكر من كل علم شبه المقدمة والمدخل الى باقيه ليكون تحريضاً لاخواننا على التمهر فيه والشوق اليه ، لأن بالشوق الى الشيء يكون الحرص على الاطلاع عليه والمعرفة به . ومثل هذا العلم يجب لاخواننا أيدهم الله وايانا بروح منه أن يعرفوه ويتعلموه ولا يزهدوا في شيء منه ، لأنه علم جليل نفيس شريف وجوهر سماوي وبدؤه الهي وجميع ما في العالم السفلي والمركز الأرضي ، فتدبيره يكون في حال نشوئه وبلائه ونقصانه وتمامه .

ونريد أن نذكر أول ما ابتدأ به أصحاب هذه الصناعة وجعلوه مقدمة للمبتدئين ليعرفوا به ما يتفرع من المسائل ومعرفة الضمير الذي يسأل عنه السائل ما هو ؛ وماذا يكون منه ؟ وما الذي يصدر عنه ؟ وهو الأصل المعتمد عليه في صناعة الكهانة والنجامة .

والذي يختص منه بالكهانة هو مالا يستعين عليه صاحبه بآلة ولا باظهار حساب ولا نظر في كتاب بل بجودة الحفظ وذكاء النفس وصحة العقل وجودة التمييز وحدة الخاطر مع مساعدة ما اتفق له في مولده الموجب له ذلك .

فاذا عرف موضع القمر وتقويم الطالع وأرباب الساعات والايام وجاءه السائل أخبره عما سئل عنه وما يكون من أمره وعن ابتداء عمله وكيف تكون عاقبته : وأما ما يختص بالزجر فهو ان يجعل اول مايقع عينه عليه في وقت المسألة جوهر ما يسئل عنه ، فاذا رأى ذلك نظر الى جوهر الطالع في ذلك وموضع وقت القمر ، فاذا وافقه حكم به واخبره بما يكون منه ، فان عدم النظر رجع الى حسن السمع فجعل اول صوت يسمع مثل ما قدمنا ذكره في النظر ، وله علم يختص به يطول ذكره

فصل

في استخراج الضمير للسائل

واعلم يا اخى ان المسائل على ثلاثة اوجه : فأول ذلك ان تعلم في اي شيء جاءك السائل وعما سأل عنه ، والوجه الثاني من اين هذه المسألة واي شيء كان سببها أولا ، والوجه الثالث أن تعلم هل تقضى أولا والى ماذا تصير عاقبتها قل . أو قس اذا أردت أن تعرف ذلك ابتدىء بمعرفة الدليل على ما أصف لك .

ومعرفة ذلك أن تنظر الى الطالع وصاحبه والى القمر والى رب بيته ، والى الشمس والى رب بيتها ، والى صاحب الساعة والى سهم السعادة . واعمل باجودهم موضعاً وأكثرهم شهادة فان لم تجد شيئاً مما ذكرنا فانظر الى صاحب الطالع والى صاحب الشرف وصاحب الحد وصاحب المثلثة وصاحب الوجه ، ثم اعرف أيها المستولى على الطالع وهو أن تنظر أيها أكثر حظاً في الطالع فاتخذه دليلا

واعلم أنه اذا كان جيد الموضع وجودة موضعه أن يكون فى بيته أو فى شرفه أو في جده أو في مثلثه أو وجهه ويكون نقيا من النحوس فانه الدليل .

واعلم أن لصاحب البيت خمسة حظوظ ولصاحب الشرف أربعة حظوظ ولصاحب الحد ثلاثة حظوظ ، ولصاحب المثلثة حظين ولصاحب الوجه حظاً واحداً ، فاعمل بأكثرهم شهادة وأجودهم موضعاً

واعلم انه اذا كان صاحب الطالع في الطالع فهو أولى به من غيره ، فان لم يكن في الطالع وكان صاحب الشرف في الطالع فهو المستولي له كله ، فان كانا جميعاً في الطالع فهما شريكان ، وان كان لاحدهما شهادة أخرى فهو أقوى موضعا وهو الدليل بفضل شاهد أن يكون له كوكب له في الطالع شهادة ويتصل بأحدهما أو يكون القمر في بيت أحدهما أو يتصل باحدهما . فاذا كان كذلك فهو الدليل بفضل شهادة ، فان لم يكونا في الطالع فعليك بالدليل

واعلم أن أقوى مايكون من الادلة وأولاها بالمسألة أقواها موضعاً وأكثرها نصيباً .

واعلم أن لكل طالع ربا ، وقد يبقى الطالع ساعتين حتى يخرج ، وقد يجوز أن يسأل في تلك الساعتين عن مسائل كثيرة ، فان كان صاحب الطالع هو دليل تلك المسائل كلها كانت تكون على أحد أمرين : إما مصلحة كلها وأما رديئة كلها وليس الامر كذلك .

وقد يكون القمر متصلا يومه كله أو ساعات من النهار بكوكب ما والمسائل تختلف منها مايكون ومنها مالا يكون بجودة النظر في الاصول

فصل

في ذكر أوتاد الفلك وأرباعه والبيوت الاثنى عشر

واعلم أيها الاخ أيدك الله وايانا بروح منه أن الفلك الاعلى يدير فلك البروج وسائر الافلاك من المشرق الى المغرب في اليوم والليلة دورة واحدة ، وفي كل وقت من الأوقات يكون بعض درج فلك البروج في أفق المشرق ، وبعضها في حقيقة درجة وسط السماء وبعضها في أفق درجة الغارب وبعضها في درجة الرابع ومن كل موضع من هذه المواضع الى الآخر يكون ربع الفلك ، وكل ربع منه ينقسم الى ثلاثة أقسام : منها مايسمى بيتاً فيكون الفلك في كل وقت أربعة أرباع على قدر فصول السنة ، ويكون اثنا عشر بيتاً على عدد البروج والربعان اللذان من الطالع الى وسط السماء ومن الغارب الى الرابع يسميان منقلبين ذكرين شرقيين

متيامنين ، والربعان اللذان من العاشر الى الغارب ومن الرابع الى الطالع يسميان ثابتين مؤنثين غربيين متياسرين .

وقد يقال أيضا ان فوق الارض يمنة وأسفل الارض يسرة ، وفي قسمة أخرى بالربع الذى هو من الطالع الى وسط السماء شرقى مقبل ، والربع الذى من وسط السماء الى درجة الغارب جنوبي زائل ، والربع الذى هو من الغارب الى درجة الربع غربى مقبل ذكر ، والربع الذى من درجة الرابع الى الطالع شمالى مؤنث زائل .

ويسمى الربعان المؤنثان والنصف الذي من وسط السماء الى آخر الدرجة الثالثة الاخيرة منه يقال له الصاعد ، والنصف المقابل يقال له الهابط.

وهذه الاربعة تنقسم على اثنى عشر قسما على عدد البروج ويقال لكل قسم منها بيت .

فصل

فى معرفة البيوت

فاول بيوت الفلك هو البيت الذى يطلع أوله من أفق المشرق والذى بعده هو الثاني ثم الثالث ثم الرابع ، ثم كذلك سائر البيوت يسمى كل بيت منها باسم العدد الذي يليه الى الثانى عشر ، وكل بيت من هذه البيوت الاثنى عشر يسمى باسم مخصوص وينسب الى أشياء موجودة فيه.

فصل

البيت الاول يقال له الطالع وهو يدل على الابدان والحياة وعلى حالات كل ابتداء وحركة المثلثة الاولى تدل على الحياة والعمر وطوله وقصره والثانية تدل على القوة فى الجسم ، والثالثة تدل على الصورة .

والبيت الثاني يقال له بيت المال وهو يدل على جمع المال وا كتنازه وأسباب المعاش وحالاتها والاخذ والاعطاء ، والمثلثة الاولى تدل على المال ، والثانية على الاعوان والمعاش ، والثالثة تدل على المروءة واللطف

والبيت الثالث من الطالع يقال له بيت الاخوة والاخوات والاقرباء والاصهار والعلم والرأي والدين والفقه والخصومات والاديان والكتب والاخبار والرسل والاسفار القريبة والنساء .

والاحلام القليلة المثلثة الاولى تدل على الاخوة والأخوات ، الثانية تدل على القرابات ، الثالثة تدل على الرعية.

البيت الرابع من الطالع يقال له بيت الاباء وهو يدل على حالات الاباء الاصل والجنس والارضين والقرى والمدائن والبناء وعلى كل شيء مستور مما كان تحت الارض وعلى الكنوز وعلى العاقبة والموت ومابعده مما تصير اليه حالات الانسان الميت من الدفن والنبش أو الصلب والحرق أو الرمي به في بعض المواضع أو أكل لحم الحيوان أو غير ذلك من حالاته ، ومايختص بالنفس من الثواب والعقاب في المعاد ولا يتهيأ لاحد النظر فى هذا القسم المختص بالنفس الا للعلماء من اخواننا الفضلاء — وقد ذكرنا كيفية ذلك في رسالتنا الجامعة عند ذكر شرح رسالة كيفية اللذات والآلام والموت وما بعد الموت

المثلثة الاولى تدل على الاباء والامهات ، الثانية تدل على العاقبة فى الأمور الثالثة تدل على الارضين وبناء المدائن

البيت الخامس من الطالع يقال له بيت الولد وهو يدل على الولد والرسل والهدايا والرجاء وطلب النساء والمصادقة والاصدقاء والمدن وحالات أهلها وعلى غلات الضياع وكثرتها وقلتها .

والمثلثة الاولى تدل على الولد واللذة والأكل والشرب ، والثانية تدل على الاخبار والرسل ، والثالثة تدل على المخاطبة والمصادقة

البيت السادس يقال له بيت المرض وهو يدل على الأمراض وأسبابها والزمانة والعبيد والاماء والوضيعة والظلم والنقلة من مكان الى مكان.

المثلثة الاولى تدل على المرض ، والثانية تدل على العبيد ، والثالثة تدل على الهمة والفكر .

البيت السابع منه يقال له بيت النساء وهو يدل على النساء والتزويج وأسبابه

والخصومات والاضداد والسفر والسلف وأسبابه والشركة المثلثة الاولى تدل على النكاح . الثانية تدل على الاضداد . الثالثة على الشركة .

البيت الثامن يقال له بيت الموت وهو يدل على الموت والقتل والمواريث وعلى السموم القاتلة والخوف وعلى كل شيء هلك وضل وعلى الودائع والبطالة والكسل . المثلثة الأولى تدل على الموت ، الثانية تدل على الخوف . الثالثة تدل على المواريث .

البيت التاسع يقال له بيت السفر وهو يدل على الاسفار والطرق والغربة وأمر الربوبية والنبوة والدين وبيوت العبادة كلها والفلسفة وتقدمة المعرفة وعلم النجوم والكهانة والكتب والرسل والاخبار والرؤيا .

المثلثة الاولى تدل على السفر وموافقته . الثانية تدل على الدين والعبادة والكتب والعلم والفلسفة . الثالثة تدل على الرؤيا والاحلام

البيت العاشر يقال له بيت السلطان وهو يدل على الرفعة والملك والسلطان والوالى والقاضى والشرف والذكر والصناعات والأمهات

والاعمال المثلثة الأولى تدل على السلطان والعز والولايات ، الثانية تدل على المسئلة الغامضة وعلى الملائكة والوحي ويقال انها السلطان والعز . والولايات الثالثة تدل على الامهات

البيت الحادي عشر يقال له بيت السعادة وهو يدل على السعادة والرجاء والاصدقاء والمحبة والثناء والمواعيد والآمال والولد والأعوان .

المثلثة الاولى تدل على الرجاء في الامور والثانية تدل على السعادة الثالثة تدل على الاصدقاء والسخاء والكرم

البيت الثانى عشر يقال له بيت الاعداء وهو يدل على الاعداء والشقاء والحزن والغموم والحسد والنميمة والمكر والحيل والعناء والدؤوب ، ويدل على الجيوش المثلثة الأولى تدل على الأعداء . الثانية على الشقاء والنميمة والغموم . الثالثة على الدؤوب

﴿ فصل ﴾

في الاستدلال على المسائل والاخبار بها

اذا سئلت عن مسئلة فانظر اذا أقمت الطالع بدرجاته ودقائقه وعرفت الدليل فانظر الى القمر في أي البروج هو وفى أى الحدود هو وعمن ينصرف من الحدود وبمن يتصل وبأى الموضعين كان أقوى فاقض عليه .

بيان ذلك أنا نظرنا فوجدنا الطالع الحمل حد بهرام وكان بهرام ساقطاً وكان زحل ساقطا وكان القمر فى الثالث من الطالع فى بيت عطارد وكان عطارد فى السابع من الطالع وكانت الزهرة فى الدلو ، فاذا الدليل هو القمر لان بهرام كان ساقطا وكان زحل ساقطا أيضاً وكان القمر في الثالث من الطالع فى بيت عطارد ، فلهذا قلنا إن الدليل القمر : وذلك أنا لم نجد أقوى من القمر وكان في الثالث من الطالع في بيت فرحه وكان يتصل بعطارد من التثليث وكان عطارد في السابع بيت الزهرة وكان نظرها اليه من تثليث وعطارد أيضاً صاحب بيت المريض يدل على أن السائل يسأل عن كتاب ورد عليه من أخ له يذكر فيه حال مرض امرأة من بعض أزواجه يئول حالها الى البرء .

﴿ فصل ﴾

اذا سألك سائل عن نفسه وحاله ومايصيبه فانظر الى الطالع وصاحبه ومن ينظر الى الطالع والى القمر أمسعودة أم منحوسة فان كانت مسعودة فحاله حسنة ، وان كانت منحوسة فحاله سيئة ، وان كانت ممتزجة فحاله متوسطة

وان سألك عن دوام ماهو فيه فانظر الى صاحب الطالع والقمر فان كانا في برج ثابتة أو في الأوتاد فانه يدل على دوام ماهو فيه ، وان كانا فيما يلى وتداً فانه يدل على زوال ماهو فيه ، وان كان النحس قبل الوتد فقل له قد كنت في شر وان كان فى وتد فقل له أنت فيه اليوم واذا كان النحس بعد الوتد فقل الخوف عليك فيما بعد ولاسيما اذا كان في الثاني عشر ، فان كان صاحب الطالع منصرفاً من سعد الى سعد فقل من خير الى خير ، وان كان من نحس الى نحس فقل من

شر الى شر ، فان نظر صاحب الطالع الى صاحب بيت القمر فقل تصيب سروراً وان نظر الى صاحب بيته وشرفه فانه يرتفع من منزلة الى منزلة ، والكوكب الذى ينصرف عنه صاحب بيت القمر هو الأمر الذى يصير اليه فيما يستأنف . وان سألك عن مال فانظر فان كان صاحب الطالع يتصل بصاحب الثاني فانه يصيب الذى طلب ، وان كان يدفع بينهما كوكب فانه يحول بينهما في ذلك انسان من جنس ذلك الكوكب ، ومعرفة ذلك أن تعرف صاحب أى بيت هو من بيوت الفلك فتنسبه اليه اذا نظر الى بيته ، فان كان صاحب الثاني في الثاني فانه يصيب من عمل يديه ، وان كان صاحب الثانى في الثالث فانه يصيب من اخوانه وأخواته وان كان في الرابع فمن الآباء والارضين ، وان كان فى الخامس فمن الولد والتجارة ، وان كان في السادس فمن العبيد أو المرضى ، وان كان في السابع فمن النساء والخصومات والشركة ، وان كان فى الثامن فمن المواريث ، وان كان فى التاسع فمن الدين والاسفار ، وان كان في العاشر فمن السلاطين والآباء ، وان كان في الحادى عشر فمن الاصدقاء والاخوان والتجارات ، وان كان في الثانى عشر فمن الدواء وأمر فاسد وان كان فى بيته فهو وسط وان كان فى هبوطه فهو رديء قليل .

وكذلك ان كان منحوساً أو راجعاً فهو فاسد رديء وان كان مسعوداً فهو صالح وان اتصل صاحب الثانى بالمريخ فمن السرقة واللصوصية والآثام والخصومات فان اتصل بزحل فهو شيء من عسر وكد لا يوصل اليه الا بعد تعب وشدة فان اتصل بالمشترى فمن الورع والدين والنسك والفقه ، فان اتصل بعطارد فمن الكتابة والحساب والتجارات والكلام وان اتصل بالزهرة فمن قبل النساء وان اتصل بالشمس فمن قبل الملوك والسلاطين ، وان اتصل بالقمر فمن قبل الكلام والرسالة

فصل

في كلام حكماء الهند وغيرهم في الضمير

وان كان الدليل الاول رب الطالع أو الكوكب القابل تدبيره فان الضمير

عن موضع رب الطالع من الفلك أو عن موضع قابل تدبيره من الفلك ، وقد يخرج الضمير من درجة الطالع نفسها وذلك أن تنظر أي كوكب يتصل به درجة الطالع فان الضمير من قبل موضع ذلك الكوكب من الطالع ولا تغفل عن الكوكب الذى يكون في الطالع اذا لم يسقط عن درجة الطالع فان الضمير جوهر ذلك الكوكب .

وان نظر الى صاحب أى بيت هو فيه من الطالع فان المسألة عن جوهر ذلك البيت الذى ينظر اليه

والدليل الثانى قول ويرونس وانطليقوس وبطليوس وواليس ورانبوس : وذلك أن تنظر صاحب أي بيت هو وأن تنظر الى البرج الذى فيه سهم السعادة فان المسألة عن جوهر ذلك البيت من الطالع ، فان كان فى الطالع فان المسألة عن نفسه ، وان كان فى الثاني فعن المال ، وكذلك بقية البروج الاثنى عشر .

والدليل الثالث قول علماء الهند فانهم قالوا اذا سئلت عن شيء قد أخفى عنك فانظر الى رب حظ الدرجة والطالع ورب الحد ، ورب الدرجة أيها أقوى وبماذا يتصل فرب ذلك الموضع هو الدليل على الشيء الذى أخفى عنك وأقواها أن تنظر الى درجة الطالع فى أي برج هو وفي أى برج يقع فان كان صاحب ذلك البرج هناك فان وجدت هنالك كوكبا فان الضمير عن مثل ذلك البيت عن الفلك فان لم يكن هناك كوكب فانظر أين تجد حظ صاحب ذلك البيت فان الضمير على مثل موضع صاحب الحظ من الطالع وموضع صاحبه

والمثال في ذلك أن الطالع كان اثنى عشر درجة من الحمل فألقيت لكل برج درجتين ونصف وبدأت بالطرح من الحمل الذى هو الطالع فبهذا الحساب يكون فى الاسد الذى هو بيت الولد فلم يكن الشمس هناك ولا كوكب غريب ونظرت الى الشمس فوجدتها في السابع فقلت إن المسألة عن ولد يريد أن

يخطب امرأة ولو كانت الشمس فى السادس فقلت من مرض ولد وكذلك بقية البروج الاثنى عشر ان شاء الله

فصل

في استخراج الدليل من النوبهرات

وذلك أن تأخذ من الحمل الى درجة نوبهرات الطالع لكل برج تسع ، ولكل ثلث درج وثلث نوبهراً واحداً فما اجتمع معك من النوبهرات فألقها من اثنى عشر .

فان لم يتم اثنا عشر فألقها من الحمل وابدأ بحيث انتهى ففي ذلك البرج نوبهر الطالع . فاذا عرفت ذلك أين وقع فانظر ما يسمى ذلك البرج من الطالع بيت مال أو بيت أخوة أو غير ذلك ، فان الضمير عن مثل جوهر ذلك البرج من الطالع .

مثال ذلك ان سألت عن مسألة ، وكان الطالع منها عشر درجات من الحمل فكان ذلك ثلث نوبهرات وألقيت ذلك من الطالع فانتهى العدد الى الثالث من الطالع وفيه زحل وهو راجع فقل المسألة عن غائب متى يرجع وكان عطارد هو صاحب نوبهر الطالع في وسط السماء والطالع مع الشمس فقل هـذا الغائب له سلطان عظيم وشرف كبير ومعه جماعة جند وأجلاء من الناس كبراء لان الشمس هي صاحبة الشرف الطالع في الدلو ونور العالم فى الدلو مع عطارد فى وسط السماء وزحل صاحب بيتها في الجوزاء — بيت عطارد — يدل على أن هذا الغائب أمير المؤمنين فان استشهدت على ذلك أن زحل يكون صاحب سنة العالم وهو صاحب بيت الشمس وعطارد جميعا وكانت المسألة هل يرجع من سفره أم لا فنظرت فعلمت انه راجع ان شاء الله ، وكذلك الحال فى السائل بمثل ذلك الدليل يستدل على الحكم عليها والاخبار بها

فصل

فيما اجتمعت عليه الحكماء القدماء من العلماء الاوائل من الادلة

وذلك أن فى الطالع تسعة أدلة وفى غيره ثلاثة أدلة فالذي فى الطالع صاحب

الطالع وبيت شرفه ومثلثه وحده ووجهه ونوبهره واثنا عشريته ، والكوكب الذي يسير الى درجة الطالع ومن في الطالع وفي غير الطالع وسهم السعادة وصاحبه وصاحب بيت الشمس بالنهار والقمر بالليل .

فانظر الى أكثرها شهادة وولاية فهو الدليل ، فاذا أنت عرفت الدليل فانظر بمن يتصل أو من يتصل به من بعد تسوية البيوت الاثنى عشر ، فان البيوت قد تنقسم من برجين فيكون بعضه من وتد الارض وبعضه من وسط السماء فاذا كان ذلك كذلك تخذ بأكثر درجات الطالع ودع الاقل وانسب الضمير الى ذلك الذى فى وسط الطالع فان كان لا يتصل بشيء ولا يتصل به شيء ، فالمسألة عن نفسه .

فان كان الدليل قد زال عن الطالع الى الثانى منه وخرج منه جزء فالمسألة عن شيء قد خرج من يد من سأله ، وكذلك الى تمام البروج الاثنى عشر الى جوهر البيت الذى فيه الدليل ، وكذلك اذا لم يكن اتصال .

واذا كان اتصال فالاتصال أولى بالدليل فاعرف عند ذلك الدليل ومن يتصل به الدليل واحمل بالبيت الذي ينظر اليه الدليل ودع الآخر وانسب الضمير الى ذلك البيت فان كان الدليل في هبوط فالمسألة عن سرقة أوشيء قد هبط أو اتضع أو المحبوس ، وان كان ينتقل من برج الى برج فعن نقلة أو سفر ، وان كان الدليل لصاحب الثامن أو الثاني عشر وهما بيت النحس فالمسألة عن موت أو خوف ، وان كان الدليل قد وقف للرجوع فانه يسأل عن مسافر متى يرجع ، وان كان واقفاً يريد الاستقامة فانه يسأل عن مسافر متى يستقيم . وان كان الدليل متحيراً فانه يسأل عن تحيره ، وان كان الدليل مع الرأس في شرفه أو في وسط السماء فانه يسأل عن ملك أو رئيس أو أمر الدين ، وان كان مع الزهرة والمريخ ينظر اليها او مع المريخ والزهرة تنظر اليه فانه يسأل عن تهمة النساء ، وان كان مع الذنب فانه يسأل عن كلام وخصومة ، وكذلك اذا كان القمر فى الطالع فانه يسأل عن خصومة أو عن خبر ، وان كان الدليل في الرابع أو مع الرأس فى السابع والرابع أن المسألة عن مال مدفون مثل كنز أو مخبأة وكذلك

اذا كان صاحب الثاني في الرابع وصاحب الرابع في الطالع والبرج ناري فالمسألة عن كيمياء هل يصح له أم لا ، وان كان البرج من برج النار فالمسألة عن حرب وان كان الدليل مع الذنب فانه يسأل عن سحر هل يصح أم لا .

فان شهد عطارد حقق ذلك وكذلك اذا كان الدليل زحل وهو مع عطارد وعطارد ينظر اليه فان المسألة عن سجن ، واذا كان الدليل تحت الشعاع فالمسألة عن محبوس ، واذا كان الطالع بيت عطارد أو شرفه وكانت الادلة في مواضع عطارد وله بها اتصال فان المسألة عن كتاب

﴿ فصل ﴾

في معرفة المسائل وأجوبتها

البيوت وما يتفرع منها

(بيت الحياة) اذا سئلت عن عمر انسان فانظر الى رب الطالع والقمر فان كان بيت الحياة قد انصرف عنه كوكب فان الكوكب الذي يتصل به القمر يدل على مابقي من عمره وان كان صاحب الطالع تحت الشعاع يدخل في الاحتراق والقمر منحوس أو ساقط من الطالع أو بعض النحوس في الطالع أو السابع فانه يدل على موت السائل ، ووقت ذلك يعرف من رب الطالع .

فان كان ساقطاً أو ينظر مابينه وبين درجة الاحتراق مما وجد بينهما من الدرج فذلك مابقي من عمره ، وان كان في برج منقلب فأيام .

وان كان في برج ذي جسدين فشهور ، وان كان في برج ثابت فسنون ، وأشد ذلك أن يكون النحس في الطالع أو ينظر الى الطالع أو الى الرابع أو الثامن .

فأما ان كانت السعود تسعد الطالع والقمر برى من النحوس وصاحب الطالع كذلك ، فان ذلك يدل على طول العمر والبقاء ، ثم عد مابين القمر والنحس وما بين رب الطالع الى أن يحترق فما خرج من حساب القمر فهو وما خرج من الطالع عدد العمر

(بيت المال) اذا سألت عما يرجى أو سال سائل هل أصيب مالا أو لا؟ فانظر الى رب الطالع والقمر، فان اتصل برب بيت المال ووجد القمر ينقل من رب بيت ذلك المال الى رب بيت الطالع فقل نعم تصيب المال ، وكذلك ان كانت السعود في بيت المال أو يتصل القمر بها أو رب الطالع أصاب مالا كثيراً ومنزلة رفيعة ، فان كان ذلك السعد متحيراً ساقطاً فانه لا يصيب من المال إلا قوت يوم بيوم ولا يكون له منزلة ولا جاه ، فان اتصل القمر أو رب الطالع بنحس وكان النحس في الثاني من الطالع فانه يدل على ادبار حال صاحبه ، وان كان القمر خالى السير فاذا السائل لا يزال على تلك الحال التى هو عليها حتى يموت . وخير السعود فى بيت المال المشتري لانه يدل على الدنانير والدراهم

﴿ فصل ﴾

اذا أردت أن تعرف كم مقدار ما تصيب من المال في الامر الذى ترجوه أنت أو من سألك عن مثل ذلك فانظر الى صاحب بيت المال ، فان كان الدليل عطارد وكان فى هبوطه أو فى موضع ردىء فانه يدل على أن يكون المال عشرين درهما ، وان كان في مثلثه كان مائتى درهم ، وان كان في بيته كان ألفى درهم وان كان في شرفه كان عشرين ألفا ، وكذلك جميع الكواكب على قدر سنيها الصغرى عشر مرات .

وان كان الكوكب فى هبوطه أو فى موضع ردىء أعطاه بعدد سنيه الصغرى ، وان كان في مثلثه أعطاه بقدر سنيه الصغرى عشر مرات ، وان كان فى بيته أعطاه بعددها مائة مرة ، وان كان فى شرفه أعطاه عددها ألف مرة ، وان كان الكوكب محترقا فانقص على قدر احتراقه وبعده من الشمس ، وان كان مع الشمس درجة واحدة لم يدل شيئاً ، وان نظر اليه نحس نقص مما دل على قدر وعليه على قدر قوته في موضعه على ماثبت لك من الشرف والبيت والمثلثة والهبوط

فان نظر الى الدليل المشترى من شرفه زاده اثنى عشر الف درهم ، وان نظر من بيته زاده الفا ومائتى درهم ، وان نظر من مثلثه زاده مائة وعشرين درهما

ومن موضع ردىء غريب زاد اثنى عشر درهما ، وفي الاحتراق ينقص المشتري مما يعطى على قدر بعده من الشمس .

فان كان في درجة الشمس لم يزد شيئاً وكذلك ينقص النحس ويزيد السعد مثل ماتثبت لك من هذه المنازل ومتى وجدت الدليل الذي منه استدللت على عدد الشيء الذي ينقص أو يزيد في برج ذى جسدين ، فاضعف ذلك العدد . وربما كانت النحوس هي التى تعطي المال وهي الدليل على عدد الشيء.

فصل

في معرفة سني الكواكب

وهي ثلاث مراتب الكبرى والوسطى والصغرى

فأما سنوها الكبرى فللشمس مائة وعشرون سنة وهو العمر الطبيعى ، ولايكاد الانسان يجاوزه الا أن يشاء الله تعالى .

وللزهرة اثنتان وثمانون سنة ، ولعطارد ستة وتسعون سنة وللقمر مائة وثمان سنين ، ولزحل سبع وخمسون سنة ، وللمشتري تسع وسبعون سنة وللمريخ ست وستون سنة .

وأما سنوها الوسطى فللشمس تسعة وثلاثون سنة ونصف ، وللزهرة خمس وأربعون سنة ، ولعطارد اثنتان واربعون سنة ونصف ، وللقمر تسع وثلاثون سنة ، ولزحل ثلاث واربعون سنة ونصف ، وللمريخ اربعون سنة .

وأما سنوها الصغرى فللشمس تسع عشرة سنة، وللزهرة ثمان سنين، ولعطارد عشرون سنة ، وللقمر خمس وعشرون سنة ، ولزحل ثلاثون سنة ، وللمشتري اثنى عشرة سنة ،وللمريخ خمس عشرة سنة ، فهذه معرفة أنواع سنيها

فصل

اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أننا نورد من العلوم في كتبنا ورسائلنا مايكون تزكية للعقول وتنبيها للنفوس فأخذنا من كل علم بقدر ما اتسع

له الامكان وأوجبه الزمان وقد اجتهدنا أن يكون ذلك من أحسن ماقدرنا عليه ووصلنا اليه .

ولذلك وصفناه وأثبتناه وأوردناه لاخواننا أيدهم الله ورضينا لهم كما رضينا لانفسنا إذ كنا كلنا روحا واحدة وترابا واحداً وبنى أب واحد ولنا رب واحد وهو الذي خلقنا من نفس واحدة .

وقد قال رسول صلى الله عليه وعلى آله : « لايكمل للمؤمن إيمانه حتى يرضى لاخيه المؤمن ما يرضاه لنفسه »

وقال الله تعالى : « فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب »

ولما كان علم الحساب علماً واسعاً عظيم الدائرة محيطا بالاشياء غير محاط به القينا اليك منه مدخلا ومقدمة ليكون محرضاً لك على الدخول اليه والمعرفة بما يوفق له منه .

وكذلك علم النجوم أيضاً علم واسع . وهو علم العالم الاعلى السماوي الحاكم العالم الارضى : وذلك عالم علوي كبير وهذا عالم صغير سفلى .

ولذلك قلنا فى رسالة أفعال الروحانيين إن افعال العالم الكبير تظهر في العالم الصغير ، والعالم الصغير ليس له فعل يظهر في العالم الكبير وانما له البيان عما يودعه فيه ويرسله اليه.

وقد القينا اليك في هذه الرسالة من سر علم النجوم ومستحسنات مسائله وصادق براهينه ودلائله ما ان وقفت عليه تشوقت الى تعلمه والتمهر فيه.

واعلم ياأخى أيدك الله وإيانا بروح منه أنه بمعرفة علم النجوم يكون لك التهدى للطلوع الى السماء والجواز الى المحل الاعلى ، فان لم تعرف ذلك تعذر عليك السلوك في هذه الطريق .

ويوشك أن من سالك في طريق لايعرفها ضل فيها كما قيل في المثل السائر والقول الغابر : « قتل أرضاً عالمها » يعنى خبراً ومعرفة و« قتلت أرض جاهلها» يعنى حيرة وهلكة .

والدليل على ماذكرناه وبيان ماوصفناه معرفة هذه المسألة

فصل

إذا أردت أن تشير الى رجل في حاجة من أمور الدنيا والدين فالذي يجب عليك أن تعلم هل تجده في الموضع الذي هو معروف به أم لا ، فانظر الى صاحب الطالع فان كان في الاوتاد فان الرجل في موضعه ، وان كان فيما يلي الوتد فهو قريب من موضعه ، وان كان ساقطا فليس هو في موضعه .

وان كان الانسان يعلم بهذا الدليل يسهل عليه مايقصد اليه في حياة الدنيا فانه متى عدم هذه المعرفة كان جاهلا بما يقصد اليه ويقدم عليه هل يجد أم لا ، فان وجد ما يريده فبالاتفاق لا بالعلم ، وقلما يتفق للجاهل الاصابة .

والعالم في راحة من نفسه لانه لايقدم على العمل ولايتوجه في الطلب إلا في الوقت الذي ينبغي والزمان الذي يستوي .

فلذلك أردنا لاخواننا — أيدهم الله وإيانا بروح منه — معرفة جميع العلوم وحثثناهم عليها وأرشدناهم اليها .

واذا كان ذلك كذلك في المقاصد الدنيوية والمآرب الجسمانية لايجب للمرء أن يتخلف عن معرفته فكيف يجب له التخلف عن الادلة الربانية وما يكون له به المعرفة بالطريق الى الآخرة والقدوم على ربه ليجازيه بما كسبت يداه

فصل

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه أن من أحسن ما وصل الناس اليه من هذه الصناعة وأجل معارفها ، أن يعلموا كيفية أحوال الملوك والسلاطين وولاة الامور والعهود والامراء والقواد وولاة الحروب والوزراء والكتاب والعمال والقهارمة ، وابتداءات الدول وعواقبها ومدة أعمار المواليد ومواليدها ومايظهر منهم في الازمنة ويعملونه في الامكنة ، فان ذلك من العلوم المخزونة

والاسرار المكنونة والاخبار المدفونة مما استخرجتها الحكماء وعلمتها العلماء بما قد وقفوا عليه ووصلوا اليه من أخبار السماء بالوحي والالهام وصدق التخيل والرؤيا.

وقد رأينا — وبالله التوفيق — أن نذكر في هذه الرسالة طرفاً من ذلك نرويه عن العلماء ونخبر به عن الحكماء من غير زيادة ولا نقصان والله المستعان

فصل

فأول ما يجب أن يعرف من ذلك وأن يعمل به عقد التاج وبيعة الملك وابتداء الولاية العظيمة والملك الكبير المتقرر في ذلك الملك النبوي وهي بمنزلة الخلافة.

فأفضل ما يكون العمل بذلك والعلم به أن يكون القمر من الذي يطلب صحيحاً نقيا من النحوس ، وقبل ذلك معرفة الجوهر والجنس والبلدة والاقليم والمدينة والمكان الذى فيه ذلك الابتداء والولاية ومعرفة الزمان والارباب والشهادات الدرجيات وهي للخاص والكداخده (١) وصاحب القمر ومدبرى التدبير فتحمل ذلك وتجمع بعضه الى بعض وتقيس الاول بالآخر ثم تنظر الى القمر خاصة أين هو في الابتداء وكيف هو في صحته وما يقارنه بجسده ومتصل به ومسيره ومنزله والناظرين اليه أمن حظه هم أم من غير حظه ، ويكون عمل الابتداء للخلفاء في أحد البيعة أكثر حظا من الشمس ، ولولاة العهود من المشترى ، ولاصحاب الثغور من المريخ ، وللقهارمة (٢) من زحل ، وللوزراء والكتاب من عطارد ، وللعمال من القمر ، وللقواد من الزهرة ، والمريخ .

وأفضل ما يكون عقد التاج وبيعة الملك وابتداء الولاية والظهور والرياسة والجلوس على سرير المملكة والنطق بالأمر والنهى أن يكون الطالع برجا ثابتاً والقمر في موضع جيد

فان الملك يكون طويلا ولا تكون الرياسة ذات مدة ، ولاسيما الأسد لأن

---

(١) الكداخداه : المقرب من الملك وكاتم سره وكاتبه الخاص واللفظ غير عربي .

(٢) القهرمان : مدبر الملك ومستشار الملك

البروج الموافقة لامر الملوك الحمل والأسد والقوس . فمتى كان كذلك ووجدت في الطالع سعداً فانه يدل على حسن الخلق وصلاح جميع ذلك الابتداء والملك وان وجدت في الطالع نحسا كان غير ذلك من الفساد والرداءة ، وان كان المريخ فى الطالع فان المولى يكون فظا غليظا خفيفا شتاما لا حياء له ولا دين بذيئا ضعيفا فاحشا في المنطق ، يستقبل خدمه وأهل مملكته بالبذاءة والشتيمة مبغضا لأقرانه محبا لسفك الدماء وخراب البلاد ، قليل الثبات على ما يأمر به سريع السقوط بمنزلته مفتضحا معيبا كثير الاعداء يكثر شكيته .

وان كان زحل في الطالع فانه يكون حقوداً لواما عسيراً قليل النفاذ لما هو فيه ، حسوداً بخيلا جماعاً خداعا حريصا مذموما ، وان كانت الشمس فى الطالع يكون كثير الجماعات كثير الجنود والعدد منيع الغير ، ويكون له سعادة عظيمة وعز .

وان كان المشترى في الطالع فانه يكون صدوقا وفيا محبا للخير عالما محبا لأهل الدين كثير الاصدقاء والنصيحة ذا عفة وزهادة فى الدنيا .

وان كان عطارد في الطالع فانه يكون مفكراً داهية أديبا محكما لأعماله بالحيل والعقل والخداع والمكر . فان كانت الزهرة فى الطالع فانه يكون كثير الاموال والمواريث من جهة النساء والخدم وضعيف البدن قليل الثبات على الامور سهل الوطأة محبا للهو واللعب والفرح والنزه وجودة اللباس والعطر وطيب المأكول والمشروب والخلوة مع النساء والحرم والتزيي بزيهم

وان كان القمر فى الطالع فانه يكون جريئا مشهورا بالقوة والمشى بالليل وان كان الرأس مع السعود في الطالع فانه يكون قاهراً لملوك الزمان ظاهراً على أعدائه .

وأفضل مايكون عن الملك وقهره وقوته وضبطه اذا أشرف المشتري على الشمس أو على القمر أو على الطالع ، وهو من بعض بروج الملوك وهو أيضا فى برج من بروج الملوك ، وأعظم لذكره وأعلى أن يكون البرج الذى فيه المشترى

متقلبا لأن المنقلبة أبداً هي أشهر أمرا وأعلى وأنصح ، وذوات الجسدين فيها أكثر أجناسا وتخليطا ، والثابتة أطول أمراً وأثبت .

ومتى وجدت المشترى في ابتداء المملكة خالى النظر عن الشمس والقمر والطالع فاعلم أنه لا محمدة لذلك الملك ولا مذمة ولا اصلاح ، فان وجدت المريخ فى موضع حسن أو يكون المشتري في بيت المريخ والمريخ في بيت المشترى فان الملك يكون جائراً نافذاً لأمر مظفراً فى القتال قاهراً لاعدائه فتاحاً للبلاد وضابطا للملك بعيد الغور فى أمر عدوه ضعيف الاعداء لاسيما ان كانت الشمس مع ذلك في الاسد الذى هو برج نهارى وصاحب بيت المال ينظر اليها من وتد أو من بعض الاماكن القوية ميمنة أو ميسرة .

وينبغى لك أيضا أن تنظر الى البيت العاشر من الطالع الذى هو بيت الملك وتنظر أيضا الى العاشر من بيت الشمس الذى هو فيه الذى هو بيت ملكها في ساعة المسألة أو حين النظر والابتداء ، لأن هذين المكانين متى ماوجدت فيهما السعود وكان أصحاب ذلك البرجين في بروج ثابتة جيدة الموضع ، فان الملك ذو سعادة وخير وفضل .

وان كانت الكواكب التى في ذلك المكان في شرفهما أو شرقيه أو فى حظ الابتداء أولها نصيب في ذلك الابتداء من الاجتماع والامتلاء وسهم السعادة أو نحو ذلك فهو أفضل وأجود وذلك أن تكون الكواكب فى مواضعها مستقيمة فى سيرها وصعودها فى العرض والشمال زائدة في جريها ملائمة الابتداء الى النهار بالنهار ، والليل بالليل . فتكون أيضا تنظر الى أصحاب حظوظها وليست بالناقصة ولا بالبطيئة ولا فى هبوطها ولا في ضدها ولا فى الدرجات التى هى آثار ولا فى الاماكن المظلمة ولا تحت شعاع الشمس ، فان ذلك كله يدل على الكذب والغش والتخليط على قدر الموضع والمكان والمنحسة .

ولتكن أيضا تنظر الى برج وسط السماء فانه موضع لا بد منه لأنه برج الملك والسلطان . واعرف درجة الطالع والبيت والحد والوجه والشرف من

الكواكب ومن فيها ومن ينظر اليها وهل فيها من الكواكب المضيئة شيء وأين صاحب شرفه ، الا أن أجود ذلك يكون صاحب شرفه سعداً أو يكون صاحب وسط السماء شرقيا مستقيم السير .

وأجود ذلك أن يكون فى شرفه وموضع له فيه حظ ، ويكون صاحب ذلك الشرف فى شرف الشمس أو القمر أو المشترى ويكون صاحب ذلك الشرف فى أى مكان موضع جيد ، فانه يأتى بدلالته حيث ما وقع بقدر قوته والكواكب المعينة له .

واعرف المكان الحادى عشر الذي يسمى المكان المعين وما فيه من الكواكب فان وجدت فيه الشمس أو القمر أو المشتري أو الزهرة أو عطارد أو الرأس وينظر اليه السعود ، فان ذلك الابتداء يكون من حسن المستقبل والثبات والقوة والبهاء والزيادة ، لان مثل ذلك يكون ملكه واصلا الى ولده أو يبلغ فيه بهمته — ولاسيما اذا كان ذلك المكان من بروج السعود ويكون فيه المشترى أو عطارد أيهما كان في ذلك الموضع ينظر الى السعود ، دل على وصول الملك الى ولده . وان وجدت زحل بالنهار في شرفه أو ينظر الى المشتري وكان المريخ في شرفه بالليل أو في بيته أو في بيت المشترى أو ينظر اليه المريخ من عداوته ، فان الملك الذى كان الابتداء له يكون مخربا للبلدان غاصبا قاهراً ، وكذلك يكون عزيزاً جريئاً لا يهاب أحدا يحب سفك الدماء راغبا في الذكر شجاعا ولا سيما ان كان مع المريخ سهم السعادة وسهم الجرأة فانه يكون منهمكا في اراقة الدماء وقتال الاقران محبا للفرسان والسلاح والاسفار ويكون له أفعال تختص به لا يبديها لاحد حتى يفعلها فجأة .

واحفظ سهم السعادة وسهم الشرف وسهم الملك وتحسب له من درجة الشمس التى هو فيها بالنهار الى تسع عشرة درجة من الحمل ثم تلقى ذلك من الدرجة الطالعة فحيث ينفد الحساب في تلك الدرجة سهم السعادة بالنهار، وبالليل تعد من الدرجة الثالثة من الثور ، وتلقى ذلك من الطالع أيضا كما صنعت بالشمس ،

واحفظ سهم الملك الذي يعد من الشمس الى القمر بالنهار و بالليل تعد منه اليها ويلقى من درجة وسط السماء فانك اذا وجدت هذه السهام في مواضع جيدة مع السعود فانه أشهر للسعادة وأشهر للمملكة .

واعرف الثاني عشر من الطالع الذي يسمى بيت الشقاء ومن في كل بيت منها من السعود ومن النحوس وايها كان فيه نحس فاعلم أن بليته وعداوته من تلك الناحية التي يكون ذلك النحس ، وكذلك ما يهيج عليه من النواحي التي يكون فيها النحوس وقت الابتداء فان وجدت النحوس ساقطة ولا سيما تحت الارض فاعلم أن أعداءه الى الضعف والوهن وقلة القدرة على ما أرادوا ، وأفضل ذلك أن يكون الطالع وسط السماء فى وتد .

واعرف الهيلاج ومن ترى منه وانظر المضيئين والشعاع ورب الطالع ورب وسط السماء وسهم السعادة لانك متى وجدت النحوس فى أحد هذه الأماكن بالشعاع كانت المضرة والشر فيها كائنة ، فاذا كان القاؤها لذلك الشعاع على الهيلاج تخوفت على نفسه ، وان كان القاؤها الشعاع على وسط السماء تخوفت على ملكه وان كان القاؤها الشعاع على الطالع تخوفت عليه فى جميع أموره . فان كانت السعود هي التى تلقى الشعاع على هذه المواضع التى ذكرت فاقض عليه بالفرح والسرور والاستقامة والخير ، وليكن نظرك لبقاء الملك والسلطان من الشمس والطالع ولا سيما بالنهار فانه متى وقع عليه الشعاع من النحوس دل ذلك على الخوف والله أعلم .

واذا عرفت أمر الهيلاج فاطلب الكدخدا من بعد ما وصفت لك فى المواليد، فانه ان كان الكدخدا في الوتد أو مكان الشعاع أو في الخامس فانه يدل على السنين ، وان كان فيما يلى وتداً فانه يدل على الشهور ، وان كان ساقطا فانه يدل على الأيام بعدد درجه ، وكذلك فانظر الى ما ينظر اليه النيران من السعود والنحوس فانها ان نظرت من التثليث أو التسديس من موضع حسن دل على الزيادة فى السنين والشهور ، وان يكن نظر عداوة دل على النقصان والاجماع

والامتلاء اذا وقع في وتد أو فيما يلي وتداً أوصاحبه في موضع حسن دل باذن الله على الزيادة والقوة والنجح

فصل

اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أنه لما كان بهذا العمل ومعرفة هذا العلم واحكام هذه الصناعة وتقويم الحساب ، يكون تمام العمل للملك الارضي وسياسة العلم الفلسفي ، وان كان المتولي لذلك الامر يحتاج الى من يدبر له هذا العمل ويقوم هذا الحساب — واذا كان ذلك كذلك فليس بملك ولا امام وانما الخليفة من استخلفه الله تعالى بأمره وأيده بملائكته وكان هو المدبر له بالتدبير الذي يجمع له به السعادات الفلكية كلها واليه تصرف روحانياتها ، كما أيد الله سبحانه سليمان بن داود بالملكية وسخر له الجن والانس والطير والوحش وكما أيد موسى عليه السلام بكلامه وأمره حتى قهر فرعون وأهل مملكته ورجال دولته واستجاب له سحرته وهم أصحاب النجامة والكهانة في زمانه وهم الذين كانوا يدبرون له ملكه بما وقفوا عليه ووصلوا بعلمهم اليه فلما رأوا من موسى عليه السلام مابهرهم نوره ولم يروا في علمهم أن عمله يبطل ، ولا أن ما يأتي به يتعطل وأن جميع ماهم فيه من أمر فرعون زائل مضمحل ، ورأوا أن السعادات قد انصرفت مسخرة بأجمعها لموسى وهرون عليهما السلام : (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) .

وان التأييد الكلي والامر الالهي هو مصرف تلك السعادات الى موسى وأخيه استجابوا له وخضعوا عنده

وكذلك حال نبينا محمد ﷺ لما صرف الله تعالى التأييد اليه وأنزل الوحي عليه خضعت له الملوك واستجابت له الكهنة والمنجمون وهم الذين عندهم علم من الكتاب وآمنوا به وصدقوا بمبعثه ، وكان هو المدبر لهم والحاكم عليهم ولم يحتج الى تدبيرهم وكان يأتيهم بما ليس عندهم وبما يخرج عن وسع طاقتهم وآتاهم من علم الفلك وأخبار السماء بما لم يصلوا اليه ولاقدروا عليه .

فلما رأوا ذلك علموا وتحققوا أن تأييده إلهي وحكمته ربانية وان الأمر الذى التى اليه من فوق الأفلاك ومن أعلى السموات فانه يلقى العرش المحيط والكرسى الواسع

فهذه صفة الولاية العظيمة والخلافة الكبيرة التى هي خلافة الله تعالى والمستخلف بها هو النبى ﷺ في زمانه ، وبهذا العقد يكون من استخلفه النبى عليه السلام من بعده إذا مضى الى ربه عز اسمه .

وهذه الولاية المخصوصة لاهل بيت الرسالة عليهم السلام لايحتاجون فيها الى مدبرين غيرهم والى علماء سواهم ولايطلع الناس على اسرارهم ولايعرفون أخبارهم ولايطلعون على مواليدهم ولايعرفون سنيهم فى موتاهم ولهم علوم يتميزون بها وينفصلون عن العالم بمعرفتها وأعمال يعملونها لايشركون فيها غيرهم .

ولذلك استحقوا الرياسة وسموا بالخلافة وأنهم لايبدون عملا من الأعمال ولايظهرون فعلا من الافعال الا بمشيئة الهية وارادة ربانية في الوقت الذي ينبغى به اظهار ذلك العلم فيه ، وهم أطباء النفوس ومداوو الأرواح

وانما أردنا بما بيناه لك من العلم والعمل والتدبير الذي يذكره أهل هذه الصناعة ويصنعون في وقت ابتداء الخلافة ونصب سرير المملكة واجتماعهم لذلك وادعائهم بما يعملونه وترؤسهم بما يصنعونه وطلب الجوائز والاموال والخلع ليعلم أن الملك والخليفة الذي يستخلف بهذا التدبير هو مملوك وليس بمالك ، وانما أيد بتأييد أرضى وهو محبوس محجور عليه وقد سحر بسحر لاينفك منه ولا يستخرج عنه إلا بالموت.

وقبل مايتفق في أول تلك المملكة من يكون عنده من هذه المعرفة وصحة الصناعة مايتدبر به على الصلاح ، وان اتفق ذلك فان الزمان لايتهيأ له على مايريده من العمل وان تهيأ له ذلك خالفه حكم المولد ، وان اتفق ذلك وقع الخلاف والمنازعة من أهل الصناعة ، واذا وقع الاختلاف فسد المختلف فيه.

فقد بان لك بما ذكرنا كيف تكون خلافة الله عز وجل وخلافة خلقه

فان قال قائل ذلك لا يكون الا بامر الله سبحانه فقد صدق اذا اتبع فيه المستخلف الامر الذي يرضي الله عز اسمه وهو الذي من اطاعه فقد أطاع الله تعالى كما قال الله تعالى « من يطع الرسول فقد أطاع الله » .

وان عدل عنه إلى ضده فقد خرج من أمر الله تعالى وارتكب نهيه ، ونريد أن نبين هذا القول ونوضح هذا المعنى

واعلم يا أخي أيدك الله أن أول خليفة استخلفه الله تعالى فى أرضه هو آدم عليه السلام ، فلما أمره الله تعالى بمخالفة ابليس الذي هو عدوه وضده أن لا يقرب الشجرة التى نهاه عنها كان في الجنة بأمر الله

فلما أطاع ابليس فقبل منه وأكل من الشجرة خرج من أمر الله تعالى وصار في أمر ابليس لعنه الله ووقع في الخطيئة لأن الله تعالى أمره فخالفه وأمره إبليس فاطاعه .

فلما علم ذلك بمناداة الله له فى تذكاره بما استوجبه من نسيان وصيته استرجع وتاب وأناب ولم يستكبر كما استكبر ابليس .

وكذلك ابليس أمره الله تعالى أن يسجد لآدم فلما سولت له نفسه أنه خير منه وامتنع من السجود خرج من أمر الله سبحانه وصار في أمر نفسه .

وهكذا يجرى أمر المستخلفين من ذرية آدم فى الارض من كان منهم مستخلفاً فيها بامر الله تعالى الذي استخلف به آدم بعد التوبة وهو الامر الثانى والوصية الثانية التى لم يتعدها ولم ينسها وجعلها كلمة باقية في عقبه ، وهى خلافة النبوة ومملكة الرسالة والامامة

فمن تعدى هذا الامر وخالف هذه الوصية وطلب أن يكون خليفة الله تعالى ليدبر خلقه بسعيه وحرصه فانه لا يتم له ، وان تم وقدر عليه فانما هو خليفة ابليس لانها حيلة ومكيدة وخديعة وتعد وغصب وظلم وعدوان وخذلان وطغيان وعصيان .

فاذا فعل ذلك ربطت به روحانية كوكب فلايزال محبوساً فيهامحصوراً في أحكامها حتى يموت .

وعلى هذا تجرى أحوال الملوك والسلاطين والمتغلبين في الدنيا، ولذلك صاروا محتاجين الى المنجمين وأصحاب المعارف حتى أن بعضهم اذا وصل الى حكيم عالم من أهل هذه الصناعة وبلغه مايريده وعلم انه عارف بما يبدو منه ويظهر عنه ومن عاقبة أمره قتله أو حبسه أومنعه من الكلام . والأحب اليه قتله .

فلذلك صارت العلماء لا يظهرون علومهم للملوك بأسرهم ويكتمونها عنهم ولا يرغبون فيما يرغبونهم فيه من أمور الدنيا وأحوالها

واعلم يا أخى أن هذه الصناعة حق ويقين والعارف بها على حقيقة المعرفة قد وقف على الصراط المستقيم «وانه لقسم لو تعلمون عظيم» وانما ألقى الى العالم من علمها كالنقطة من البحر أو كالقطرة من القطر اذ كانت الدنيا بأسرها والارض بما عليها وفيها ببطنها وظهرها تشبه حبة خردل فى أرض فلاة لم يدرك العقل سعة اقطارها بالقياس الى فلك القمر الذى هو أصغر الافلاك كلها

واذا كان ذلك كذلك فقد صح أن خلافة الله تعالى هي أمر خارج عن تدبير السياسة البشرية أن يعرفوه وعلم خفى عنهم أن يعلموه

واعلم يا أخي أن البيت الذى فيه سر الخلافة وعلم النبوة هو البيت الذى وسموا أهله بالسحر العظيم فى الجاهلية والاسلام لما يظهر منهم من الآيات ويعلمونه من المعجزات ! فلم يجد أعداؤهم حالا يضعون بها من منازلهم — لما عجزوا عن العمل بمثل ما يعملونه وجهلوا العلم الذى يعلمونه — إلا أن قالوا انهم سحرة وان لهم أعواناً من الجن يمدونهم بذلك .

وهيهات حيل بينهم وبين ما يشتهون ! ! وان هو الا علم إلهى وتأييد ربانى تنزل به ملائكة كرام كاتبون وحفظة حاسبون يلقونه بأمر الله عز اسمه على من اصطفاه من خلقه وارتضاه بخلافته في ارضه

واعلم يا أخي أن حجة الله تعالى في خلقه وأمينه في أرضه من عالم الحيوان

هو صورة الانسان وخليفته في أرضه على النبات والحيوان وكذلك في المعادن — كما قلنا فى رسالة أفعال الروحانيين أن الدائرة الواسعة تظهر أبداً أفعالها وتبين أفعالها فيما تحتها —

واعلم أن في الدائرة المعدنيـة جواهر فاضـلة شريفة وكذلك في النبات والاشجار ومايبدو عنها أو يتكون منها وكذلك في الحيوان ملوكا ورؤساء — كما ذكرنا في رسالتنا الجامعة

واعلم أن في الحيوان ملوكا ورؤساء بعضهم جائر معتد يأخذ أموره بالقهر والغصب والظلم كأنواع السـباع والوحش فهى فى غاية الذم وقلة الانتفاع فى القرب منها بل الأولى الهرب منها والبعد عنها ، ومنها ملوك ورؤساء يأخذون أمورهم بحسن الخلق وطيب النفس مثل الفرس الكريم والبقر والغنم وكذلك فى الطير وهذا موجود فى الخليقة بأسرها والدائرة الارضية بأجمعها

واذا كان كذلك فى المعادن والحيوان والنبات فكيف لا يكون منـه فى عالم الانسان الذي هذا كله له ومن أجله ، وبهذا البرهان أن كل جبار وسلطان ظهر فيه الجهل ولم يوجد فيه العلم فهو مثل السباع والوحوش يأخذ من زمانه ما قدر عليه ومن وقته ماوصل اليه ، والمجاورون له فى تعب ونصب وخوف منه ومشقة مما يحملهم من مؤنته وفى مذلته من مملكته

والذين هم الخلفاء بغير هذه الصفة مثل الانبياء والأئمة والتابعين لهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه الآمرين بالمعروف والناهين عن المنـكر هم خلفاء الله تعالى التابعون لأمره وبهم صـلاح العالم ، وربما كانوا ظاهرين بالعيان موجودين في المكان فى دور الـكشف ، وبالضد من ذلك فى دور السـتر غير أنهم فى دور الستر لايكونوا مفقودى الوجه جملة من أعدائهم

فأما أولياؤهم فيعرفون مواضعهم ومن أراد منهم قصدهم تمكن منه ولوكان غير ذلك كان منه خلو الزمان من الامام الذى هو حجة الله على خلقه وهو تعالى لا يرفع حجته ولا يقطع الحبل الممدود بينه وبين عباده ، فهم أوتاد الارض وهم

الخلفاء بالحقيقة فى الدورين جميعا ففى دور الكشف يظهر ملكهم فى الاجسام والارواح وفى دور الستر يجرى أمرهم فى الانفس والعقول وأصحاب المملكة الارضية والخلافة الجسمانية

وانما تظهر فى الاجسام أفعالهم دون الأنفس لم يملكوا الملك الروحانى ولا أيدوا بالتأييد السماوى ولذلك صاروا مشاغيل بمثل ما يشتغل به البهائم ليس لهم همة الا البطن والفرج ، وكذلك ليس لهم همة الا جمع ذخائر الدنيا وجواهرها واغتنام لذاتها والحرص على نيل شهواتها كما قال تعالى(زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين و القناطير المقنطرة) الى قوله جل جلاله : (والله عنده حسن المآب) وهؤلاء الناس هم المغرورون بالملك الارضى كما قال الله مخاطبا للانسان: (يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم)

واعلم يا أخى أن المغرور المفتون بالدنيا هو الذي يقول لنفسه اذا رأت العذاب (ياحسرتا على ما فرطت فى جنب الله) ويقول : ياليت لى رجعة ياليت لى كرة هيهات حق القول (لأملأن جهنم من الجن والانس أجمعين) . (وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضياً) فقد بان لك يا أخي بهذا البرهان الفرق بين خليفة الله وخليفة الشيطان والملك الارضى والملك السماوى

واعلم يا أخى أنه بهذه الصناعة يكون الكمعرفة الملوك والرؤساء والسلاطين والمديرين وأتباعهم وما يكون من أمورهم وأحوالهم وحال من يعاديهم ويخرج عليهم فى زمانهم ويضايقهم فى مكانهم ، واذا عرفت ذلك واطلعت عليه طابت نفسك بذلك وسكنت الى ماعلمته وملت نحو الخليفة الذي عنده الحق واليقين واستخلفته على نفسك الزكية وروحك المضيئة ، وان قدرت عليه ووصلت اليه فقد نجوت ووقفت على الطريق الواضحة والمحجة اللائحة ، وان عدمت ذلك فاجعل الخليفة على نفسك عقلك واقبل منه أوامره ونواهيه واجتنب الهوى فانه خليفة ابليس فيك واياك أن يجتمع عليك الخليفة والمستخلف أعنى ابليس بالقوة وخليفته فيك بالفعل ! وذلك اذا استولت نفسك الحيوانية وقوتك الشهوانية على النفس الناطقة والقوة العاقلة فتهلك

فصل

واعلم ياأخي أن أقوى مايكون فعل ابليس في دور الستر، وذلك لان حجة الله عز اسمه في أرضه وخليفته في عباده يكون مختفيا مستورا وان كانت أنواره تضيء في نفوس العارفين به والراجعين اليه الذين لا يغرهم مايرونه من قوة ملوك الدنيا وخلفاء الشياطين، فانها أمور زائلة مضمحلة فانية لا بقاء لها ولا دوام ولا ينظروا من أمامهم الى ملكه وسلطانه في دور ستره ولا يشككهم فيه دور الخفاء والاستتار بل يكون الامام عندهم في حال ستره وخفائه لان جميع مايجوزونه على النبي المرسل فقد يجوزون مثله على الوصي وعلى الامام، اذ كان النبي أشرفهم وأعلاهم رتبة: فهم يجوزون على النبي الموت والقتل والهرب من الاعداء، اذا لم يجد أنصاراً، والاكل والشرب والنكاح والفرح والغم، وأن الامور الفلكية تطرأ على أجسامهم كما تطرأ على أجسامنا غير أن نفوسهم الروحانية الشريفة النورانية هي من خارج الافلاك فلا يحكم الفلك على أنفسهم بل على أجسادهم، وانهم بالاجساد مثلنا غير ان بالانفس فرقاً بيننا وبينهم مثل مابين الحيوان الغير الناطق وبيننا.

وهذا ميدان يطول، ان أردنا شرحه خرجنا عن غرض هذه الرسالة فنعود الى ما كنا فيه فنقول: واذ قد ذكرنا كيفية ابتداء المملكة وعقد التاج ونصب سرير الملك فلنذكر من علم هذه الصناعة والعمل بها كيفية نصب لواء العز والولاية وعقد التاج وعلامة الحروب فهو أحسن أعمال هذه الصناعة بعد ماذكرناه

فصل

قال بطليموس: انظر الى القمر في عقد الولاية عند ذلك العمل وما يلي الحبايات له فلا تسقطه من المشتري، واجعل زحلا متصلا به القمر في بيت زحل من التثليث أو التسديس في أول الشهر واجعل القمر في بيت زحل والقمر في التثليث أو التسديس — كما وصفت لك في أول الشهر — واجعل السعود تنظر الى القمر بمض النظر، فاذا كان ذلك كذلك فان تلك الولاية وذلك العقد تدوم ويطول على قدر مايرى من قوة المريخ سنين ثم أشهراً ثم أياما، فان كان المريخ في الموضع الذى وصفت

والقمر والسعود معه في أول الشهر فان ذلك الوالي يفسد عليه أهل عمله ويشنعون عليه ويخاف عليه الجيش ونهب ملكه في عمله ذلك ، ويكون آخر أمره الى السلامة لمكان السعود والقمر ، وان كان المريخ في آخر الشهر فانه موافق جيد ، وان كان المريخ وزحل جميعاً ينظران الى وسط السماء نظر عداوة فان ذلك اللواء يخاف عليه الهلاك ويقتل صاحبه أو يحبس في حبس يموت فيه أو يؤتى من بعض أهل عمله ، وان كان زحل في آخر الشهر فانه مذموم ان كانت له حصة قوته ، إلا أن يكون ضعيفا لاحصة له ويكون السعود عليه قويا ، واذا كان القمر في زحل والعقد في نظير الطالع كان صاحبه هيوبا ويخاف الناس منه .

وانظر عند ذلك الى القمر فان كان مقبولا فهو يدل على أن رعيته يحمدونه وان لم يكن مقبولا كان مذموما عندهم الى أن يخرج عنهم ، وان كان منحوسا زاد شراً ولقوا منه شدة .

وعلى هذا القياس يكون العمل بما يتفرع لك من ذلك به

﴿ فصل ﴾

واعلم أيها الاخ أيدك الله وايانا بروح منه أن اللواء الذي يعقد للنبي والامام صلوات الله عليهم هو يكون بعلم هو أعلى من هذا وأوضح . وذلك أنه عقد بقصد التأييد وموافقة التسديد ولا يعقده النبي والامام الا لمن يكون منه بالمنزلة التي يستحق بها ميراث ذلك العلم ، مثل عقد رسول الله ﷺ الراية ، قال لاصحابه : (لاعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، كرار غير فرار لا يرجع حتى يكون الفتح على يديه) ، وكان ذلك كذلك .

ومثل الوقت الذي أخرجه فيه الى شيطان الاحزاب وما اتبعه به من الدعاء المستجاب في الوقت الذي ينبغي ذلك فيه ، وبمثل هذا العلم يكون لك المعرفة بأفعال الأنبياء والأئمة وما يعلمون من أعمالهم لأصحابهم ومن يتبعهم فانهم يعطون لكل واحد منهم من ذلك ما يستحقه من منزلته ويصدر عنه من فضيلته عندهم وكرامته لديهم ، ويزيد ذلك وينقص بحسب مايرون له من الصلاح في ذلك -

ولما ذكرنا أنا نورد من مستحسن هذه الصناعة وغرائب عجائبها ولطائف أسحارها ،ذا كرناك بهذا الفصل وهو علم غريب وسحر عجيب ،اذا أردت المضى أنت أو من يتفق له ذلك من اخوانك أو من سألك عن حال دعوة أو وليمة قد دعى اليها ويريد المضى اليها كيف يكون حاله وصفة المجلس ومن يحضر ومايحضر فيه من الطعام والشراب والندماء وكيف صاحب الدعوة وماصفة جميع ماهم فيه؟ فأبدا بالقول عليه والحكم بما نبين لك فى هذا الفصل

فصل

اذا أردت ذلك فانظر الى الطالع فانه يدل على مايؤكل في المنزل :

ومن البرج الثاني من الطالع يعرف ماهية مايؤكل.

ومن البرج الثالث يعرف صفة الجلساء ونعت الندماء.

ومن البرج الرابع يعرف الموضع الذى يجلس فيه أهو غربى أم شرقى قبلى أو شمالى أجيد أم ردى.

وأعلم أن من البرج الخامس يعرف الشراب ماهو ،ومن البرج السادس يعرف خدمهم ، ومن البرج السابع يعرف الموضع الذى يذهب اليه بكرم فيه أم لا

ومن البرج الثامن يعرف هذا الخبز والطبخ، ومن البرج التاسع يعرف قرينك فى الموضع الذي تجلس الى جانبه.

ومن البرج العاشر تعرف صاحب البيت الذى دعاك ، ومن الحادى عشر يعرف حال المغنين ، ومن الثاني عشر يعرف نساء البيت ورجالهم.

فان كان القمر في الطالع فطعامهم يكون الغالب عليه الرطوبة وقلة الطعم الطيب وكثرة المرقة والمائية عليه غالبة.

وان كان القمر مع المريخ في الطالع فانه يقع في الدعوة شيء كثير.

وان كان القمر والمريخ في وسط السماء يكون فى الدعوة سفك الدماء بجرح أو قتل.

وان كان القمر مع عطارد فانه يحدث فى المجلس شراء أو بيع

وان كان القمر مع الزهرة كان في الدعوة طرب ولهو
وان كان واحداً مما سميناه فى الطالع فهو بمنزلة القمر في ذلك
وان كان القمر ينظر الى زحل من التثليث والقمر في برج من بروج الماء فان الذي يؤكل في الدعوة سمك أو مما يكون في الماء من الحيوان .
وان كان القمر في الميزان فالمأكول حبوب
وان كان القمر فى الجوزاء والدلو فالمأكول في الدعوة لحم طير
وان كان القمر ينظر الى زحل من تربيع أومقابلة فالمأكول فى الدعوة لحم بارد
وان كان القمر مع المريخ أو ينظر اليه فالمأكول لحم حار
وان كان زحل فى الخامس من الطالع فان شرابهم مر
وان كان المريخ فى الخامس فشرابهم حامض
وان كان المشترى وعطارد في الخامس فشرابهم شديد الحلاوة
وان كانت الزهرة في الخامس فشرابهم بين الحلاوة والمرارة : عطر الرائحة طيب الطعم مليح اللون
وان كان القمر في العقرب مع ذنب فاحذر أن تسقى السم فى مجلسك
وان كان القمر فى الاسد فاحذر اللحم ، وان كان فى القوس فاحذر أن تأكل لحم الصيد .
وان كان القمر في الميزان فاحذر أن تأكل الفجل والحبوب . وان أكلت ضرك والله اعلم بالصواب .

فانظر ياأخى الى هذا العلم العجيب والصناعة المتقنة الحاوية لجميع مايجرى في الموجودات ويحدث من الكائنات ماأحسنه وأحسن العمل به والحكم عليه ، وبهذا العلم يكون الاخبار لمن صح له العمل بما يكون قبل أن يكون وهو ضرب من علم الغيب الارضى وكذلك مايكون بالزجر والفال .

﴿ فصل ﴾

ومن مستحسنات هذه الصناعة وعجائب أسرارها معرفة حال من يريد زيادة قوم والمبين عندهم ومايكون من أمره فى ذلك الموضع وماينتهى اليه حاله .

اذا أردت ذلك فانظر الى الزهرة فانها الدليل على حال النساء وان كانت فى بيت المريخ أو زحل فانه يأتي تلك الليلة امرأة غير امرأته وان كانت الزهرة فى بيث عطارد أو الدلو أو الجدي أو السرطان والقمر معها فانه يبيت في بيت مضيء مشرق عند امرأة عزباء وان نظر الزهرة والقمر جميعاً في بيت المريخ فانه يأتى امرأة عاتقاً وكذلك ان نظرت من السابع الى بيت المريخ على أي حال كان ونظر اليه ربه كان مثال ذلك.

وان كان المريخ في السابع ونظر الى درجات الطالع فانه يأتى الرجال والنساء في أدبارهن ، وان نظر عطارد من السابع كان مثل ذلك ، وان نظر المشترى الى الزهرة فانه يأتي امرأته .

واذا كان الطالع برجا ذا جسدين وتنظر الزهرة من السابع فانه يقضي حاجته ويبيت وحده ، واذا نظر القمر من السابع الى برج ذي أربع قوائم وكان بين زحل أو درجاته فانه يأتى الدواب ، واذا نظر زحل من بيته من السابع الى الطالع فانه يأتي نساء أصحاب حرث ويبيت من الارض في موضع مظلم قذر.

واذا كان المشترى كذلك فانه يبيت مع امرأة جميلة حسناء وان كان المريخ والزهرة جميعا فانه يأتي نساء فى هول وخوف وهو من ذلك على خطر .

وباقى هذا الباب مذكور فى كتب أحكام النجوم ، وانما أوردنا من ذلك المقدمات فاذا وقفت عليها صح لك ماقلنا ، ان جميع مايحدث فى العالم البشري والخلق الارضى بتدبير فلكي وأمر سماوي ، اذا كان العالم السفلى مربوطاً بالعالم العلوى في جميع أموره وأحواله ، وانما أردنا بما ذكرنا من هذا العلم ليعلم اخواننا أيدهم الله أن فضيلة العلم هي الموجبة للانسان اسم الانسانية التى يتهيأ له بها الوصول الى الصورة الملكية والرتبة السماوية والعلم بالامور الغائبة عن العيان والمتقدمة بالزمان والمستقبلة الكيان ، هي من أشرف العلوم وأجلها ومعرفة ذلك تكون بعد الحذق بالصنايع كلها والتمهر فيها وطيبة النفوس وسلامة القلب والتسليم لما يكون ، وقلة الجزع والخوف مما لابد منه ومن كونه استدفاع بالدعاء والتضرع الى الله تعالى والخوف منه وحده لا شريك له .

ولعل كثيراً ممن يقف على رسائلنا هذه يظن أن مرادنا في وضعها هو تعليم علم النجوم ولعمري أن ذلك من أحد أغراضنا فيها لأننا نحب لاخواننا أيدهم الله أن يقفوا على جميع العلوم ويتعلموها ولا يجهلوها اذ كان مذهبهم هو النظر في جميع العلوم واستقراؤها كلها والاحاطة بمعرفة ظواهرها وبواطنها ، وأكثر أغراضنا فيما وضعنا من رسائلنا كلها توحيد الله عز اسمه وتنزيهه عما نسبه اليه الجاهلون عن معرفته ، الحائدون عن محجته والمعرفة بما خلق من خليقته وأبدع من صنعته ، فان الاشياء كلها مربوطة بعضها ببعض محتاجة بعضها الى بعض . وقد ظن كثير من الناس ممن سمع ذكر السحر والسحرة وأن من السحرة قوما يحيلون الصور عما هي عليه مصورة الى صورة أخرى وذلك لما رأوا صور درجات الكواكب ونويهراتها في البيوت القديمة الباقية من عهد الحكماء الاولين المتقدمين من القرون الخالية والأمم الماضية .

فلما رأوا ذلك ظنوا بفساد ظنونهم أن تلك الصور المصورة والخطوط المسطورة هي مما كانوا يعملون به من السحر ، وأنهم كانوا ينزلون به الطير من الهواء ويستخرجون به السمك من قعر المياه بالكلام والرقى والعزائم ، وأنهم كانوا يسحرون الانسان حتى يصير حيواناً ولهم أوهام كثيرة في مثل ذلك فاسدة . وليس الأمر كما ظنوا ولا الحال كما توهموا لكنها بالحيل التي عملوها والفخاخ التي نصبوها والصنايع التي أحكموها وهي السحر الموجود في العالم مادام العالم موجودا إنما هو موجود به ، وقد ذكرنا في صدر هذه الرسالة ماهية السحر وأقسامه ومايختص بكل قوم من الناس وأصحاب كل صناعة ولولا خوف الاطالة لأتينا بذكر ما أسره أصحاب علم النجوم والذي به قدروا على ماقدروا من الاخبار بما كان ويكون وقد أتينا على شيء منه ونريد أن نزيد في الاستدلال على مايعلم به حال المولود من وقت مسقط النطفة ونذكر في هذا الموضع العلم الذي يعرف به الجنين في بطن أمه أذكر أم أنثى ؟ وهل الحمل واحد أو اثنان ؟ وعن الحمل متى كان وغير ذلك

فصل

اذا أردت أن تعرف هل الحمل واحد أو اثنان فانظر الى الطالع فان كان برجا ذا جسدين وكان فيه كوكب ووجدت في بيت الولد مثل ذلك فانها حامل بتوأم ، وان لم يكن الطالع ولا بيت الولد برجاً ذا جسدين ولا فيه من النحوس شيء مما ذكرت ولا النيران في بروج ذوات الاجساد فانها حبلى بواحد. واذا أردت أن تعرف الحمل أذكر أم أنثى فانظر الى رب الطالع ورب بيت الولد ، فان كان في بروج أناث فهو أنثى ، وان كان في بروج ذكران فهو ذكر ، وان اختلفتا فاستشهد بالقمر فأيهما يشهد فاقض عليه به

وأيضا اذا أردت ذلك فخذ من بيت القمر وهو السرطان الى القمر بدرج السواء وزد عليه درجات الطالع ثم الق من الطالع ، فان وقع في برج ذكر فهو ذكر وان وقع في برج أنثى فهو أنثى

فصل

في معرفة متى كان الحمل

اذا أردت ذلك فخذ من درجة صاحب السابع الى درجة وتد السابع وألقه ثلثين ثلثين ، فكل ثلثين بلغ فهو شهر ، فان كان أكثر من تسعة أشهر فالق منه تسعة وما بقي بعد ذلك فهو وقت الحمل . ووجه آخر انظر ماطلع مع الطالع فهو نوبهره ، وليكن لكل نوبهر شهر ولكل درجة وسبع دقائق وثلثين ثانية ، فبذلك يعرف وقت الحمل

فصل

واذا أردت أن تعرف متى تلد الحامل ليلاأم نهاراً فانظر الى الطالع وصاحبه فان كان في بروج النهار ولدت بالنهار وان كان في بروج الليل ولدت بالليل ـ فان اختلفا فاعمل بأكثرها شهادة

فصل

فى اختيار وقت الحمل

اعلم أن خير ذلك أن يكون القمر من الطالع فى برج ذكر فى مثلثة الشمس ، واحذر أن يكون في الطريقة المحترقة وليكن سليما من النحوس والاحتراقات ، وكذلك الزهرة لانها ان فسدت الزهرة فسدت الارض وان فسد طريق القمر فسد البدن ولم ينتفع به

فصل

في موت الجنين فى بطن أمه

اذا مات الجنين فى بطن أمه وخشى عليها في اخراجه الموت وأرادوا اخراجه فليخرجوه والقمر ناقص في الضوء هابط فى الجنوب ، وينظر المريخ والزهرة من التربيع والتثليث الى الطالع أو الى القمر . وأفضل ذلك أنه اذا كان القمر في برج مؤنث ويكون الطالع وصاحبه ينظر الى الزهرة والمشتري ناظراً اليهما وخير البروج التى يكون فيها القمر أو الطالع البروج الاناث المستوية الطلوع .

فصل

فى حال المولود فى بطن أمه

اذا وقعت النطفة فى الرحم دبرها زحل فى الشهر الاول بالبرد ، ودبرها المشتري فى الشهر الثانى ببعض الاعتدال ، ودبرها المريخ فى الشهر الثالث فصيرها دماً وفى الشهر الرابع تنفخ الشمس فيها الحياة باذن الله عز اسمه وفى الشهر الخامس تركب فيه الزهرة التذكير والتأنيث ، وفى الشهر السادس عطارد يصير فيها اللسان والاسنان ، وفى الشهر السابع القمر يتم فيها الصورة . وان ولد في تدبير القمر عاش وان تأخر رجع فى الشهر الثامن الى تدبير زحل ، فان ولد في الشهر الثامن — وهو لزحل — مات ، وان ولد فى التاسع حين

يعود التدبير الى المشترى نجا باذن الله وكان منه ما قدر له أن يكون فى مدة حياته وبحسب ماتولى مولده .

والوقوف على هذه الاسرار والاخبار بها والحكم عليها هو السحر للعقول لما يكون فيه من البيان الذى به يتميز الانسان من الحيوان ويستخرج بالزجر والكهانة مثل ذلك

فصل

اذا أردت أن تعرف مايكون من رسول يرسل في حاجة يأتي بها أم لا فانظر الى القمر والى صاحب بيت الخامس ، فان انصرف القمر أو صاحب بيت الخامس عن كوكب يشبه طبع الحاجة التى بعث بها ، فانظر ان كان مثل ذلك ثم اتصل بدرجة الطالع دل على أنه يأتي بقضاء الحاجة والا فلا .

فصل

في قدوم الرسول

اذا أردت أن تعلم هذا الرسول يسرع الرجوع أم لا وما يكون منه في غيبته فانظر الى الشمس ورب الطالع : فان كان في بيت السابع وواحد منهما قد اتصل الرسول ، وان كانا في الرابع فهو مريض أو محبوس ، وان كانا في الثامن فهو ميت ، وان كانا في التاسع فقد فصل ! وان كانا فى العاشر ونظر اليه المريخ فهو في يد السلطان الظالم ، وان كانا فى الحادي عشر فهو عند صديق ، وان كان القمر فى رأس الجوزاء و كان فى موضع حسن السعود ، فيبشر عن خبر الغائب بكل خير

فصل

فى معرفة ما فى الكتاب قبل أن تفض ختامه

اذا أردت ذلك فاقم الطالع وأنظر أين عطارد ؟ فان كان هو فى الطالع فان فى الكتاب مايبين عن خبر صاحبه وحاله فى أمره في نفسه وان كان في الثانى فالكتاب فيه ذكر المال وأشباه ذلك ، وان كان في الثالث فالكتاب عن الاخوة الاقرباء

وان كان فى الرابع ففيه ذكر الاملاك والارضين والعقارات ، وان كان في الخامس فالكتاب فيه ذكر الاولاد والملبوس والافراح ، وان كان في السادس فالكتاب فيه ذكر المماليك والدواب والمريض ، وان كان في السابع ففيه ذكر النساء والتزويج وأشباه ذلك ، وان كان في الثامن فالكتاب فيه ذكر المهات والمواريث وان كان فى التاسع فالكتاب فيه ذكر الحج أو سفر فى وجوه البر والدين ، وان كان في العاشر فالكتاب فيه ذكر السلطان أو عن سلطان ،وان كان في الحادى عشر فالكتاب فيه ذكر الاصدقاء والاخوان ، وان كان في الثانى عشر فالكتاب فيه ذكر الاعداء

﴿ فصل ﴾

في ختم الكتاب

اذا أردت أن تعرف كتاباً هل ختم أو عليه خاتمه أم لا فانظر في ذلك الى عطارد والقمر فان اتصل القمر بعطارد فاعلم انه لم يختم بعد وان وجدت القمر منصرفاً عن عطارد بقدر حد الكوكب فاعلم انه قد ختم الكتاب واجعل الكتاب لعطارد والطين للقمر

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخى أيدك الله وايانا انما أخبرناك بهذا لكي تستدل به على غيره ولتعلم ان جميع الامور في عالم الكون والفساد صغيرها وكبيرها ودقيقها وجليلها بتقدير فلكي وأمر سماوي وكلها مسطور فى كتاب مبين فمن أحسن قراءته أحاط بمعرفتها كلها وتشوقت نفسه الصعود الى عالم الافلاك وسعة السموات ودار الحيوان وفسحة الرضوان وروضة الجنان دار الروح والريحان

﴿ فصل ﴾

في صدق الاخبار وكذبها

فان أردت معرفة ذلك فانظر الى الدليل وهو القمر فان اتصل بكوكب فى وتد فالخبر حق ، وان اتصل بكوكب ساقط فهو باطل ، وبالضد من ذلك

فصل

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه انك وجميع اخواننا محتاجون الى المعرفة بهذه الأمور لتكونوا أغنياء بما فى أنفسكم من المعارف والعلوم عن الحاجة الى من لا يعرف قدركم فيكون له الفضل عليكم اذ قد جهلتم ماقد علمه واحتجتم فيه اليه وليس هذا صفة اخواننا الفضلاء لأنهم لا يرضون لأنفسهم الجهل ولم يستقروا أو يطمئنوا الا بعد الاجتهاد والسعى فى الاحاطة بكلية العلوم بحسب الطاقة.

فلما بلغوا الى ما احتاجوا اليه والى معرفته منها حازوا الفضيلة الانسانية ولذلك سميناهم اخواننا الفضلاء ، وارجو أن تكون منهم لسعيك واجتهادك في المعارف

فصل

اعلم أيدك الله تعالى انا نحب لاخواننا أيدهم الله مايكون به صلاح شأنهم واستقامة أمورهم فى دينهم ودنياهم.

ولما كان ذلك أكثر أغراضنا منهم بسطنا لهم هذا الكتاب وأوردنا فيه معرفة مبادىء الاعمال والصنائع العلمية والعملية بحسب ما قدرنا عليه بتوفيق الله تعالى ، والذي حملنا على ذلك هو اننا لم نقتصر على علم واحد وصناعة واحدة لانا علمنا اختلاف طبائع الناس وجواهرهم وما يشتاق كل واحد منهم اليه بما يوافق طبيعته ويناسب جوهره من الصنائع وما أوجبه مولده له.

وذلك مثل اختلاف شهواتهم ومآكلهم ومشاربهم وجميع أحوالهم فجعلنا فى رسائلنا هذه من مبادىء الصنائع والمعارف والعلوم مايكون معيناً للمبتدىء ورياضة للمتعلم ولم ندع فيما قلناه ، ولا تعدينا فيما وضعناه لأن الواجب علينا والعلماء أن نمحض النصيحة لاخواننا فى المقدار الذي وصل الينا من العلوم واستنبطناها ولا انا قد أحطنا بكليات العلوم والصنايع بأسرها ، ولأن هذه المقدمات التى أوردناها والعلوم التى ذكرناها نحن والمستخرجين لها من ذواتنا

انما أخذناها من كتب الحكماء والمتقدمين ما كان منهم من الصنايع العلمية وما كان من العلوم الحقيقية والأسرار الناموسية ، فمن خلفاء الانبياء صلوات الله عليهم وأصحابهم والتابعين لهم باحسان . وكثير من الصنايع لم نذكرها وكثير من العلوم لم ننبه اليها ولم نصل اليها ولا خطر بأوهامنا معرفة كنهها وان فوق كل ذى علم عليم . لكننا أرشدنا اليها وأمرنا لاخواننا بالاجتهاد في الطلب والسعي في الاكتساب لما به يكون فيه الصلاح فى معيشة الدنيا والآخرة

واعلم أن المراد من جميع الصنايع العملية والمعارف العلمية ينقسم قسمين لا ثالث لهما احدهما مايكون به صلاح الجسم وقوامه على الحالة الصالحة ، والآخر مايكون به صلاح النفس بعد مفارقتها الجسم والموت وكونها في معادها على الحالة الصالحة لها ، واذا كان ذلك كذلك فالواجب عليك أيها الاخ أن تحرص وتجتهد فيما تكمل به السعادتين وتنال به المنزلتين ، والسبب فى اختلاف الصنائع وكثرة أنواعها هو لاجل عمارة الدنيا وما هي مبنية عليه من التضاد والاختلاف فى الأفعال والاعمال وبهذا الاختلاف والتضاد يصير أمرها الى الهلاك والاضمحلال

واعلم ياأخي انه من وفق له أن ينال مابه قوام نفسه وجسمه من علم واحد ومعرفة واحدة فقد نال السعادة الكاملة والنعمة الشاملة وهو أن يكون منزها عن الافعال الدنية والصنائع المتعبة والأعمال الشاقة وتكون صناعته منطقية لا يحتاج الى آلة صناعية ولا يستعين عليها بشيء من أعضاء جسده الا باللسان والقوة المحركة لليد بالكتابة لما يحتاج أن يكتبه واستعمال الفكر والروية وجودة الخاطر وذكاء النفس وجودة الحس . فلما طلبنا هذه المعرفة الجامعة لما ذكرنا ، لم نجد الا المعرفة بحوادث الفلك وأحكامه بعد معرفة علم الحساب وعلم العدد الذى به يقدر على ذلك من أراد . وبحسب معرفته بالحساب وعلم العدد يكون علمه ومعرفته بأمر النجوم وان كان علم الحساب والعدد هو المدخل الى جميع العلوم .

واعلم ياأخي ان الصنايع كلها ظواهرها موضوعة لصلاح الاجسام وبواطنها لصلاح الارواح ، مما كان منها معمولا به على ما وصفته الحكماء وأخبرت به الانبياء .

فاما ماوقع فيه التبديل والتغيير فقد خرج عن هذه الصفة وصار فتنة في الدين والدنيا فنظرنا الى الصنايع الحكمية فرأينا أقسامها معتدلة ونسبتها مستوية لانها متقنة ونتائجها حسنة وظواهرها مطابقة لبواطنها لا تخالفها وظواهرها دالة على اتقان صنع الصانع الحكيم سبحانه ، واحداثه الاشياء ، وبواطنها تدل على تنزيهه وتدعو الى عبادته وتدل على طاعته

واعلم يا أخي بان صناعة الحساب ومعرفته وعلم الفلك وحكمته كالملك ووزيره في الصنايع والاعمال ومابعد ذلك حتى تنتهي الى صنائع العامة والرعاع وأصحاب المهن الخسيسة والصنايع القبيحة المسترذلة ، فعلم الحساب هو كالملك اذ كان هو المحتوي على سائر العلوم والصنائع وبه يعرف مقاديرها وكمياتها وبداياتها ونهاياتها وبعلم الفلك الذي هو كالوزير للملك تعرف اينياتها وكيفياتها ومايدوم فيها وما لا يدوم والمسعود فيها والمنحوس فيها والاسباب في كونها والاحكام الجارية عليها والامور الواصلة اليها .

وبالمثال الروحاني والنسبة النفسانية ، قالوا ان علم العدد كالعقل الاول الحاوي لجميع صور الموجودات العاقل لها .

والعلم بحوادث الفلك كالنفس الحادثة عن العقل ولان النفس الكلية مربوطة بالفلك المحيط وهي المحركة له واذا كان ذلك كذلك فليس في العالم صناعة كاملة معينة لصاحبها على بلوغ المنزلة والدرجة السامية في الدين والدنيا الا المعرفة بعلم العدد وصناعة النجوم والمعرفة بأحكام الفلك وحوادثه ، وهذه طريقة الحكماء لأنهم لم يبدؤا بعلم من العلوم ولا بصنعة من الصنايع حتى احكموا المعرفة بهذين الاصلين فلما عرفوهما أبدوا ما أبدوه من الصنايع والاعمال ، وكذلك الانبياء صلوات الله عليهم لما أيدوا بمواد النفس والعقل دعوا الى الله جلت عظمته على بصيرة وكان من استجاب اليهم موفقاً للنجاة في دينه ودنياه والله أعلم

﴿ فصل ﴾

كان لنا صديق من فضلاء الناس وخيارهم من اخواننا وكان يستعين في معيشته بصناعة النجوم فحضرته يوما وقد جاءه رجل فجلس عنده وقال له قد جئتك

لتخبرني عما في نفسي فأخذ الطالع وقومه وجود الحساب وأحسن العمل وصدق العلم وأصاب الحكم ، فقال له تسأل عن شيء سرق ، قال نعم ماهو ؟ فاخبره عن جنسه ، فقال كم هو ؟ فاخبره عن كميته ، قال فمن أخذه وهل الآخذ له ذكر أم أنثى حر أم عبد فذكره ، فقال كم سنه فذكره ، فقال أين ذهب فاخبره ، فقال كيف هو ، فاعلمه ، فمضى في طلبه ثم عاد وقد أصاب ، فدفع اليه شيئاً صالحاً فاستحسنت هذا منه رأيتـه سحراً مليحاً ورأيت منفعة عاجلة والظفر به مليحاً والحكم به مستحسناً فسألته أن يفيـدني بذلك ففعل فكان بهذا محرضاً على طلب هـذا العلم والحرص في بلوغ غايته والوصول الى نهايته فبلغت من ذلك بحسب التوفيق .

وأريد أن اذكر لك هذا الباب فانه لاغنى لك ولا لأحد من اخواننا أيدهم الله عنه وهو مذكور في كتب أحكام النجوم وجميع ماذكرناه آنفا . وكل ذلك فمن الحكماء أخذناه ، وعنهم رويناه . وكل منهم كذلك حتى يكون الاصل فيه المريدون بالوحي السماوي والتنزيل الرباني والامر العلوي

﴿ فصل ﴾

في الحكم على السرقة والسارق

ذكر أصحاب هذه الصناعة أن في ذلك أربعة أوجه أولها معرفة الشيء والثاني معرفة وجود السرقة والثالث أن لايوجد والرابع اللص وموضعه

أما معرفة الشيء الذي سرق فمن الحـد الذي فيه القمر ومن جوهر ذلك البرج وامتزاج بعضها ببعض ، ثم اجعل الطالع وصاحبه والكوكب المنصرف عنه القمر للص . والثاني وصاحبه والكوكب المتصل به لما يلي السائل . والثامن وصاحبه لما يلي اللص ، والعاشر وصاحبه للمتاع . فان كان العاشر برجا من بروج الحيوان فاعلم أنه حيوان ، وان كان على صورة انسان فاعلم انه انسان وان كان من بروج العبيد فهو عبد والله أعلم

فصل

في معرفة السارق

انظر الى البرج السابع فان كان أنثى فهو أنثى ، وان كان ذكراً فهو ذكر وان كان ذا جسدين فالسارق نفسان مشتركان وان كان سعداً فهو حر ، وان كان نحسا فهو عبد

فصل

في معرفة سن السارق

انظر الى الدليل فهو على سنه والكواكب الشرقية تدل على الحداثة والشاب والغربية تدل على المشايخ والكهول . وان كان في وسط السماء فهو شاب وفي وتد الارض فهو شيخ . وان كان تحت الشعاع فكهل لاشيخ ولاشاب . وان كان في الطالع نجم غريب فهو دليل السارق . وان كان زحل فهو آدم أسود صغير العينين غليظ الانف طويل الاسنان غليظ الاظفار طويلها عراض مشقوق الرجلين . وان كان المشتري فهو أسمر تعلوه حمرة سمين سبط الشعر حسن العقل . وان كان المريخ فهو ذو جراءة واقدام في سعيه شاب أزرق أحمر اللون خفيف الشعر أشقر أشهب ربع غليظ . وان كان الشمس فهو أشهل حسن الجسم . وان كانت الزهرة فهو أشم جعد أسود حسن الحال والشباب كثير الجماع قبيح الصوت كثير الاهل والولد في جسده حرق نار . وان كان عطارد فهو حسن الجسم نظيف بطال . وان كان القمر فكبير آدم سخي الاصدقاء .

فان قيل لك أمعروف أم غير معروف فانظر الى الشمس والقمر فان نظرا الى الطالع فان اللص من أهل البيت ، وان كان أحدهما فهو مختلط بهم في الدخول والخروج . وان كان الشمس والقمر ساقطين عن الطالع كان اللص غريباً الا أن يكون صاحب الطالع في الطالع أو يكون معه صاحب بيت القمر والشمس تنظر الى صاحبه .

واعلم انه اذا كان صاحب السابع في الطالع مع صاحب الطالع كان السائل هو اللص . وكذلك اذا كان الأوتاد ، فان كان صاحب السابع عن صاحب الطالع ساقطاً كان اللص غريباً

فصل

في اصابة ماسرق

اعلم يا أخي ان في ذلك وجوهاً ودلالات أولها أن يكون صاحب السابع يتصل بصاحب الطالع . فان ذلك يدل على ان الذي سرق المسروق يرده سريعاً . والثاني أن يكون صاحب السابع تحت شعاع الشمس ويتصل بصاحب الطالع فانه يدل على ان الذى سرق يظفر به من قبل السلطان وقس على ذلك الثالث والرابع والخامس أن ينظر مايكون في السلطان الذي ظفر به معه انظر الى وسط السماء فان ذلك يدل على السلطان والسارق . والسادس والسابع والثامن وباقي الباب على هذا المثال . وكذلك يخرج الحادي عشر اذا اتصل القمر بصاحب الطالع واذا اتصل القمر بالشمس فان ذلك يدل على انه يظفر بما سرق

فصل

فى معرفة اللص

فاذا علمت ان اللص من أهل البيت فانظر الى ذلك الكوكب الذي دل عليه ان كان المريخ فهو أخوه . وان كانت الشمس فهو أبوه فان كانت الزهرة فهو امرأته . وإن كان القمر فهو أمه . وان كان زحل فهوعبده . وان كان المشتري فهو ولده وكذلك جواهر الكواكب . وان كان الثاني في الطالع كانت السرقة فى البيت مع السائل

فصل

في معرفة هل السارق مقيم فى البلد أم سافر

اذا كان صاحب الثاني متصلا بصاحب الثالث أو التاسع دل على هرب السارق .

وان اتصل بصاحب العاشر دل أن المتاع عند السلطان .

وصاحب السابع اذا كان فى التاسع أو متصلا بكوكب في التاسع أو الثالث أو باصحابهما دل على أن السارق خرج وسافر .

وصاحب السابع اذا كان فى التاسع من السابع دل على أن السارق ليس من أهل البلد .

وصاحب السابع اذ كان فى شرفه دل على أن اللص غريب شريف

وان كان المريخ في السابع أو صاحبه كان السارق أعجمياً والسرقة عمله . وكذلك فقل في جواهر الكواكب السبعة .

وان كان صاحب السابع في موضع جيد دل على قوة السارق .

وان كان صاحب السابع زحل كان اللص أخذ الشيء بحيلة

فصل

فى معرفة الموضع الذى فيه السرقة

اذا أردت أن تعلم أين المتاع فانظر الى البرج الرابع فان كان ذا أربع قوائم فانه بحيث يكون شيء من الحيوان .

وان كان برجا على صورة الناس وفيه المريخ كان في موضع فيه حديد أو يستعمل فيه حديد ومخلوط به .

وان كان المريخ ينظر اليه فهو في آلة النار التى تشتعل فيها أو في مكانها

وان كان فيه عطارد كان عند انسان صناعته الكتابة أو عند كتب موضوعة

وان كان فيه الزهرة فهو عند امرأة أو شيء من آلة النساء .

وان كان ذلك البرج مائياً كان عند ماء أو في ماء .

وان كان فيه زحل كان في موضع قذر كالكنيف وماشا كله . ثم انظر الى القمر فى أي الاوتاد هو شرقى أم غربى قبلى أو شمالى فهو يدلك أن الموضع في تلك الناحية ان شاء الله . وانظر أيضاً فان كان الطالع الحمل والاسد ففى الجبال . وان كان في آخر القوس أو الثور فانه في موضع الدواب والبقر .

وان كان في آخر الجوزاء فانه في بستان أو كرم أو موضع شجرة .

وان كان في السرطان أو العقرب أو الحوت ففي الماء أو قريب من الماء .

وان كان في السنبلة والميزان والدلو ففي بيوت الناس .

وان كان في الجدي ففي الارض أو تحت حجر أو تحت حائط .

وان كان الطالع الجوزاء والشمس في الطالع أو تنظر اليه فان السارق في بيوت الملك والسلاطين أو حكيم أو تاجر .

وان كان القمر في الحوت فان السرقة في نهر أو ساقية أو عين .

وان كان المريخ في الطالع كان في مواضع السلاح ودكاكين الحدادين أو مواضع النيران

واعلم انه اذا اتصل القمر بنجم نحس من التثليث أو التسديس فانه يدل على انه يؤخذ سريعا أعني السارق .

وان كان من التربيع كان فيه مشقة

﴿ فصل ﴾

في معرفة جنس المسروق

انظر الى القمر فان كان في الحمل ومثلثه فانه جوهر ناري مما يخرج من المعادن والجبال .

وان كان عند ذلك في حد المريخ فانه ذهب أو فضة .

وان كان القمر في الثور ومثلثه فهو من جواهر الارض ونباتها .

وان كان القمر في الجوزاء ومثلثاتها فهو جوهر حيواني . فان نظر اليه صاحبها فهو حيوان .

وان كان القمر في السرطان ومثلثاته فهو حيوان الماء ، فانظر الى صاحب بيت القمر ، فان كان في الحمل ومثلثاته فانه نبات يريد الكسر في نباته .

وان كان في الجوزاء ومثلثاتها فانه حيوان الماء وعلى هذا القياس يكون معرفة كيفيته وكميته .

واعلم ياأخي ان هذا الحكم والعلم بما ذكرناه ووصفناه وبينا شيئا منه هو من الابوابالغامضة من علم النجوم التي لاسبيل الى معرفتها إلا بجودة الحساب ودقة النظر واستخراجها وقد يكل كثير من أهل زماننا ممن يتعاطى معرفة علم النجوم عن استخراج ذلك والعمل به والحكم عليه والذي نريد لاخواننا أيدهم الله أن لا يدعوا انهم يعرفون شيئا من العلوم الا بعد الاحكام له والمعرفة به والتمهر فيه والتجربة له لما نتخوف عليهم من الخطأ والكذب الذي هو مجانب لصفاتهم ، لان كثيراً من الجهال يدعون ماليس لهم أن يدعوه فاذا وقع به الامتحان افتضحوا وتزيفوا ونسبوا الى الكذب وسقطوا في أعين الممتحنين لهم حتى انه ربما يكون معهم حق ولا يقبل منهم ولا يؤخذ عنهم ويكون ذلك كسرا لهم وحسرة في قلوبهم وقاطعاً لهم عن العلم والعمل والذي وجب علينا من النصيحة لاخواننا مافعلناه وأبلغنا لديهم النصيحة وأدينا اليهم الامانة وأردنا لهم ماأردنا لانفسنا وأردنا بذلك أن تكمل لنا درجة الايمان كما قال النبي ﷺ (١) لا يكمل المؤمن ايمانه حتى يرضى لاخيه المؤمن ما يرضاه لنفسه .

وقد وشحنا رسائلنا هذه بلمع من العلوم والمعارف ومايجري مجرى السحر للمعقول من الاخبار بما يكون وكان لانه من أشرف المعارف وأحكم العلوم التي يختص الانسان بها وأوائلها مأخوذة عن الملائكة بالوحي والالهام

واعلم يا أخي انه لاسبيل لاحد من البشر الى الاحاطة بها جميعها بأسرها . وانما من الله على خلقه بشيء منها على لسان أقربهم اليه وأحبهم لديه وأكرمهم عليه بوساطة الملائكة بينهم وبينه كما قال عز اسمه (ماكان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء انه علي حكيم) ومما يجب لاخواننا أيدهم الله أن يعلموه ويقفوا عليه من هذا العلم ما يكون من الحروب في المواضع وبين الملوك وفي أي وقت تكون ليحترزوا فيها ويبعدوا عن مواضعها اذ ليسوا هم أصحاب الشرور والفتنة وانما هم أصحاب خير وسلامة وعبادة وزهادة وعلم وحكمة

---

(١) حديث مأخوذ بالمعنى لا باللفظ اه

فصل

فى معرفة الحروب وأوقاتها

اذا أردت أن تعلم هل في السنة التى أنت فيها أو المستقبلة ان كنت فى آخر الماضية حرب فانظر الى المريخ في تلك السنة فان كان في الاوتاد فانه يكون وان كان ساقطا فلا يكون

فصل

في معرفة انه متى الحرب تكون

اذا أردت ذلك فخذ من درجة المريخ الى درجة المشترى ثم القه من الطالع فحيث نفد الحساب ففي ذلك الحد تكون الحرب ووجه آخر اذا أردت أن تعلم هل يكون ذلك أم لا أو متى يكون

فانظر الى الاوتاد الأربعة فان كان بهرام في أحد الأوتاد فانه لابد أن يكون قتال .

فان نظر رب البيت الى بهرام في أحد الاوتاد فانه يكون عاجلا قريباً من وقت نظرك .

وان كان بهرام فى الطالع فانه يكون بناحية المشرق وبخراسان.

وان كان في وسط السماء فانه يكون بناحية اليمن ونحو القبلة.

وان كان في الغارب فانه يكون نحو المغرب

وان كان فى وتد الارض فانه يكون بناحية الشمال

وان كان بهرام في الوتد فانه يكون قتال .

وان أردت أن تعلم متى يكون هذا القتال فانظر الى بهرام كم من درجة في برجه فان كان فى العشرة الاول فانه يكون فى أول السنة .

وان كان فى وسط البرج فانه يكون فى وسط السنة

وان كان في آخر البرج فانه يكون في آخر السنة والله اعلم.

ومما يحتاج اليه اخواننا أيدهم الله اذا غاب بعضهم عن بعض وأراد أحدهم أن يعرف حال صاحبه اذا غاب عنه هل هو حي أم ميت لانهم قد يبتلون بفرقة الاحباب ومصائب الايام ونكبات الزمان واستتار الرؤساء وغيبة الفضلاء في وقت من الأوقات التي يخافون فيها على نفوسهم من الأعداء المتغلبين والرؤساء والظالمين .

﴿ فصل ﴾

في معرفة حياة الغائب ومرضه وموته

اذا أردت أن تعرف ذلك فاجعل نفسك السائل واجعل الطالع لك أو لمن سألك عنه والسابع للغائب ثم استدل علي موت الغائب اذا كان صاحب الطالع ساقطاً عن الاوتاد أو محترقاً أو متصلا بصاحب الثامن من الطالع في موضع رديء ويكون القمر مع النحوس في الهبوط في وقت المسألة أو يكون في الثاني أو الثامن عشر أو السادس فان ذلك يدل على ان الغائب ميت.

﴿ فصل ﴾

في معرفة حياة قوة رب الطالع

وسقوطه عن رب الثامن واتصاله بكوكب سعد من تثليث أو تسديس وسلامة القمر في وقت المسألة فوق الارض.

وكذلك رب الطالع ويكون القمر سالماً خارجا من السادس والثاني عشر والثاني والثامن في السابع فهو حي بسلامة في نفسه

﴿ فصل ﴾

في معرفة مرضه

فاذا أردت أن تعرف أمريض هو أم صحيح فانظر الى رب الطالع والقمر فان كانا مع صاحب السادس أو في بيته فهو مريض .

وكذلك ان كانا في هبوطهما أو محترقين فهو مريض ، وان لم يكن القمر ولا صاحب الطالع معهما فليس بمريض.

﴿ فصل ﴾

في معرفة كيفية الموت

المشترى اذا كان في الطالع وهو متصل بكوكب فى الطالع مات ميتة سوء ،
وان كان في العقرب مات غريقاً ، وان اتصل ببهرام قتل أو غرق.
وان كانا مع ذلك فى برج الاسد أكلته السباع أو نكبته نكبة من قبل السباع فيموت .

وان كان زحل : يسقى من السموم القاتلة التى لا يطلع عليها أحد.

﴿ فصل ﴾

اذا كان أحد من اخواننا في مدينة وحل بها حصار من عدوه وأراد أن يعرف كيف فتحها فلينظر حال الطالع والقمر وحال رئيس المدينة وبرجها وجواهرها معها ويستعين بشهادات النجوم المعينة لها فيقومها بمواضعها ومزاجها وجواهرها .

وان كانت النجوم فيها وهي فى أوائلها فهى تفتح من قبلها
وان كان في أحد الاوتاد المريخ فهى تفتح بالسيف
وان كان زحل فهي تفتح بالخديعة والمكر، ويعرف الاوتاد الاربعة فانها تدل على الحصون ، فان كانت فيها النحوس فتحت
وان كانت فيها السعود والنحوس معاً لم تفتح الا على صلح
وان كانت تلك النحوس أربابها كان الفتح من أهلها عن صلح

﴿ فصل ﴾

اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أن العلوم كثيرة لا يحيط بجميعها احاطة الا من له الخلق والامر ولهذا قال بعض العلماء بصناعة أحكام الفلك: انى وجدت

فيما يستدل به على هذه الامور ستة وثلاثون بابا على عدد وجوه البروج وهي ستة وثلاثون وجها اذا وضعت مع قوى الكواكب وذكرفيها كواكبها لخرج عن حد رسائلنا هذه ولو قدرنا على وصف كل دقيقة والاحاطة بمواضعها لكنا مقصرين عن كثرة مايوجد في هذا العلم من الصفات المتشابهة والدلالات المختلفة فاذا كان التقصير والعجز يلزمنا فيما يحدث في هذا العالم الارضي والمركز السفلي فكيف لايلزمنا التقصير والعجز في معرفة ما يحدث في العالم السماوي والمكان العالي بل اضعاف مايلزمنا فيمادونه

والبرهان على ذلك انا لا نجد الاتفاق في أكثر الأشياء بل الاختلاف والتضاد أكثر من الاتفاق في الفروع فاما الاصول فمتفقة غير مختلفة ، ولكن القوى التي تصدر عنها والاجناس التي تظهر فيها وما يتركب من الأجناس من الانواع وما يتفرع من الانواع الى الاشخاص ومايختص بالاشخاص من الصفات المتباينة والالوان المختلفة والهيآت المتفاوتة في الصغير والكبير والطويل والقصير والكون والفساد وغير ذلك مما هو موجود في الاجساد والاجسام .

واذ قد ذكرنا من السحر مايعمل به بواسطة العقل وهو البيان والكشف عن حقائق الاشياء وهو مانطقت به الانبياء بعلمه وأتت به الحكماء من الكتب المنزلة والآيات المفصلة ومايظهر من السحر بواسطة النفس وهو الاطلاع على ماكان وعلى ما يكون في ابتداء الاعمال والمعرفة بما يحدث في العالم من الاحوال والافعال والقول بها والحكم عليها وبما يكون فيها — ويختص بهذا العلم اصحاب الحكمة الفلكية والعلوم النجومية

وقد ذكرنا في ذلك نبذاً ولمعاً لتكون تنبيها للغافلين وموقظاً للساهين عن النظر في آيات الآفاق والأنفس ، لان اكثر أغراضنا في جميع ما ذكرناه وكل ما وصفناه ، الحض على تعليم العلوم والاطلاع على ماخفي من أسرار الخليقة ليكون ذلك قائداً لاخواننا أيدهم الله الى أجل السعادات وأرفع الدرجات ويصير لهم بذلك رتبة في محل السموات وفضاء الافلاك الواسعات ، لأنه لايتهيأله الصعود

الى هناك الا أن يكون من العلماء العارفين والموقنين المستبصرين ، ومحل الجنان ودار الحيوان أولى بالارواح الزكية والنفوس المضيئة من محل الهوان ، ودار الاحزان والمصائب والاسقام أولى بالارواح النجسة والنفوس الرجسة .

﴿ فصل ﴾

اعلم يا أخي أيدك الله تعالى أن كل علم صدر وكل فعل ظهر عن الانبياء والمرسلين ومن خلفهم من بعدهم ومن خلفائهم الراشدين وأهل بيوتهم الطاهرين ومن صحبهم من المؤمنين فهو سحر عقلي ، وأمر الهي ، يسحرون به عقول المؤمنين الذين صبوا لهم وسلموا لأمرهم فيما أتوا به وتحققوا صدقهم ، واثقين به مطمئنين لحقهم ، فهو السحر الحلال المبين ، والقول الصادق اليقين وهي القوة الناموسية المؤيدة بقوى النفس الكلية بما أوحى اليها من القوة العقلية بالمشيئة الالهية والعناية الربانية ، وكلما ظهر من الحكماء أو الفلاسفة والعلماء من الاعمال والصنائع والحرف والمهن والعلوم الرياضية والاخبار بأمر النجوم والحكم بها على ما كان ويكون ، فهو سحر نفساني بواسطة الطبيعة لان مايظهر من فعل النفس العقلية بواسطة الطبيعة ، يكون لتركيبه في الهيولى بما يظهر للنظر ويدرك بحاسة البصر منا لاصباغ والالوان والمقادير والابعاد والاجناس والأنواع والاشخاص ، لان الباري سبحانه جعل العقل سابقا والنفس لاحقة والطبيعة سائقة ، والهيولى لاحقة

فالعقل هو الخلق الاول والنور الاطول الذى قصرت الانوار كلها عن أن تطاوله اذ هو مستمد لانواره الفاضلة وخيراته الكاملة من باريه جلاجلاله وتقدست أسماؤه فهو يستكمل الفضائل والخيرات مبرءاً من الشوائب والتغييرات من جهات النقص الواقع بمن دونه من المخلوقات الروحانيات والجسمانيات . اذ كان هو التام المعطى لمن دونه صورة التمام وهو المرتب لكل موجود منه وصادر عنه مرتبة الدوام وموفيه حظه اللائق به في لزوم النظام واعتدال الاقسام

وكذلك جعلت له القوة الحافظة على جميع الموجودات ذواتها والقوة بموجود ذاتها وبخاصته المختص بها ، يعطي الموجودات خواصها الخاصة بواحد واحد منها بحسب ما يستحقها ويليق بها ، وهو الساحر الاعظم الذى سحر الاشياء كلها اذ كان هو المبين لها وبه تكون المعرفة بها والاطلاع عليها ، وبه انسحرت النفس الكلية ، اذ هو المظهر لها والمبين لها وما يخفى عليها ، والجاعل فيها ماظهر منها وصدر عنها

فلذلك صار العقل الخاص به يظهر بوساطتها ، وبه يكون سكونها ووصولها الى حد طمأنينتها التى بلغت الى خيراته الدائمة ، ووصلت الى فيوضاته الشريفة وأنواره اللطيفة ، وأفعاله المختصة به ، التى اذا ظهرت بوساطة النفس الكلية للنفوس الجزوية وانطبعت فيها أوصلتها اليه وقدمت بها عليه، فبه يكون خلاصها ونجاتها من أسر الطبيعة وموت الخطية وفساد الهيولى وذل العبودية

وأما أفعال النفس الظاهرة بوساطة الطبيعة فهو ما يظهر من أفعال البشر من الصنائع والمهن ، ونريد أن نذكر طرفاً منها اذا كان ما يعمل منها هو السحر الطبيعى وبه يكون التلون والتشكل والصبغ والتصور وقلب الاعيان وتتميم الكيان الطبيعى والامتزاج المعدني وبه سحر العالم الناطق بعضه بعضا ، كل بحسب ماقدر عليه ووصل بقوته المجعولة فيه اليه

واعلم يا أخى أيدك الله تعالى انه لما كان أعلى الصنائع العامية ، وما يعمل بالقوة العقلية والفكرة النفسانية ، خالصة لا تشركه القوى الطبيعية ولا تحتاج فيه الى مثل ما تحتاج لغيره من الموضوعات الهيولانية وهو علم صناعة العدد لأنه صورة عقلية تنزل فى قوة نفسانية ، وعلم صناعة النجوم ، انما هو مدرك بقوة فكرية موجودة بمادة نفسانية موجودة من حركة دورية ، وبقوة النفس يعلم مايكون منها ويصدر عنها حتى تكون موجودة بالحس ، والاصل فى ذلك ، هو معرفة الزمان الذى هو عدد حركات الفلك المحيط المحرك لما دونه المرتب فى أفق النفس الكلية

وقد قلنا فيما تقدم أن علم العدد كالملك لسائر العلوم وعلم صناعة النجوم كالوزير التابع للملك وكالعقل الذى هو سابق الموجودات بالبداية والموجود بعدها فى النهاية ، والنفس تالية له ومقبلة عليه وراجعة اليه

وكذلك علم العدد هو السابق لجميع العلوم وهو الموجود اذا عدمت ، ولا ترتفع بارتفاعها اذا ارتفعت ذاته ومراتبه في نظامها ، موافقة له فى تمثيلاته ، ويتبعه علم النجوم وما يعرف بموجبات دلالاته وخفاء اشاراته وما ينحط الى العالم السفلى والمركز الارضى من قوى روحانياته وهي الملائكة الموكلة بحفظ البرية والقسمة فيهم بالسوية فى الاصول الاولية بالنشوء فى البداية والفساد عند النهاية .

واعلم يا أخي أيدك الله أن القسمة جارية في جميع الموجودات مستوية لا تفاوت فيها . ذلك أن وجودها كلها بالنشوء والنماء وانتهاؤها بالفساد والفناء . فسبحان خالق الوجود والبقاء وجاعل الظلمة والضياء على كل شيء كان بالنشوء في الابتداء وكل فاسد فبالعدم عند الانتهاء . سبحان من لا بداية له بنشوء يعرف ولا نهاية له بفناء يوصف ، جل عن الاشارة اليه بشيء جلالا يفوت وصف الواصفين من الروحانيين ومن الجسمانيين إلا بما وصف به نفسه « كل شيء هالك إلا وجهه » ولما كان هذان العلمان هما الأصل للعلوم اللطيفة والمعارف الشريفة ، وهي أجل العلوم قدراً وأكثرها فخراً وقد أشرنا اليها ونبهنا عليها إذ كانت هي القائدة الى العلوم الالهية ، فنريد أن نذكر أشرف الصنايع الطبيعية والتركيبات الجسمانية وأجل ماينتهي اليه من ذلك الانسان وبه يفضل على من دونه من جنسه ويصير اليه — مثل الحيوان — بالحاجة اليه والخضوع بين يديه : وهذا القسم أيضاً ضرب من السحر إذ كان العالم بأسره مربوطاً بمحبته وحريصاً على طاعته وهو معرفة قلب الاعيان من كيان الى كيان ، وتحويل خاصة الشيء من مكان الى مكان في الاوقات التى تنبغي له من الزمان ، ثم مادون ذلك من الصنايع فمليه نصبت ومن أجله عملت ، لينال منه كل بحسب القدرة والاستطاعة .

وانما سمينا رسالتنا هذه « رسالة السحر والعزائم » وبينا القول فيها : ماهيته

وكمية أقسامه وكيفية أفعاله ليستدل اخواننا الابرار على الاسرار الخفية اذا نظروا فيها بالنفس المضيئة والقرائح الزكية ، وأدمنوا النظر فى استقرائها بالفكر والروية وليكونوا إذا بلغوا إلى معالى العلوم وشرائف الصنايع ذوى غنى عن الحاجة الى من سواهم في جميع مايحتاجون اليه من أمر معيشة الدنيا . فاذا وصلوا الى هذه المرتبة وحصلوا هذه المنزلة صح لنا أن نسميهم باخوان الصفاء

واعلم يا أخي أن حقيقة هذا الاسم هي الخاصة الموجودة فى المستحقين له بالحقيقة لاعلى طريق المجاز

واعلم يا أخي أيدك الله تعالى أنه لاسبيل الى صفاء النفس الا بعد بلوغها الى حد الطمأنينة فى الدين والدنيا جميعاً : وهي أن يعرف الانسان — بحسب قدرته وبلوغ استطاعته — توحيد الله جل جلاله والمعرفة بحقائق الموجودات وغرائب المكونات باذن الله تعالى باريه الذي خلقه وأبدعه وبرأه ، وعبادته وتنزيهه وتمجيده عما يجده فى مخلوقاته ويشاهده فى مصنوعاته ، وبعد ذلك مايكون به صلاح معيشة الدنيا والغناء عن الحاجة فيها الى من عدم هذه الصناعة . ومن لايكون كذلك فليس هو من أهل الصفاء لانه لو كان من أهل الصفاء لكان له بصفاته عمن دونه الغنى

واعلم يا أخي أن حقيقة الصفاء أيضاً هو أن لا يغيب عن النفس الصافية الزكية شيء من الاشياء التى بها الحاجة إليها لما قد بليت به من مداواة هذا الجسم من مقاساته ، وبالصفاء تتهيأ لها الراحة منه والبعد عنه بحيث لاتكون نازلة عليه ولامشتاقة اليه

وقد ذكرنا أن بمعرفة العلوم اللطيفة والمعارف الشريفة يتهيأ للانسان مايكون به صلاح أمر جسمه فى دنياه وصلاح أمر نفسه فى عقباه في دار الآخرة ، ولكن ليس كل واحد يتهيأ له ذلك في أمر جسمه اذ كانت الاجسام مربوطة بالامور الفلكية : وذلك أن كثيراً من الناس ينالون من معرفة علم الحساب والعمل به مالا يقدر عليه غيرهم ، فلا ينالون ما يكون به صلاح أجسامهم فى أمور دنياهم ولا صلاح أنفسهم فى أمر أديانهم ولا يحتاج اليهم فيه فينال من هو دونهم فى

المعرفة بذلك الحظ فى الدنيا ويغيب عنه ما يكون به صلاح نفسه . وآخرون نالوا به السعادة فى أديانهم وكان مؤديا بهم الى النجاة ولم ينالوا به الحظ فى الدنيا ، وآخرون رزقوا به النجاة فى الدارين والحظ فى المنزلتين ، وآخرون رزقوا الحظ فى الدنيا بغير ذلك من العلوم الأدبية والمعارف الطبية بصرفهم قواهم المختصة بهم من ذلك الى النظر فى الأفعال الطبيعية والصنايع التركيبية ثم استدلوا بما قدروا عليه ووصلوا اليه ، ومنهم من استعان به على ما يعود بصلاح جسمه بحسب الحاجة وصرف باقى ذلك فيما يكون به نجاة نفسه في الآخرة ، وآخرون حرموا ذلك ولم يوفقوا له

واعلم يا أخى أن الناس فى العلوم العقلية والمعارف الربانية والحكم النفسانية أعلاهم طبقة هم الانبياء عليهم السلام ، وأعلى الناس في الصنايع والمعارف الجسمية هم الحكماء وغاية مانال العالم بعلوم الانبياء صلاح النفس في دار المعاد ، وغاية مانال العالم بعلوم الحكمة صلاح الاجسام في دار الاجساد وعالم الكون والفساد.

ونريد أن نبين فى هذه الرسالة من قسم الصنايع الطبيعية ما إن وصلت اليه وقدرت عليه ، نلت أعلى الحظوظ منها ورقيت أعلى درجاتها وأجل طبقاتها ، وقد أكثرت الحكماء من القول فيه والاشارة اليه والدلالة عليه فى جميع اللغات ، والناس جميعهم طالبون له وفيه راغبون وليس بأحد من العالم غنى عنه ولا إياس منه ، وهو الطلسم المنصوب لعمارة الدنيا والجوهر المحبوب والمعدن المطلوب ، وهو المغناطيس الاكبر والكبريت الاحمر ، وبه يتفاخر أهل الدنيا وعليه يتحاربون وعلى جمعه وادخاره يتكالبون وعلمه بمادونه من المعادن يستخرجون ، ويطلبون الوقوف على كيفية استخراجه من الاجسام المنطرقة وانفصام عنها وتخليصه منها ، وتحويل كيانه الى كيان غيره وانتزاع لونه من لونه واقلاب الاعيان فى كونه ، حتى يكون ماهو دونه في منزلته ولاحقا بالتدبير الواقع به الى درجته وواصلا الى مرتبته ومشاركا له في فضيلته ، اذا حصلت له صورته المضيئة ورؤيته البهية ، اذا نقي وصفا صفا من شوائب التغيير بما ينبغى له من التدبير .

ونريد أن نأتى بفصل نذكر فيه شيئا من ذلك مما رمزت به الحكماء وأشارت

اليه العلماء تتدبره بنفسك الطاهرة وأنوارك الظاهرة وروحك المضيئة الصافية من نجاسة المعصية لعلك تفوز بمعرفة سر الطبيعة فتزهد فيها بعد القدرة عليها والوصول اليها ، فان الزهادة فيها عند القدرة والاستطاعة والتمكن منها ، هو أحسن وأزين من الزهادة فيها والمرء محال بينه وبينها . وعند ذلك تكمل تلك الصورة الصافية فتصير كالمرآة الصقيلة التي تتراءى في جوهرها الصور المسامتة لها بما هي به : لا مضادة ولا متباينة ولا مختلفة ، فيتحير الناظر فيها بما يراها منها غير شاك في صدقه ولا مرتاب بحقه . بلغك الله تعالى وايانا الى غاية الصفاء وأنار نفوسنا بوضوح الهدى وجعلنا واياك من أهل الوفاء في الدين والدنيا بمنه وكرمه وهو الفاعل لما يشاء

﴿ فصل ﴾

قال فاردموس الحكيم : إن السماء مدورة ذات أرجاء متفرقة ، وإن الارض مثل حبة خردل في وسطها ، وعلى كل ناحية منها قوم يعيشون من رزق الله عز اسمه ، وان الشمس تعطى العالم حركة الحياة وفوق الارض تصعد وتحتها تنزل وان السماء تربى ما في وسطها وان الارض كالجنين في بطن أمه وانها تربو فيها كما يربو الولد في الرحم ويعيش في البطن ، وان زحلا والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد والقمر ، فاعلة ومدبرة ذات قوى وطبايع ومزاج ، وانها تنحط في الارض وتظهر بقواها المنبثة منها الصادرة عنها بامتزاجها وأخلاطها مايبدو من هذه الاجساد ويتكون في عالم الكون والفساد بما ينزل من المطر وما يتكون به من النبت والشجر وما يستقر في معدنه ويتكون في مسكنه .

وقال جالينوس : كل شيء في الدنيا يتحرك في تدويره بالزيادة والنقصان كالحر والبرد والصيف والشتاء بحوادث الجو ، وكالمد والجزر ، وبنقصان القمر ينقص وبزيادته يزيد ، والكواكب السبعة بها تدور المواليد ، وفي العالم الصغير المرتان (١) والبلغم والدم يزيد وينقص في تدبير الطبايع ، والقوى السبعة ، وكل

(١) المرت : خلو مجرى الطعام والشراب من المرض والمرتان الخالى من المرض ، والمرت أيضا رأس المعدة ولعله المراد هنا كما يقتضى السياق

شيء تطلع عليه الشمس فهو يدور بدورانها وكل ما في العالم فينشأ بتدبير السبعة والاثني عشر وهي الاصل في جمع ذلك وتفريقه .

قال فيثاغورس : إن السبعة في الاثني عشر عملها ، كذلك القوى في الجسد والشمس هي النفس ، والقمر هو الروح .

فالنفس حارة يابسة والروح باردة رطبة فامتزجت اليبوسة بالرطوبة واعتدلت الحرارة بالبرودة وقوة العقل في المخ المجعول في الدماغ مثل الملك في رأس العلية .

وقال جالينوس : إن الشمس لها أربعة أنصاب في الجسد لمواضعها ومجاريها فيه تجري وتقوم وتدور وهي الحافظة للجسد بأمر الله ، فان أصاب هذه الانصاب شيء يؤذيها ويوجعها وخلص ذلك الوجع الى شيء منهن ، فسد بعض أبوابها وعطل مجاريها وفسد الجسد وكان به تعجيل الموت .

وأما الاولى فمكانها الذي في الوجه فينفتح عن خمسة أبواب تجري فيها قواها وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس ، ومن هذه الابواب يتصل بالنفس علم ما غاب عنها وبعد منها ، والقوى فيها داخلة وخارجة وصاعدة ونازلة ، وعلى كل باب قوة موكلة تفتحه وتغلقه بأمر النفس ، والثانية مكانها في الفؤاد وينفتح منها خمسة أبواب يخرج منها خمسة رسل : وهي التمييز والنطق والتوسم في السر والتوهم والتفكر ، والثالثة موضعها الكبد وينفتح فيها خمسة أبواب يخرج منها الدم الى سائر أطراف الجسد فيسقيه ويربيه وبه تكون له القوة والجلد والنشاط والرابعة مكانها الكليتان ومنها ينفتح الباب الذي تكون منه النطفة جارية وخارجة وبها يكون نبات السن . فهذه أمكنة الشمس في الجسد .

وأما القمر في الجسد فله فيه مكانان وهما الجلد والرأس ، وللمشترى العظم الذي في الفقار ، ولعطارد العروق والعصب ، وللمريخ الدم والصفراء ، ولزحل الشعر والظفر والسوداء ، وللمشترى اعتدال المزاج وسلامة الجسد ، وللزهرة النقش والصورة .

والبروج الاثنى عشر أيضاً فيها مواضع وطبائع فللحمل شعر الرأس وللثور

الجبهة ، وللجوزاء العينان ،وللسرطان المنخران ، وللاسد الفم واللسان،وللسنبلة اللحية ، وللميزان المنكبان واليدان والذراعان ، وللعقرب الصدر،وللقوس فقار الظهر كله ،وللجدي البطن ،وللدلو الخصيتان والذكر والكليتان وللحوت الساقان والرجلان ، وبهذه القسمة قيام الجسد وعليها بنى

فاذا عرفت هذه الاصول عرفت مايتفرع منها ، فعند ذلك تعرف صناعة طب الاجسام الحيوانية وبها تكون لك المعرفة بطبايع الاجساد المعدنية

فان كنت جاهلا بمعرفة الطبائع الحية الناطقة فانت بمعرفة الطبايع المائية الصافية أجهل ، ومن تدبيرها أبعد لان منها ماينبغى أن يفرق حتى يزول عن عينه الاولى ويخرج عن الطبيعة غير المعتدلة وينشأ نشوءاً آخر ويحيا بحياة أخرى

ومنها مايحول طبيعته من الملوحة الى الحلاوة ومن الصلابة الى الرخاوة.

ومنها مايعمل به ضد ذلك وينزل فيه عن الرطوبة الى اليبوسة ومن الحموضة والعفوصة (١) الى الاعتدال .

ومنها مالايمازج بعضه بعضا الا بعد المصالحة بينهما وذهاب مايفسد حالهما ، فان فصل أحدهما عن صاحبه أفسده وعن حد الاعتدال اخرجه

فاذا عرفت مدواة السوداء التى طبيعتها البرد واليبس حتى تردها الى طبيعة البلغم وهي البرودة والرطوبة ، فقد أصبت بعض مايحتاج اليه.

واذا عرفت أن تحيل طبيعة الصفراء التى هى الحرارة واليبس الى طبيعة الدم وهى الحرارة والاعتدال ، فقد أصبت أجل منازل طب الاجساد

وهاتان المنزلتان فى التدبير المعدنى أجل منازل الواصلين اليها وهما الأصلان الاولان والفرعان التابعان أعنى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة

فصل

قال ارسطوطاليس ان الدائرة الاولى التى دون السماء دائرة النار ، والثانية دائرة الهواء ،والثالثة دائرة الماء ،والرابعة دائرة الارض .

(١) العفوصة : المرارة والقبض

ويخرج من دائرة الارض لونان من الدخان أحدهما لطيف خفيف يتصاعد الى العلو واذا قرب من دائرة الهواء غلظ وارتفع فيهـا الى أن يقرب من دائرة النار فيحمى ولا يجد السبيل الى النفوذ فينحط راجعاً الى معدنه فيكون منه المطر ، واللون الآخر من الدخان يثور من قرارها ويدور الى سـطحها وهو كثيف ثقيل فتكون منه الجبال ، فاذا رجع الدخان الصاعد الى البخار الثابت شربته الجبال فصار فيها كالروح منه في الماء فاذا نضب الماء ظهرت الجبال ورجع الدخان وانعقد منه في باطنها وخللها ، ومنافذها أجناس المعادن فاذا كملت له القوة واجتمعت طبايعه وقوى جسده وما حلت فيها ظهر منها بحسب بعدها من الاعتدال فيه ، والاربعة تدور الى الاثنى عشر لان الاربع الدوائر بازاء ما في الارض من الجزائر فتكون أفعالها فيها موجودة كوجود أفعال الـكواكب السبعة في الاثنى عشر برجا كدوران الشمس فيها.

وللحكماء فى هذا القول اشارات خفية وأسرار دقيقة لا يطلع عليها ولا يعرف العمل بها الا اخوان الصفاء الذين صفت أذهانهم حتى بلغوا الى تصفية ما احتاجوا اليه من هذه الطبايع ومزجوا بعضها ببعض لحصل التشبه بالاله — بحسب الطاقة الانسانية — فنالوا سعادة البقاء فى الدنيا بالطمأنينة وجعلت لهم فى الآخرة خيرات الدار الحيوانية التى هي الحياة الحقيقية

واعلم يا أخي أنه بمعرفة البخارين الخارجين من التراب أحدهما لطيف والآخر كثيف وثبات السفلى ورجوع العلوى اليه وقراره فيه وثباته معه ، يكون تمام العمل واحكامه

وقال الحكيم : جسد الشمس رأس كل جسد ، وسمى رأسـا لانه رئيس الاجساد ، ولا تستطيع الـكواكب التى تحته أن تدنو منه ولا تبعـد عنه وهو يضيء بنوره الـكواكب اذا نزل فيها وقرب منها : فمنه نبات ومنه جوهر ومنه سهل ومنه جبل ومنه ما يخرج من خلطين : أحمر وأصفر ، وأرضـه تبرق وإن حفرت الارض التى يكون فيها الذهب حتى تبالغ فى حفرها رأيت أرضها مذهبة

كأنها تشبه الزرنيخ الاصفر والكبريت الاحمر وتكون ريح سخنة وهي أرض واسعة وطبيعتها حارة رطبة والمياه التي تجرى فيها حلوة فهذه طبيعة أرض الذهب وقوته وكونه فى معدنه وكونه فى مكانه وكونه فى نباته فى أوانه وشكله فى كيانه

فلذلك قال فيثاغورث ان الشمس ملك كل جوهر وطبيعته أعدل الطبائع وأنه لاتفسده الارض ولاتحرقه الاشياء المحرقة للاجساد لان مزاجه فى الحرارة واليبوسة والبرودة والنداوة أجزاء متساوية وليس فى طبيعته شيء زائد على شيء ولا ناقص ولا فاسد ولهذا عظموه وكرموه وسموه شمسا وصاغت منه الملوك تيجاناً وأكاليل ورصعوه بالجواهر وحملوه على رؤوسهم اعظاما لقدره وتشريفاً لذكره ولفضله على الاجساد ولانه أجل معدن موجود في عالم الكون والفساد وكرامة للشمس التى بها صلاح البلاد وحياة العباد

وقال افلاطون : إنا دخلنا في جبال حيث يكون الشمال وكانت جبالا طوالا لاترى الشمس فيها فلم نستطع المكث بها من شدة البرد ولم نر هناك نباتاً الا شيئاً قليلا فى زمان الصيف ، وكان الصيف هناك كالشتاء في غير ذلك الموضع وأعظم مايكون منه . فلذلك قلنا انه ليس للعالم أفضل من تدبير الشمس ولا عمل أفضل من العمل الذي أخرجت والجوهر الذى صنعت والصبغ الذى صبغت والسحر الذى سحرت به العقول وجعلته طلسم الطلسمات ومغناطيس النفوس الجزئيات والشهوات الجسمانيات وجعلته أرفع المنازل فى الطبائع المعدنية وصيرت صناعته أكبر الصنائع المهنية الارضية

وقال أفلاطون : اني أرسلت نفراً من أصحابي نحو الهند فذكروا أنهم سقطوا في بلاد خفيفة طيبة فأعجبهم ذلك وذكروا أن أهل هذه الأرض طوال الاعمار قليلو الامراض صحيحو الاجسام وليس فيها حر شديد ولابرد شديد معتدلة أقسامها مستو نظامها، وأن المزاج لايفسد فيها سريعاً فعلمنا أن ذلك المكان خط الاستواء ومعدن الذهب .

ومن هذا القول قال الحكماء لما ذكروا جنة الفردوس وذكروا أنها مرتفعة من الارض طول ثلث السماء وأنه ليس بها حر ولابرد ولارطب ولايبوسة ولا

مايختلف ولامايختلط ، أنها مستقيمة فى كل شيء مقدرة لمسكن من أكرمه الله تعالى ولذلك قال جالينوس وأصحابه : إن الجسم مادام معتدل المزاج مستقيم الطالع يكون ذا مكث في الدنيا واستقرار فيها ، والنفس الساكنة اذا كانت عارفة بباريها مقرة بتوحيده عادلة فى حكوماتها ، فهي ساكنة فى جنةالفردوس بالقوة فاذا فارقت الجسد وصلت اليها .

ولذلك استعمل هو وأصحابه صناعة الطب واستعجلوا صلاح أجسامهم وقالوا : مادام الانسان مستقيم المزاج لايزيدبعضه على بعض فهوصحيح لايدخل السقم عليه ولا يصل الالم اليه وصلح أن يكون من ساكني الفردوس، وذو المرض والالم لايكون ساكنها .

ونعود الى ماكنا فيه ونقول : لاتشبه جنة الفردوس بالشمس لانها ليس لها من فعلها موت ولامرض ولافساد ، وأنها حياة العالم فهي الماسكة لكل جسد ولونها الى الحمرة وطعمها الى الحلاوة .

وقال : انا تعلمنا منها عمل حمرة ثم حللنا منها لونين يعنى من الحجر المختص بها وكتبنا به كتاباً وصنعنا منه خاتماً للملوك وتاجاً لهم

فصل

قال ان القمر هو يشاكلها ويريد التشبه بها والمحاكاة لها وهو فى ذاته أسود ومنها يأخذ لون البياض ومايتبع البياض من الصفرة اذا طلع ليلة بدره في وقت مغيبها فيعلو وجهه من شفقها صفرة ثم تسامها اياه وتنحط منه قوة فيعمل في الارض عملا يحاكى لونه وهي الفضة وهي تفسد في الارض وفي النداوة ، طعمها الحموضة لانه يزنجر كما يزنجر النحاس ، والقمر اذا حصل تحت شعاع الشمس غاب فيها حتى لايرى ، وكذلك الفضة اذا مازجت الذهب خفيت في لونه ومازجته ، ومع النحاس كذلك . وتقبل الصبغة وسلطان القمر في الجسد على المخ والدم والمرتين وعلى عيون الماء وعلى المد والجزر وعلى كل شيء تكون فيه زيادة ونقصان .

وقال : انا صنعنا من الذهب اكسيراً وطرحنا منه على الفضة فصارت ذهباً وما أسرعه اليها لانه جزوع رقيق ليس له صبر على ما يؤذيه والارواح الصاعدة كلها عدو له وكل جسد فيه روحانية صاعدة يؤذيه ولا يوافقه .

والماس جوهر حار يابس أنثى حامض وهو قريب من الفضة يختلط بالفضة والذهب اذا نقي وصفي

والرصاص والحديد يكون منهما ما يصبغ ويختلط بالارواح ويحبسها ولا يتركها ، ولكن اذا صبغ هو نفسه يفر صبغه منه ولا يثبت فيه ، وينبغي أن ينقى ويلين وهو يمسك لون الصبغة في غيره فيكونان يقبلان الصبغة ، ويعلو منه العلو ويعقر منه الكلب . واذا قبل الصبغة لم تفارقه ويثبت على التصفية ويخرج منه فضة

وزحل في الارض أسرب أسود وهو كيوان رصاص أسود يقبل الصبغة ويعلق به مثل العلق ويعض مثل الكلب العقور واذا قبل الصبغة لم يفارقه من الحرارة اذا كانت فيه روحانية حارة صاعدة من بطن الشمس ، وهو ذكر قليل الحلاوة ويقبل الصبغة ويكون منه شمس وشمسه كريم مرتفع ويصبغ منه ضروب المياه ويحبس عطارد وجميع الروحانيات ويحول بينها وبين الحروب ، وهو عدو الفضة من أجل كبريته ويصبغ الحجارة .

والزئبق بارد وهو فضة غلبت عليها النداوة فأفسدتها وحللتها ، ومن عرف دواءه قدر أن يرده الى كيانه ويصير فضة ويجمع به بين الارواح ويزاوج بينها وما أقل صبره على النار . ومن قدر على اصلاح ما بينه وبينها وصل الى ما يريد ، وبه تكون حياة الموتى !!

﴿ فصل ﴾

وقال ان الحجارة ثلاثة ألوان : منها ما يذوب ، ومنها ما لا يذوب ومنها ما يكون كلساً (١) ومنها ما لا يكون كلساً . فالذي لا يذوب ولا يكون كلساً فهو حجر كريم وهو أشرف الجواهر وهو الياقوت له ضد يعاديه ومقدر عليه وهو

(١) الكلس : الجير

حجر الالماس ، والالماس حجر عظيم وله ضد يعاديه وهو الاسرب (١) . ومن الحجارة مايزداد في الارض ، ومنها ماينقص ويتفتت ، ومنها مايقبل الصبغة من المطر والشمس مثل الجزع والعقيق وغيره ، ومنها مايتحول من لون الى لون مثل الياقوت يبتدىء في البياض ثم الى الزرقة ثم الصفرة ثم الحمرة ويثبت عليها

واعلم يا أخى أن الحمرة هى أجل الاصباغ وهي الاصل لها كلها اذا كانت الشمس حمراء وروحانياتها كلها حمر وصفر ، والبياض أول الالوان وهو يحول الى السواد كالارض التى اليها مالت الطبائع وهو لون زحل وهو الموت ولاخير فيما غلب عليه .

والارقشيثا : جسد وهو كبريت مختلط بالفضة وهي باردة قريبة من الحر من أجل الكبريت الذى فيها ، فاذا غسلت ونقيت وأحرقت صارت باردة يابسة ولها أعمال تدخل فيما يحتاج اليه أهل الصنعة

والمغنيسا : وهو حجر كريم كرمته الحكماء ومدحته الفلاسفة القدماء لأنهم كانوا يعملون منه أعمالا كبيرة ويحلون به كل طبيعة من الاجساد المعدنية وهو يلين الحديد والزجاج ، ومنه ذكر وأنثى .

وسموه ذا اليبس فالذكر منه يابس والأنثى هشة سوداء شديدة السواد ، وزاوجوها مع الكبريت المسمى أفيرون ثم طرحوه على القلعى (٢) تحوله فضة والشاذنة باردة يابسة لينة يخرج منها المس وصنعت منها الحكماء ما احتاجت اليه فى التدبير وهي تزاوج جميع الاجساد والحجارة الخضرة ويكرمها الحكماء ويعظمها العظماء وهى طلسمات جليلة ويعمل بها أسحار عجيبة ومنها الفيروزوج ويخرج منه جسد ، ومنها الدهنج واللازورد

(١) الاسرب : دخان الفضة يقال : سرب الرجل بضم أول الفعل المبنى للمجهول — دخل فى خياشيمه دخان الفضة فهو مسروب

(٢) القلع : معدن ينسب اليه الرصاص الجيد فيقال : رصاص قلعى وهو المراد في عبارة المؤلف كما يفهم من عبارة : تحوله فضة

وان من الحجارة حجارة فيها طبيعة الكبريت والزئبق والطلق واللؤلؤ والصدف .

وقشر البيض كله بارد يابس والخل يحله كله حتى يجعله فى المنظر كالماء قال حالينوس إنهن يابسات والرطوبة تحلل : فانهم يحبسون الزئبق ويصنعون المياه ويصيرونها أجساد الطلسمات و يقبلون بها الاعيان ويعملون صورة السحر . وقشر البيض قد أكرمته الحكماء وله اسماء كثيرة مكتوبة والعظم بارد يابس واللبن ندى من أجل دسمه ، فاذا فارقه دهنه فهو بارد يابس

واعلم يا أخي أن الحكماء ذكروا أن في النبات من قوى هذه الروحانيات مثل مافي أجساد هذه المعادن الجامدات وأنها تعمل في أجساد المعادن الذائبة مثل ما تعمل أرواحها المفارقة لها اذا رجعت اليه وأقيمت نشأة ثانية وهى كثيرة لا يحصر عددها ولا يعلم الاحاطة بكاية معرفتها الا الله عز اسمه ، ولكن نذكر منها طرفاً ليكون دليلا على الباقى ان شاء الله

﴿ فصل ﴾

شجرة ورقها مثل ورق الفول مدملج مستطيل ينبت صاعداً مثل القضبان لا يموت صيفاً ولا شتاء ، تنبت في جبال الشام .

قيل أنه اذا استخرج ماؤها وألقى على الزئبق وطبخ به مراراً عقده فضة بيضاء وقيل إن أول شجرة طلعت على وجه الارض شجرة أصلها كهيئة الانسان وهى مقدمة الكون الانساني في الطلسم المشاكل لصورة الانسان في النبات ويكون من ذكر وأنثى ، واذ كسر عودها وجد داخلها كالصليب !! ولها أسماء كثيرة وهي شجرة معروفة وهى تنفع من داء الصرع اذا علقت على من به الصرع ومن المرة السوداء ومادامت عليه معلقة لايصرع . وهى حارة وهى تطرد الارواح الفاسدة ويتخذ منها طلسم وينصب على البيوت المسكونة فلا يبقى بها روح فاسدة ولادابة مؤذية الا هربت !! وقد صنف رجل من الحكماء في هذه الشجرة كتابا ذكر منافعها .

والكسبينج(١) والسقمونيا(٢) والبان (٣) والزئبق والسندروس والافيون تلين الاجساد وتحسن الارواح وتنفي الخبث وتمسك بعض قوى الروحانيات الصاعدة ويحرق بعضها الكباريت الفاسدة

وذوات الصموغ والألبان من الاشجار تفعل أفعالا كثيرة وتعمل أعمالا جليلة وفيها قوى فاضلة .

وقيل ان شجرة يقال لها بالفارسية (خوس) واسمها بالرومية (حورسمون) اذا أخذ من ورقها مما يلى الارض من أصلها مقشرة ومن زبد البحر وزرنيخ أحمر أجزاء ودقت جميعا ثم اطل به ماشئت من الاجزاء الربية واحم بالنار فانه يخرج ذهبا أحمر ، ثم لا تصير اذا سبك بالنار ، وأوراق هذه الشجرة مدورة اذا طلعت عليها الشمس رأيت لورقها لمعاً وبصيصاً ويكون عليها دود أصفر مثل الذهب يتكون منها ويدب عليها !! روحانيات ماينحط اليها مما وكل بها . وقيل ان الدفلى (٤) اذا أخذ نوره الشديد الحمرة ومن ورقه وعوده ولحائه وعروقه ودق دقا جيداً وطلى به النحاس وهو ذائب يخرج منه شبه الذهب لكنه لايصبر على النار مرة ثانية

والخل المتخذ من العنب وهو خل الخمر له فضل كثير ويلين الطبايع كلها فى الاجسام والاجساد ويحلل ويلين وهو يبيض الأسود ويسود الابيض . واكثر هذه الصفات وأسمائها لم نذكرها من النبات فذلك فى كتاب الحشائش وكتاب الخواص وكذلك فى كتاب الاحجار ومايشاكل ذلك من بدن الانسان وأعضاء الحيوان ، وانما أردنا بما ذكرنا ليعلم الناظر فى كتابنا أن جميع ما في العالم قليله

---

(١) الكبينج : النحاس والكلمة دخيلة

(٢) والسقمونيا : معدن رخو من فصيلة الرصاص لايعلوه الصدأ

(٣) والبان بضم الضاد وفتح الباء : الصنوبر ـ والكندر أيضا يقال له لبان والسندروس بكسر السين ، المشددة : صمغ ، أو معدن شبيه بالكهرباء

(٤) الدفل والدفلى : نبت ذو زهر اعتيادي كالورد وطرحه كالخرنوب

وكثيره ، وكبيره وصغيره ومعادنه ونباته وحيوانه ومواته ، لم يخلق الا بالحكمة وأنه مربوط بعضه لبعض لا يخلو من منفعة ، وفي كونه حكمة تدل على الصانع الحكيم جل اسمه وتعالى ذكره

وان الاشياء كلها محفوظة في أماكنها وانه جل اسمه حافظها وموكل بها ملائكة تنشئها وتنميها وتمسكها وتربيها ولكل منها مستقر ومستودع ، وكلها مبينة في كتاب كريم ولوح عظيم منه بدت واليه تعود وانها مثالات وعلامات لما كانت منه وبدت عنه

واعلم يا أخي أن الجن والشياطين والمردة موجودون في الامكنة اللائقة بهم التي ينبغي لهم أن يكونوا فيها وكذلك الملائكة ولكل منهم مقام معلوم . وان من بعض أمكنة الجن والشياطين صدور المنافقين من الانس وأنها حالة فيهم للوسوسة والغواية ، ولهم قرناء من الجن يوحي بعضهم الى بعض . وان أمكنة الملائكة صدور المؤمنين ومن فوقهم من الانبياء والمرسلين كما قال جل جلاله : « نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين » . وقد ذكرنا في رسالتنا الجامعة أن من النبات والحيوان والمعادن أجساداً وأجساماً وقوى تختص بكل نوع من أنواعها وشكل من أشكالها من الارواح

فنريد أن نذكر في هذا الفصل كيفية استعمال الحكماء هذه القوى والارواح في السحر الذي كانوا يعملونه ويعلمونه لتلامذتهم وهو معرفة الخلط والمزاوجة في الوقت الذي ينبغي فيه ذلك ومعرفة النسبة واستواء الانصبة واجراء الروحانيات في الجسمانيات وتركيب الاجسام على الاجساد وامكان الارواح فيها بعد الممات

واعلم يا أخي أنه من قدر على أن يحيي الجسم بعد موته مثل ماعمله المسيح فقد أتى بسحر عظيم لاتكاد النفوس أن تصدقه ولا العقول أن تحققه وهو حق يقين وسحر مبين ولكنها أجساد غير ناطقة وأرواح منها خرجت ثم عادت اليها وهي أصباغ مشرقة وألوان مونقة !!

واعلم يا أخي أن هـذا الصنف من السحر يفسد العقول ويتلف النفوس اذا عطفت اليه وأقبلت عليه ، وينبغي لاخواننا أيدهم الله أن لايلتفتوا الى هذا الفن من جهـة القيـاس وقراءة الكتب والتجربة والاعتماد على من قال ووصف وقال رأيت ! وانما المراد من ذلك اتباع المعلم الواصل والحكيم الفاضل المان على من يحب أن يمن عليه بذلك اذا كان ممن ينبغي أن يعلم له السحر الحلال ويعرف كيف يحيي الله الموتى كما قال ابراهيم :«رب أرني كيف تحيي الموتى» قال أو لم تؤمن؟ يعنى بالصفة — «قال بلى ولـكن ليطمئن قلبي» — بالنظر قال « خـذ أربعة من الطير — يعنى أربعة أزواج طائرة — فاجعل على كل جبـل منهن جزء » يعنى أجساداً ثابتة جزءاً كما ينبغى أن يجعل عليه ثم ادعهن — بالماء المحلل — يأتينك سعياً واعلم أن الله على كل شيء قدير» . وهذا مقتضى هذه الآيات على ماتأوله أصحاب هذه الصناعة .

وبهذا السحر عمل قارون وصرفه في غير حله وخالف موسى فى فعله وتعدى مارسمه له فحيل بينه وبينه وخسف به وبداره وابتلعته الارض وما كان معه وقل من يستحق تعليم هذا السحر فى العالم ، وانمـا أردنا بما ذكرناه ونذكره تلقيح عقول اخواننا أيدهم الله بالمعارف وتحريضهم على النظر فى كل العـلوم والمعرفة بمبادىء الصنايع وكيفياتها ليكونوا علمـاء حكماء ويفـارقوا عالم الجهل وصفاته ويتخلصوا من أهله وآفاته ويرتقوا الى عالم العقل وخيراته وينالوا درجة العلم وبركاته « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » . والموفق لذلك قليل وقليل ماهم

واعلم ياأخي أيدك الله تعالى أنه لاينبغى لاحد من اخواننا أيدهم الله ولا لاحد من أي الناس كان أن يبتدىء بتدبير شيء من الاشياء ولاصنعة من الصنائع ولا عمل من الاعمال يريد به الصلاح في أمر نفسه ومعيشته الا بعدمعرفة احوال القمر لانه اختص بتدبير عالم البشر

واعلم يا أخي أن الانسان هو الفرد وجميع ماتحتـه فهو منسوب اليه وهو ملك سماء الدنيا وخليفة الشمس على عالم الارض والشمس خليفة الله تعالى فى

السموات والارض وكل كوكب في فلكه فانما هو ملك ذلك الفلك ومدبره وخليفة الشمس فيه ، والشمس ملك الكواكب ، وفلكها سيد الافلاك وبها تتصل الحياة من معدن الحياة ومنها تتصل بكل حي ناطق وحساس متحرك ولها صفات بها تختص وتفضل على سائر الكواكب بما فضلها الله تعالى وجعل لها القوة الحافظة على جميع الموجودات.

واعلم ان القمر في جميع أموره كالانسان : وذلك أنه يبتدىء بالنشوء كما ينشأ الانسان وله زمان يكون فيه كالصبي وحاله من بعد الولادة وله زمان الحداثة والشبيبة وله زمان قوة واستكمال وله زمان كهولة ونقص ، ثم لا يزال كذلك حتى ينعدم وجوده ويغيب حتى لا يرى ويستأنف نشأة أخرى . وكذلك حال مسيره في دقائقه ومنازله في البروج يشاكل مسير الانسان في أمر معيشته وجميع متصرفاته .

فاذا كان ذلك كذلك فيجب على من يريد الابتداء بمثل ماذكرناه أولا من عمل السحر الحلال الزجر والفال والرقى والعزائم وعمل الخواتيم وربط الروحانيات ونصب الطلسمات ووضع العلامات ودفن الذخائر واستخراجها ، وجميع ما أحب عمله من حل وعقد وأعمال نيرنجات (١) وقلب الاعيان وتحويل الكيان من كيان الى كيان ، فليبدء بمعرفة مسير القمر ومعرفة طبائع منازله ويعرفها منزلة منزلة ويصحح مسير الشمس والكواكب من التقويم فان ذلك معين على ما يريد الابتداء به ، وليكن نظره لذلك من التقويم السماوي والخط الالهي وينظر الى القمر كل ليلة ويستدل به وبنزوله في البروج الاثنى عشر . ونريد أن نبين ذلك وهو مذكور في كتب الحكماء العلماء بصناعة النجوم ، فان عدم الناظر في ذلك معرفة المسير في الفلك بالنظر في الآفاق فلينظر ذلك في التقويم الارضي والخط الانساني الوضعي والكتاب الجزئي فانه سيبلغ بذلك بعض ما يريد ان شاء الله

(١) النيرنجا : تغيير حقائق الاشياء في نظر الرائي فقط ومرجعها السرعة وخفة اليد

﴿ فصل ﴾

قال الحكيم: ان القمر ينزل كل يوم في منزلة ، ومقدار مقامه فى كل منزلة ساعة غير سدس ، لان المنزلة لا تطلع حتى تمضى خمسة أسداس ساعة ثم يطلع منزلة أخرى ، والقمر اذا طلع أول ليلة من الشهر يقيم ستة أسباع ساعة ثم يطلع منزلة ويزداد كل ليلة ستة أسباع ساعة ، ثم يطلع فى الليلة السابعة من الشهر فيقيم الى نصف الليل ثم يغيب ، ثم يزداد كل يوم ستة أسباع ساعة على هذا القياس .

فاذا كانت ليلة أربع عشرة يطلع فيقيم الى وقت طلوع الشمس ثم يغيب ويطلع حين تغرب ويغرب حين تطلع ، فيكون له بهذه الخلافة خلافة كاملة لأنه يتسلم تدبير العالم عند غروبها ويغيب عند طلوعها محاكيا لها فى الاستدارة والتمام .

واذا كانت ليلة خمس عشرة يتأخر طلوعه ستة أسباع ساعة مثل ما طلع في أول ليلة من استهلاله ثم كذلك حتى يطلع ليلة سبع وعشرين مع غداة الفجر ثم يستتر تحت شعاع الشمس يومين وهى قيامته ورجوعه الى مالكه فيوفيه حسابه ثم ينشؤه نشأة أخرى « ذلك تقدير العزيز العليم » ثم يظهر فيطلع مثل ما قدمنا ذكره .

فاذا نزل القمر بأول الحمل وهو ﴿ السرطان ﴾ الى أثنى عشرة درجة منه وستة أسباع درجة وهو نارى نحس يصلح فيه من الاعمال ما يختص بأمور النساء ويجتنب فيه لبس الثياب الجدد وترك الاعمال كلها بالجملة . وفى هذا الحد تتحرك روحانية تتصل بأنفس الملوك والسلاطين ويظهر فيهم الغضب والبطش بالقتل وسفك الدم والجور والظلم ، ثم يعم ذلك العالم كله فيظهر من ذلك فى كل واحد بحسب قوته وما جعل له من قدرته ، ولا يصلح الا لما كان من أحوال النساء ومن تزوج في هذا اليوم حظيت المرأة عنده وحظى هو عندها . واشتر فيه الرقيق والدواب والشاء والبقر واغرس فيه وازرع وابن البناء ، فان عاقبة كل

ذلك محمودة ولا تآخ في هذا اليوم أخا فان مودة المتحابين لاتلبث ولا تشترفيه شيئاً للتجارة فان عاقبته غير محمودة ولا تعالج فيه طلسما ولا دعوة بحال

ومن ولد في هذا اليوم ان كان ذكراً كان فاجراً شريراً لا تلبث الاموال معه ولا يحمل في شيء من أموره ، وان كانت أنثى كانت فاجرة مشهورة الفجور محببة حظية عند الرجال حريصة عليهم.

البطين : سعد ، حار ، يابس ، وهو ألين جوهراً .

فاذا نزل القمر بالحد الثاني من الحمل وهو اثنى عشرة درجة وستة أسباع فعند ذلك ينحط الى العالم روحانيات معتدلة تصلح ماتقدم من الفساد في الارض وتصلح ما كان بافساد المقدم بها وتزيل غضب الملوك من نفوسهم ، وهو يصلح لجميع الاعمال والافعال وما يختص به الرجال دون النساء فاعمل فيه نيرنجات العطف والمحبة بالملوك والسوقة والاخوان ومن أحببت من الرجال دون النساء خاصة واعمل فيه الطلسمات والنيرنجات الاربعة الموضوعة في كتاب ارسطماخس ودبر فيه الصنعة وعالج فيه الروحانيات وادخل فيه على الملوك واسع في حوائجهم واتصل فيه بهم واستفتح المودة بينك وبينهم ، ولا تتزوج فيه ولا تشتر فيه رقيقاً ولا شيئاً من الحيوان الذى تريده للقنية ولا تشتر فيه شيئاً للتجارة ولا تلبس فيه ثوبا جديداً فانه من لبس فيه ثوباً جديداً يخشى عليه من السل !! وازرع فيه ولا تكتل غلتك فانه من اكتال في هذا اليوم غلة لم يبارك له فيها

ومن ولد هذا اليوم ان كان ذكراً كان صالحاً ناسكا كتوما للاسرار محمود السيرة حسن المعيشة كثير الاعداء ، وان كانت أنثى كانت فاجرة متهتكة سيئة السيرة مبغضة في الناس .

الثريا : ممتزجة الحرارة والبرودة ، سعدة ، متوسطة ، وهي من خمس وعشرين درجة وخمسة اسباع درجة من الحمل الي ثمان درجات وأربعة اسباع من الثور .

واذا نزل القمر الثريا فاعمل فيه نيرنجات المحبة وأفعالا تختص بالنساء واطلاق المأخوذ عن النساء واحلل عقد السموم ودخن فيه بدخن المحبة واعمل الطلسمات

ودبر فيه الصنعة وسافر فيه للدعوات وادخل فيه على الملوك واتصل بالاشراف وتزوج واشتر فيه ما أحببت وابن الابنية واختلط فيه بالاخوان وازرع فيه واحصد زرعك واكتل غلاتك والبس فيه ما أحببت من جدد ثيابك فان ذلك كله محمود العاقبة نافذ الروحانيات حسن الخاتمة .

ومن ولد فى هذا اليوم ذكراً كان أو أنثى كان صالحاً سعيدا محمود السيرة مستور الدخلة

(الدبران) نحس ، أرضى ، يابس ، وهو من ثمانى درجات وأربعة أسباع درجة من الثور الى تمام إحدى وثلاثة أسباع منه . فاذا نزل القمر الدبران فاعمل فيه نيرنجات العداوة والبغضاء خاصة ولا تدخل فيه على الملوك ولا تسع في حوائجهم ولا تتصل بهم ولا تستفتح عملا فى تدبير الصنعة ولا فى تدبير طلسم ولا دعوة ولا زرع ولا غرس ولا تكتل غلة ولا تعالج فيه أحداً ولا تتزوج ولا تسافر فان ذلك كله غير محمود العاقبة .

ومن ولد فى هذا اليوم ان كان ذكراً كان محذوراً خبيث الدخيلة والسيرة شريراً قتالا وان كانت أنثى كانت فاجرة متهتكة لا يحبها أحد ولا تحظى عنده

(الهقعة) نحسة يابسة ممتزجة بسعادة تنحط فيه الى العالم روحانية ممزوجة وهى من احدى وعشرين درجة وثلاثة أسباع درجة الى أربع درجات وسبعى درجة من الجوزاء ، فاذا نزل القمر بها فاعمل فيه نيرنجات السموم وأخلاطها ، واعمل فيه الطلسم كله ، وعالج فيه من الارواح .

ولا تستفتح دعوة ولا تدبر فيه صنعة ولا زرعا ولا غرساً ولا تزويجا فان ذلك كله غير محمود العاقبة . وادخل على الملوك واسع في حوائجهم واتصل بالاشراف والاخوان واشتر فيه الرقيق والبس فيه ما أحببت من جدد ثيابك وسافر فيه فان ذلك كله محمود العاقبة نافذ الروحانية حسن الخاتمة .

ومن ولد فيه ان كان ذكرا كان مذموما في الناس كثير الاذى لهم غير محمود وخبيث الدخيلة والسيرة شريراً قتالا ، وان كانت أنثى كانت صالحة قليلة الكلام حظية عند الرجال مستورة الحال

(الهنعة) لينه ، رياحية ، سعدة ، وهى من أربع درجات وسبعين من الجوزاء الى تمام سبع عشرة درجة وسبع من الجوزاء . فاذا نزل القمر بها فاعمل فيه نيرنجات العطف والمحبة والمودة ودخن فيه الدخن واحلل السموم واعمل الطلسمات ودبر فيه الصنعة وادع فيه الدعوة وادخل فيه على الملوك واسع في حوائجهم واتصل بالاخوان واستفتح فيه بالاعمال وتزوج واشتر فيه الرقيق وازرع واحصد واغرس واكتل غلتك وسافر فان ذلك محمود العاقبة نافذ الروحانية باقى الزكاء والبركة . قال : ومن ولد فى هذا اليوم ان كان ذكراً كان حسن السيرة محموداً فى الناس ، وان كانت أنثى كانت حظية عند الناس حريصة عليهم فاجرة مستوراً عليها ذلك

(الذراع) رياحى ، لين ، سعد ، وهو من سبع عشرة درجة وسبع درجة من الجوزاء الى آخره . فاذا نزل القمر به فاعمل فيه نيرنجات الشهوات والمحبة ودخن فيها بدخنها واستفتح فيه أعمالك وادع فيه بالدعوة وعالج فيه من الروحانية كلها ودبر فيه الصنعة واعمل فيه الطلسم وادخل فيه على الملوك واسع فى حوائجهم واتصل فيه بالاشراف والاخوان وازرع فيه واحصد واغرس فيه وتزوج واشتر الرقيق والدواب والبس ما أحببت من جدد الثياب وسافر فيه فان ذلك محمود العاقبة نافذ الروحانية حسن الخاتمة فى الزكاة والبركة . قال : ومن ولد فى هذا اليوم ذكراً كان أو أنثى كان سعيداً صالحا محمود السيرة والتدبير ، ومن تختم بخاتم على فصه صورة هذا الكوكب رأى مايحبه

(النثرة) سعدة ، لينة ، ممتزجة بالنحس ، وهى من أول السرطان الى اثنتى عشرة درجة وستة أسباع درجة منه . فاذا نزل القمر بها فاعمل فيه نيرنجات السموم والقطيعة والعداوة خاصة ، واعمل فيه الطلسم وادع فيه بالدعوات ولا تدبر فيه الصنعة ولا تعالج فيه الروحانية ولا تلبس ثوبا جديدا فان من لبس يخشى عليه من الحرق بالنار ! وسافر فيه وادخل فيه على الملوك واسع في حوائجهم واتصل باشراف والاخوان وازرع واحصد ولا تكتل غلتك فيه ولا تتزوج ولا تشتر رقيقا ولا دابة ولا تجارة . قال : ومن ولد فى هذا اليوم ان كان ذكرا

كان محارفا (١) مجدودا في معيشته ، وان كانت أنثى كانت سيئة السيرة حظية عند الرجال محببة في الناس

(الطرفة) وهي من اثنتي عشرة درجة وستة أسباع درجة من السرطان الى خمس وعشرين درجة وخمسة أسباع درجة منه ، مائية ، نحس ، لين .

فاذا نزل به القمر فاعمل فيه نيرنجات القطيعة والعداوة وعقد الشهوة خاصة ولا تعمل فيه الطلسم ولا تدبر فيه الصنعة ولا تدع بدعوات روحانية ولا تعالج فيه أحداً ألبتة بشيء من العلاج ! ومن يلبس فيه ثوباً جديداً خشي عليه من جراحة تصيبه فيه ! ولا تدخل فيه على الملوك ولا تتصل بالأشراف والاخوان ولا تتزوج ولا تشتر رقيقاً ولا دابة فانه من فعل ذلك لم تحمد عاقبة أمره وأعقبته حسرة وندامة ولا تزرع فيه ولا تحصد غلتك ولا تكتلها فانه من زرع واكتال غلة في هذا اليوم انتهبته الأعداء ، ولا تسافر فيه وحارب في هذا اليوم فان من ابتدأ بمحاربة عدوه فيه وخالطه ظفر به . ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى كان منحوساً شريراً متهتكا غير محمود السيرة مذموماً في الناس

(الجبهة) مائية ، ممتزجة بالحرارة ، سعيدة مضروبة بنحس ، وهي من خمس وعشرين درجة وخمسة أسباع درجة من السرطان الى ثمان درجات وأربعة أسباع درجة من الأسد .

فاذا نزل القمر بها فاعمل فيه نيرنجات الاطلاق وحل عقد الشهوة والسموم خاصة ، واعمل فيه الطلسمات ولا تدبر فيه الصنعة ولا تدع فيه بالروحانية ولا تعالج من الأرواح وغيرها ، وادخل فيه على الملوك واسع في حوائجهم واتصل فيه بالأشراف والاخوان واحصد فيه وازرع ولا تكتل غلتك فان من اكتال فيه غلة سرقها منه اللصوص أو سرقوا ثمنها وتزوج في هذا اليوم فانه يوم محمود العاقبة . واشتر فيه الرقيق والدواب وسافر فيه وافتتح فيه الحرب فان فيه الظفر والسلامة . قال : ومن ولد في هذا اليوم إن كان ذكراً كان داهية مكاراً ذا حيل وخدائع ، وان كانت أنثى كانت حظية عند الرجال غالبة الشهوة شديدة الحرص عليهم مستورة الحال

(١) المحارف والمحترف : ذو الحرفة والحرفة والمهنة والصناعة كلها بمعنى واحد

(الزبرة) نارية ، يابسة ، سعدة ، هي ثماني درجات وأربعة أسباع درجة من الأسد الى احدى وعشرين درجة وثلاثة أسباع درجة منه . فاذا نزل بها القمر فاعمل فيه نيرنجات عطف قلوب الملوك والاشراف والاخوان خاصة ، واعمل فيه الطلسمات ودبر الصنعة وادع فيه بالدعوات وعالج فيه من الارواح وادخل فيه على الملوك واسع في أعمالهم واتصل بالاخوان والاشراف وازرع واحصد واكتل غلتك وتزوج واشتر الرقيق والدواب والبس ما أحببت من جديد الثياب وسافر ودبر تدبير الحرب واستفتح الاعمال كلها فان ذلك كله محمود العاقبة نافذ الروحانية حسن الخاتمة تام الزكاء والبركة . ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى كان سعيد الجد مستوراً صالحاً ميموناً على والديه وأهل بيته محموداً في الناس

(الصرفة) ممتزج الجوهر من الناري والأرضي ، نحس مضروب ، سعادة وهي من احدى وعشرين درجة وثلاثة أسباع درجة من الأسد الى أربع درجات من السنبلة . فاذا نزل به القمر فاعمل نيرنجات العداوة والقطيعة والتفريق ودخن فيه بدخنها واعمل فيه الطلسمات ولاتدبر فيه الصنعة ولاتدع فيه بالدعوات ولاتعالج فيه من الارواح الروحانية ولاتزرع فيه ولاتكتل غلتك وتستفتح فيه الاعمال ولاتدخل فيه على الملوك ولاتسع في حوائجهم ولاتتصل بهم ولابالأشراف والاخوان ، ولاتتزوج ولاتشتر الدواب والرقيق فان ذلك كله غير محمود العاقبة ولانافذ الروحانية مخشى الخاتمة ، ولاتلبس فيه ثوباً فان من لبس فيه ثوباً جديداً ضربه السلطان وخالط فيه الاعداء ودبر فيه الحرب ، وسافر فيه فان فيه الظفر والسلامة . ومن ولد في هذا اليوم ان كان ذكراً كان خبيث الدخيلة داهي الفكر مقبولاً عند العامة ، وان كانت أنثى كانت بذيئة سليطة مذمومة عند الناس

العواء : أرضية يابسة ، سعدة ، مضروبة بنحس . وهي من أربع درجات من السنبلة الى سبع عشرة درجة وسبع درجة منها .

فاذا نزل القمر بها فاعمل فيه نيرنجات المحبة والمودة بالنساء والق الاشراف والاخوان وغيرهم واعمل فيه الطلسمات وادع فيه الدعوة وعالج من الروحانية

وازرع واحصدولا تكتل غلتك فانه من اكتال فيه غلته بغته السلطان بغرم، ولا تدبر فيه الصنعة ولا تحارب ولا تخالط الاعداء وادخل فيه على الملوك واسم فى أعمالهم، والبس فيه الثياب واشتر الرقيق وسافر

ومن ولد فىهذا اليوم ان كان ذكراً كان مشئوماً على أهله ووالديه محدوداً محارفاً مبغضا فى الناس وان كانت أنثى كانت محظية محببة عند الرجال ذات عفة وحسن حال .

السماك : أرضى يابس ، نحس ، وهو من سبع عشر درجة وسبع درجة من السنبلة الى آخرها وينحط فيه الى العالم ، روحانى ، نحس ، فاذا نزل القمر به فاعمل نيرنجات العداوة والتفريق بين الاثنين والسموم القاتلة وكل شيء يؤدي الي مضرة وأذى

ولا تعمل فيه الطلسمات ولا تدبر الصنعة ولا تستفتح فيه الأعمال ولا تزرع ولاتحصد ولا تبن فيه الأبنية ولا تكتل غلتك ولا تدخل فيه على الملوك ولا تخالط فيه الاخوان والاشراف ولا تدبر فيه الحروب ولا تتزوج ولاتشتر فيه الرقيق والدواب واجتنب جميع الاعمال الا الحلق والحمام وأخذ الشعر فقط ، ولا تسافر فيه .

ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى كان مشئوماً محدوداً متهتكا سيء السيرة مذموم العمل

الغفر : وهو من أول الميزان الى اثنى عشرة درجة وستة أسباع درجة . وهو رياحى ، سعد ، واذا نزل القمر به فاعمل فيه نيرنجات المحبة والمودة والعطف واطلق فيه الاخيذ واحلل فيه عقود السموم القاتلة واعمل فيه وادع فيه بالدعوة وعالج فيه الروحانية وسافر وادخل على الملوك واتصل بهم وبالاخوان والاشراف وتزوج واشتر الرقيق والدواب وازرع فيه واحصد واكتل غلتك والبس ما أحببت من جديد ثيابك واستفتح فيه جميع أعمالك

ومن ولد في هذا اليوم ذكرا كان أو أنثى كان سعيداً ميموناً على والديه محببا مستوراً صالحا

الزباني : رياحي ، سعد ، مضروب بنحس، وهو من اثنتي عشرة درجة وستة أسباع درجة من الميزان الى خمس وعشرين درجة وخمسة أسباع درجة منه . فاذا نزل به القمر فاعمل فيه نيرنجات عقد الشهوة وحلها وحل السموم القاتلة واعمل فيه الطلسمات وادع فيه بالدعوات ولا تعالج فيه من الروحانية ولا تدبر الصنعة وازرع واحصد ولا تكتل غلتك فان من اكتال غلته فيه محقت وذهبت في مدة ولا تسافر فيه وادخل على الملوك واتصل ولا تلبس فيه ثوبا جديداً فمن لبسه أصابه فيه صرعة من دابة أو سقطة من سطح أو شجرة ، وتزوج واشتر الرقيق والدواب ودبر فيه تدبير الحروب وخالط فيه الاعداء ، وان ولد فيها ذكراً كان سعيداً محبباً ناسكا ميموناً ، وان كانت أنثى كانت مشئومة على والديها متهتكة فاجرة سيئة السيرة

الاكليل : ممتزج بالنار ، رياحي ، وهو من خمس وعشرين درجة وخمسة أسباع درجة من الميزان الى ثمان درجات وأربعة أسباع درجة من العقرب ، فاذا نزل فيه القمر فاعمل فيه نيرنجات العداوة والقطيعة والتفريق بين الاثنين والسموم القاتلة ، وكل ضرب منها يؤدي الى قطيعة ومضرة ! ولا تدبر فيه الصنعة ولا تعمل فيه الطلسم ولا تعالج فيه الروحانية ولا تختلط بالملوك والاخوان والاشراف ولا تزرع ولا تحصد غلتك ولا تكتلها ولا تسافر ولا تلبس ثوباً جديداً فمن لبسه خشي عليه من نهش السباع ولا تتزوج ولا تشتر رقيقا ولا دابة ولا تستفتح فيه شيئا من أعمال المعيشة ولا التجارة ولا تحارب فيه

ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى كان مستوراً محارفا مبغضاً لا يولد له ولد ، ويكون محروما .

القلب : مائي ، سعد ، وهو من ثمان درجات وأربعة أسباع درجة من العقرب الى احدى وعشرين درجة وثلاثة اسباع درجة .

فاذا نزل به القمر فاعمل فيه نيرنجات المحبة وتأليف القلوب بالمودة وأطلق فيه الاخيذ (١) وأحلل فيه عقد السموم القاتلة ودبر الصنعة واعمل الطلسمات

(١) الاخيذ : الذى أخذ أسيرا في الحرب

وادع بالدعوة وازرع واحصد واكتل غلتك واستفتح فيه أعمالك كلها وتزوج واشتر الرقيق والدواب والبس فيه الثياب الجدد ، فان ذلك كله محمود العاقبة نافذ الروحانية حسن الخاتمة تام البركة والزكاة .

ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى كان سعيداً مباركا ميمونا محبباً حسن التدبير والسيرة مستور الحال.

الشولة : مائي ، ممتزج بالنار ، سعد مضروب بنحس ، وهو من احدى وعشرين درجة من اربعة اسباع درجة من العقرب الى اربع درجات وسبع درجة من القوس .

فاذا نزل القمر بها فاعمل فيه نيرنجات عقدة الشهوة والسموم القاتلة واعمل فيه الطلسمات ولا تدبر فيه الصنعة وادع فيه الدعوة ولا تعالج من الروحانية ولا تسافر وازرع ولا تكتل غلتك فمن اكتالها انتهبها الاعداء واللصوص ولا تدخل فيه على الملوك ولا تسع فى حوائجهم وادخل على الاخوان والاشراف ولا تتزوج ولا تشتر الرقيق ولا تلبس ثوبا جديداً فمن لبسه أصابته الحمى المنهكة ولا تستفتح شيئاً من الاعمال .

ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى كان مشؤوماً على والديه وأهله مبغوضاً اليهم مذموماً فى الناس متهتكا سيء السيرة.

النعائم : سعدة نارية ، وهي من اربع درجات وسبعى درجة من القوس الى سبع عشرة درجة وسبع درجة منه .

واذا نزلها القمر فاعمل فيها نيرنجات المحبة وتأليفات المودة واطلق فيه الاخيذة واحلل عقد السموم القاتلة واعمل الطلسمات ودبر الصنعة وادع فيه بالدعوة وعالج فيه الروحانية واستفتح فيه جميع اعمالك كلها وخالط الملوك والاشراف وسافر وازرع واكتل وتزوج واشتر الرقيق والدواب وحارب فيه فان فيه الظفر والسلامة ، والبس ثيابك الجدد فان ذلك محمود العاقبة نافذ الروحانية حسن الخاتمة تام الزكاء والبركة .

ومن ولد في هذا اليوم ذكراً كان أم أنثى كان سعيداً ميموناً محبباً حسن السيرة مستور الحال .

البلدة : نحسة نارية ، وهي من سبع عشرة درجة وسبعي درجة من القوس. فاذا نزل بها القمر فاعمل فيه نيرنجات القطيعة والعداوة والتفريق بين الاثنين والسموم القاتلة وكل شيء يؤدي الى مضرة وفساد ولا تعمل فيه سوى ذلك من عمل طلسم ولا تدبر فيه صنعة ولا دعوة ولا تعالج فيه روحانية ولا زرعا ولا غرساً ولا كيلا ولا سفراً ولا اختلاطاً بالملوك والاشراف والاخوان ، ولا تتزوج ولا تشتر رقيقاً ولا دابة ولا تلبس ثوباً جديداً فمن لبسه بط(١) عن قرحة دامية تخرج عليه ، ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى كان منحوساً مشئوماً يموت أحد والديه وتكون تربيته باسوأ حال ويكون متهتكا سيء السيرة.

سعد الذابح : أرضي ، نحس ، مضروب بسعادة ، وهو من أول الجدي الى اثنتي عشرة درجة وستة أسباع درجة منه . واذا نزل به القمر فاعمل فيه الطلسمات ونيرنجات عقد الشهوة والسموم القاتلة وكل علاج يؤدي الى مضرة ، ولا تدبر فيه الصنعة ولا تدع فيه الدعوة ولا تعالج فيه الروحانية ولا تختلط فيه بالملوك والاشراف وخالط فيه الاخوان وازرع فيه ولا تكتل غلتك فمن اكتال غلته فيه تمحقت من يده ولا تسافر فيه ولا تلبس ثوباً جديداً فان لبسه لابس أصابته جراحة من عدوه . ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى كان الذكر ميموناً محدثاً حسن السيرة محمود العمل ، وان كانت أنثى كانت حظية عند الرجال حريصة عليهم مؤثرة لشهواتهم متهتكة غير مستورة

سعد بلع : أرضي ، مضروب بنحس ، وهو اثنتي عشرة درجة وستة أسباع درجة من الجدى الى خمس وعشرين درجة وخمسة أسباع درجة منه . فاذا نزل به القمر فاعمل فيه نيرنجات القطيعة والعداوة والسموم القاتلة واعقد فيه الشهوات وأطلقها أيضاً واعمل فيه الطلسمات ولا تدبر فيه الصنعة ولا تدع بالروحانية ولا تعالج من الأرواح وسافر وادخل على الملوك والاشراف والاخوان وازرع واكتل

(١) بط بتشديد الطاء المهملة قبلها باء مفتوحة أيضا شق الجرح أو القرحة

غلتك ولا تتزوج فيه ولا تشتر الرقيق والدواب والبس فيه ما أحببت من جدد ثيابك . ومن ولد في هذا اليوم إن كان ذكراً كان محدوداً مشؤوماً مجارفاً (١) متهتكا فاجراً سيء العشرة والسيرة ، وإن كانت أنثى كانت ميمونة ستيرة محببة عفيفة محمودة السيرة حظية عند الرجال .

(سعد السعود) ممتزج من الرياح والأرض . سعد ، وهو من خمس وعشرين درجة وخمسة أسباع درجة من الجدي الى ثمان درجات وأربعة أسباع درجة من الدلو ، فاذا نزل به القمر فاعمل فيه نيرنجات المحبة وعطف القلوب بالمودة وإطلاق الأخيذ وحلها وحل السموم القاتلة ، واعمل فيه الطلسمات واستفتح فيه جميع أعمالك وادع فيه بالدعوة وعالج فيه من الروحانيـة وخالط الملوك والاشراف والاخوان وازرع واكتل غلتك والبس جدد ثيابك وسافر وتزوج واشتر الرقيق والدواب ، ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى كان سعيداً ميموناً مستوراً محبباً محمود العمل والسيرة

(سعد الأخبية) نحس ، رياحي ، وهو من ثمان درج وأربعة أسباع درجة من الدلو الى احدى وعشرين درجة وثلاثة أسـباع درجة . فاذا نزل به القمر فاعمل فيه نيرنجات العداوة والقطيعة والتفريق بين الاثنين والسموم القـاتلة وكل علاج يؤدي الى مضرة وفساد ، ولا تزرع فيه ولا تكتل غلتك ولا تعمل فيه الطلسمات ولا تدع فيه الدعوة ولا تعـالج ولا تسافر ولا تختلط فيه بالملوك والاشراف والاخوان ولا تدبر فيه الصنعة ولا تلبس ثوبا جديداً فمن لبسه سرق منه ولا تتزوج ولا تشتر رقيقا ولا دابة .

ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى كان مشؤوما منحوسا يموت عنه والده ويكون متهتكا ويربيه الابعدون ويكون فاجراً خبيثاً سيء السيرة

(مقدم الدلو) وهو من احدى وعشرين درجة وثلاثة أسباع درجة من برج الدلو الى أربع درجات وسبعي درجة من برج الحوت . وهو سـعد ، رياحي ،

(١) المجارف بالجيم المعجمة: الفقير الذي ذهب الدهر بماله أو حرمه هو بنفسه أضاعه من غير تدبير

قال: فاذا نزل به القمر فاعمل فيه نيرنجات العداوة والقطيعة وعقد الشهوة والسموم القاتلة والطلسم ولا تدبر الصنعة ولا تدع واحلل فيه عقدة الشهوة وعالج بالروحانية وادخل على الملوك والاشراف وعالج الروحانية والبس ماأحببت من الثياب الجدد وازرع ولا تكتل غلتك فمن ا كتالها عاقبه السلطان بغرم فتذهب غلته أو ثمنها.

ومن ولد فيها ان كان ذكرا كان مشؤوما محدوداً مجارفا متهتكا خبيث الدخيلة سيء السيرة مذموما عند الناس ، وان كانت أنثى كانت ميمونة سعيدة محببة مستورة حظية عند الرجال

(مؤخر الدلو) مائي ، سعد ، مضروب بنحس ، وهو من أربع درجات وسبعي درجة من الحوت الى سبع عشرة درجة وسبع درجة منه . قال : فاذا نزل بمؤخر الدلو وهو الفرع الآخر فاعمل فيه نيرنجات العداوة والقطيعة وعقد الشهوة والسموم القاتلة واعمل فيه الطلسم ولا تدبر فيه الصنعة ولا تدع فيه الدعوة وعالج فيه من الروحانيات وادخل فيه على الملوك والاشراف وحارب فيه وسافر وازرع فيه ولا تكتل غلتك فيه فان من ا كتال غلته في هذا اليوم يعقبه من السلطان غرم ويذهب ثمنها .

قال : ومن ولد في هذا ان كان ذكراً كان مشؤوما محدوداً مجارفا متهتكا خبيث الدخيلة سيء السيرة مذموما عند الناس ، وان كانت أنثى كانت ميمونة سعيدة محببة حظية عند الرجال

(بطن الحوت) وهو من سبع عشرة درجة وسبع درجة من الحوت الى آخره ، وهو مائي ، سعد .

فاذا نزل القمر فاعمل فيه نيرنجات المحبة وعطف القلوب بالمودة واطلاق الأخيذ وحل عقد السموم القاتلة واعمل فيه الطلسمات ودبر فيه الصنعة وادع فيه بالدعوة وعالج فيه من الروحانية وازرع واحصد واكتل غلتك وسافر واختلط بالملوك والاخوان وتزوج واشتر الرقيق والدواب واستفتح فيه الاعمال. فان ذلك محمود العاقبة نامي البركة نافذ الروحانية . ومن ولد فيه ذكرا كان أو أنثى كان سعيدا ميمونا زكيا محمودا حسن السيرة .

فاعقد أيها الاخ هذه الاسرار الفلكية والتدابير الهرمسية والانباء الادريسية واعمل بها لنفسك ولاخوانك في مصالح دينك ودنياك وامنح به الصفوة من أصحابك وتدبرها بلطيف فهمك ونافذ بصيرتك تصل منها الى منازل الاخيار .

قال هرمس : هذه الاوقات التى تدور عليها روحانيات القمر بهذه الاعمال التى وصفها الحكيم في الكتاب المخزون .

وسئل أيضاً أي ساعات الليل والنهار أحب أن تعمل فيها النيرنج والطلسم ؟ فقال : أحب الساعات إلي فى عمل النيرنج من ساعات الليل بعد مغيب الشفق الى طلوع الشمس : وذلك أن هذه الساعات هى ساعات ساكنة تنبسط الروحانية في هذه لان الروحانية مستجنة كامنة خفية بالنهار لشروق الشمس وضوؤها وانبثاث الروحانيات الارضية وحركاتها ، فاذا غربت الشمس وغاب ضوؤها وشروقها انبسطت الروحانيات بحركتها وتقذت في تدبيرها .

قال هرمس : وجدت في الكتاب المخزون في أسرار النيرنجات أن خير مايعمل به العامل مايخفيه عن عيون الناس ورؤيتهم وشروق الشمس وضوئها وذلك أن عيون الناس جاذبة روحانياتها تمنع أرواح النيرنجات في نفاذها ، وشروق الشمس يبطل النيرنج ويدفع روحانية نفاذه وتمامه

وقال : اعلم أن نيرنجات المحبة والمودة والقطيعة وعقد الشهوة وحلها كلها اعمل ليلا من تلك الليالى والايام المقسومة من منازل القمر واعمل الطلسم والصنعة والدعوة وعلاج الروحانية وخلط السموم وعقدها وحلها وعلاج الازواج الروحانية ليلا ان شئت أو نهارا واحترس فى ذلك كله من العيون اللامعة والهموم المؤذية فانها يفسدان روحانية العالم الاصغر والاكبر ويزيلانها عن حدودها ويغيران أعراضها.

قال : وجدت في الكتاب المخزون انه ليس شيء من الاعمال الموصوفة في الاصغر والاكبر الا والعيون اليه باسرع بالفساد من هذه الثلاثة الاشياء النيرنج ، والصنعة ، ودعوة الروحانية .

ولذلك أمر الحكماء باخفاء هذه الثلاثة وأسرارها واكتنامها عن جميع الناس الا عن تلميذ مؤتلف الروحانية صحيح العزم تام الطبيعة مأمون الصحبة معين على الازدياد من العلوم .

وقد أتينا على دائرة منازل القمر والبروج الاثنى عشر فى هذا الموضع من الصفحة لتقف عليها وتقع تحت الحس السحري ، وهذا موضع صورة الاشكال الثمانية وعشرين منزلة وشهور الروم والقبط فى كل منزلة ودخول الشمس وطول الليل والنهار وقصر الليل فى دخول الشمس .

وأعيذك أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله تعالى وايانا بروح منه من العمل بما لايوجبه ولايقتضيه الشرع الا ما كان من دفن مال أو حفر بئر أو نهر أو بناء سفينة أو دار أو تزويج أو دخول على سلطان أو سفر أو زرع أو غرس أو شراء عقار وما ينتهي بهذه الامور .

فاما ماعداها فان اخواننا أيدهم الله قد عصمهم الله عن افعالها: أعني العطوف والشد والربط وما شاكل هذه الاشياء وانما شرحنا ذلك لاخواننا لتعرف كيفية عمل من يعمل ذلك ليكون علمهم محيطاً به وأيضاً لنعلمهم أن الحكماء لم يفتهم شيء مما يحتاج الناس اليه من أمر الدين والدنيا الا وقد تكلموا وعملوا عملا وأظهروا خواص الاشياء التي يتعجب منها عوام الناس وليعلموا أن الله تعالى لم يوجد شيئاً باطلا كما قال سبحانه : « وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ماخلقنا الا بالحق » .

فاذا تأملت هذه الحكمة وتدبرت هذه الصنعة وعرفت هذا السر واطلعت على حقيقة هذا السحر الذي يسحر العقول وبانت لك الاشياء بحقائقها وتعلمت كيف تسحر من هو من الناس وتبين لك ماخفي عن غيرك من الغافلين من الامور الالهية .

فانتبه أيها الأخ من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وأيقظ من قدرت عليه من الغافلين ليحصل لك النفع العاجل والخير الواصل في الدين والدنيا بلغك الله تعالى

أيها الأخ البار الرحيم منازل الاخيار المصطفين ورقاك الى منازل الملائكة المقربين وأيدك الله وايانا بروح منه وجميع المؤمنين برحمته آمين.

هذه الدائرة وعدتها ثمانية وعشرون منزلة التى ذكرها صاحب الاسطيطاس ذكرناها فى هذه الرسالة التى هي من جنسها .

ونريد أيضاً أن نذكر طرفاً من النيرنجات المعينة على مايراد منها فاوجدناها فى كتاب هرمس المثلث بالحكمة فانه قال — بعد تقسيم القمر وسيره — ان النجوم السبع قد تقسمت للتدابير بروحانيتها ومسيرها فى الطوالع الاثنى عشر، وذكر أن القسمة الاولى لم تبطل ولم تنقص وأنه الاصل فى القسمة الاولى ، غير أن هذه الروحانيات اللاتى هى السبع قد ضربت الاثنى عشر بقسمتها وغلبت عليها روحانيتها وقسمتها بالدقائق والثوانى والتسديس والتربيع والتثليث والمقابلة والمقارنة وألحقتها بتدبيرها فى المواليد خاصة وثمار الاعمار مما ينقص من هذه القسمة في منازل القمر ومسيره : وذلك أن القمر هو السعد الثانى ومسيره أسرع النجوم مسيراً فى منازله وأقدر أن يبلغ بروحانية جميع النجوم بسرعة حركته.

وذكر أيضاً في كتابه أنه ليس من حكيم الا وهو محتاج الى معرفة هذه القسمة لانها الاساس بتدابير الاعمال والصنعة .

قال ووجدت أيضاً من أسرار العلوم الخفية فى أخذ هذه الاعضاء الروحانية من العالم الاصغر والحيوان المتحرك أنه قال : يؤخذ الدم من العالم الاصغر في حجامته وفصده وجراحته وهو يجري ـ وسعدرأسا وحاسة ـ وأما دم الحيوان المتحرك فلايجوز الا دم الاوداج في الذبح وذلك أن العالم الاصغر كامل الطباع فى تركيب الجوهر تام الروحانية في الاعضاء السبعة في الاجزاء الاثنى عشر . وأما سائر الحيوان المتحرك فناقصة التركيب في الجوهر فلايجوز الا دم الاوداج في مجاري النفس وعلاقة الحياة وروحانيتها . قال : واذا أخذت الدم من العالم الاصغر فان أردت استعمالها رطباً فاجعلها فى قارورة وعلقها في شمس حارة أو بيت توقد فيه النار في حائط بوتد واشدد رأس القارورة بقطنة ثم دعها يوماً حتى يسكن جوهره ويرتفع ماؤه ولينذبت طبيعته فوقه بوهج الشمس أو مادة

الحرارة في البيت الذي توقد فيه . فاذا تم ذلك يوماً أو ليلة لتمام اثنتي عشرة ساعة فارفعه وصب الماء المرتفع على رأسه وخذ ما سكن منه ، فاذا أردت استعماله رطباً استعملته ، وان أردت تجفيفه صبه على جام (١) وضعه في الشمس ومكنه بغطاء من غبار الهواء واجعله بالليل في مكان لين سخن ودبره أبدا كذلك حتى يبرد وينعقد وجففه وارفعه عند ذلك في قارورة لطيفة حتى يحتاج اليه

فأما دم الحيوانات المتحركة فانك لا تحتاج الى تدبيره كذلك . وذلك أن طبيعة الحيوان المتحركة ليست بتامة ولا كاملة ولا يحتاج الى تدبيره فى الشمس وتصفية مائه المرتفع من فساد جوهر الطبيعة ، فان أردت استعماله رطبا تخذه فى قدح وضعه ساعة حتى يسكن وجففه واستعمله ، وان أحببت استعماله يابساً فجففه فى الشمس على الصفة الاولى ثم ارفعه فى قوارير واستعمله وليكن ما تأخذ من الدم — دم الاوداج — من أول قطرة تسيل منه الى أن تأخذ حاجتك منه وخذ ذلك في قارورة وطشت ولا يصيبن الارض شيء منه

(الدماغ) قال وخذ الدماغ من العالم الاصغر والحيوان المتحرك وارم بسنطته وهى الجلدة الرقيقة التى هى محيطة بالدماغ وارم مضربه والعروق المتعلقة به وارم بعضيضته وهى الدودة المتخيلة فيه ، فاذى نقه من ذلك كله ، وان أردت استعماله رطبا فاستعمله وان أردت تجفيفه فابسطه في جام وضعه فى الظل فى مكان بارد مغطى حتى يجف وارفعه فى قارورة نظيفة حتى يحتاج اليه

(المخ) وأما المخ فتبرزه من العظام فى جام فان أردت استعماله رطبا فاستعمله وان أردت تجفيفه فابسطه على جام وضعه في الظل في مكان بارد مغطى حتى يجف واستعمله فيما تريد

(المرارة) ان أردت استعمالها رطبة فأرسلها في قوارير واستعملها ، وان أردت تجفيفها فعلقها فى الشمس حتى تجف وارفعها ، وان أردت استعمالها فضها واخرج المرارة من جوفها واخرج الجلد وارم به واستعملها فيما تريد

---

(١) الكأس من فضة ، والجمع أجوام وأجؤم وجامات وجوم بسكون الواو وقبلها جيم مفتوحة — فارسية معربة

(الشحم) خذ شحم الكلية المسمعة من العروق فأذبه فى ضجير ثم صف الذائب منه في شربة مملوءة ماء حتى يبرد وتذهب زهومته ونتنه ثم ارفعه في قارورة واستعمله فيما تريد

(الانفحة) خذ الانفحة فعلقها فى الظل حتى تجف ولا تستعملها رطبة وغير ذلك من اللحم والكبد والرئة وغير ذلك من حيوان الماء فخذ ذلك وكل العدد الذى وصف لك كله ولا تطعم منه أحداً شيئاً فان أردت أخذ الخذفة فارم جلدتها عنها قبل أن تجف واستعمل الباقى .

قال فى كتابه : اذا أردت أن تطعم شيئاً من هذه الاخلاط أحداً فى طعام فاعمل من الطعام ما يأكله الانسان الواحد واخلط ذلك به وامزجه فيه ، وليكن ذلك الطعام حلواء تعمل أو لحما تشويه بيدك أو أقراصاً محشوة ثم اطل ذلك الخلط عليه حتى تذيبه بالنار سخنا ذائبا قبل أن يبرد ان كان لحما أو أقراصا فان كانت حلوا فاخلط بها قبل فراغك من صنعتها اذا قاربت الادراك قبل أن ترفعها عن النار ولا يأكلن أحد منه سوى من عملت له هذا فى نيرنج المحبة والعداوة والسموم وعقد الشهوة والاطلاق وحل السموم وسائر العلاجات الموصوفة ، دبر كذلك كله .

وقال : فى كتابه ان عامل النيرنج وصانعه ينبغي له أن يجمع همه ويصحح عزمه ونيته فيما يعمله تصحيحاً لا يشوبه شيء ، وذلك أن هذه الروحانية تنفذ وتقوى بصحة نيته وهمته ، واذا دخل فى بابها شك أو ريب ضعفت الروحانيات فلم تعمل ولم تنفذ ، واذا أردت أن تخلط نيرنج المحبة والعطف والمودة فقل — وأنت تعالج ذلك بصحة من عزمك ووهمك — هذا تأليف المحبة فى طبيعة فلان ابن فلان بالمودة والعطف والمحبة وقد حركت روحانيته الساكنة فى قلب المحبة فى طبيعة روحانية هذه الاخلاط وقوتها على فلان بن فلانة وهيجته بالمحبة والمودة تهيجا قويا مثبتا شديدا كحركة النار وقوتها وتهيج الريح وهبوبها . ولا تزال تقول ذلك حتى تفرغ منه فاذا فرغت منه فاخفه عن العيون الناظرة وشروق الشمس وشعاعها ومس أيدى البشر وشمهم ، فان أمكنك أن تطعمه من يدك

فافعل فانه أنفذ وأقوى ، وان لم يمكنك فادفعه الى كتوم أمين وتقدم اليه أن لا يشمه ولا ينظر اليه ولا يضعه في الشمس حتى يطعمه اياه ، وان أردت أن تعمل لنفسك فسم نفسك فيما تريد أن تطعم أو تدخر ، وان أردت أن تتمسح بخلط من الاخلاط لتحظى عند الناس جميعا أو تدخره بدخنه فتقول — حين ترفعه على كفك أو حين تطرح الدخنة في النار — جذبت الروحانية المعدودة في أعين البشر المتصلة بقلوبهم الى نفسي بالهيبة لي بقوة هـذه الروحانية التي يمسك بها كجذب شعاع الشمس نور العالم الاكبر وقواه ، وجعلت نفسي وروحانيتي مرتفعة على أنفسهم وروحانيتهم بالهيبة والاعظام كارتفاع نور الشمس على نور العالم وقواه ، واذا أردت أن تعمله للعداوة والتفريق فقل : قطعت بين فلان ابن فلانة وفلانة بنت فلانة بقوة الارواح الروحانية وفرقت بينهما كافتراق النور والظلمة وألقيت بينهما العداوة والبغضاء كعداوة الماء والنار ، واذا أردت أن تحل العقدة فقل : حللت وأطلقت القطيعة البائنة القائمة الروحانية بين فلان ابن فلانة وفلانة بنت فلانة بقوة هـذه الارواح الروحانية وقمعتها قمع النور للظلمة والحياة للموت .

واذا أردت أن تعقد الشهوة وحركاتها فقل : عقدت روحانية شهوة فلان ابن فلانة عن فلان بن فلانة بقوة هـذه الأرواح الروحانية كعقد الجبال المعقودة وصخورها .

واذا أردت أن تحل هـذا العقد فقل : أطلقت عن فلان بن فلانة عقد روحانية شهوة فلان بن فلانة المعقودة بقوة هذه الارواح الروحانية كاطلاق الشمس النيرة ظلمـة العالم وارواحها وأذيبها كذوبان الموم (١) بالنار والثلج من الشمس.

واذا أردت أن تعمل شيئاً من هذه النيرنجات في صـلاح الارواح فقل :

---

(١) الموم : اداة الحائك يضع فيها الغزل وينسج به والموم : الشمع ، وهو المراد هنا لان من شأنه الذوبان كما يفهم من تعبير المؤلف ... اه

نفيت وقمعت الروحانية الكامنة فى جسم فلان بن فلانة بقوة هذه الأرواح الروحانية كقمع الشمس الظلمة والماء والنار .

وإذا أردت أن تعمل شيئاً للهوام والسباع دخنة أو غيرها فقل : دفعت فطردت روحانية الهوام والذباب والسباع القاتلة بقوة هذه الارواح الروحانية كدفع النور للظلمة وطرد السنانير للفار

وكلما أردت أن تعالج شيئاً من هذه النيرنجات فصحح وهمك فيه واستعمل في ذلك التحفظ والتحرز وحسن العمل والتثبت والرفق ولا تعملن شيئاً بخرق ولا عجلة فان الخرق والعجلة ضد الرفق والتثبت فتكلم في ذلك كله بكلام في معنى مايعمل به فان الكلام في النيرنج يقوي الروحانية الكامنة وينفذها .

وذكر فى كتابه أن النيرنج أربعة أجزاء جزء منه الاخلاط الصحيحة التى تؤخذ على الموازين المقدرة وجزء منه صحة الهمة والعزم والنية وجزء منه الكلام المقوي لروحانيته وجزء منه حرزه وحفظه من العيون والايدى اللامسة واشراق الشمس وضوئها .

قال : وإذا أردت شيئاً تقطع السنة الناس عنك أو غيرك فقل : سترت على فلان بن فلانة أو على نفسى بستر النور المضيء وقطعت السنة الناس جميعاً عنه أو عنى وأسبلت على أعينهم ستراً روحانياً دافعاً لمناظرهم الخبيثة قاطعاً لالسنتهم المؤذية قامعاً لهممهم المؤذية .

وإذا أردت أن تهتك ستر انسان أو تفضحه فقل : هتكت ستر فلان بن فلانة بقوة هذا الروحانى كهتك شعاع الشمس غلظ الضباب وفضحته وجعلته غرضاً لروحانية الالسنة بالروح المذموم كغرض السهام الذي يتعاوره الرماة.

وذكر فى كتابه : أنه سأله فقال له هل ان هذه الوحوش والسباع والطير والهوام كيف تشاء يصاد ذلك ؟ والطير هل اليه وصول بحيلة ليست كحيلة العوام وصيدهم؟

قال نعم وجدت فى الكتاب المخزون من أسرار العلوم الخفية .

فقال له : أنت أيضاً مجاذب بروحانيتك العامة المستعملة جميع أسرار العلوم الخفية ولطائفها كجذب شعاع الشمس نور العالم وقواه ولست تعقل عن شيء من العلوم الخفية والاسرار اللطيفة الاجذبتها بروحانيتك قال وأنا مبينك عما سئلت ومبين لك الحق ومفسر ذلك في الاسرار في أخذ هذه الوحوش والسباع والطيور بحيلة الحكمة فاستر أمرك وسل عما بدا لك أجبك وأطل الفكر والنظر في الامور الغامضة المغلقة عليك فان بيدى مفاتيح الاعمال وأسرار الاسرار وعلل الاسرار ولست أكتمك منها شيئا فاذا أردت أن تأخذ هذه السباع والوحوش والطيور وتذل لك روحانياتها وتشتاق الى طبائعها من غير أن يصيبك أذى أو يتناولك مكروه أو يستصعب عليك أخذها فاعمل اربع أخلاط تأخذ بها جميع الحيوان المستوحشة فى قسمة النجوم السبعية الخلط الاول يسمى (بادميا) تعمله لجميع السباع كلها ، والثانى يقال له (سمومديا) تعمله لجميع الوحوش كلها ، والثالث يقال له (عموديا) لجميع الطيور الوحشية ، والرابع يقال له (وعوديا) لجميع الهوام الدبابة كلها صفة بادميا للسباع كلها تأخذ من دم الفرس أربع أواق ومن شحم الضبعة أوقية ومن دماغ الضبعة أربع مثاقيل ومن مرارة الطير مثقالين ومن مرارة السنور الاسود مثقالا ومن شحم الخنازير ثلاثة مثاقيل ومن دماغ الحمار أربعة مثاقيل ومن مرارة الغراب ومرارة النسر ومرارة العقاب ومرارة الديك من كل واحد مثقالا ومن دم الثعلب أوقية ومن شحم الارنب ودماغه من كل واحد اربعة مثاقيل ، ثم تجمع الدهنين فى طنجير وترفعه على النار حتى يسخن فاذا سخن طرحت عليه الدماغ حتى يذوب ثم طرحت عليه الشحم حتى يذوب ، ثم اطرح عليه المرارات كلها رطبة حتى تختلط به فاذا اختلطوا جميعاً أخذت من البروج المسحوق اربعة مثاقيل ، ومن سد قوس المرضوض عشرة مثاقيل وهو البلار ومن سلخ الحية المدقوق مثقالين ومن الكبريت الاصفر والزرنيخ الاحمر من كل واحد خمسة مثاقيل فاذا اختلط ذلك في النار جميعاً فارفعه عندك ودعه حتى يبرد .

فاذا برد فاجعله في زجاجة محرزة وارفعها فاذا أردت أخذ سبع من السباع كالكرامي والفيلة والزيبال والاسد والعربيان والرمان والعرمان ومادون ذلك من السباع القاتلة المقسومة في قسمة النجوم السبعية فخذ رطلا من شحم كلب أي الالوان كان فاطله من هذا الخلط الذي عملت وهو البادميالون أربعة مثاقيل فتجعله في مسقط وترفعه على النار حتى يذوب ثم اطله عليه ثم تأخذ من البادميا مثقالا ومجمرة فيها جمر وتمضى الى مكان هذه السباع فتدخن بالمثقال والشحم فى يدك فتقول : أخذت روحانية كذا أيتها السباع أردت باسمه بقوة هذه الارواح الروحانية وسقت بها إلى نفسي سوق الريح السحاب ، أدعوك أيتها الروحانية الكامنة فى جسم كذا و كذا تسميه بعينه بقوة هذه الارواح الروحانية فاجيبني طائعة ووافي ذليلة

فانك اذا دخنت بذلك وتكلمت بهذا الكلام لم يلبث ذلك السبع الذى تريد فانه لا يملك نفسه حتى يتكالب عليه فيأكله ، فاذا أكله ذل وخضع وصار مثل الرجل السكران وانقمعت روحانيته .

فان احببت شده بحبل فافعل وسقه صحيحاً حيث شئت .

فان أحببت فاذبحه في المكان وخذ من أعضائه الذي تريده صفة السمو ديا(١) للوحوش تأخذ من دم الكلب الاسود خمس أواق ومن دماغ الخنزير أربعة مثاقيل ومن شحم الارنب أوقية ومن مرارة الايل وشحمه من كل واحد مثقالين ومن دماغ الغداف أربعة مثاقيل — يجعل الدم في طنجير ثم يطرح عليه الشحم حتى يذوب ثم الدماغ ثم المرارة فاذا ذاب واختلط فخذ من قرن الايل المسحوق وزن عشرة مثاقيل ومن حافر حمار الوحش المسحوق مثقالا ومن حب المروج خمس مثاقيل ومن الكرفس الجبلى وهو الفطراساليون والسيساليون من كل واحد أربعة مثاقيل يسحق ويطرح فيه ويخلط ثم يرفع فى اناء زجاج .

(١) لم اعثر في كتب اللغة على تفسير لتلك الكلمة

فاذا أردت أخذ وحش من الوحوش نخذ قدر أوقية من دم الانسان اجعله في طنجير وسخنه على نار لينة ثم اطرح عليه من هذه الخلط أربعة مثاقيل حتى يذوب ، فاذا ذاب فخذ حزمة كرفس جبلي رطب فانقعه فى ذلك الدم المذاف فيه السويداء ثم ارفعه على شيء نظيف حتى يشرب ذلك ثم خذه وخذ مثقالا من السموديا ومجمرة فيها نار واذهب الى مكان تلك الوحوش فاطرح الدخنة على النار ثم تكلم بالكلام الاول الذي وصفت لك في باب السباع والوحش الذى تريده بعينه فانه لايلبث أن يأتي اليك فالق اليه الكرفس الذي معك حتى يعتلفه فاذا اعتلفه تعبدت روحانيته وذلت لك طائعة خاضعة فاذبحها ان شئت أوسقها بالحبل كيف شئت . صفة العموديا لطيور الطيارة تأخذ من دم عقاب أوقية ومن دماغ نسر ومن دماغ صقر ومن دماغ شاهين من كل واحد مثقالا ، ومن شحم الكركى وشحم البط من كل واحد خمسة مثاقيل ، ومن مرارة البومة والهامة ومرارة الغداف من كل واحد مثقالا يسخن الدم في طنجير ويطرح عليه الشحم ثم الدماغ ثم المرارة حتى يختلط ذلك كله فيه فاذا اختلط فخذ من حب النيروج المسحوق وحب الصنوبر المسحوق من كل واحد خمسة مثاقيل

ومن السمسم والحنطة وحب القرصاد من كل واحد مثقالا تسحق ذلك جميعاً وتطرحه على ذلك الدواء واخلطه فاذا خلطته به معاً فادفعه فى زجاجة نظيفة .

فاذا أردت أخذ طير نخذ كليجة سمسم ومن العموديا أربع مثاقيل فأذبه في ماء الهندباه قدر رطل واطرح السمسم فيه حتى يختلط ثم ارفعه حتى يجف ، فاذا جف فخذه وخذ من العموديا مثقالا ومجمرة نار واذهب الى مكان الطير الذى تريد فبخر به وتكلم بالكلام الاول وتسمى الطير فانه يأتيك فاذا أتى فاطرح له السمسم حتى اذا اعتلفه ذلت لك روحانيته وان كان من الطيور أولى النهش نخذ عصفورا واذبحه وانتف الريشة وخذ مثقالا من العموديا فأذبه في مسقة واطل به ذلك العصفور واحمله معك واطرحه اليه فاذا أكله ذلت لك روحانيته وخضع فاصنع به مابدا لك .

صفة العمود يا للهوام

تأخذ دم الايل أواق ومن دماغه وشحمه من كل واحد مثقالا ومن دماغ الارنب مثقالين ومن أنفحة الظباء وأنفحة الاعير الاهلية من كل واحد نصف مثقال ومن قرن الايل المسحوق وقرن العيريان مثقالا ومن شحم الافعى مثقالا يجعل ذلك الدم في طنجير ويسخن ويطرح عليه الشحم والادمغة والانفحة والقرون حتى يختلط ذلك عليه جميعا فاذا اختلط فارفعه في زجاجة نظيفة ، فاذا أردت أخذ شيء من الهوام الدبابة تخذ شيئاً من لبن امرأة في مشربة نحاس وأذب فيه مثقالين من هذا الخلط ثم خذ مثقالا منه ومجمرة فاذهب الى مكان ذلك الهوام من الافاعي والقنفذ والورم وغير ذلك فدخن بذلك المثقال وتكلم بذلك الكلام الاول وسم ذلك الضرب باسمه فانه لا يلبث أن يخرج اليك فتضع المشربة بين يديه حتى يشربه فاذا شربه ذلت لك روحانيته فان لم يكن من الهوام التي تشرب اللبن مثل العقارب والعظايات تخـذها حتى تخرج اليك فان روحانيتها مقموعة لا تمتنع عليك .

فان عارض معارض وقال لا خلاف بين العلماء بخواص الأشياء ان الحيات تنفر من قرن الايل أبعد نفار وأحدنا اذا أحس في داره بحية دخن بقرن الايل حتى تهرب الحية الى دور كثيرة فكيف جعلته أنت في الأدوية التي تصاد بها الهوام ؟ فقال : ألست تعلم أنا ننفر من رائحة البصل والثوم أبعد نفار واذا وقع مع التوابل في القدور استطبناه وكذلك الخردل والفلفل نكرهه على الانفراد ونلتذ به اذا وقع في الطبخ .

قال فسألت الحكيم ، فقلت له أنت ذكرت أن في بعض هذه السباع وأدوائها وأعضائها سموما مؤذية تقتل بالرائحة قال بلى قلت كيف يحترس الرجل من ذلك وقت أخذ هذه السباع قال حرزه في الاخلاط التي وصفت لك قلت كيف يصنع؟ قال يأخذ من الخلط الذي يستعمل في أي الانواع أراد فيبدأ قبل كل شيء

فيذيب شيئا منه قدر نصف مثقال بقدر نصف أوقية دهن السمسم ويمسح به يديه ومنخريه وفه ووجهه ساعة وقدميه مسحا رقيقا ثم يعمل ماوصفت لك فان ذلك يكون حرزا له من كل شيء يتخوفه من عادية السموم .

قال التلميذ قلت للحكيم وجدت في ذلك الكتاب مع قوة روحانية هذا الكلام الذي يتكلم به على الدخنة للبهيمة التى لا تعقل وما معنى الكلام بحيوان لا عقل له ولا فهم ، وأن الحكيم الاول قطع الكلام على نيرنجات العالم الاصغر لتركب عقله وفهمه فماباله وضع ذلك الحيوان الذي لا عقل له ؟ فأجابه الحكيم هذا الكلام لم يوضع لشيء مما ذكرت ولم يقسم على العقل والفهم وقد وجدت فى الكتاب المخزون أن جواهر الكواكب الذي وصفت لك مأخوذة من الروحانية الاولى المؤلفة فى تركيبك الذي هو الانسان لانه لا يتم الا بتحريك منك فجعل ذلك الكلام لك لا للغير هذا من أسرار العلماء فاحفظه ولا تخرجه الي الغير فانه يكون فساداً عظيما وتحت ماأخبرت لك كنز عظيم ، وان وفقت لفهمه وانما هو لك لا للحيوان ولا للعالم الاصغر لانه لا يتم الا بتحريك منك فجعل ذلك الكلام لك لا للغير ، وهذا من أسرار العلماء .

واعلم أيضا أن جواهر الكلام وروحانيته أمران جمعا جميعا فانقادت لهما الروحانية المستجنة فى الاجسام من العالم الأصغر وتلك الروحانية فى ذاته سامعة عاقلة . ومما يدلك على أن هذا الكلام لم يوضع على معنى ما قلت ان النيرنجات التى تعملها للعالم الاصغر انما يتكلم عليها من حيث لا يسمع الانسان ولا يبصره ومن لم يسمع شيئاً ولم يبصره ولم يفهمه فانما تصل الى روحانيته الكامنة فى جسمه أرواح تلك الاخلاط والكلام من حيث لا يعقله ولا يفهمه ولا يراه ثم يتحرك ذلك فى باطنه بالمعنى الذي عمل له من الحب والبغض والعقد والحل ونحو ذلك ، وكذلك الحيوان المتحرك أيضاً انما تصل تلك الارواح الى روحانيتها المستجنة فيها من حيث لا تفهم ولا تعقل ولا ترى ، هذا ان صدقت روحانيتك ولم ترتب فيما تفعله فتسوقها الى ذلك المكان دعت اليه طائعة لروحانيتها الخبيثة وليس هذه

النيرنجات المعمولة على الحيوان المتحركة بأعجب من النيرنجات المعمولة على العالم الاصغر، بل سائر العالم الاصغر فى ذلك أعجب بما فيه من تركيب العقل والفهم وقوتهما، ولو أن العالم الاصغر أبطل هذه النيرنجات المعمولة وقطعها فى فهمه لكان حريا بذلك لتمام تركيبه وكمال خلقه، كما أنه لو عملت نيرنج العالم الاصغر وأحس منك بذلك ولم يستشعر أنه عامل بطل فعلك فاعرف هذا.

فقلت له هل بقي في هذا الباب ما لم يأت عليه الشرح في هذا المعنى؟ فقال: وليس قدر ماذكرنا الا كقدر قطرة من بحر، وان فى علم روحانيات الكواكب ومعانيها ومعرفة أوقات العمل لها ولباسها ودخنها والكلام الذى يحتاج لكل واحد منها وما يظهر من أفعالها لمن وقف بمعرفة علمها عجباً عجيباً: فأقل ما في ذلك العلم أنه من التمكن أن يؤدى العالم الأصغر فى منامه ما تدوم من جهته فينقاد اليك خاضعا طالبا أن يري اقبالك عليه وقبولك ما يبذله لك سعادة عظيمة وغير ذلك مما شاهدت من عجب هذا العالم أني كنت بجزيرة أوال (١)

وكان بها رجل من المتصلين بحبل الله عالماً بهذا العلم فقصدته زائراً فرأيت قوما من أهل البلد قد دخلوا عليه وشكوا اليه غمهم بمحبوس لهم قدحبسه أمير البلد في جناية جناها قالوا: قد أطرحنا أنفسنا على الوزير والحاجب وخواص الأمير فلم ينفعنا ذلك وقد بذلنا له من الرشوة بحسب طاقتنا فلم يقبل وقد ذكر لنا عنه أنه قال لا بد لى من قتله فأطرق ذلك الفاضل اطراقه ثم رفع رأسه وقال: الليلة فى آخرها صاحبكم عندكم فامضوا ولا تشعروا أحداً بما ألقيته اليكم فخرج القوم من عنده.

فقلت له — على طرق الملاعبة: قد أوحي اليك أن الامير الليلة يطلق هذا المحبوس؟! قال لى: سوف ترى! فقلت: ولا يجوز أن يطلقه غداً فقال: ان

(١) أوال بالضم ويروى بالفتح — جزيرة يحيط بها البحر بناحية البحرين، فيها نخل وليمون وبساتين اه — معجم ياقوت جزء أول صفحة ٣٦٥ طبع مصر

تأخر إطلاقه الليل لم يصح اطلاقه الى ستة أشهر وكسر ، وانما قد اتفق سعادة لهذا المحبوس أن جاءنى هؤلاء القوم فى هذا اليوم .

واشتغل بحديث آخر وخرجت من عنده ، فلما كان من الغد أتيته مسلماً فوجدت القوم الذين جاؤه بالأمس قد سبقونى الى عنده وهم شاكرون له بما بشرهم به من تخلية المحبوس ويسألونه عن علمه بذلك ؟ فقال لهم : الطالع الذى دخلتم به شهد أن محبوسكم في هذه الليلة يطلق ولم يكشف لهم عن حقيقة الأمر .

ورأيت غلاماً شاباً مصفر اللون قد أنهكه الحبس والقيد فأقبل الشيخ على الشاب فقال له : حدث هذا الرجل كيف خلاك الامير البارحة ، فالتفت الى الشاب الذى كان محبوساً فقال : اني كنت محبوساً في المطمورة مطروحاً وأنا مكبل بالحديد وقد هددني السجان في آخر يوم أمس وقال بأن الأمير قد أنفذ بأن يحمل اليه قوم قطعوا فى البحر الطريق وانه ينظر أولئك وأنه يصلبك فى جملتهم ، ذكر لى هذا عند اصفرار الشمس فبكيت طول ليلى ولم يحملنى النوم أصلا !

فبينا أنا كذلك وقد عبر من الليل النصف الاول اذ سمعت حركة شديدة وباب المطمورة يفتح ففزعت وشات رأسي الى السماء مستعيناً بالله تعالى واذا الجماعة من الخدم قد نزلوا وحملنى أحدهم بحديدى فأدخلت على الأمير فاذا به قائم فلما رآنى قال حطوه برفق واستدعى من فك الحديد عنى وسألنى أن أجعله فى حل بما فعل بي وأمر بأن أجعل في جملة خدمه وأثبت لي رزقاً جارياً مع خاصته وأفرج عنى وهذا حالى .

وقاموا فخرجوا من عنده فجددت السؤال للشيخ ورغبت اليه أن يعلمنى السبب في تخليته اذا لم يقل لهم إنه سيخلى الليلة عن فائدة ؟ فقال لا يمكننى أن أخبرك فى هذا اليوم فان صبرت ثمانية وعشرين يوماً أعلمتك ، فقلت له انى من الصابرين .

فلما انقضت الايام جددت السؤال فقال : هؤلاء القوم الذين جاؤا حدثونى بحديث المحبوس قوم أخيار يلتزمنى أمرهم ورأيتهم مغمومين بهذا المحبوس فقلت لهم ما قلت ، ولما كان في تلك الليلة على ساعتين من الليل تجردت وعملت نيرنج المريخ وقصدت بالنيرنج الامير والمحبوس فأطلقه كما رأيت .

فقلت للشيخ أحب أن تعلمنى سبب اطلاقه له ؟ فقال : سبب ذلك أن الامير رأى فيما يرى النائم كأن قد دخل عليه رجل أشقر أزرق على رأسه شعر وهو مكشوف الرأس وبيده سيف مجرد يقول ان لم تخل فى هذه الساعة فلان ابن فلان المحبوس عندك وجاءت الليلة قطعت رأسك بهذا السيف ! ! فكان هذا سبب التخلية له ، فاستطرفت ذلك واستعظمته .

فقال لى إياك أن يسمع منك هذا في هذه المدينة أحد ما دمت أنت بها فضمنت له ذلك وقلت : وللمريخ نيرنج يعمل ؟ فقال : لزحل لباس سواد وللمشترى بياض وللمريخ حمرة وللشمس أصفر وللزهرة أخضر ولعطارد ملون وللقمر سمكون ، ولهم مع ذلك دخن وبخورات وأشياء أخر يعرفها العلماء الواقفون على أسرار الخليقة مثل أكاليل يحتاج في عمل بعضها فان لبسه يضعها العامل على رأسه ومخانق سلعة يتقلد بها فان كان العمل لزحل احتاج أن يكون الاكاليل من شكوك والمخانق من عظام وآلات أخر لكل واحد منها لو شرحتها لك لكثر تعجبك منهم ، ولكل واحد آلة لا تصلح للآخر يعرفها العلماء الواقفون على أسرار الخليقة وروحانيات الكواكب ، فقلت له : قدعارضنى فى هذا الموضع سؤال ولست سائلا عنه لشك عرض بل لاستفهام حسب . فقال لى ذلك العالم الفاضل هلم سؤالك ! فقلت له الانبياء عليهم السلام ماوقفوا على هذا العلم ؟ فتبسم وقال لى يامسكين ثقالة عكس علم الانبياء عليهم السلام فقلت له ما سمعنا أنهم تعسفوا في دعاء الخلق أو تعبوا التعب العظيم وطلبوا وهربوا من أيدى أعدائهم سراً ومنهم من تأدى أمره مع أعدائه إلى أن قتل فياليت شعرى مع قدرتهم على هذا العلم الشريف لم لا يعلمون لاعدائهم من هذه النيرنجات ما كان يضطرونهم معها الى اجابتهم

فقال لى : ما أحسن ماسألت إلا أن الأنبياء عليهم السلام أرسلهم الله تعالى لنجاة الخلق ولأن يطبوا أنفسهم المريضة بالعلوم الالهيـة التى تكون شفاءها وتستدعيهم الى العلم الاختياري كما قال الله تعالى : (لا إكراه في الدين) . ولعل كثيراً من الناس لايفرق بين الدين والشريعة .

فأما الدين فلااكراه فيه فان أكره عليه لم ينتفع الذي أكرهوا على قبوله لأنه أمر إلهي وأما شريعة الدين فهو الذي يقع الاكراه فيها لأنها أمر وضعي سنى دنيوي به يكون ثبات الدين ودوامه ، فلهـذا أكره الناس عليه وهو ظاهر الاسلام وأما الدين الذى هو الايمان فلم يكرههم عليه . ولذلك قال الله تعـالى (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) فلهذا قال النبي ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لااله الا الله وأن محمداً رسول الله فاذا قالوها حقنوا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فقيل يارسول الله من قال لااله الاالله دخل الجنة ؟ فقال نعم من قال مخلصاً دخل الجنة . قيل له وما اخلاصها ؟ قال معرفة حدودها وأداء حقوقها ، فقيل يارسول الله مامعرفة حدودها وأداء حقوقها ؟ فقال نعم أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد مافي المدينة فليأت الباب فأرشدهم الى من يشرح لهم ذلك الذي يؤدي الى الدين الاختياري الى محبي الثواب لان الاكراه عن الاسلام صورة معروفة في الشريعة قال الله تعالى : (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) فلم يستعمل الانبياء عليهم السلام هذا العلم لأحوال : أحدها أنه ضرب من الحيلة والمكر فلم يبعثوا بذلك ، وثانيها أنهم لو فعلوا ذلك لكان اجابة الناس الى الخديعة لاالى العلم الذي به نجاة أنفسهم وكان يفوتهم الغرض الذى جاؤا فيه الذي هو نجاة الأنفس لان الأنفس ما كانت تصفو بما يكون فيه خديعـة ومكر اذا كانت تتخلص من عالم الكون والفساد ولأن هذا العلم فوائده مختصة بالعلم الأرضى والانبياء عليهم السلام فهم دعاة الى العالم العلوي الذي هو أعلى من عالم الأفلاك فلذلك لم يستعملوه أيضاً

وأيضاً فلم يجز لهم الى أن يضيفوا الى تأييد الله ووحيـه بوساطة الملائكة

المقربين حيلة بشرية ولا نيرنجية فلكية . ويجوز لأمثالنا نحن استعمالها في مصالح دنيانا ولا يجوز لهم لأنهم في شرفهم وعلو منازلهم مستغنون عما نحن مفتقرون اليه ولشدة تحرزهم وتنزيههم أنفسهم عن أفعال البشر قدشهدوا أحوالهم الدنيوية مضيقة عليهم مع معرفتهم وعلمهم بصناعة الكيمياء وهذه الخصلة ، يقال حلالها حساب وحرامها عذاب ، كذلك جماعة اصحاب الشرائع جرى أمرهم فلزموا التزهد والتقشف والجشب من العيش وألزموا أنفسهم ذلك وحرموا عليها الطيبات ، كذلك ليفعل الناس كفعلهم ويقتدوا بهم

قال الله تعالى : (كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ماحرم اسرائيل على نفسه) فلهذا لم يفعلوا لان هذه المحرمات كلها انما تجري مجرى الحمية التى أمرنا الطبيب الحاذق المشفق باستعمالها اصحة أجسامنا لتبقى في الدنيا المدة المقدرة لها ، والانبياء عليهم السلام هم أطباء النفوس المريضة بجهلها التى لا تصلح للعالم العلوي الا بعد تصفيتها من أدناس الطبيعة لحموها من هذه الاشياء التى حرموها ليكون شفاؤها من جهلها وصحة لها لصورتها الباقية شفقة علينا ورحمة بنا فاقتدى بهم في سنتهم في ذلك خلفاؤهم وذريتهم التى هي الحبل الممدود مع الكتاب الذي لا افتراق لهم عنه الى الحوض ، كما أخبر النبى فلم يفعلوا أيضاً مع علمهم ومعرفتهم اقتداء بالرسل واتباعاً لهم ، فهذا جواب مختصر .

فقال له السائل : لم لا أفصحت بهذا العلم الشريف لينتفع به الخلق ؟

فقال لو فعلنا ذلك لعظم ضرره وبطل أيضاً، فانا انما نفصح بعمل روحانيات العالم الاصغر في رسالتنا هذه بل أشرنا اليه اشارة فحسب لاغير حذراً أن تقع الرسالة في يد غير مستحق فيهلك الحرث والنسل ويفسد النساء ويهتك الحرم ، فلذلك ألغزناه وأعجمناه .

وأنت أيها الاخ اذا صفا جوهرك وأمنت خبيئتك انفتح عليك من هذا العلم مايسرك فلا تبعه الا كما اشتريت وابخل به على الولد والوالد الا أن يأخذا له كما أخذت أنت ويصفو جوهرها كما صفا جوهرك أنت فيبلغا مابلغت من غير أن تعطيهما أنت شيئاً

واعلم يا أخي أن الحكماء انما وضعوا الحكم لاحكام أعمالهم واتقانهم لها وانهم لم يضعوا شيئاً من اعمالهم في غير موضعه ولا فعلوا فعلا لامعنى له ولا احدثوا من ذواتهم شيئاً يكون الضرر فيه اعم من النفع ولو فعلوا ذلك لم يكونوا حكماء فكيف احكم الحاكمين واحسن الخالقين خالقهم وموجدهم ومؤيدهم ان يفعل مايؤدي الى الضرر والفساد ولغير معنى وماقصد فساداً وماخلقه لاضرارنا (تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً) وهو يقول عز من قائل (وماخلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ماخلقناهما الا بالحق)

واذا تأملت هذه الحكمة وتدبرت هذه الصنعة وعرفت هذا السر ورأيت حقيقة هذا السحر الذي يسحر العقول بانت لك الاشياء بحقائقها وتعلمت كيف تسحر الناس وكيف تصير القلوب اليك وتبين لك ما خفي عنها لما عميت الأنباء عن الضالين الغافلين .

فانتبه ياأخي من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وأيقظ من قدرت عليه من الغافلين ليحصل لك النفع العاجل والخير المتواصل في الدنيا والدين بلغك الله منازل الاخيار المصطفين ورقاك الى منازل الملائكة المقربين وفقك الله وايانا وجميع اخواننا المؤمنين برحمته انه أرحم الراحمين

كلمة الختام

نجز والحمد لله طبع كتاب « رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء » وكانت النية منصرفة عند البدء به الى أن أتولى خدمته تصحيحاً ومقابلة على بعض الاصول التى منها نسخة مخطوطة فى دار الكتب الملكية بالقاهرة ولكن شؤوناً اعترضت فى السبيل ، فحالت بين النية والعمل ، فتداول ما كنت مزمعاً الانفراد به جماعة من أهل الفضل ثم أمين افندي سعيد والشيخ احمد مصطفى والشيخ احمد يوسف ، وهاهي آثار عنايتهم بالكتاب بارزة بينة فى كل صفحة من صفحاته.

هكذا قدر لرسائل اخوان الصفاء التى هي صورة صحيحة لأرقى ما بلغ اليه العلم الفلسفي في عصر وضعها ، أن تظهر بهذه الحلة النقية طبعاً وورقاً وتصحيحاً ، ومن الله التوفيق في البدء والختام .

خير الدين الزركلي

فهرست الجزء الرابع

من رسائل اخوان الصفاء

صفحة

صحيفة

صحيفة

صفحة

صفحة

صحيفة

صفحة

صحيفة